

1. سورة الشعراء
2. سورة النمل
3. سورة القصص
4. سورة العنكبوت
5. سورة الروم
6. سورة لقمان
7. سورة السجدة
8. سورة الأحزاب
9. سورة سبأ
10. سورة ياسين
11. سورة الصافات

""""الجزء الرابع""""

.:| حلقة حفاظ الوحيني |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

مدارسة سور القرآن

:: سـورة الشعراء ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســورة الشعراء

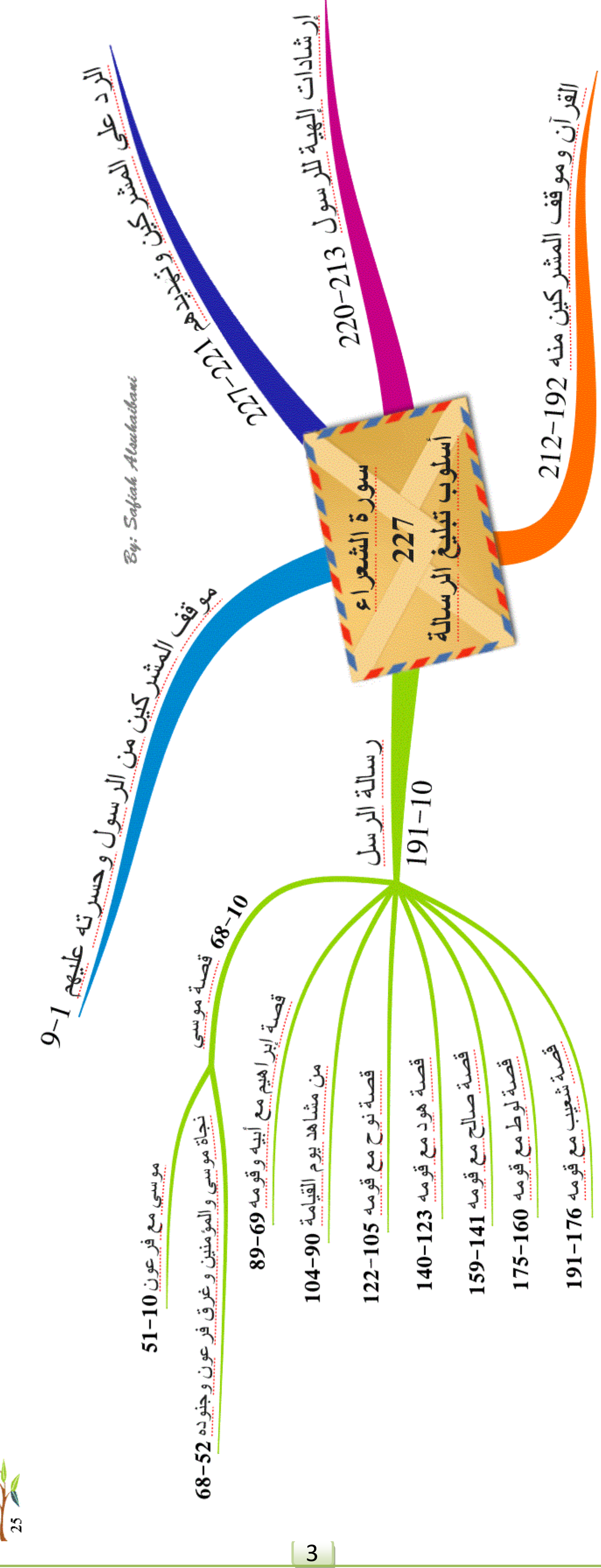
بين يدي السورة:

- سورة الشعراء مكية، نزلت بعد سورة الواقعة.
- ورد تسميتها في تفسير الإمام مالك بسورة الجامعة، لأنها جمعت ثماني حلقاتٍ قصصيةٍ لأنبياء الله ورسله عليهم السلام.
- محور السورة: هو قوله تعالى (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم *). وقد تكررت ثماني مرات في السورة عقب نهاية كل قصة.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

- يلاحظ بوجه عام عمق اتصال سورة الشعراء بسورة الفرقان التي قبلها، وسورة النمل التي بعدها، برباط واضح ومتين فهذه السور الثلاث مكية افتتحت في الغالب بما يفيد مدح القرآن الكريم وما يتبع ذلك من تسرية النبي صلى الله عليه وسلم.
- ويجري عليها التشابه في إقرار عقيدة التوحيد، والأمر بتقوى الله تعالى، وإيراد الدليل المشاهد على قدرته سبحانه وتعالى الكونية.
- كما تتشابه في الإخبار عن بعض الأنبياء والرسل وما أثير من شبهات أقوامهم لهم كالكذب والسحر والجنون ونحوه.
- وامتد التشابه في هذه السور أيضاً إلى إنكار بشرية الرسل بالكلية.

محاور السورة:



المقطع الأول: من الآية (١) إلى الآية (٨٣)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (١ – ٩) تحمل آيات المقطع تسرية للنبي صلى الله عليه وسلم لتثبيت فؤاده في الدعوة والصبر على ما يواجهه من صعابٍ في ألطف العبارات الربانية وأرقها. وفي هذا المقطع من وشائج الترابط والوئام ما يشد عضده بالمقاطع الأخرى حتى نهاية السورة الذي انعطف على أولها فزادها حسناً وإعجازاً. وغاية المقطع إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان أن القرآن كلام الله ليؤمن أهل مكة عن تبصر وتعقل. ويمهد المقطع إلى مقارعة قريش بالحجة من خلال الإشارة أن الله عليه السلام أرسل رسوله بشيراً ونذيراً ورحمةً للعالمين.
- الآيات (١٠ – ٦٨) قصة موسى عليه السلام.
- الآيات (٦٩ – ١٠٤) قصة إبراهيم عليه السلام.

التمهيد :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا هدى وتقى وعلما.

قال صلى الله عليه وسلم (أفضل الأمان أن تعلم أن الله معك حيث ما كنت) وقوله صلى الله عليه وسلم لصاحبة أبي بكر رضي اله عنه وهما في الغار (لا تحزن إن الله معنا)

متى يكون الله معنا ؟

إذا أطعناه وتركتنا معصيته وأقبلنا عليه وناشدنا واستغثنا به وتوكلنا عليه (ولن يضعني الله أبد)

النبي صلى الله عليه وسلم كان مع ربه فكان الله معه

المعية نوعان :

١. معية عامة ___ هي التي تقتضي الإحاطة بجميع الخلق من مؤمن وكافر وبر وفاجر في العلم والقدرة والتدبير والسلطان وغير ذلك من معاني الربوبية

وهذه المعية توجب لمن آمن بها كمال المراقبة لله عز وجل حيث قال صلى الله عليه وسلم (أفضل الأمان أن تعلم أن الله معك حيث ما كنت)

فتجعلنا نخاف فلا نعصي و بها كشف الله أستار المنافقين

٢. المعية الخاصة – هي التي تقتضي النصر والتأييد لمن أضيفت له وهي مختصة بمن يستحق ذلك من الرسل وأتباعهم

هي التي يطمئن بها المؤمن ويزداد عملا بأن الله لا يتخلى عنه فشعور المؤمن بمعية الله وصحبته يجعله في أنس دائم بربه ونعين الموصول بقربه ، يشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإن كان في وحشة يشعر بما شعر به محمد صلى الله عليه وسلم (لا تجزن إن الله معنا)

يشعر بالشعور الذي شعر به موسى عليه السلام عندما قال (كلا إن معي ربي سيهدين)

فوائد وأسئلة تدبرية:

- لماذا يحزن الرسول صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا عندما يدعوا قومه ولم يستجيبوا له ؟ وهل تنفعهم آيات الاقتراح إذا أنزلت عليهم وينفعهم الإيمان ؟

(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤)) يشير الباري تعالى إشارة، تدل على التعظيم لآيات الكتاب المبين البين الواضح، الدال على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، بحيث لا يبقى عند الناظر فيه، شك ولا شبهة فيما أخبر به، أو حكم به، لوضوحه، ودلالته على أشرف المعاني، وارتباط الأحكام بحكمها، وتعليقها بمناسبها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينذر به الناس، ويهدي به الصراط المستقيم، فيهتدي بذلك عباد الله المتقون، ويعرض عنه من كتب عليه الشقاء، فكان يحزن حزنا شديدا، على عدم إيمانهم، حرصا منه على الخير، ونصحا لهم.

فلهذا قال تعالى عنه: { لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ } أي: مهلكها وشاق عليها، { أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } أي: فلا تفعل، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الهداية بيد الله، وقد أديت ما عليك من التبليغ، وليس فوق هذا القرآن المبين آية، حتى ننزلها، ليؤمنوا [بها]، فإنه كاف شاف، لمن يريد الهداية، ولهذا قال: { إِنْ نَشَأْ نُنزلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً } أي: من آيات الاقتراح، { فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ } أي: أعناق المكذبين { لَهَا خَاضِعِينَ } ولكن لا حاجة إلى ذلك، ولا مصلحة فيه، فإنه إذ ذاك الوقت، يكون الإيمان غير نافع، وإنما الإيمان النافع،

- ما معنى اسم الله العزيز الرحيم ؟

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)) الذي قد قهر كل مخلوق، ودان له العالم العلوي والسفلي، {الرَّحِيمِ} الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى كل حي، العزيز الذي أهلك الأشقياء بأنواع العقوبات، الرحيم بالسعداء، حيث أنجاهم من كل شر وبلاء.

- ما هو الذنب الذي فعله موسى و هرب بنفسه خشية فرعون ؟

(وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤) وهي قتل موسى للقبطي، حين استغاثة الذي من شيعته، على الذي من عدوه { فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ } الآية.

- لقد أقر فرعون على نفسه بالكفر من حيث لا يدري ما هي الآية الدالة على ذلك ؟

(وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩)) { وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ } أي: وأنت إذ ذاك طريقك طريقنا، وسبيلك سبيلنا، في الكفر، فأقر على نفسه بالكفر، من حيث لا يدري.

- ما هو الظلم الذي أوقعه فرعون على قومه؟ وهل وقع هذا الظلم على موسى ؟

(وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢)) أي: تدلي علي بهذه المنة لأنك سخرت بني إسرائيل، وجعلتهم لك بمنزلة العبيد، وأنا قد أسلمتني من تعبيدك وتسخيرك، وجعلتها علي نعمة، فعند التصور، يتبين أن الحقيقة، أنك ظلمت هذا الشعب الفاضل، وعذبتهم وسخرتهم بأعمالك، وأنا قد سلمني الله من أذاك، مع وصول أذاك لقومي، فما هذه المنة التي تبت بها وتدلي بها؟.

- ما هو الثعبان ؟

(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢)) { قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ } أي: ذكر الحيات، { مُبِينٌ } ظاهر لكل أحد، لا خيال، ولا تشبيه.

- ما حكمة الله سبحانه في جمع فرعون لأمهر السحرة والعالمين بالسحر من أنحاء البلاد وتحديد موعد لذلك ؟

(وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨)) { وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } جامعين للناس. { يَأْتُوكَ } أولئك الحاشرون { بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ } أي: ابعث في جميع مدنك، التي هي مقر العلم، ومعدن السحر، من يجمع لك كل ساحر ماهر، عليم في سحره فإن الساحر يقابل بسحر من جنس سحره.

وهذا من لطف الله أن يري العباد، بطلان ما موه به فرعون الجاهل الضال، المضل أن ما جاء به موسى سحر، قيضهم أن جمعوا أهل المهارة بالسحر، لينعقد المجلس عن حضرة الخلق العظيم، فيظهر الحق على الباطل، ويقر أهل العلم وأهل الصناعة، بصحة ما جاء به موسى، وأنه ليس بسحر، فعمل فرعون برأيهم، فأرسل في المدائن، من يجمع السحرة، واجتهد في ذلك، وجد.

{ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ } قد واعدهم إياه موسى، وهو يوم الزينة، الذي يتفرغون فيه من أشغالهم. { وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ } أي: نودي بعموم الناس بالاجتماع في ذلك اليوم الموعود.

- ما هو عقاب المفسد في الأرض ؟

(لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩)) { لأقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ} أي: اليد اليمنى، والرجل اليسرى، كما يفعل بالمفسد في الأرض، [ص ٥٩٢] { وَلأصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ } لتختزوا، وتذلوا.

- ما معنى كلمة (لا ضير)؟

{ لا ضَيْرَ } أي: لا نبالي بما توعدتنا به

- متى خرج موسى ببني اسرائيل ؟ ولماذا ؟

{ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي } أي: اخرج ببني إسرائيل أول الليل، ليتمادوا ويتمهلوا في ذهابهم. { إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ} أي: سيتبعكم فرعون وجنوده .

- ما المراد (بالشرذمة)؟

(إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤)) { إِنَّ هَؤُلاءِ } أي: بني إسرائيل { لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ } ونريد أن ننفذ غيظنا في هؤلاء العبيد، الذين أبِقُوا منا.

- متى تبع قوم فرعون قوم موسى ؟

(فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠)) أي: اتبع قوم فرعون قوم موسى، وقت شروق الشمس، وساقوا خلفهم محثين، على غيظ وحنق قادرين.

- عندما تراءى القومان مما خاف أصحاب موسى وبماذا رد عليهم موسى ؟

(فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١)) { فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ } أي رأى كل منهما صاحبه، { قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى } شاكين لموسى وحزنين { إِنَّا لَمُدْرَكُونَ } فـ { قَالَ } موسى، مثبتا لهم، ومخبرا لهم بوعد ربه الصادق: { كُلا } أي: ليس الأمر كما ذكرتم، أنكم مدركون، { إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ } لما فيه نجاتي ونجاتكم.

- إلى كم طريق انفلق البحر ؟

(أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)) {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ } فضربه { فَانْفَلَقَ } اثني عشر طريقا

- ما لمراد (بالطود) ؟

{ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ } أي: الجبل { الْعَظِيمِ } فدخله موسى وقومه.

- ها أقر قوم موسى ببطلان آلهتم ؟

(قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢)) { هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ } فيستجيبون دعاءكم، ويفرجون كربكم، ويزيلون عنكم كل مكروه؟. { أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ } فأقروا أن ذلك كله، غير موجود فيها، فلا تسمع دعاء، ولا تنفع، ولا تضر، ولهذا لما كسرها وقال: { بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ } قالوا له: { لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ } أي: هذا أمر متقرر من حالها، لا يقبل الإشكال والشك.

لمسات بيانية:

- آية (٤) :
  - ما دلالة استخدام خاضعين في الآية (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) الشعراء) ولم يقل خاضعة ؟ (د.فاضل السامرائى)

  عندنا حكم نحوي أنه قد يكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير أو التأنيث بشروط منها أن يكون المضاف صالحاً للحذف وإقامة المضاف إليه مقامه أو يكون المضاف كل المضاف إليه أو بعضه. في اللغة أمثلة كثيرة قال تعالى (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) الشعراء) لم يقل خاضعة جعل الخضوع للمضاف إليه (خاضعين) هذا يجوز لأن هذا جزء، الأعناق جزء من الإنسان. ومن الشواهد النحوية: (كما شرقت صدر القناة من الدم) الصدر مذكر وشرقت مؤنثة لأن القناة مؤنثة والصدر جزء.

- من قصة موسى عليه السلام (١٠-٦٨)
- آية (٢٠) :

- ما الفرق بين معنى الضلال في الفاتحة (ولا الضالين) و قوله تعالى (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) الشعراء) و(وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) الضحى)؟ (د.حسام النعيمى)

معنى الضلال في الآيات الثلاث واحد وهو عدم معرفة شرع الله سبحانه وتعالى. فموسى عليه السلام فعل هذا قبل النبوة فهو لا يعرف شرع الله، والرسول صلى الله عليه وسلم لما يقول له الله عز وجل (ووجدك ضالاً فهدى) يعني لم تكن عارفاً شرع الله تعالى فهداك إلى معرفة شرع الله بالنبوة. فالضلال هنا عدم معرفة شرع الله وليس الضلال معناه الفسق والفجور وعمل المنكرات وإنما هو الجهل بشرع الله سبحانه وتعالى: غير الضالين، وموسى عليه السلام قبل النبوة فعل هذا فكان جاهلاً بشرع الله ومحمد عليه الصلاة والسلام لم يكن يعرف شرع الله تعالى قبل النبوة فالمعنى واحد.

- آية (٣٢) :

- ورد في القرآن الكريم ذكر عصى موسى عليه السلام بأوصاف مختلفة مرة جان ومرة ثعبان ومرة حية فما الفرق بينها؟ (د.فاضل السامرائى)

المعنى اللغوي للكلمات: الجان هي الحية السريعة الحركة تتلوى بسرعة، الثعبان هو الحية الطويلة الضخمة الذَّكَر، الحية عامة تشمل الصغيرة والكبيرة فالثعبان حية والجان حية. الحية عامة تطلق على الجميع أما الثعبان فهو الذكر الضخم الطويل والجان هو الحية سريعة الحركة. ننظر كيف استعملها؟

كلمة ثعبان لم يستعملها إلا أمام فرعون في مكانين (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) الأعراف) (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) الشعراء) وذلك لإخافة فرعون ثعبان ضخم يُدخل الرهبة في قلبه فذكر الثعبان فقط أمام فرعون.

كلمة الجان ذكرها في موطن خوف موسى في القصص (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١)) وفي النمل (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠))

- آية (٣٨) :

- (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) الشعراء) (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) الواقعة) ما الفرق بين استخدام اللام وإلى؟(د.فاضل السامرائى)

اللام قد تكون للتعليل، من معانيها التعليل مثل قولنا جئت للاستفادة هذه لام التعليل وقد تأتي للانتهاء. أما (إلى) معناها الأساسي الانتهاء أما اللام فقد تأتي للانتهاء وضربنا مثلاً في حلقة سابقة (كل يجري لأجل مسمى) و(كل يجري إلى أجل مسمى). تقول أنا أعددتك لهذا اليوم، كنت هيأتك لهذا اليوم، (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) الشعراء) جمعناهم لهذا اليوم لغرض هذا اليوم وما فيه حتى نبين حقيقة موسى عليه السلام، أعددناهم لهذا ليوم أما تلك الجمع بمعنى الانتهاء إلى يوم القيامة وقسم يقول بمعنى السَوْق -السَوْق إلى ميقات يوم معلوم- (لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) الواقعة) أي مسوقون إلى ميقات يوم معلوم،

يخرجون من الأجداث سراعاً يتبعون الداعي لا عوج له ثم يأتون إلى مكان محدد يجتمعون فيه، منتهى الغاية. اللام لا تدل على هذا الانتهاء ولها دلالات أخرى:

- واللام للمِلك وشِبهه وفي تعدية أيضاً وفي تعليل
- جُمِع السحرة لهذا الغرض وليس المقصود مجرد الجمع وإنما لغرض محدد واضح وكأنها لام العلة مثل قولنا أعددتك لهذا اليوم. هنالك معاني تذكر في كتب النحو لمعاني أحرف الجر تتميز في الاستعمال غالباً وأحياناً يكون فيها اجتهادات لأنها تحتمل أكثر من دلالة وحتى النحاة قد يختلفون في الدلالة لأن الجملة قد تحتمل أحياناً أكثر من دلالة ظاهرة أو قطعية.

- نلاحظ أن التفصيل في سورة الشعراء أكثر وحصلت محاورة بين موسى عليه السلام وفرعون أما في الأعراف فلم يرد ذلك. وفي الشعراء هدد فرعون موسى عليه السلام بالسجن.ونلخّص الفرق بين الآيتين من الناحية التعبيرية:

سورة الأعراف	سورة الشعراء
قال الملأ من قوم فرعون (قول الملأ)	(قال للملأ من قومه) (قول فرعون)
يريد أن يخرجكم من أرضكم	(يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره)
وأرسل في المدائن حاشرين	(وابعث في المدائن حاشرين)
يأتوك بكل ساحر عليم	(يأتوك بكل سحّار عليم)
قالوا	(قالوا لفرعون)
وإنكم لمن المقربين	(وإنكم إذاً لمن المقربين)
وألقي السحرة ساجدين	(فألقي السحرة ساجدين)
فسوف تعلمون	(فلسوف تعلمون)
ثم لأصلّبنّكم	(ولأصلبنّكم)
إنا إلى ربنا منقلبون	(لا ضير إنا إلى ربنا لمنقلبون)

- ونأخذ كل فرق على حدة ونبدأ بقول الملأ في الأعراف فالقائلون في الأعراف هم الملأ والقائل في الشعراء هو فرعون وعندما كانت المحاجة عند فرعون وانقطع الحجة بقول (بسحره). والفرق بين أرسل وابعث في اللغة كبير: أرسل وفعل الإرسال تردد في الأعراف أكثر مما تردد في الشعراء (ورد ٣٠ مرة في الأعراف و١٧ مرة في الشعراء) هذا من الناحية اللفظية . وفعل بعث هو بمعنى أرسل أو هيّج ويقال في اللغة بعث البعير أي هيّجه وفي البعث إنهاض كما في قوله تعالى (ويوم يبعث من كل أمة شهيداً) (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) أي أقامه لكم وليست بنفس معنى أرسله. فلما كانت المواجهة والتحدّي في الشعراء أكثر جاء بلفظ بعث ولم يمتفي بالإرسال إنما المقصود أن ينهض من المدن من يواجه موسى ويهيجهم وهذا يناسب موقف المواجهة والتجدي والشدة. وكذلك في اختيار كلمة ساحر في الأعراف وسحّار في الشعراء لأنه عندما اشتد التحدي تطلّب المبالغة لذا يحتاج لكلّ سحّار وليس لساحر عادي فقط ونلاحظ في القرآن كله حيثما جاء فعل أرسل جاء معه ساحر وحيثما جاء فعل بعث جاء معه سحّار. وفي سورة الأعراف وردت كلمة

السحر ٧ مرات بينما وردت ١٠ مرات في سورة الشعراء مع العلم أن سورة الأعراف أطول من الشعراء.

- وكذلك قوله تعالى في سورة الأعراف (وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) أما في سورة الشعراء فقال تعالى (قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) ففي الأعراف لم يقل (قالوا لفرعون) أما في الشعراء فقال (قالوا لفرعون) أي أصبح القول موجهاً إلى فرعون لأن التحدي أكبر في الشعراء وفيها تأكيد أيضاً بقوله (أئن لنا لأجراً)، أما في الأعراف (إن لنا لأجراً) المقام يقتضي الحذف لأن التفصيل أقلّ.
- وفي الأعراف قال تعالى (قال نعم إنكم إذاً لمن المقربين) فجاء بـ (إذاً) حرف جواب وجزاء وتأتي في مقام التفصيل لأن سياق القصة كلها في الشعراء فيها كثر من التفصيل بخلاف الأعراف.
- وفي الشعراء أقسموا بعزّة فرعون ولم يرد ذلك في الأعراف.
- وفي الشعراء قال (فألقوا حبالهم وعصيهم) ولم يرد ذلك في الأعراف.
- وفي الشعراء ولأن التحدي كبير ألقي السحرة ساجدين فوراً ولم يرد ذلك في الأعراف.
- في الأعراف ورد (آمنتم به قبل أن آذن لكم) و(فسوف تعلمون) الضمير يعود إلى الله تعالى هنا. أما في الشعراء (آمنتم به قبل أن آذن لكم) (فلسوف تعلمون) أي أنقدتم لموسى فالهاء تعود على موسولهذا قال تعالى هنا (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) واللام في (فلسوف) هي في مقام التوكيد.
- وفي الأعراف قال (ثم لأصلبنّكم) وفي الشعراء (ولأصلبنكم) وهذا يدل على أنه أعطاهم مهلة في الأعراف ولم يعطهم مهلة في الشعراء.
- وفي الأعراف قال (إنا إلى ربنا منقلبون) أما في الشعراء (لا ضير إنا إلى ربنا لمنقلبون) دلالة عدم الإكتراث بتهديد فرعون مع شدة التوعد والوعيد ثم مناسبة لمقام التفصيل.

- آية (٥٢) :
  - (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٥٢) الشعراء) وفي الدخان (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣)) المعروف أن السرى يكون ليلاً فلماذا قال ليلاً ولماذا لم يقل ليلاً في آية سورة الشعراء؟ (د.فاضل السامرائى)

    هذا الظرف المؤكِّد.

    قسم يقول أن هذا من باب التوكيد، الإسراء بالليل والسؤال عن آيتين في إحداهما لم يقل ليلاً (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) الشعراء) وفي الدخان قال ليلاً (فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)) نفهم من الناحية النحوية ما معنى

خرجت ليلاً أو جئت ليلاً؟ هذا ما قرره النحاة سيبويه وغيره عندما تقول ليلاً أو صباحاً أو جئت صباحاً هذا يعني إما في يومك أو في يوم بعينه. جئت صباحاً تتكلم عن يوم يعني اليوم، تتكلم مثلاً عن يوم مثلاً الجمعة تقول جئت صباحاً، أو إذا قلت جئت ليلاً يعني ليلتك هذه. لكن جئت في ليل أو في صباح تعني أيّ ليل أو أيّ صباح، هذه قاعدة مقررة في النحو. (وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ (١٦) يوسف) يعني عشاء ذلك اليوم الذي خرجوا فيه. إذن لما أقول أُخرج ليلاً يعني هذا اليوم الذي أكلمك الآن فيه، ليلاً وصباحاً ومساءً هذه مقررة، إذا أردت مساء ليلتك أو مساء يوم بعينه أو ليل يومك أو ليلة بعينها هذا كله يدخل فيه. إذن عندنا أمرين: أسر ليلاً يعني الليلة هذه، (أسر بعبادي) ليس فيها وقت محدد.

الوصايا العملية:

- تفكري في مخلوقات الله فهو يزيد إيمانك وينفعك .
- احضري المحاضرات واسمعي القرآن لتهتدي ولا تكوني ممن يقول أخاف أن أتأثر .
- لا تكوني ممن تقول لا أنظر إلى أحوال من حولنا لأنني لا أحتمل هذه المشاهد وأحزن فأنا أحب أن أعيش بدون حزن ونكد .
- تأكدي من أي عمل تقومين به .
- لا تكوني إمعة ما فعله الناس فعلتيه وما تركه تركتيه .
- إذا رأيتي أطفال أو طلابك على عمل لا تحبيه فلا تقولي لا أحب هذا العمل فيك بل قولي لا أحب هذا العمل الذي يصدر منك .
- احذري معاداة أولياء الله ولو بكلمة .
- استعيني على النصح والتوجيه والتربية لمن تحت يدك بالتوكل على الله وثقي بأنه سيتولاك ويعينك على ما تقومين به من تربية .
- إذا استشعرتي بأن الله يراك ستأدين أي عمل على أكمل وجه .
- إذا حسنت صلاتك سيكمل سائر عملك وإن فسدت فسد سائر عملك .
- احذري الظلم بأنه ظلمات يوم القيامة لقوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

المقطع الثاني: من الآية (٨٤) إلى الآية (١٥٩)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (٦٩ – ١٠٤) قصة إبراهيم عليه السلام.
- الآيات (١٠٥ – ١٢٢) قصة نوح عليه السلام.
- الآيات (١٢٣ – ١٤٠) قصة هود عليه السلام.
- الآيات (١٤١ – ١٥٩) قصة صالح عليه السلام.

التمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا هدى و تقى وعلما.

عن أنس رضي الله عنه مرة جنازتان على الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إحداهما أثنى الناس عليه خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم (وجبت) والأخرى أثنوا عليها شرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم (وجبت) فسأل الصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأخبر أن الأولى وجبت لها الجنة والأخرى بضد ذلك وقال (أنتم شهداء الله في أرضه)

الله أكبر ما رصيدك في قلوب الخلق ؟

هل ما تقدمينه في حياتك من بذل الخير وفعل المعروف هل هو خالص لوجه الله تعالى ؟

أم أنك تبحثين جاهدة وبكل طريق لتتربعين في قلوب الخلق وبأي شكل كان فتعبتي ولم تظفري بذلك بشيء

إذا ليكن رائدك الإخلاص في بذل ما يمكن بذله لأمتك ومجتمعك وسترين النتيجة

من النماذج التي أحبها الناس سماحة العلامة – الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله .. تأملي شعورك الآن عند ذكر اسمه رحمة الله تتذكرين الصفحات المشرقة لذلك العالم في مجال العلم والطلب أما المجالات الأخرى من العلم والإحسان والصدقة وبذل المعروف وأوجه البر فحدث ولا حرج

فهل تتركين أثر تحمدين عليه ويكون سببا في دعاء الخلق لك وحين يطلب الإنسان الثناء لذاته وطلب العلو بالفخر دون رجاء الآخرة فلا يحصل من ذلك إلا ثناء الدنيا وقد سأل عدي بن حاتم رضي عنه الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبيه وإكرامه وإطعامه فقال (إن أباك رام أمرا فبلغه)

قال صلى الله عليه وسلم توشكون أن تعلموا أهل الجنة أهل الجنة من أهل النار قالوا بم يا رسول الله قال (بالثناء الحسن والثناء السيئ)

والذكر للإنسان أمر ثاني به يذكر فيترحم عليه ويدعى له فيذكر بالخير والعمل الصالح ...... فيخلد اسمه على مر الأيام والأعوام والدهور ...

وتذهب الدنيا بأهلها ولا يبقى إلا الأعمال الخالدات والباقيات الصالحات

وحين يذهب أهل الدنيا يبقى أهل الآخرة ....

وحين يذكر أهل الشر بشرورهم وبغيهم يذكر أهل الخير بخيرهم وفضلهم فآثارهم الجميله وأيديهم الطيبة تصل الدنيا بلآخرة

والأخيار والصالحون يفقدهم الإنسان والشجر والجماد .... فتبكي الأرض لفقد الصالحين وتبكي السماء

في الحديث (ما من عبد إلا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وبابا يدخل منه عمله وكلامه فإذا مات فقداه وبكيا عليه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما بكت عليهم السماء والأرض)

فما أطيب هذا الذكر وما أحسنه حين يبقى معلما وذكرى للخير والفضيلة .

وإبراهيم عليه السلام سأل الله أن يجعل له ثناء وذكر حسن قال تعالى (واجعل لي لسان صدقا في الآخرين)

فوائد وأسئلة تدبرية:

- ما هو القلب السليم ؟

(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)) والقلب السليم معناه الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الشر والإصرار على البدعة والذنوب ويلزم من سلامته مما ذكر اتصافه بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه وأن تكون إرادته ومحبته تابعة لمحبة الله وهواه تابعا لما جاء عن الله

- بما وصف قوم نوح من صدق بدعوته عليه الصلاة والسلام ؟

(قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١)) أي: كيف نتبعك ونحن لا نرى أتباعك إلا أسافل الناس، وأراذلهم، وسقطهم. بهذا يعرف تكبرهم عن الحق، وجهلهم بالحقائق،

- من هو الأرذل ؟

ولو تأملوا حق التأمل، لعلموا أن أتباعه، هم الأعلون، خيار الخلق، أهل العقول الرزينة، والأخلاق الفاضلة، وأن الأرذل، من سلب خاصية عقله، فاستحسن عبادة الأحجار، ورضي أن يسجد لها، ويدعوها، وأبى الانقياد لدعوة الرسل الكاملة.

- (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ
- ما المراد بريع ؟

{ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ } أي: مدخل بين الجبال

- ما المراد بآية ؟

{ آيَةً } أي: علامة

- ما المراد بتعبثون ؟

{ تَعْبَثُونَ } أي: تفعلون ذلك عبثا لغير فائدة تعود بمصالح دينكم ودنياكم.

- (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ
- ما المراد بالمصانع لعلكم تخلدون ؟

{ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ } أي: بركا ومجابي للحياة { لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ } والحال أنه لا سبيل إلى الخلود لأحد.

- بم وصفو مواعظ هود عليه السلام ؟

{ إِنْ هَذَا إِلا خُلُقُ الأوَّلِينَ } أي: هذه الأحوال والنعم، ونحو ذلك، عادة الأولين، تارة يستغنون، وتارة يفتقرون، وهذه أحوال الدهر، لا أن هذه محن ومنح من الله تعالى، وابتلاء لعباده.

- ما قصدهم من طلب آية الاقتراح ؟

{ فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } هذا مع أن مجرد اعتبار حالته وحالة ما دعا إليه من أكبر الآيات البينات على صحة ما جاء به وصدقه ولكنهم من قسوتهم سألوا آيات الاقتراح التي في الغالب لا يفلح من طلبها لكون طلبه مبنيا على التعنت لا على الاسترشاد

- من أين خرجت الناقة ؟
- (هَذِهِ نَاقَةٌ } تخرج من صخرة صماء ملساء ترونها وتشاهدونها بأجمعكم
- ما هو شرط صالح في المعجزة ؟

{ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ } أي تشرب ماء البئر يوما وأنتم تشربون لبنها ثم تصدر عنكم اليوم الآخر وتشربون أنتم ماء البئر

لمسات بيانية:

- آية (٦٢) :
  - ما الفرق بين استخدام كلمة (ربى) و(الله) ؟ (د.فاضل السامرائى)

الفرق بين الله والرب معروف: الله لفظ الجلالة اسم العلم مشتق من الإله كما يقال والرب هو المربي والموجه والمرشد ولذلك كثيراً ما يقترن الرب بالهداية (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦١) الأنعام) (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) الشعراء) كثيراً ما يقترن بالهداية، الله سبحانه وتعالى كل شيء بيده (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء (٥٦) القصص) لو شاء ربنا دعوة الخلق وهدايتهم فالمناسب مع الهداية الرب لأنه الهادي والمرشد والمربي، العبادة أقرب شيء لله (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) والرب تستعمل لغير الله وهي غير خاصة بالله فنقول مثلاً رب البيت، حتى في سورة يوسف

(إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ (٢٣) يوسف) (اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ (٤٢) يوسف) لأن الرب هو القيم والمرشد والموجه فأنسب مع إنزال الملائكة وجعونة الخلق وهدايتهم كلمة الرب.

- من قصة إبراهيم عليه السلام (٦٩- ٨٩)
- آية (٧٣) :
  - ماذا جاءت كلمة ينفعونكم مقيّدة ويضرون مطلقة في قوله تعالى (أو ينفعونكم أو يضرون)؟ (د.فاضل السامرائى)

قال تعالى في سورة الشعراء (أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ {٧٣}) النفع يريده الإنسان لنفسه أما الضرّ فلا يريده الإنسان لنفسه إنما يُريده لعدوّه أو أنه يخشى أن يُلحق به الضرر وعلى هذا فالنفع موقع تقييد والضر موضع إطلاق.

- آية (٨٠) :
  - لم نسب إبراهيم المرض لنفسه ؟ (د.فاضل السامرائى)

هناك خط عام في القرآن الكريم وهو أن الله تعالى لا ينسب الشرّ لنفسه مطلقاً (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣) الإسراء) ولم يقل مسسناه بالشرّ وكذلك في قوله تعالى (وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) الجن) و تأدباً مع الله تعالى كما فعل إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) الشعراء) لم يقل أمرضني.

- آية (٨١) :
  - ما دلالة عدم ذكر (هو) في الآية (وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) الشعراء) مع أنها ذكرت في آيات سابقة (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) الشعراء)؟ (د.فاضل السامرائى)

الناس والمذاهب والفلسفات لم تختلف في أن الله تعالى هو الذي يميت ثم يحيي لكنهم اختلفوا هل هو الله الذي يُطعِم والذي يسقي أو هو الإنسان؟ في الفلسفات القديمة قالوا خلق الإنسان الموتى لكن من نعّمنا؟ قال تعالى كلها ربنا يفعلها فما كان فيه خلاف أكّده (الذي هو يهدين، والذي هو يطعمني، فهو يشفين) كل الذي فيه خلاف أكّده والذي ليس فيه خلاف لم يحتاج لتوكيد (والذي يميتني ثم يحيين).

- آية (١٠٠-١٠١) :
  - لماذا جاءت شافعين بالجمع وصديق بالمفرد ولماذا قُدمت شافعين على صديق في قوله تعالى (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) الشعراء)؟ (د.فاضل السامرائى)

الشافعين كُثُر والصديق أقل. الصديق من حيث اللغة يقال للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث هذا من حيث اللغة.

فلو أنت في يوم الرخاء سألتني   طلاقك لم أبخل وأنت صديقي

الشافعين قد يكونون كُثُر ويتقدمون للشفاعة ولو لم يكونوا أصدقاء لكن الصديق أقل والصديق الحميم أقل (من صدق في المعاملة والإخلاص وإمحاض النُصح والمحبة والمودة

والإيثار) . فالشافعين أكثر من الصديق والتقديم لا يكون بالضرورة على الأفضل. ولم يوصف الصديق فقط وإنما صديق وحميم وهذا أقل وهي دائرة صغيرة جداً أن تجد صديقاً حميماً.

يضيف المحاور: الإعجاز ليس أن تُضحي بصديق حميم لكن أن تجد صديقاً يستحق أن تُضحي من أجله.

ويختم المحاور حواره بأحاديث عن الرسول :

- إن لله أهلين من الناس قالوا يا رسول الله من هم؟ قال هم أهل القرآن وخاصته أهل الله.
- اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه.
- يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتقي ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها.

الوصايا العملية:

- من أسباب رزق الذرية اعتزال الكفار والأماكن التي يعصى فيها الله
- أكثري من الاستغفار .
- احرصي على تطهير قلبك من الشك والشرك والحقد والحسد وغش المسلمين والغل حتى تتصفي بصفات أهل الجنة .
- احرصي على ترك أثر في قلوب الناس ليدعون لك في حياتك وبعد مماتك وهذا يأتي بإخلاص العمل لله .
- أكثري من هذا الدعاء (اللهم سلم قلبي وطهره).
- اتقي الله في جميع أمورك .
- احذري من المعاصي والتجرؤ على محارم الله .
- احذري من جنود إبليس شياطين الأنس والجن ممن يدعونك للمعصية ويزينونها لك من تبرج ، سفور.
- من تطلب الثناء للذات والعلو فتحصل على هذا في الدنيا كحاتم الطائي
- أكثري من اصطحاب أهل الخير والإيمان ينفعونك في الدنيا والآخرة .
- احرصي على الصديق الوفي .
- من دليل محبة الله للعبد أن يوفقه للطاعات والعمل للآخرة فلا يحب الدنيا ويزهد فيها .

المقطع الثالث: من الآية (١٦٠) إلى الآية (٢٢٧)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (١٦٠ – ١٧٥) قصة لوط عليه السلام.
- الآيات (١٧٦ – ١٩١) قصة شعيب عليه السلام.
- الآيات (١٩٢ – ٢٢٧) بنهاية نبأ شعيب عليه السلام انتهى القصص القرآن في سورة الشعراء بما فيها من عظيم العظة والاعتبار لأولي الألباب، ومن اللافت عودة السياق ثانية إلى موضوع السورة التي تضمنته المقدمة.
  - فانصبت الخاتمة والمقدمة بما بينهما من تجانس على تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وإقامة الحجة على أن القرآن من عند الله عز وجل، مع التأكيد على وجوب صدق الاعتقاد بالقرآن والنبوة معاً.
  - وتوافقت المقدمة والخاتمة على إبراز أن القرآن معجز يتحدى به لا يعارض بكلام مثله، ولم يقاربه من كلام الآدميين كلام.
  - كما أشارت المقدمة والخاتمة إلى بيان قدرة الله تعالى في الخلق. وفي هذا ترغيب للمؤمنين وترهيب بالوعيد والإنذار للكافرين.
  - تفيد المقدمة والخاتمة أن بداهة العقل تحكم أن القرآن حكمٌ على غيره من الكتب السماوية، وحَكَمٌ على اللغة والشعر، وما يجدد الله فيه من آيات يؤكد على رسالة الإسلام.
  - ولعل الحكمة العظيمة التي يستأنس بها من المقدمة إلى الخاتمة، تكرار محور السورة، وما شمله من نبأ مصارع المكذبين للرسل على مدار الرسالات السماوية.
  - أهم ما يميز الخاتمة عن المقدمة ا/ر الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم أن يصدع بأمر الدعوة جهراً للأقربين من عشيرته بعد سريتها لثلاث سنوات.
  - ثم انعطف خطاب الخاتمة إلى استحالة تنزل الشياطين بالقرآن لأنه وحي من السماء وهذا ليس بحاصل لهم البتة، وزائل عنهم بالمطلق، وضرب من ضروب المستحيل.

التـهميد :

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا هدى و تقى وعلما.

قال صلى الله عليه وسلم (أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد)

وفي الحديث الآخر (واعلم أنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة)

وحين قال ربيعه رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسئلك مرافقتك في الجنة قال عليه الصلاة والسلام (أعني على نفسك بكثرة السجود)

وقد أخبرنا تعالى أن كل شيء في هذا الكون الفسيح في حالة سجود وصلاة وتسبيح (كل قد علم صلاته وتسبيح)

إن لحظات السجود لحظات فريدة من عمر الإنسان لأنه وقتها يكون في مقام القرب من الله عز وجل

حين يستشعر القلب هذه المعاني كلها وأمثالها تنفتح له في لحظات السجود في روحه معان راقية وانشراح

قيل لبعض العارفين : أيسجد القلب ؟

فقال : نعم سجدة لا يرفع رأسه منها أبدا ...

أكثري من السجود ليعظم رصيدك عند الله عز وجل

ومن الأشياء التي تلفت الانتباه وصف الله للخاشعين المؤمنين الذين يتأثرون بكلام الله فلم يجدوا إلا أن يتخيروا سجدا أمام عظمة كتاب الله

إن كل سجده تسجدها لله يرفعك الله بها درجة وكل درجة تساوي ما بين السماء والأرض ولشرف السجود وفضيلته ذكره الله في قوله تعالى (وتقلبك في الساجدين) أي / يراك في هذه العبادة العظيمة التي هي الصلاح وقت قيامك وتقلبك م راكعا وساجدا خصها بالذكر لشرفها وفضلها ولأن من استحضر فيها قرب ربه خشع وذل وأكملها وبتكميلها يكمل سائر العمل

فوائد وأسئلة تدبرية:

- ما المراد بالقالين ؟
  { قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ } أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين.
- من هي العجوز ؟
  ((١٧١) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ) أي الباقين في العذاب وهي امرأته
  ((١٧٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) ما المراد بالمطر الذي أنزله الله على قوم لوط ؟
  { وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا } أي حجارة من سجيل { فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ } أهلكهم الله عن آخرهم
- من هم أصحاب الأيكة ؟
  { كَذَّبَ أَصْحَابُ الأيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ } أصحاب الأيكة: أي: البساتين الملتفة أشجارها (١) وهم أصحاب مدين، فكذبوا نبيهم شعيبا، الذي جاء بما جاء به المرسلون.
- من هم المخسرين ؟
  { وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ } الذين ينقصون الناس أموالهم ويسلبونها ببخس المكيال والميزان.
- ما معنى الجبلة ؟
  { وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ } أي: الخليقة الأولين

- ما هي عاقبتهم ؟

{ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ } أظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها مستلذين، لظلها غير الظليل، فأحرقتهم بالعذاب، فظلوا تحتها خامدين، ولديارهم مفارقين، ولدار الشقاء والعذاب نازلين.

- من هو الروح الأمين ؟

{ نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ } وهو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة وأقواهم { الأمِينُ } الذي قد أمن أن يزيد فيه أو ينقص.

- ما هي الفضائل التي أجتمعت في القرآن الكريم ؟

فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين.

- ما هي زبر الأولين ؟

{ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأوَّلِينَ } أي: قد بشرت به كتب الأولين وصدقته، وهو لما نزل، طبق ما أخبرت به، صدقها، بل جاء بالحق، وصدق المرسلين.

- كيف شبه الله دخول التكذيب في قلوب المجرمين ؟

{ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ } أي: أدخلنا التكذيب، وأنظمناه في قلوب أهل الإجرام، كما يدخل السلك في الإبرة، فتشربته، وصار وصفا لها، وذلك بسبب ظلمهم وجرمهم

- كيف حفظ الله القرآن حال نزوله ؟

{ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ } قد أبعدوا عنه، وأعدت لهم الرجوم لحفظه، ونزل به جبريل، أقوى الملائكة، الذي لا يقدر شيطان أن يقربه، أو يحوم حول ساحته

- كيف كان تعامله صلى الله عليه وسلم مع قومه ؟

{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك، وتحببك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم، وقد فعل صلى الله عليه وسلم

- ما المراد بإخفض جناحك ؟

قوله { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ } للمؤمنين، يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم، ما داموا مؤمنين، فدفع هذا بهذا والله أعلم .

- ما هو التوكل ؟

(وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ } والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى، في جلب المنافع، ودفع المضار، مع ثقته به، وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم، بعزته يقدر على إيصال الخير، ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به، يفعل ذلك.

- ما هي العبادة العظيمة التي يستعين بها الإنسان في جميع أموره ؟

{ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ } أي: يراك في هذه العبادة العظيمة، التي هي الصلاة، وقت قيامك، وتقلبك راكعا وساجدا خصها بالذكر، لفضلها وشرفها، ولأن من استحضر فيها قرب ربه، خشع وذل، وأكملها، وبتكميلها، يكمل سائر عمله، ويستعين بها على جميع أموره.

- من الذي تتنزل عليه الشياطين ؟

{ تَنزلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ } أي: كذاب، كثير القول للزور، والإفك بالباطل، { أَثِيمٍ } في فعله، كثير المعاصي، هذا الذي تنزل عليه الشياطين، وتناسب حاله حالهم.

- ما هي صفة وحي الشياطين لمن يتعاملون معه ؟

{ يُلْقُونَ } عليه { السَّمْعَ } الذي يسترقونه من السماء، { وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ } أي: أكثر ما يلقون إليه كذب (١) فيصدق واحدة، ويكذب معها مائة، فيختلط الحق بالباطل، ويضمحل الحق بسبب قلته، وعدم علمه. فهذه (٢) صفة الأشخاص الذين تنزل عليهم الشياطين، وهذه صفة وحيهم له.

- من هم أتباع الشعراء ؟

{ وَالشُّعَرَاءُ } أي: هل أنبئكم أيضا عن حالة الشعراء، ووصفهم الثابت، فإنهم { يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ } عن طريق الهدى، المقبلون على طريق الغي والردى، فهم في أنفسهم غاوون، وتجد أتباعهم كل غاو ضال فاسد.

- ما هي أودية الشعر التي يخوض فيها الشعراء ؟

{ أَلَمْ تَرَ } غوايتهم وشدة ضلالهم { أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ } من أودية الشعر، { يَهِيمُونَ } فتارة في مدح، وتارة في قدح، وتارة في صدق، وتارة في كذب، وتارة يتغزلون، وأخرى يسخرون، ومرة يمرحون، وآونة يحزنون، فلا يستقر لهم قرار، ولا يثبتون على حال من الأحوال.

- ما هي صفة حال الشعراء ؟

{ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ } أي: هذا وصف الشعراء، أنهم تخالف أقوالهم أفعالهم، فإذا سمعت الشاعر يتغزل بالغزل الرقيق، قلت: هذا أشد الناس غراما، وقلبه فارغ من ذاك، وإذا سمعته يمدح أو يذم، قلت: هذا صدق، وهو كذب، وتارة يتمدح بأفعال لم يفعلها، وتروك لم يتركها، وكرم لم يحم حول ساحته، وشجاعة يعلو بها على الفرسان، وتراه أجبن من كل جبان، هذا وصفهم.

- (إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧))
- من هم الذين أستثناهم الله من الشعراء ؟

استثنى منهم من آمن بالله ورسوله، وعمل صالحا، وأكثر من ذكر الله، وانتصر من أعدائه المشركين من بعد ما ظلموهم.

فصار شعرهم من أعمالهم الصالحة، وآثار إيمانهم، لاشتماله على مدح أهل الإيمان، والانتصار من أهل الشرك والكفر، والذب عن دين الله، وتبيين العلوم النافعة، والحث على الأخلاق الفاضلة

لمسات بيانية:

- من قصة قوم صالح (١٤١ـ ١٥٩)
- آية (١٤٩) :

- (وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) الحجر) (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) الشعراء) ومرة ينحتون الجبال (وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا (٧٤) الأعراف)؟ فمتى نستخدم (من) ومتى لا نستخدمها؟ (د.فاضل السامرائى)

نقرأ الآيتين إحداهما في الأعراف والأخرى في الشعراء، قال في الأعراف (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤)) هؤلاء قوم صالح، في الشعراء قال (أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠)) نلاحظ في الأعراف مذكور فيها التوسع في العمران (تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا) بينما في الشعراء الكلام عن الزرع وليس عن البناء، الكلام يدل على الزراعة أكثر (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨)) إذن في الأعراف السياق في العمران أكثر وفي الشعراء السياق في الزراعة فلما كان السياق في الأعراف في العمران ذكر (تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا) ذكر القصور وقال (وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا) كأنها كل الجبال ينحتونها بيوتاً فتصير كثرة بينما لما كان السياق في الشعراء عن الزراعة قال (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩)) صار أقل (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ) أقل من (وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا) لذلك قال في الأعراف (فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤)) إذن التوسع في العمران في الأعراف أكثر فلما كان التوسع في العمران أكثر جاء بما يدل على التوسع قال (وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا) ولما لم يكن السياق في التوسع في العمران قال (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩)).

- من قصة قوم لوط (١٦٠- ١٧٥)
- آية (١٦٠) :
  - كل الأنبياء كانوا يدعون إلى التوحيد أما لوط فدعا إلى ترك الفاحشة أولاً فلماذا؟ (د.فاضل السامرائى)

هذا الكلام فيه نظر لأن أيضاً سيدنا لوط وإن في مواطن ذكر الفاحشة وإنما في مواطن أخرى يبدأ بالتوحيد كباقي الأنبياء كما في سورة الشعراء يبتدئ بما بدأوا به تماماً (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤)) كل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في سورة الشعراء يدعون بهذه الدعوة بلا استثناء ثمود ونوح وعاد فهو ذكرهم لكن هو في مواطن كثيرة يذكِّر بالفاحشة التي فعلوها والتي ما سبقهم بها أحد من العالمين أبداً وإنما اخترعوها فبدأ بهذه الفاحشة المنكرة العظيمة لأنه لم يسبق مثلها وسيكونون سنة سيئة لمن بعدهم يتحملون وزرها ويسألون عنها "ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة" .

- من قصة أصحاب الأيكة (١٧٦- ١٩١)

- آية (١٧٧) :
  - ذكر تعالى في آية سورة الشعراء هود ولوط وصالح وُصِفوا بالأخوة (أخوهم هود وأخوهم لوط وأخوهم صالح) أما أصحاب الأيكة فقال شعيب بدون أخيهم (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ {١٧٦} إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ {١٧٧})؟ د.فاضل السامرائى:

شعيب ليس من أصحاب الأيكة وإنما هو من مدين لذا قال في آية سورة هود أخوهم شعيب (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ {٨٤}) وشعيب أُرسِل إلى قومين مدين وأصحاب الأيكة. أما الباقون من الأنبياء فهم من نفس القوم فوصفهم بالأخوة. . والشيء بالشيء يُذكر لم يرد في القرآن مرة وإذ قال عيسى لقومه لكنه يقولها مع موسى أحياناً وأحياناً لا يقولها وذلك لأن عيسى ليس له أب فيهم والقوم يُنتسب إليهم بالأبوة فيخاطبهم يا بني إسرائيل فلم يخاطبهم مرة بيا قوم ولم يوصف بالأخوة.

- آية (١٩٧) :
  - ما الفرق بين علماء وعالمون؟ (د.أحمدالكبيسى)

الفرق بين كل جمع تكسير وجمع مذكر سالم أن جمع المذكر السالم أشرف وأكرم وأعلى من جمع التكسير. يعني فرق بين طلاب وطالبون طلاب كلهم خلط زين على شين مثل خضرة آخر الليل لكن الطالبون النبهاء والله قال (وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) الأنبياء) (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) العنكبوت) جمع مذكر سالم (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٢٨) فاطر) (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آَيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) الشعراء) عندنا علماء وعالمون، العلماء صغارهم وكبارهم وطلاب العلم كل من يشتغل بالعلم - كما تعرفون الآن في واقعنا الحالي - ليس العلماء على نسقٍ واحد هناك الصغير والمبتدئ والجديد هناك عاقل هناك حفاظ هناك دراخ هناك من لا يفكر وهناك من يفكر خليط فلما تقول عالمون لا، هؤلاء قمم مجتهدون أصحاب نظريات (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) وحينئذٍ كل ما جئت به في لغتنا وفي القرآن الكريم جمع التكسير شامل يشمل الزين والشين وبعضه يفضل بعضه، لكن لما جمع مذكر سالم لا، القمم يعني عندما تجمع أبو حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وجعفر الصادق والباقر وابن حزم الخ وتسميهم علماء! لا، هؤلاء عالمون، هناك عموم الشيء وهناك خصوصهم .

- آية (٢٠٠) :
  - ما الفرق بين قوله تعالى (كذلك سلكناه) في سورة الشعراء و(كذلك نسلكه) في سورة الحجر؟ (د.فاضل السامرائى)

قال تعالى في سورة الشعراء (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠)) وقال في سورة الحجر (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢)) ننظر في السياق الذي وردت فيه الأيتين في السورتين: في سورة الحجر السياق في استمرار الرسل وتعاقبهم من قوله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢)) فجاء بالفعل الذي يدل على الاستمرار وهو الفعل

المضارع. بينما في سورة الشعراء السياق في الكلام عن الرسول صلى الله عليه وسلم وحده من قوله تعالى (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آَيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠)) والسورة كلها أحداث ماضية والآية موضع السؤال تدل على حدث واحد معيّن ماضي فجاء بالفعل الماضي.

- آية (٢١٠) :
  - ما دلالة (لا)في قوله تعالى (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)) الواقعة)نافية أم ناهية؟ (د.فاضل السامرائى)

من حيث اللغة قوله تعالى (لا يمسُّه) بالضمّ: لا: نافية لأنها لو كانت ناهية تكون جازمة ويجب أن يكون الفعل بعدها إما يمسَّه بالفتح أو يمسسه بفك الإدغام كما يف قوله تعالى (لم يمسسني بشر). الكفار قالوا أن هذا القرآن تتنزل به الشياطين فردّ الله تعالى عليهم في قوله (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) الشعراء) ثم جاءت هذه الآية (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)) رداً على هؤلاء أن القرآن لا يمكن للشياطين أن تصل إليه. وطالما أن الآية جاءت بالفعل يمسُّه مرفوعاً فهذا دليل على أن (لا) نافية . وقد يقال من ناحية الدلالة أنه يجوز في النحو ومن الناحية البلاغية أن يخرج النفي إلى النهي لكن (لا) في هذه الآية نافية في الإعراب قطعاً ولا يمكن أن تكون ناهية بدليل حركة الفعل بعدها.

- آية (٢١٤) :
  - هل الإنذار خاص بالكافرين في القرآن؟ (د.فاضل السامرائى)

الإنذار في القرآن الكريم لا يكون خاصاً للكفار والمنافقين وقد يأتي الإنذار للمؤمنين والكافرين. والإنذار للمؤمن ليس فيه توعد فهو للمؤمنين تخويف حتى يقوم المؤمن بما ينبغي أن يقوم به كما في قوله تعالى (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ {١١} يس) وهذا ليس فيه تخصيص لمؤمن أو كافر. وقد يأتي الإنذار للمؤمنين (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ {٢١٤} الشعراء) (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ {١٨}فاطر) وقد يكون للناس جميعاً (وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ {٤٤} ابراهيم) (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {٥١}الأنعام).

- آية (٢٢١) :
  - (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) الشعراء) (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) القدر) كيف تنزل الشياطين؟ الشياطين تستمع وتتنزل على الكهنة. (د.فاضل السامرائى)

  لماذا لا تنزل الشياطين؟ كانوا يذهبون إلى السماء فيستمعون (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) الجن) كانوا يستمعون شيئاً من الغيب فينزل وينقر في أذن الكاهن هذا المراد (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) الشعراء) واستعمل الفعل نفسه مع الملائكة ومع المطر المهم أنه يأتي من فوق. تنزّل ليس مرة واحد وإنما فيها التدرج والاستمرار لأنهم موجودين في كل زمن وليس في زمن واحد. يمكن استخدام نفس الفعل مع الملائكة والشياطين.
  - لماذا الإختلاف في التعبير في قصة إبراهيم في سورة الصافات (ماذا تعبدون) وفي سورة الشعراء (ما تعبدون)؟ (د.فاضل السامرائى)

  في الأولى استعمال (ماذا) أقوى لأن إبراهيم لم يكن ينتظر جواباً من قومه فجاءت الآية بعدها (فما ظنكم برب العالمين)، أما في الشعراء فالسياق سياق حوار فجاء الرد (قالوا نعبد أصناماً). إذن (من ذا) و(ماذا) أقوى من (من) و(ما).

الوصايا العملية:

- أليني القول حين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتلطفي لهم لعل الله يهديهم .
- احذري في جميع معاملاتك وخاصة حقوق الناس فتأخذين حقك كاملا وتبخسين حقوقهم
- الحذر من التأمرك وهو الاعتزاز بإدخال اللغة الإنجليزية في الحديث بإدعاء التحضر رغم أن اللسان العربي هو أفضل الألسنة و به نزل القرآن .
- احذري هذه الدنيا واستغليها في طاعة الله .
- ابدئي بنصحك وإحسانك لأقرب الناس إليك ثم الذين يلونهم .
- لا تنصحي وكأنك ترين نفسك ملك لا يخطئ والمنصوح مغضوب عليه لا يغفر له .
- احذري معاداة أولياء الله ولو بكلمة .
- استعيني على النصح والتوجيه والتربية لمن تحت يدك بالتوكل على الله وثقي بأنه سيتولاك ويعينك على ما تقومين به من تربية .
- إذا استشعرت بأن الله يراك ستأدين أي عمل على أكمل وجه .
- إذا حسنت صلاتك سيكمل سائر عملك وإن فسدت فسد سائر عملك .
- احذري الظلم بأنه ظلمات يوم القيامة لقوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

ختمت السورة بمثل ما افتتحت به بالتأكيد على عظيم الكتاب المنزل وجلال قدره، ومما تجدر الإشارة عليه اشتمال السورة على طائفة من ضوابط وخصائص القرآن المكي الموضوعية.

مدارسة سور القرآن

:: ســــورة النــمل ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســــورة النــمل

بين يدي السورة:

- أشهر أسمائها (سورة النمل)، وتسمى أيضاً (سورة سليمان)، وذكر أبو بكر بن العربي: أنها تسمى (سورة الهدهد). ووجه الأسماء الثلاثة: أن لفظ النمل ولفظ الهدهد لم يذكر في سورة من سور القرآن غيرها، وأما تسميتها بسورة سليمان فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصلاً لم يذكر مثله في غيرها.
- سورة النمل سورة مكية بالاتفاق.
- محور السورة: هي من السور التي تهتم بنواحي العقيدة، وأصول الإيمان من توحيد الله عز وجل والاعتقاد بكتبه ورسله والإيمان باليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب، والإيمان بالوحي وأن الغيب كله لله.

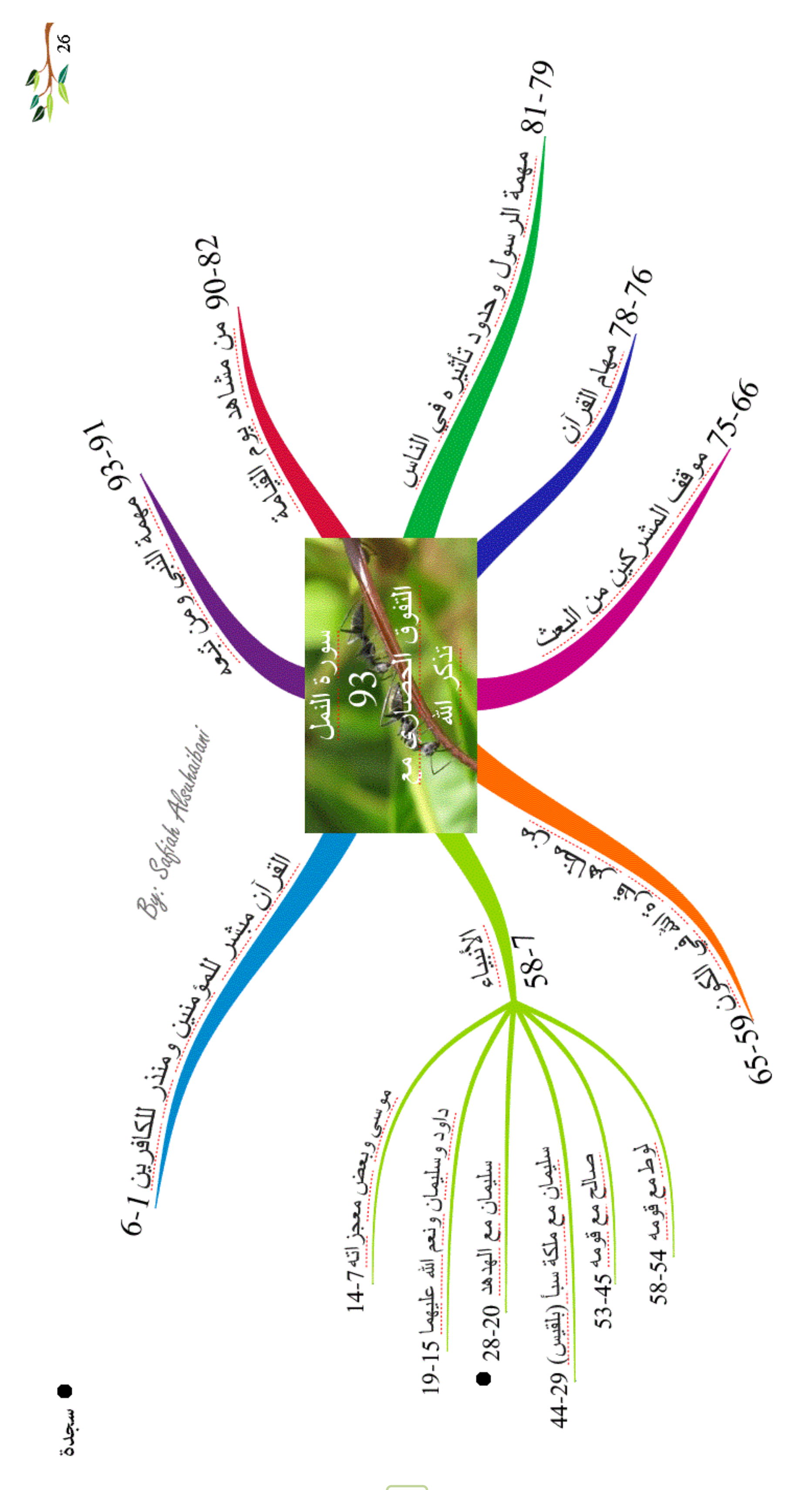
المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

لما ختم الله سبحانه سورة الشعراء بتحقيق أمر القرآن، وأنه من عند الله، ونفي الشك عنه وتزييف ما كانوا يتكلفونه من تفريق القول بنسبته إلى السحر، والأضغاث، والافتراء والشعر وكل ذلك ناشئ عن أحوال الشياطين، ابتدأ سبحانه هذه بالإشارة إلى أنه من الكلام القديم المطهر عن وصمة تلحقه بشيء من ذلك تلام بوصفه بأنه منظوم مجموع لفظاً ومعنى، لا فصم فيه ولا خلل، ولا وصم ولا زلل، فهو جامع لأصول الدين ناشر لفروعه.

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

- تعتبر سورة النمل كالتتمة لسورة الشعراء حيث زاد سبحانه وتعالى فيها ذكر داوود وسليمان، وبسط فيها قصة لوط عليه السلام أبسط مما هي قبل. وقد اشتملت كل من السورتين على ذكر القرآن، وكونه من الله تعالى، وعلى تسليته صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك.

محاور السورة:



المقطع الأول: من الآية (١) إلى الآية (٣٥)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (١ – ٢) فيها بيان إعجاز القرآن الكريم.
- الآيات (٣ – ٦) فيها بيان صفات المؤمنين وجزاؤهم وصفات الخاسرين وجزاؤهم. فلما بين سبحانه أن القرآن هدى وبشرى للمؤمنين، شرع في بيان وصف الإيمان بما يصدقه من الأمور الظاهرة –إذ أن وصف الإيمان لا يظهر- فقال سبحانه "الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون" وذلك تأكيداً بأن ادعاء الإيمان لا يقتصر على اللسان فحسب بل لأن العمل ووجود الوصف يتطلبه من المؤمن وهكذا يوضح للمكلفين هذا الجانب المهم.
- الآيات (٧ – ١٤) نداء الله لموسى بوادي طوى. لما وصف الحق تبارك وتعالى القرى، الكريم بأنه كتاب مبين وأنه من لدن حكيم عليم، بدأ سبحانه في سرد قصة سيدنا موسى عليه السلام تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له وليكون سرده لقصص الأولين أكبر دليل على أنه من لدن حكيم عليم، إذ من أين لمحمد الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ولم يجلس إلى معلم بمثل قصص الأولين.
- الآيات (١٥ – ١٩) بيان ما أوتي داود وسليمان عليهما السلام. لما ذكر سبحانه في بداية السورة أنه كتاب مبين، وأنه من لدن حكيم عليم فأخذ يقص على العرب ما لا علم لهم به من قصص السابقين، فابتدأ بنبذة موجزة عن حلقة من قصة موسى عليه السلام، ثم أتبعها بقصة داود وسليمان عليهما السلام وكيف أن الله امتن عليهما بنعم عظيمه، ونجد أن هذه السورة قد بسطت القول في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبأ.
- الآيات (٢٠ – ٢٨) سليمان عليه السلام وملكة سبأ. وههنا الانتقال إلى حلقة أخرى عن قصة سليمان عليه السلام، لم تذكر في سورة غير هذه –وهي قصة سليمان مع الهدهد وملكة سبأ ونجد فيها جمال العرض القرآن للقصة لنحقق العبرة التي من أجلها يساق القصص القرآني.
- الآيات (٢٩ – ٤٤) موقف ملكة سبأ من كتاب سليمان عليه السلام. فيه بيان الحالة التي استقبل فيها بلقيس الكتاب.

فوائد وأسئلة تدبرية:

- مملكة مثل مملكة النحل ومشابهة لها،دقيقة التنظيم تتنوع فيها الوظائف وتؤدي جميعها بإتقان يعجز البشر غالبا عن إتباع مثله بالرغم مما أوتوا من عقل راق وإدراك عال، ما هي هذه المملكة؟
  مملكة النمل وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :
  الملكة التي تضع البيض، والإناث العقيمات أو الشغالات، ثم الذكور التي يقوم فرد واحد منها بتلقيح أنثى عذراء مرة واحدة في حياته .
  - وتشترك الأنواع الثلاثة من حيث التركيب من خصر رفيع يفصل بين البطن الذي يحتوي على أجهزة النمل الحيوية وبين الصدر الذي يضم العضلات القوية فيها ستة أرجل نشيطة وينتهي الصدر بالرأس الكبير بالنسبة لباقي الجسم يحتوي على عينان كبيرتان وقرنا

استشعار دائمي الحركة يعتمد عليها النمل لضعف نظره الشديد بالإضافة إلى الفكين القويين تستطيع به حفر الأرض وتستطيع القتال والدفاع عن نفسها وتستطيع أن تأكل وتمضغ الطعام، وفك النملة أقوى من فك التمساح .

- وتتميز النملة بذكاء عالي وتستطيع حمل أشياء تزن عشرين ضعفا من وزن جسمها
- فالنمل ضروري للحفاظ على البيئة فهي تأكل الحشرات وتقلب التربة فيدخل الهواء إليها وهي غذاء مهم للعديد من الحشرات وتلقح الزهور أحيانا .
- يبني النمل أعشاشه تحت التراب على عمق عشرة أمتار حيث تكون درجة الجرارة مناسبة له طيلة أيام السنة ،وقد زود الله النمل بذكاء كاف لصيانة منزلهم من الأعشاب الضارة وبقايا الطعام وترتيب المنزل
- من مظاهر مجتمع النمل قيامه بمشروعات جماعية مثل إقامة طرق طويلة في مثابرة وأناة .
- يعتبر النمل من أطول الحشرات عمراً على الأرض تعيش ما بين أشهر إلى عدة سنوات قد تصل إلى عشرين عاما.
- وعن لغة النمل أثبتت الدراسات العلمية أن لكل نوع من أنواع الحيوانات رائحة خاصة به وداخل النوع الواحد هناك روائح إضافية تعمل بمثابة بطاقة شخصية للتعريف بشخصية كل حيوان أو أفراد المستعمرات.
- وفي عالم النمل أن النمل يتميز برائحة خاصة تدل على العش الذي تنتمي إليه وما الوظيفة التي تؤديها.
- عند النمل حواس حادة للمس والشم والتذوق ومراكز هذه الحواس منتشرة على جميع أجزاء الجسم ومركزة في قرون الاستشعار .
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة؟) رواه البخاري ومسلم.

  وفي رواية أخرى (فأوحى الله إليه:أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح)
- جسم النملة عبارة عن هيكل عظمي خارجي صلب وإذا تعرض لأي ضغط فإنه يتحطم، وأيضا تشير الدراسات أن جسم النملة يحتوي على مادة السيلكون التي يصنع منها الزجاج.
- وعيون النملة ذات طبقة بلورية كالزجاج لا تتكسر بسهولة بل تحتاج إلى تحطيم.
- ويعتبر السلوك الاجتماعي للنمل هو الأعقد بين عالم الحشرات ولذلك جاء القرآن بسورة كاملة اسمها (سورة النمل) وذكر فيها تبارك وتعالى قدرة النمل على التكلم وهذا يثبت وجود لغة خاصة تتفاهم من خلالها النمل وتتواصل حتى عن بعد .

- (تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ) على ماذا نبه الله عباده في هذه الآية؟ وماذا يدل الإشارة إليه؟

ينبه تعالى عباده على عظمة القرآن ويشير إليه إشارة دالة على التعظيم فقال: (تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ) أي: هي أعلى الآيات وأقوى البينات وأوضح الدلالات وأبينها على أجل المطالب وأفضل المقاصد، وخير الأعمال وأزكى الأخلاق، آيات تدل على الأخبار الصادقة والأوامر الحسنة والنهي عن كل عمل وخيم وخلق ذميم، آيات بلغت في وضوحها وبيانها للبصائر النيرة مبلغ الشمس للأبصار، آيات دلت على الإيمان ودعت للوصول إلى الإيقان، وأخبرت عن الغيوب الماضية

والمستقبلة، على طبق ما كان ويكون. آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الكاملة، آيات عرفتنا برسله وأوليائه ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بأبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين ولم يهتد بها جميع المعاندين صونا لها عن من لا خير فيه ولا صلاح ولا زكاء في قلبه، وإنما اهتدى بها من خصهم الله بالإيمان واستنارت بذلك قلوبهم وصفت سرائرهم.

- ما أثر آيات الله ومن الذي يهتدي بها؟

(هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) أي: تهديهم إلى سلوك الصراط المستقيم وتبين لهم ما ينبغي أن يسلكوه أو يتركوه، وتبشرهم بثواب الله المرتب على الهداية لهذا الطريق.

- بماذا وصف الله المؤمنين ؟

لعله يكثر مدعو الإيمان فهل يقبل من كل أحد ادعى أنه مؤمن ذلك؟ أم لا بد لذلك من دليل؟ وهو الحق فلذلك بين تعالى صفة المؤمنين

١/ (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ) فرضها ونفلها فيأتون بأفعالها الظاهرة، من أركانها وشروطها وواجباتها بل ومستحباتها، وأفعالها الباطنة وهو الخشوع الذي روحها ولبها باستحضار قرب الله وتدبر ما يقول المصلي ويفعله.

٢/ (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) المفروضة لمستحقيها.

٣/ (وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) أي: قد بلغ معهم الإيمان إلى أن وصل إلى درجة اليقين وهو العلم التام الواصل إلى القلب الداعي إلى العمل.

- ماذا يقتضي الإيقان بالآخرة؟

ويقينهم بالآخرة يقتضي كمال سعيهم لها، وحذرهم من أسباب العذاب وموجبات العقاب وهذا أصل كل خير.

- ما عاقبة من لم يؤمن بالآخرة؟

(إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ) ويكذبون بها ويكذبون من جاء بإثباتها.

١/ (زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ) حائرين مترددين مؤثرين سخط الله على رضاه، قد انقلبت عليهم الحقائق فرأوا الباطل حقا والحق باطلا.

٢/ (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ) أي: أشده وأسوأه وأعظمه.

٣/ (وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ)

- لماذا حصر الخسارة فيهم؟

حصر الخسارة فيهم لكونهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وخسروا الإيمان الذي دعتهم إليه الرسل.

- من أين يتلقى الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم؟

(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) أي: وإن هذا القرآن الذي ينزل عليك وتتلقفه وتتلقنه ينزل من عند (حَكِيمٍ) يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها. (عَلِيمٍ) بأسرار الأمور وبواطنها، كظواهرها. وإذا كان من عند (حَكِيمٍ عَلِيمٍ) علم أنه كله حكمة ومصالح للعباد، من الذي هو أعلم بمصالحهم منهم.

- كيف بدأ الوحي على موسى عليه السلام؟

إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا إلى آخر قصته، يعني: اذكر هذه الحالة الفاضلة الشريفة من أحوال موسى بن عمران، ابتداء الوحي إليه واصطفائه برسالته وتكليم الله إياه، وذلك أنه لما مكث في مدين عدة سنين وسار بأهله من مدين متوجها إلى مصر، فلما كان في أثناء الطريق ضل وكان في ليلة مظلمة باردة فقال لهم: (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا) أي: أبصرت نارا من بعيد سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ عن الطريق، أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ أي: تستدفئون، وهذا دليل على أنه تائه ومشتد برده هو وأهله.

- ماذا حدث لموسى عندما اقترب من النار ؟وبماذا أمره الله؟

(فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا)

١/ ناداه الله تعالى وأخبره أن هذا محل مقدس مبارك، ومن بركته أن جعله الله موضعا لتكليم الله لموسى وندائه وإرساله.

(وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) عن أن يظن به نقص أو سوء بل هو الكامل في وصفه وفعله.

٢/ (يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أي: أخبره الله أنه الله المستحق للعبادة وحده لا شريك له (الْعَزِيزُ) الذي قهر جميع الأشياء وأذعنت له كل المخلوقات، (الْحَكِيمُ) في أمره وخلقه. ومن حكمته أن أرسل عبده موسى بن عمران الذي علم الله منه أنه أهل لرسالته ووحيه وتكليمه. ومن عزته أن تعتمد عليه ولا تستوحش من انفرادك وكثرة أعدائك وجبروتهم، فإن نواصيهم بيد الله وحركاتهم وسكونهم بتدبيره.

٣/ (وَأَلْقِ عَصَاكَ فألقاها فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ)وهو ذكر الحيات سريع الحركة، (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) ذعرا من الحية التي رأى على مقتضى الطبائع البشرية، فقال الله له)يَا مُوسَى لا تَخَفْ)

لماذا أمره بعدم الخوف؟

لأن جميع المخاوف مندرجة في قضائه وقدره وتصريفه وأمره، فالذين اختصهم الله برسالته واصطفاهم لوحيه لا ينبغي لهم أن يخافوا غير الله خصوصا عند زيادة القرب منه والحظوة بتكليمه.

(إلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) أي: فهذا الذي هو محل الخوف والوحشة بسبب ما أسدى من الظلم وما تقدم له من الجرم، وأما المرسلون فما لهم وللوحشة والخوف؟ ومع هذا من ظلم نفسه بمعاصي الله، ثم تاب وأناب فبدل سيئاته حسنات ومعاصيه طاعات فإن الله غفور رحيم، فلا ييأس أحد من رحمته ومغفرته فإنه يغفر الذنوب جميعا وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

٤/ (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) لا برص ولا نقص، بل بياض يبهر الناظرين شعاعه. (فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ) أي: هاتان الآيتان انقلاب العصا حية تسعى وإخراج اليد من الجيب فتخرج بيضاء في جملة تسع آيات تذهب بها وتدعو فرعون وقومه، (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) فسقوا بشركهم وعتوهم وعلوهم على عباد الله واستكبارهم في الأرض بغير الحق.

فذهب موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه ودعاهم إلى الله تعالى وأراهم الآيات.

- ما موقف فرعون وقومه لما جاءهم موسى عليهم السلام؟

(فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً) مضيئة تدل على الحق ويبصر بها كما تبصر الأبصار بالشمس. (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)لم يكفهم مجرد القول بأنه سحر بل قالوا: (مُبِينٌ) ظاهر لكل أحد. وهذا من أعجب

العجائب الآيات المبصرات والأنوار الساطعات، تجعل من بين الخزعبلات وأظهر السحر! هل هذا إلا من أعظم المكابرة وأوقح السفسطة.

- (وَجَحَدُوا بِهَا) أي: كفروا بآيات الله جاحدين لها، (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ) أي: ليس جحدهم مستندا إلى الشك والريب، وإنما جحدهم مع علمهم ويقينهم بصحتها ظُلْمًا منهم لحق ربهم ولأنفسهم، وَعُلُوًّا على الحق وعلى العباد وعلى الانقياد للرسل، (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) أسوأ عاقبة دمرهم الله وغرقهم في البحر وأخزاهم وأورث مساكنهم المستضعفين من عباده.
- (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ)بماذا امتن الله على داوود وسليمان؟ وما موقفهما من هذه النعمة؟

يذكر في هذا القرآن وينوه بمنته على داود وسليمان ابنه بالعلم الواسع الكثير بدليل التنكير.
(وَقَالا) شاكرين لربهما منته الكبرى بتعليمهما: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) فحمدا الله على جعلهما من المؤمنين أهل السعادة وأنهما كانا من خواصهم.

- المؤمنين أربع درجات .فما هذه الدرجات؟

المؤمنين أربع درجات: الصالحون، ثم فوقهم الشهداء، ثم فوقهم الصديقون ثم فوقهم الأنبياء.

- ما درجة داوود وسليمان من بين الرسل؟

وداود وسليمان من خواص الرسل وإن كانوا دون درجة أولي العزم الخمسة، لكنهم من جملة الرسل الفضلاء الكرام الذين نوه الله بذكرهم ومدحهم في كتابه مدحا عظيما فحمدوا الله على بلوغ هذه المنزلة.

- ما عنوان سعادة العبد؟

أن يكون شاكرا لله على نعمه الدينية والدنيوية وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها بل يرى أنها تستحق عليه شكرا كثيرا.

- بماذا خص الله سليمان عن أبيه داوود؟

فلما مدحهما مشتركين خص سليمان بما خصه به لكون الله أعطاه ملكا عظيما وصار له من الماجريات ما لم يكن لأبيه فقال: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) .
أي: ورث علمه ونبوته فانضم علم أبيه إلى علمه، فلعله تعلم من أبيه ما عنده من العلم مع ما كان عليه من العلم وقت أبيه كما تقدم من قوله ففهمناها سليمان، وقال شكرا لله وتبجحا بإحسانه وتحدثا بنعمته:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) فكان عليه الصلاة والسلام يفقه ما تقول وتتكلم به كما راجع الهدهد وراجعه، وكما فهم قول النملة للنمل كما يأتي وهذا لم يكن لأحد غير سليمان عليه الصلاة والسلام.

(وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) أي: أعطانا الله من النعم ومن أسباب الملك ومن السلطنة والقهر ما لم يؤته أحدا من الآدميين، فسخر الله له الشياطين يعملون له كل ما شاء من الأعمال التي يعجز عنها غيرهم، وسخر له الريح غدوها شهر ورواحها شهر.

إِنَّ هَذَا الذي أعطانا الله وفضلنا واختصنا به لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ الواضح الجلي فاعترف أكمل اعتراف بنعمة الله تعالى.

(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) أي: جمع له جنوده الكثيرة الهائلة المتنوعة من بني آدم، ومن الجن والشياطين ومن الطيور فهم يوزعون يدبرون ويرد أولهم على آخرهم، وينظمون غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم وحلهم وترحالهم قد استعد لذلك وأعد له عدته.

وكل هذه الجنود مؤتمرة بأمره لا تقدر على عصيانه ولا تتمرد عنه، فسار بهذه الجنود الضخمة في بعض أسفاره

- ما موقف النملة من سليمان وجنوده عندما أقبلوا؟

(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ)منبهة لرفقتها وبني جنسها:(يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) فنصحت هذه النملة وأسمعت النمل.

- كيف أسمعت النملة بقية النمل نصيحتها وتحذيرها من سليمان وجنوده؟

١/ إما بنفسها ويكون الله قد أعطى النمل أسماعا خارقة للعادة، لأن التنبيه للنمل الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة من أعجب العجائب.

٢/ وإما بأنها أخبرت من حولها من النمل ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع وأمرتهن بالحذر، والطريق في ذلك وهو دخول مساكنهن.

وعرفت حالة سليمان وجنوده وعظمة سلطانه، واعتذرت عنهم أنهم إن حطموكم فليس عن قصد منهم ولا شعور، فسمع سليمان عليه الصلاة والسلام قولها وفهمه.

- ما موقف سليمان عندما سمع كلام النملة الناصحة؟

(فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا) إعجابا منه بفصاحتها ونصحها وحسن تعبيرها. وهذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأدب الكامل، والتعجب في موضعه وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب. وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه، يدل على شراسة الخلق والجبروت. والرسل منزهون عن ذلك.

(وقال) شاكرا لله الذي أوصله إلى هذه الحال: (رَبِّ أَوْزِعْنِي) أي: ألهمني ووفقني (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ) فإن النعمة على الوالدين نعمة على الولد. فسأل ربه التوفيق للقيام بشكر نعمته الدينية والدنيوية عليه وعلى والديه، (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ)أي: ووفقني أن أعمل صالحا ترضاه لكونه موافقا لأمرك مخلصا فيه سالما من المفسدات والمنقصات، (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ) التي منها الجنة (فِي) جملة (عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) فإن الرحمة مجعولة للصالحين على اختلاف درجاتهم ومنازلهم.

فهذا نموذج ذكره الله من حالة سليمان عند سماعه خطاب النملة ونداءها.

- على ماذا يدل تفقد سليمان للطير؟

ذكر نموذجا آخر من مخاطبته للطير فقال: (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ) دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية.

- ما مدى صحة قول من قال:إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منها ليدله على بعد الماء؟

ولم يصنع شيئا من قال: إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منها ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل بل الدليل العقلي واللفظي دال على بطلانه.

أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها، ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة، ينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات.

وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: « وطلب الهدهد لينظر له الماء فلما فقده قال ما قال » أو « فتش عن الهدهد » أو: « بحث عنه » ونحو ذلك من العبارات، وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها. وأيضا فإن سليمان عليه السلام لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فكيف - مع ذلك- يحتاج إلى الهدهد؟

وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلما للمتقدم حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع، واللبيب الفطن يعرف أن هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله به الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم وأمرهم بالتفكر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالا منقولة عن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها إلى هذا الأصل، فإن وافقته قبلها لكون اللفظ دالا عليها، وإن خالفته لفظا ومعنى أو لفظا أو معنى ردها وجزم ببطلانها، لأن عنده أصلا معلوما مناقضا لها وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته.

- ما الشاهد من تفقد سليمان للطير ؟

والشاهد أن تفقد سليمان عليه السلام للطير، وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير (فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ)أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفيا بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها بأن كان غائبا من غير إذني ولا أمري؟.

فحينئذ تغيظ عليه وتوعده

- بماذا توعد سليمان الهدهد عندما افتقده؟

(لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا) دون القتل، (أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) أي: حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته.

- ما الأمر والعذر الذي جعل الهدهد يتأخر؟

(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ) ثم جاء وهذا يدل على هيبة جنوده منه وشدة ائتمارهم لأمره، حتى إن هذا الهدهد الذي خلفه العذر الواضح لم يقدر على التخلف زمنا كثيرا، فَقَالَ لسليمان:(أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ

بِهِ) أي: عندي العلم علم ما أحطت به على علمك الواسع وعلى درجتك فيه،(وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ)القبيلة المعروفة في اليمن(بِنَبَإٍ يَقِينٍ) أي: خبر متيقن.

- ما الخبر اليقين الذي جاء به الهدهد؟أو ما قصة قبيلة سبأ؟

فسر هذا النبأ فقال: (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) أي: تملك قبيلة سبأ وهي امرأة (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يؤتاه الملوك من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع ونحو ذلك. (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) أي: كرسي ملكها الذي تجلس عليه عرش هائل، وعظم العروش تدل على عظمة المملكة وقوة السلطان وكثرة رجال الشورى.

(وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي: هم مشركون يعبدون الشمس. (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) فرأوا ما عليه هو الحق، (فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ) لأن الذي يرى أن الذي عليه حق لا مطمع في هدايته حتى تتغير عقيدته.

ثم قال: (أَلا) أي: هلا (يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) أي: يعلم الخفي الخبيء في أقطار السماوات وأنحاء الأرض، من صغار المخلوقات وبذور النباتات وخفايا الصدور، ويخرج خبء الأرض والسماء بإنزال المطر وإنبات النباتات، ويخرج خبء الأرض عند النفخ في الصور وإخراج الأموات من الأرض ليجازيهم بأعمالهم وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ .

(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ) أي: لا تنبغي العبادة والإنابة والذل والحب إلا له لأنه المألوه لما له من الصفات الكاملة والنعم الموجبة لذلك. (رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)الذي هو سقف المخلوقات ووسع الأرض والسماوات، فهذا الملك عظيم السلطان كبير الشأن هو الذي يذل له ويخضع ويسجد له ويركع.

- هل سلم الهدهد من عقاب سليمان؟

فسلم الهدهد حين ألقى إليه هذا النبأ العظيم

- ما موقف سليمان من هذا الخبر اليقين؟

وتعجب سليمان كيف خفي عليه. وقال مثبتا لكمال عقله ورزانته (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا) وسيأتي نصه(فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ) أي استأخر غير بعيد (فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) إليك وما يتراجعون به. فذهب به فألقاه عليها.

- ما موقف ملكة سبأ من كتاب سليمان؟

قالت لقومها (إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ)أي جليل المقدار من أكبر ملوك الأرض

ثم بينت مضمونه فقالت (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) أي: لا تكونوا فوقي بل اخضعوا تحت سلطاني، وانقادوا لأوامري وأقبلوا إلي مسلمين. وهذا في غاية الوجازة مع البيان التام.

- ماذا تضمن كتاب سليمان؟

فإنه تضمن نهيهم عن العلو عليه، والبقاء على حالهم التي هم عليها والانقياد لأمره والدخول تحت طاعته، ومجيئهم إليه ودعوتهم إلى الإسلام، وفيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب.

- كانت ملكة سبأ تتمتع بالحزم والعقل .ما الذي دل على ذلك؟

فمن حزمها وعقلها أن جمعت كبار دولتها ورجال مملكتها وقالت: (يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي) أي: أخبروني ماذا نجيبه به؟ وهل ندخل تحت طاعته وننقاد؟ أم ماذا نفعل؟ (مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) أي: ما كنت مستبدة بأمر دون رأيكم ومشورتكم.

- ما الرأي الذي مال إليه الملأ بعد أن شاورتهم؟

(قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ) أي: إن رددت عليه قوله ولم تدخلي في طاعته فإنا أقوياء على القتال، فكأنهم مالوا إلى هذا الرأي الذي لو تم لكان فيه دمارهم، ولكنهم أيضا لم يستقروا عليه بل قالوا: (وَالأَمْرُ إِلَيْكِ) أي: الرأي ما رأيت لعلمهم بعقلها وحزمها ونصحها لهم (فَانْظُرِي) نظر فكر وتدبر (مَاذَا تَأْمُرِينَ) .

- ما الرأي الذي توصلت إليه الملكة؟

فقالت لهم ـ مقنعة لهم عن رأيهم ومبينة سوء مغبة القتال- (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا) قتلا وأسرا ونهبا لأموالها، وتخريبا لديارها، (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) أي: جعلوا الرؤساء السادة أشراف الناس من الأذلين، أي: فهذا رأي غير سديد، وأيضا فلست بمطيعة له قبل الاختبار وإرسال من يكشف عن أحواله ويتدبرها، وحينئذ نكون على بصيرة من أمرنا.

فقالت: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)منه. هل يستمر على رأيه وقوله؟ أم تخدعه الهدية وتتبدل فكرته وكيف أحواله وجنوده؟ فأرسلت له هدية مع رسل من عقلاء قومها وذوي الرأي: منهم

لمسات بيانية:

- آية (١) :
  - ما دلالة التقديم والتأخير في قوله تعالى (الر تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآَنٍ مُبِينٍ (١) الحجر) و(طس تِلْكَ آَيَاتُ الْقُرْآَنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١) النمل) وما وجه الاختلاف بينهما واللمسات البيانية فيهما؟

د.فاضل السامرائى : ما ذُكِر فيها الكتاب وحده كما في سورة البقرة (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)) ولم يُذكر القرآن تتردد لفظة الكتاب في السورة أكثر من لفظة القرآن أو لا ترد أصلاً وما يرد فيه لفظ القرآن تتردد فيه لفظة القرآن في السورة أكثر من تردد لفظة الكتاب أو أن لفظة الكتاب لا ترد أصلاً. وإذا اجتمع اللفظان في آية يتردد ذكرهما بصورة متقابلة بحيث لا يزيد أحدهما عن الآخر إلا بلفظة واحدة في السورة كلها. ونأخذ بعض الأمثلة:

في سورة البقرة بدأت بلفظة الكتاب وترددت لفظة الكتاب ومشتقاتها سبعاً وأربعيم مرة في السورة (٤٧) بينما ترددت لفظة القرآن ومشتقاتها مرة واحدة فقط في آية الصيام.

في سورة آل عمران بدأت بلفظة الكتاب وترددت لفظة الكتاب ثلاثاً وثلاثين مرة في السورة (٣٣) بينما لم ترد لفظة القرآن ولا مرة في السورة كلها.

- آية (٥) :
  - ما الفرق بين السوء والسيئات؟ (د.فاضل السامرائى)

السيئة هي فعل القبيح وقد تُطلق على الصغائر كما ذكرنا سابقاً في حلقة ماضية. السوء كلمة عامة سواء في الأعمال أو في غير الأعمال، ما يُغَمّ الإنسان يقول أصابه سوء، الآفة، المرض، لما يقول تعالى لموسى عليه السلام (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) طه) أي من غير مرض، من غير عِلّة، من غير آفة. (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ (٥) النمل) كلمة سوء عامة أما السيئة فهي فعل قبيح. المعصية عموماً قد تكون صغيرة أو كبيرة، السوء يكون في المعاصي وغيرها (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ (١٢٣) النساء) صغيرة أو كبيرة. فإذن كلمة سوء عامة في الأفعال وغيرها، أصابه سوء، من غير سوء، ما يغم الإنسان سوء، أولئك لهم سوء العذاب (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) غافر) كلمة سوء عامة وكلمة سيئة خاصة وتُجمع على سيئات أما كلمة سوء فهي اسم المصدر، المصدر لا يُجمع إلا إذا تعددت أنواعه، هذا حكم عام. ولكنهم قالوا في غير الثلاثي يمكن أن يُجمع على مؤنث سالم مثل المشي والنوم هذا عام يطلق على القليل والكثير إذا تعددت أنواعه ضرب تصير ضروب محتمل لكن المصدر وحده لا يُجمع هذه قاعدة.

- من قصة موسى عليه السلام(٧- ١٤)
  - قصة موسى عليه السلام في سورتي النمل والقصص : د.فاضل السامرائى: من هذين النصين تتبين طائفة من الاختلافات في التعبير أدوّن أظهرها:

النمل	القصص
إني آنست نارا	آنس من جانب الطور نارا
ــــ	امكثوا
سآتيكم منها بخبر	لعلي آتيكم منها بخبر
أو آتيكم بشهاب قبس	أو جذوة من النار
فلما جاءها	فلما أتاها
نودي أن بورك	نودي من شاطئ الواد الأيمن
وسبحان الله رب العالمين	-
يا موسى	أن يا موسى
إنه أنا الله العزيز الحكيم	إني أنا الله رب العالمين

وألق عصاك	وأن ألق عصاك
يا موسى لا تخف	يا موسى أقبل ولا تخف
إني لا يخاف لدي المرسلون	إنك من الآمنين
إلا من ظلم	—
وأدخل يدك في جيبك	اسلك يدك
في تسعِ آيات	فذانك برهانان
-	واضمم إليك جناحك ممن الرّهْب
إلى فرعون وقومه	إلى فرعون وملئه

إن الذي أوردته من سورة النمل، هو كل ما ورد عن قصة موسى في السورة. وأما ما ذكرته من سورة القصص فهو جزء يسير من القصة، فقد وردت القصة مفصلة ابتداء من قبل أن يأتي موسى إلى الدنيا إلى ولادته، وإلقائه في اليم والتقاطه من آل فرعون، وإرضاعه ونشأته وقتله المصري وهربه من مصر إلى مدين، وزواجه وعودته بعد عشر سنين وإبلاغه بالرسالة من الله رب العالمين، وتأييده بالآيات، ودعوته فرعون إلى عبادة الله إلى غرق فرعون في اليم، وذلك من الآية الثانية إلى الآية الثالثة والأربعين.

- آية (٨) :
  - ما معنى الآية (فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا (٨) النمل)؟ (د.فاضل السامرائى)

المفسرون ذكروا أقوالاً مختلفة فيها قسم قال (من في النار) الملائكة (ومن حولها) موسى والنار ليست ناراً عادية وقسم قال موسى من فيها والملائكة حولها وقسم قال هو نور رب العالمين تراءى له كأنه نار. (من في النار) بمعنى الذي لذلك المفسرون اختلفوا وقسم قال موسى الذي كان في النار غشيته رحمة الله وقسم قال الملائكة في النار وموسى حولها وقسم قال النار هو نوره سبحانه.

- آية (١٢) :
  - قصة موسى عليه السلام من أكثر القصص التي فيها متشابهة فما اللمسة البيانية في اسلك يدك (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ (٣٢) القصص) وأدخل يدك (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ (١٢) النمل)؟ (د.فاضل السامرائى)

اسلك يدك في جيبك لا تناقض (أدخل يدك في جيبك) لكن يمكن أن نسأل ما سبب الاختيار؟ أصلاً (اسلك) إدخال بيسر وسهولة عموماً وأدخل يدك، كله إدخال لكن يبقى السؤال لماذا هنا اختار اسلك وهنا اختار أدخل؟ لاحظ السلوك كثيراً ما يتعمل في سلوك السهولة مثل سلك الطريق (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا

(٢٠) نوح) (فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً (٦٩) النحل)، الدخول لا يستعمل لهذه الصورة. نلاحظ في سورة القصص تردد سلوك الأمكنة والسُبل يعني سلوك الصندوق بموسى، سلوك أخته، سلوك موسى في الطريق إلى مدين عندما فرّ، سلوكه إلى العبد الصالح (قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا (٢٥))، سلوك الطريق بالعودة إلى مصر فإذن أنسب استخدام (اسْلُكْ يَدَكَ)، في سورة النمل لم يرد كل هذا السلوك. من ناحية أخرى لو عرضنا هذه المسألة سنلاحظ أنه في القصص الجو في السورة السورة كلها مطبوعة بطابع الخوف كان مقترناً بأم موسى (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)) ثم انتقل الخوف إلى موسى لما قتل واحداً (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ (١٨)) (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ (٢١)) الصالح قال (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)) حتى لما كلفه سبحانه وتعالى قال (قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣)). في سورة النمل ليس فيها خوف وإنما قوة. إذن حالة الخوف واضحة في قصة موسى في سورة القصص أما في سورة النمل فمطلقة، السلوك أيسر من الدخول (فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً (٦٩) النحل)أيسر، (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ (٢١) الزمر) أيسر. أين نضع اليسر مع الخوف أو مع الشدة؟ اليسر مع الخوف أن ييسر عليه المسألة. ففي حالة الخوف ذكر أخفّ الفعلين (اسلك) مع حالة الخوف ذكر أخف الفعلين، مناسبة ومناسبة أيضاً لسلوك الطرق فمن كل ناحية أنسب والمعنى لا يختلف كلاهما يقال لكن اختيار بياني.

- من قصة سليمان عليه السلام(١٥- ٤٤)
- آية (١٦) :
  - في سورة النمل قال تعالى (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦)) فكيف فهم سليمان كلام النمل مع أنه عُلِّم منطق الطير فقط؟ (د.فاضل السامرائى)

التعبير لا يفيد الحصر، كونك تقول أعرف العربية لا يعني أنك لا تعرف غيرها. إذن هي لا تفيد الحصر، عُلِّم منطق الطير لكن لا ينفي أنه يعلم أموراً أخرى. هو قال علمنا منطق الطير لأن كلامه كان مع الهدهد وهذا ليس معناه الحصر، ليس فيها شيء ولا تفيد الحصر لم يقل ما علمنا إلا منطق الطير أو منطق الطير عُلّمنا فهذه تفيد الحصر.

- آية (١٧) :
  - ما الفرق بين الحشر وسيق؟ (د.فاضل السامرائى)

نحشر معناه نجمع، الحشر من معانيه الجمع (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) النمل) (فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) النازعات) (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ (١١١) الأعراف) الحشر له معاني. إذن معنى حشر جمع ربنا قال يوم الجمع يوم الحشر ويأتي بمعاني أخرى لكن المعنى المشهور جمع. السَوْق ليس بالضرورة جمع فقد تسوق واحد أو اثنين أو أكثر. قال تعالى(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥)مريم) الوفد لا بد أن يكتمل أفراده، إذن هو بعد الاكتمال يصير الحشر، الوفد يجب أن يكتمل. أما

في قوله تعالى (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا (٧٣)الزمر) إذن ليسوا مجموعين، الزمر يعني جماعات جماعات، الزمرة الجماعة، زمراً يعني جماعات جماعات ليسوا وفداً مجموعين إلى أن يكتملوا فيصيروا وفداً فيحشرهم. يعني الذين اتقوا سيصبحوا زمراً لأنهم ليسوا بدرجة واحدة فيُساقون زمراً حتى إذا اكتملوا حُشِروا وفداً يصيروا وفداً الزمر ليس وفداً لا بد أن يكتمل.

- آية (١٨) :
  - (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) النمل) ما الإعجاز البلاغي في الآية؟ (د.فاضل السامرائى)

هم يقولون هذه النملة يذكرون عدة أمور فيها، يقولون أحسّت بوجود سليمان وبادرت بالإخبار ونادت (يا أيها النمل) ونبّهت (أيها) وأمرت (ادخلوا) ونهت (لا يحطمنكم) وأكّدت (نون التوكيد) ونصحت وبالغت (يحطمنّكم) كلكم لا يترك واحدة منكم، وبيّنت (من الذي سيحطمهم) وأنذرت وأعذرت سليمان (وهم لا يشعرون) ونفت. هنالك ما هو أهم من هذا في التركيب والتأليف وليس المهم هذا الجمع لكن تأليف العبارة، كل عبارة نقولها يمكن أن نذكر جملة أمور من هذا النوع لكن كيف تركبت هذه العبارة؟ قالت (يا أيها النمل) ولم تقل يا نمل، كلها نداء لكن (أيها) فيها تنبيه، المنادى في الحقيقة النمل وليس (أي) نعربها منادى ولكن توصل، حتى إذا كانت واحدة مشغولة تسمع فيما بعد، لو قالت يا نمل وواحدة لم تسمع يفوتها النداء، هذا تنبيه وهذا الفرق بين يا نمل ويا أيها النمل. قالت (ادخلوا) هذا الخطاب بضمير العقلاء ولم تقل ادخلي أو ادخلن فخاطبتهم بالعقلاء العاقل يعي النصيحة ثم قال (مساكنكم) يعني كل واحدة تدخل إلى مسكنها وكل واحدة تستقر فيه ونفهم أن لكل نملة مسكن، والإضافة إلى ضمير العاقل (كم) في مساكنكم. ثم ذكر سليمان بإسمه العلم ولم تذكر الصفة لا تتحمل المسألة أولاً النمل يعرفه وإن لم يذكره لأن هذا يحكم الجميع وهو غير مجهول وحتى يبادروا فوراً بالدخول. وقال وجنوده لم تقل ولجنود، سليمان هذا الحاكم له جنود كثيرين من الطير وغيرهم لو قالت الجند لكانت تعني العساكر فقط أما جنوده فكثيرين (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) النمل)، ثم قالت وهم لا يشعرون نفت شعورهم ولم نفي العلم ما قال فهم لا يعلمون. يعني جنود تشمل الإنس والطير، (جنوده) إضافة لسليمان تعظيماً له وجنود سليمان كثيرة ومتعددة ومتنوعة (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) الطير من جنود سليمان أيضاً.

  - (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) النمل) لماذا لم يقل لكيلا يحطمنكم؟ (د.فاضل السامرائى)

يجب أن نعرف ما هي (لا) في الآية. يعتقد أن (لا) هذه نافية لكنها هي ناهية. مثل (يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ (٢٧) الأعراف) أي لا تفتتنوا بالشيطان. (لكي) تدخل على (لا النافية). (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) لقمان) هذه لا الناهية وفي الآية (لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ) لا هنا ناهية وليست نافية.

- سؤال: ما الفرق بين التحطيم والتهشيم؟

التحطيم كسر الشيء اليابس تحديداً واختلفوا في التهشيم. التهشيم يقولون في كل شيء وليس في اليابس وحده حتى الرطب يمكن أن يهشَّم. هشم أي كسر قسم جعله في اليابس وقسم في اللغة قالوا هو عام. لكن السؤال هو (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨)) في سورة النمل هم يقولون أن النمل وقسم من الحشرات فيها مادة السليكون ما يُصنع منه الزجاج وهو قابل للتحطيم فيقول تحطيم إذن التحطيم أخص والتهشيم أعم.

- آية (٢٢) :
  - ما الفرق بين النبأ والخبر؟ (د.فاضل السامرائى)

النبأ كما يقول أهل اللغة أهم من الخبر وأعظم منه وفيه فائدة مهمة (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) النمل) وفي القرآن النبأ أهم من الخبر (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) ص) (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) النبأ). والنبأ في اللغة هو الظهور وقد استعمل القرآن الكريم كلمة خبر مفردة في موطنين في قصة موسى عليه السلام (قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) القصص) (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) النمل) وهناك فرق بين الخبر والنبأ العظيم. وفي أخبار الماضين والرسل استعمل القرآن نبأ (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) التغابن) .

المقطع الثاني: من الآية (٣٦) إلى الآية (٦٣)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (٢٩ – ٤٤) موقف ملكة سبأ من كتاب سليمان عليه السلام. فيه بيان الحالة التي استقبل فيها بلقيس الكتاب.
- الآيات (٤٥ – ٥٣) قصة نبي الله صالح عليه السلام. بعد أن أفاضت السورة في ذكر ما خص الله به نبيه الكريم سليمان بن داود عليهما السلام الذي وهبه الله الملك والنبوة، والذي جعل من الملك وسيلة للدعوة إلى الله والتبشير بدينه، وما كان من أمره مع ملكة سبأ (بلقيس) التي أسلمت مع قومها بدعوة الملك النبي الصالح سليمان عليه السلام. ذكر سبحانه قصة نبي الله صلاح عليه السلام مع قومه ثمود حين بعثه الله إليهم فدعاء إلى عبادة الله وحده فانقسموا إلى فريقين مؤمن وكافر.
- الآيات (٥٤ – ٥٨) قصة لوط عليه السلام. بعد أن ذكر الله عز وجل قصة ثمود وتكذيبهم لنبي الله صالح عليه السلام وما آل إله مصيرهم من الهلاك والتدمير مضت الآيات بعد ذلك لتذكرنا قصة قوم لوط عليه السلام في عجالة قصيرة أيضاً، وذلك على سبيل العظة والاعتبار لقريش الذين كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعتبروا مما حدث بالأمم السابقة.
- الآيات (٥٩ – ٦٦) البراهين الدالة على وحدانية الله. بعد استعراض حلقات من قصص موسى وداوود وسليمان وصالح ولوط عليهم السلام وهذا الختام متصل بمطلع السورة في الموضوع، والقصص بينهما متناسق مع المطلع والختام، كل قصة تؤدي جانب من جوانب الغرض الذي يعالجه سياق السورة كلها.

فوائد وأسئلة تدبرية:

- تعرف على الحي القيوم في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن عبادتك دعاء، وتوحيدك دعاء. إن سألت فاسأل الله وإن استعنت فاستعن بالله وإن أصابتك بلوى أو مصيبة اطلب حاجتك من ملك الحاجات، واعلم أنك إذا دعيت الله وأنت مضطر فدعوة المضطر سهام صائبة . فالدعاء جعل بين العبد وبين الله ،ولا يصدق العبد في الدعاء إلا إذا صدق مع الله،فكل الخلائق تدعو الله.
- خرج سليمان عليه السلام والحديث صحيح يستسقي بالناس فمر في الطريق بنملة وإذا هي قد انقلبت على ظهرها ورفعت يديها إلى الحي القيوم فمن أخبر النملة أن الله خالقها ؟ ومن أخبر النملة أن الذي يحيي ويميت ويضر وينفع ويشفي ويعافي هو الله؟

  تقول النملة: يا حي يا قيوم أغثنا برحمتك، فبكى سليمان وقال لقومه: عودوا فقد سقيتم بدعاء غيركم.
  والبقر تشهد أنه لا إله إلا الله ، عن عيسى عليه السلام أنه مر ببقرة وهي في الولادة وقد اعترض ابنها في بطنها فأخذت البقرة تنظر إلى السماء تطلب العون من الله فانطقها الله الذي انطق كل شيء وجعلها داعية متكلمة تقول: يا حي يا قيوم يسر علي، ثم قالت :يا روح الله أسألك أن تدعوا الله أن يسهل علي فبكى عيسى عليه السلام فدعا الله فسهل عليها.

- من آداب الدعاء:

دعاء الله بأسمائه وصفاته والإلحاح في الدعاء ،وأن تستمر في الدعاء(ليسأل أحدكم حاجته حتى شسع نعله) وفي بعض الروايات (حتى الملح فإنه إن لم ييسره الله لما تيسر). فدعائك عند الحاجة اضطرار فالأغلب ما يدعوا الله إلا عند الحاجة وهذا خطأ كبير، فأنت في حاجة مستمرة إلى الله. ودعائك في صحتك وعافيتك وقوتك، فدعوتك في الرخاء معرفة وأنت في الضيق اضطرار . فالدعاء مطلوب سواء في الرخاء أو في الشدة قال تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء)فدعوة المضطر مجابة على كل حال . فدعوة المضطر مجابة سواء كان المضطر براً كان أو فاجراً، مؤمناً أم كافراً. كقول إبراهيم عليه السلام حين قذف في النار وقال حسبي الله. فحالة الاضطرار جالبة إلى الإخلاص قال الطبري رحمه الله: (ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه وأخبر بذلك عن نفسه والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجوء ينشأ عن الإخلاص وقطع القلب عما سواه. وللإخلاص عنده سبحانه وتعالى.

والاضطرار يجلب الذل والانكسار والخضوع إلى الله والصدق في الدعاء ،لذلك فهو مجاب الدعوة. فالمظلوم مضطر لذلك دعوة المظلوم مستجابة. وإن كان العبد في ذل وانكسار وخضوع لله فهذا أحرى للإجابة.

- ما موقف سليمان من الهدية؟

(فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) أي: جاءه الرسل بالهدية (قَالَ) منكرا عليهم ومتغيظاً على عدم إجابتهم: (أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ) فليست تقع عندي موقعا ولا أفرح بها قد أغناني الله عنها وأكثر علي النعم،(بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) لحبكم للدنيا وقلة ما بأيديكم بالنسبة لما أعطاني الله.

ثم أوصى الرسول من غير كتاب لما رأى من عقله وأنه سينقل كلامه على وجهه فقال: (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ) أي: بهديتك (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ) أي: لا طاقة لهم (بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) فرجع إليهم وأبلغهم ما قال سليمان وتجهزوا للمسير إلى سليمان.

- كيف كان استعداد سليمان لقدوم ملكة سبأ؟

وعلم سليمان أنهم لا بد أن يسيروا إليه فقال لمن حضره من الجن والإنس: (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) أي: لأجل أن نتصرف فيه قبل أن يسلموا فتكون أموالهم محترمة،(قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ) والعفريت: هو القوي النشيط جدا: (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) والظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام فيكون بينه وبين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر شهران ذهابا وشهران إيابا، ومع ذلك يقول هذا العفريت: أنا التزم بالمجيء به على كبره وثقله، وبعده قبل أن تقوم من مجلسك الذي أنت فيه. والمعتاد من المجالس الطويلة أن تكون معظم الضحى نحو ثلث يوم هذا نهاية المعتاد، وقد يكون دون ذلك أو أكثر، وهذا الملك العظيم الذي عند آحاد رعيته هذه القوة والقدرة وأبلغ من ذلك أن(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) قال المفسرون: هو رجل عالم صالح عند سليمان يقال له: « آصف بن برخيا » كان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعا الله به أجاب وإذا سأل به أعطى.

(أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)بأن يدعو الله بذلك الاسم فيحضر حالا وأنه دعا الله فحضر. فالله أعلم هل هذا المراد أم أن عنده علما من الكتاب يقتدر به على جلب البعيد وتحصيل الشديد

- ماذا فعل سليمان عندما رأى العرش مستقرا عنده.؟

(فَلَمَّا رَآهُ سليمان مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) حمد الله تعالى على إقداره وملكه وتيسير الأمور له و قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ أي: ليختبرني بذلك. فلم يغتر عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين، بل علم أن ذلك اختبار من ربه فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بين أن هذا الشكر لا ينتفع الله به وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه فقال: وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ غني عن أعماله كريم كثير الخير يعم به الشاكر والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها وكفرها داع لزوالها، ثم قال لمن عنده: نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا أي: غيروه بزيادة ونقص، ونحو ذلك نَنْظُرْ مختبرين لعقلها أَتَهْتَدِي للصواب ويكون عندها ذكاء وفطنة تليق بملكها أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ .

- كيف كان استقبالهم لملكة سبأ؟

(فَلَمَّا جَاءَتْ) قادمة على سليمان عرض عليها عرشها وكان عهدها به قد خلفته في بلدها، و قِيلَ لها أَهَكَذَا عَرْشُكِ أي: أنه استقر عندنا أن لك عرشا عظيما فهل هو كهذا العرش الذي أحضرناه لك؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ *في جواب ملكة سبأ بقولها (كأنه هو) ما يدل على ذكائها وفطنتها أيضا كيف ذلك؟

وهذا من ذكائها وفطنتها لم تقل « هو » لوجود التغيير فيه والتنكير ولم تنف أنه هو، لأنها عرفته، فأتت بلفظ محتمل للأمرين صادق على الحالين،

- من القائل (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين)؟

قال سليمان متعجبا من هدايتها وعقلها وشاكرا لله أن أعطاه أعظم منها: (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا) أي: الهداية والعقل والحزم من قبل هذه الملكة، (وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) وهي الهداية النافعة الأصلية.
ويحتمل أن هذا من قول ملكة سبأ:« وأوتينا العلم عن ملك سليمان وسلطانه وزيادة اقتداره من قبل هذه الحالة التي رأينا فيها قدرته على إحضار العرش من المسافة البعيدة فأذعنا له وجئنا مسلمين له خاضعين لسلطانه.

- ما الذي صد ملكة سبأ عن الإسلام؟

(وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي: عن الإسلام، وإلا فلها من الذكاء والفطنة ما به تعرف الحق من الباطل ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ فاستمرت على دينهم، وانفراد الواحد عن أهل الدين والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم من أندر ما يكون فلهذا لا يستغرب بقاؤها على الكفر.

- لماذا أمرها سليمان بدخول الصرح؟

ثم إن سليمان أراد أن ترى من سلطانه ما يبهر العقول فأمرها أن تدخل الصرح وهي المجلس المرتفع المتسع وكان مجلسا من قوارير تجري تحته الأنهار.
فـ (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) ماء لأن القوارير شفافة، يرى الماء الذي تحتها كأنه بذاته يجري ليس دونه شيء، (وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) للخياضة وهذا أيضا من عقلها وأدبها، فإنها لم تمتنع من الدخول للمحل الذي أمرت بدخوله لعلمها أنها لم تستدع إلا للإكرام وأن ملك سليمان وتنظيمه قد بناه على الحكمة ولم يكن في قلبها أدنى شك من حالة السوء بعد ما رأت ما رأت.

فلما استعدت للخوض قيل لها: (إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ) أي: مملس (مِنْ قَوَارِيرَ) فلا حاجة منك لكشف الساقين. فحينئذ لما وصلت إلى سليمان وشاهدت ما شاهدت وعلمت نبوته ورسالته تابت ورجعت عن كفرها و قَالَتْ (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .
فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ وما جرى لها مع سليمان، وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله وهو من الأمور التي يقف الجزم بها، على الدليل المعلوم عن المعصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك، فالحزم كل الحزم، الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفاسير. والله أعلم.

- ما موقف قوم ثمود من دعوة صالح عليه السلام؟

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) يخبر تعالى أنه أرسل إلى ثمود القبيلة المعروفة أخاهم في النسب صالحا وأنه أمرهم أن يعبدوا الله وحده ويتركوا الأنداد والأوثان، (فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) منهم المؤمن ومنهم الكافر وهم معظمهم.

- ما خطاب صالح لقومه؟

(قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) أي: لم تبادرون فعل السيئات وتحرصون عليها قبل فعل الحسنات التي بها تحسن أحوالكم وتصلح أموركم الدينية والدنيوية؟ والحال أنه لا موجب لكم إلى الذهاب لفعل السيئات؟. (لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ) بأن تتوبوا من شرككم وعصيانكم وتدعوه أن يغفر لكم، (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)فإن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين والتائب من الذنوب هو من المحسنين.

- بماذا رد المكذبين والمعارضين لصالح عليه السلام؟وبماذا رد عليهم؟

قَالُوا لنبيهم صالح مكذبين ومعارضين: (اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ)زعموا - قبحهم الله- أنهم لم يروا على وجه صالح خيرا وأنه هو ومن معه من المؤمنين صاروا سببا لمنع بعض مطالبهم الدنيوية، فقال لهم صالح: (طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) أي: ما أصابكم إلا بذنوبكم، (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) بالسراء والضراء والخير والشر لينظر هل تقلعون وتتوبون أم لا؟ فهذا دأبهم في تكذيب نبيهم وما قابلوه به.

- ما قصة التسعة رهط الذين كانوا في المدينة التي فيها صالح؟

(وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ) التي فيها صالح الجامعة لمعظم قومه (تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ) أي: وصفهم الإفساد في الأرض، ولا لهم قصد ولا فعل بالإصلاح قد استعدوا لمعاداة صالح والطعن في دينه ودعوة قومهم إلى ذلك
فلم يزالوا بهذه الحال الشنيعة حتى إنهم من عداوتهم تَقَاسَمُوا فيما بينهم كل واحد أقسم للآخر (لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ) أي نأتيه ليلا هو وأهله (فلنقتلنهم ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ) إذا قام علينا وادعى علينا أنا قتلناه ننكر ذلك وننفيه ونحلف (إِنَّا لَصَادِقُونَ) فتواطئوا على ذلك
(وَمَكَرُوا مَكْرًا) دبروا أمرهم على قتل صالح وأهله على وجه الخفية حتى من قومهم خوفا من أوليائه (وَمَكَرْنَا مَكْرًا) بنصر نبينا صالح عليه السلام وتيسير أمره وإهلاك قومه المكذبين (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ) هل حصل مقصودهم؟ وأدركوا بذلك المكر مطلوبهم أم انتقض عليهم الأمر

- بماذا عاقب الله التسعة رهط والذين كذبوا من قوم صالح؟

قال (أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ) أهلكناهم واستأصلنا شأفتهم فجاءتهم صيحة عذاب فأهلكوا عن آخرهم. (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً) قد تهدمت جدرانها على سقوفها وأوحشت من ساكنيها وعطلت من نازليها (بِمَا ظَلَمُوا) أي هذا عاقبة ظلمهم وشركهم بالله وبغيهم في الأرض. (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) الحقائق ويتدبرون وقائع الله في أوليائه وأعدائه فيعتبرون بذلك ويعلمون أن عاقبة الظلم الدمار والهلاك وأن عاقبة الإيمان والعدل النجاة والفوز

ولهذا قال (وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) أي أنجينا المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وكانوا يتقون الشرك بالله والمعاصي ويعملون بطاعته وطاعة رسله

- ما الفاحشة التي ارتكبها قوم لوط وكيف دعاهم لوط ونصحهم؟

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) أي: واذكر عبدنا ورسولنا لوطا ونبأه الفاضل حين قال لقومه - داعيا إلى الله وناصحا- : (أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أي: الفعلة الشنعاء التي تستفحشها العقول والفطر وتستقبحها الشرائع (وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) ذلك وتعلمون قبحه فعاندتم وارتكبتم ذلك ظلما منكم وجرأة على الله.

ثم فسر تلك الفاحشة فقال: (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ) أي: كيف توصلتم إلى هذه الحال، صارت شهوتكم للرجال، وأدبارهم محل الغائط والنجو والخبث، وتركتم ما خلق الله لكم من النساء من المحال الطيبة التي جبلت النفوس إلى الميل إليها وأنتم انقلب عليكم الأمر فاستحسنتم القبيح واستقبحتم الحسن (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) متجاوزون لحدود الله متجرئون على محارمه.

- ما موقف قوم لوط من دعوته؟

(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) قبول ولا إنزجار ولا تذكر وإدكار، إنما كان جوابهم المعارضة والمناقضة والتوعد لنبيهم الناصح ورسولهم الأمين بالإجلاء عن وطنه والتشريد عن بلده. (فما كان جواب قومه إلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ).

- ما السبب الذي جعل قوم لوط يأمرون بإخراج لوط وأهله؟

فكأنه قيل: ما نقمتم منهم وما ذنبهم الذي أوجب لهم الإخراج، فقالوا: (إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) أي: يتنزهون عن اللواط وأدبار الذكور. فقبحهم الله جعلوا أفضل الحسنات بمنزلة أقبح السيئات، ولم يكتفوا بمعصيتهم لنبيهم فيما وعظهم به حتى وصلوا إلى إخراجه، والبلاء موكل بالمنطق فهم قالوا: (أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) .

- ما عاقبة قوم لوط ؟وما الذي حدث للوط عليه السلام وأهله؟

(فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ) وذلك لما جاءته الملائكة في صورة أضياف وسمع بهم قومه فجاءوا إليه يريدونهم بالشر وأغلق الباب دونهم واشتد الأمر عليه، ثم أخبرته الملائكة عن جلية الحال وأنهم جاءوا لاستنقاذه وإخراجه من بين أظهرهم وأنهم يريدون إهلاكهم وأن موعدهم الصبح، وأمروه أن يسري بأهله ليلا إلا امرأته فإنه سيصيبها ما أصابهم فخرج بأهله ليلا فنجوا وصبحهم العذاب، فقلب الله عليهم ديارهم وجعل أعلاها أسفلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك.

ولهذا قال هنا: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) أي: بئس المطر مطرهم و بئس العذاب عذابهم لأنهم أنذروا وخوفوا فلم ينزجروا ولم يرتدعوا فأحل الله بهم عقابه الشديد.

- من الذي يستحق كمال المدح والحمد والثناء؟

(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ) أي: قل الحمد لله الذي يستحق كمال الحمد والمدح والثناء لكمال أوصافه وجميل معروفه وهباته وعدله وحكمته في عقوبته المكذبين وتعذيب الظالمين، وسلم أيضا على عباده الذين تخيرهم واصطفاهم على العالمين من الأنبياء والمرسلين وصفوة الله من العالمين، وذلك لرفع ذكرهم وتنويها بقدرهم وسلامتهم من الشر والأدناس، وسلامة ما قالوه في ربهم من النقائص والعيوب.

(آللَّهُ خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ) وهذا استفهام قد تقرر وعرف، أي: الله الرب العظيم كامل الأوصاف عظيم الألطاف خير أم الأصنام والأوثان التي عبدوها معه، وهي ناقصة من كل وجه، لا تنفع ولا تضر ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها مثقال ذرة من الخير فالله خير مما يشركون.

- ما التفاصيل التي بها يعرف ويتعين أنه الإله المعبود وأن عبادته هي الحق وعبادة ما سواه هي الباطل ؟

١/ (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) أي: أمن خلق السماوات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والملائكة والأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك.

(وَأَنزلَ لَكُمْ) أي: لأجلكم (مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ) أي: بساتين (ذَاتَ بَهْجَةٍ) أي: حسن منظر من كثرة أشجارها وتنوعها وحسن ثمارها، (مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا) لولا منة الله عليكم بإنزال المطر. (أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ) فعل هذه الأفعال حتى يعبد معه ويشرك به؟ (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) به غيره ويسوون به سواه مع علمهم أنه وحده خالق العالم العلوي والسفلي ومنزل الرزق.

٢/ (أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) أي: هل الأصنام والأوثان الناقصة من كل وجه التي لا فعل منها ولا رزق ولا نفع خير؟ أم الله الذي (جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا) يستقر عليها العباد ويتمكنون من السكنى والحرث والبناء والذهاب والإياب. (وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا) أي: جعل في خلال الأرض أنهارا ينتفع بها العباد في زروعهم وأشجارهم، وشربهم وشرب مواشيهم.

(وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ) أي: جبالا ترسيها وتثبتها لئلا تميد وتكون أوتادا لها لئلا تضطرب. (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ) البحر المالح والبحر العذب (حَاجِزًا) يمنع من اختلاطهما فتفوت المنفعة المقصودة من كل منهما بل جعل بينهما حاجزا من الأرض، جعل مجرى الأنهار في الأرض مبعدة عن البحار فيحصل منها مقاصدها ومصالحها، (أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ) فعل ذلك حتى يعدل به الله ويشرك به معه. (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) فيشركون بالله تقليدا لرؤسائهم وإلا فلو علموا حق العلم لم يشركوا به شيئا.

٣/ (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ) أي: هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟ ومن يكشف السوء أي: البلاء والشر والنقمة إلا الله وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض يمكنكم منها ويمد لكم بالرزق ويوصل إليكم نعمه وتكونون خلفاء من قبلكم كما أنه سيميتكم ويأتي بقوم بعدكم أإله مع الله يفعل هذه الأفعال؟ لا أحد يفعل مع الله شيئا من ذلك حتى

بإقراركم أيها المشركون، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم أنه وحده المقتدر على دفعه وإزالته، (قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ) أي: قليل تذكركم وتدبركم للأمور التي إذا تذكرتموها ادَّكرتم ورجعتم إلى الهدى، ولكن الغفلة والإعراض شامل لكم فلذلك ما ارعويتم ولا اهتديتم.
٤/ (أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) أي: من هو الذي يهديكم حين تكونون في ظلمات البر والبحر، حيث لا دليل ولا معلم يرى ولا وسيلة إلى النجاة إلا هدايته لكم، وتيسيره الطريق وجعل ما جعل لكم من الأسباب التي تهتدون بها، (وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) أي: بين يدي المطر، فيرسلها فتثير السحاب ثم تؤلفه ثم تجمعه ثم تلقحه ثم تدره، فيستبشر بذلك العباد قبل نزول المطر (أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ) فعل ذلك؟ أم هو وحده الذي انفرد به؟ فلم أشركتم معه غيره وعبدتم سواه؟ (تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) تعاظم وتنزه وتقدس عن شركهم وتسويتهم به غيره.
(تابع في المقطع التالي)

لمسات بيانية:

- آية (٣٧) :
  - ما الفرق بين الطاقة والقِبَل (قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ (٢٤٩) البقرة) و (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا (٣٧) النمل)؟ (د.فاضل السامرائى)

الطاقة القدرة والقِبَل القدرة على المقابلة والمجازاة على شيء تقول أنا لا قِبَل لي بكذا ولذلك (لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا) أي لا قدرة لهم عليها، لا قدرة لهم على المقابلة، لا قدرة لهم على مقابلتها بينما هم أصحاب قوة. (لا قبل لهم بها) هذا كلام سليمان، جماعة بلقيس قالوا (قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ (٣٣)) أي عندهم قوة وعندهم بأس في الحرب يستطيعون المقابلة. (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا) أي لا يستطيعون أن يقابلونا من البداية.أما في الثانية (قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ) أي ليس عندنا قوة ولا قدرة أصلاً. الأولون قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده هم اصلاً ليس عندهم قوة.

- من قصة قوم صالح (٤٥- ٥٣)
- من قصة قوم لوط (٥٤- ٥٨)
- آية (٥٦) :
  - في أماكن قال تعالى آل لوط وفي أماكن قال قوم لوط وفي أماكن قال إخوان لوط ، لماذا قيلت كل واحدة في مكانها؟ هل كان يمكن أن يقول قوم لوط في جميع المواطن؟ لِم هذا التنويع؟ (د.حسام النعيمى)

التنويع ليس مع لفظة لوط فقط وإنما مع أنبياء آخرين مثل مع هود عندنا قوم هود وأخاهم هود وأخوهم هود، قوم صالح وأخاهم صالح وأخوهم صالح بحسب مواضعها.

  - الفرق اللغوي بين قوم وأصحاب والآل وإخوان:

قوم الرجل هم أهله بالصورة الواسعة يقال فلان من قوم كذا، وقد يكون القوم أوسع من القبيلة، العرب قوم. وقد يُطلق على القبيلة أنها قوم فلان.

الآل هم الأهل المقربون الذين هم أقرب الناس ومن معانيه الزوجة ومن معانيه الأتباع، أتباع الرجل آله، أتباعه الذين تبعوه كُثُر لكن قومه أكثر من الآل، قوم أوسع. (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ(٥٦)النمل).

الإخوان أقرب من الآل لأن الآل قد يكون فيها الأتباع (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) غافر) أي أتباعه.

الأهل: هم المقربون بل إن القرآن استعمل الأهل في الزوجة على أنه يمكن أن تطلق على الذرية أوالأقارب بحسب الحديث المشهور حديث أم سلمة.

الكلمات فيها فوارق ولكن بحسب السياق فلو جئنا لكل آية استعمل فيها قوم هنا واستعملت كلمة آل هنا، بالنسبة لآل لوط لم تستعمل إلا في الثناء عليهم فقط، لما يثني عليهم ولما يذكرهم بخير يستعمل كلمة آل ولا يستعمل كلمة قوم.

- آية (٥٧) :
  - ما اللمسة البيانية في الاختلاف بين قوله تعالى في سورة النمل (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧)) وفي قوله في سورة الحجر (إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠)) في قصة امرأة لوط؟ د.فاضل السامرائى:

لو لاحظنا الآيتين في سورة النحل وفي سورة الحجر كأن السائل يسأل عن الاختلاف في التوكيد في آية سورة الحجر. ولو نظرنا إلى آية سورة الحجر (إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠)) لوجدنا فيها ستة مؤكدات هي: (إنّا، اللام في لمنجوهم، منجوهم (إسم)، أجمعين، إنّ في إنها واللام في لمن الغابرين) ثم أننا إذا نظرنا في السورة كلها أي سورة الحجر لوجدنا فيها ٢٠ مؤكد في قصة لوط بينما في سورة النمل ففيها ثلاثة مؤكدات فقط في القصة كلها (أئنكم، لتأتون، وإنهم أناس يتطهرون). هذا الجو العام في السورتين والوضع الوصفي فالآية في سورة الحجر أنسب مع الؤكدات في القصة من آية سورة النمل. وقد يسأل السائل لماذا؟ نلاحظ أنه تعالى وصف قوم لوط في سورة الحجر بالإجرام (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨)) أما في النمل فوصفهم بالجهل (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)) والمجرمون أشد من الجاهلين فالوصف أشدّ وهذا الوصف الأشدّ يقتضي عقوبة أشدّ ول نظرنا إلى العقوبة في كلتا السورتين لوجدنا أن العقوبة في سورة الحجر أشدّ (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤)) وفي سورة النمل (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨)) والمطر قد يكون ماء أما الحجارة في سورة الحجر فهي بالطبع أشدّ. إذن العقوبة أشدّ والوصف أشدّ ثم إن القصة في سورة الحجر (١٩ آية من الآية ٥٨ إلى ٧٦) أطول منها في سورة النمل (٥ آيات فقط) فإذا نظرنا إلى القصة من جهة التوسع والإيجاز فآية سورة الحجر أنسب ومن حيث التوكيد والعقوبة والطول أنسب ولا يناسب وضع الآية مكان الأخرى. القرآن الكريم يراعي التعبير في كل مكان بصورة دقيقة ويراعي التصوير الفني للقصة.

- آية (٥٩) :
  - ما الفرق بين سلام نكرة والسلام معرفة ؟(د.فاضل السامرائى)

السلام معرفة والمعرفة هو ما دلّ على أمر معين، وسلام لك والأصل في النكرة العموم إذن كلمة سلام عامة وكلمة السلام أمر معين. لما نقول رجل يعني أيّ رجل ولما نقول الرجل أقصد رجلاً معيناً أو تعريف الجنس. الأصل في النكرة العموم والشمول. إذن (سلام) أعم لأنها نكرة وربنا سبحانه وتعالى لم يحييّ إلا بالتنكير في القرآن كله مثل (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى (٥٩) النمل) (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) الصافات) (سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) الصافات) (سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠) الصافات) حتى في الجنة (سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨) يس) حتى الملائكة (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) الزمر) ربنا تعالى لم يحييّ هو إلا بالتنكير لأنه أعم وأشمل كل السلام لا يترك منه شيئاً. (سلام عليه) هذه تحية ربنا على يحيى والآية الأخرى عيسى سلم على نفسه وليس من عند الله سبحانه وتعالى، سلام نكرة من قبل الله تعالى والسلام من عيسى وليس من الله تعالى والتعريف هنا (السلام) أفاد التخصيص. ويقوون تعريض بالذين يدعون أن مريم كذا وكذا فقال (والسلام علي) رد على متهمي مريم عليها السلام.

- آية (٦٠-٦٤) :
  - (٦٠) - (٦٤) النمل) ما هي اللمسات البيانية في خواتيم الآيات؟ (د.فاضل السامرائى)

نقرأ الآيات، الآية الستون (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)) هذه الأسئلة التي أثاروها هم يعلمونها لأنه قال (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) وربنا قال في آية أخرى (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ (٢٥) لقمان)، ثم قال (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) وقال في آية أخرى (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ (٦٣) العنكبوت)، إذن هم يعلمون الجواب لكنهم ينحرفون عن الحق يعني هم قوم يعدلون مع معرفتهم بهذا الأمر، يعدلون يعني ينحرفون عن الطريق وليست من العدل هم ينحرفون مع معرفتهم بهذا الأمر. هم أجابوا عن السؤال يجيبون عنه أنه الله إذن أإله مع الله؟! إذن (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) رغم معرفتهم هم عدلوا عن الحق.

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١)) أي لا يعلمون شيئاً من الأشياء معتداً به، يعلمون لكن هذا العلم لا يجعلهم يبطلون الشرك فما قيمة هذا العلم؟ إذن لا يعلمون شيئاً يُعتدّ به أو قد لا يعرفون هذه الأشياء الدقيقة أنه جعل بين البحرين حاجزاً.

(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)) قليلاً ما تذكرون يعني مع أنهم يدعون الله وينسون ما يشركون لأن ربنا يذكر أن هؤلاء إذا مسهم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، قليلاً ما تذكرون أي نسيتم هذا الأمر نسيتم أن الله هو الذي نجاكم (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

(٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ (٢٣) يونس) إذن نسوا، قليلاً ما تذكرون ما كنتم عليه من حال السوء، نجاكم الله وأيضاً نسيتم. أحياناً يعاهدون الله (لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) ثم ينسون. بداية الآيات (أمّن) يقيم الحجة عليهم. معنى (أمن) يعني من يجيب؟ هذه أم المنقطعة وأصلها أم من، (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) هذا سؤال، و(أم) يعن (بل) هذا سؤال آخر، تأتي بأسئلة متوالية بل من يفعل ذلك؟، (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ (١٦) الرعد) قل هل يستوي الأعمى والبصير؟ بل هل تستوي الظلمات والنور؟ هذا سؤال آخر. (بل) إضراب انتقالي. (أمن يجيب المضطر) هذا سؤال معناه من يجيب المضطر؟

(أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) النمل) هذا سؤال (من يرسل الرياح) هذا سؤال أيضاً (تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ). في الآيات الأولى ذكر صفاتهم هم قال عنهم (بل هم قوم يعدلون، أكثرهم لا يعلمون، قليلاً ما تذكرون) والآن قال (تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) إذن ذكر صفات المخلوقين هؤلاء ثم ذكر صفاته تعالى ونزهها فقال (تعالى الله عما يشركون). في بداية الآيات ذكر بعض ما يقوم به لعباده ثم يصدر حكماً في صفاتهم هم (بل هم قوم يعدلون، أكثرهم لا يعلمون، قليلاً ما تذكرون) ذكر صفاتهم هم ثم (تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) نزّه نفسه بعد أن ذكرهم وكيف يغيبون عن الحق.

ثم قال (أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)) مع كل هذه الأشياء والحجج التي ألزمتكم فيها أءله مع الله؟ يقولون نعم، فيقول (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) إإتوا بالدليل بعد أن ألزمتكم الحجة، أنا ذكرت البرهان فإتوا برهانكم إن كنتم صادقين. كل الأسئلة في الآيات السابقة تدل على عجزهم إذن أقام الحجة عليهم. ثم قال (أإله مع الله) قالوا نعم (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) ص) فقال إذن هاتوا برهانكم، نحن ذكرنا الأدلة وألزمناكم الحجة لما تقولون به فاتوا ببرهانكم. تغيرت الخاتمة، ذكر الأحكام فيهم وصفاتهم أولاً بأول ثم نزّه نفسه عما يفعل ثم ذكر إءله مع الله؟ قالوا نعم، قل هاتوا برهانكم على ما تقولون، ما برهانكم على ما تقولون به. الله تعالى أثبت صنيعته لعباده وأثبت رد فعلهم (بل هم قوم يعدلون، أكثرهم لا يعلمون، قليلاً ما تذكرون) ثم نزه نفسه عنهم وطالبهم بالإتيان بالحجة.

- ما الفرق بين (وألقينا فيها رواسي) و (وجعلنا في الأرض رواسي) ألم تكن الجبال مخلوقة من قبل؟ (د.فاضل السامرائى)

قال تعالى في سورة الحجر(وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩)) وفي سورة ق (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧)) وفي سورة النحل (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)) وسورة لقمان (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)). هذا سؤال يجب أن يُوجّه إلى المعنيين بالإعجاز العلمي. لكن أقول والله أعلم أن الملاحظ أنه تعالى يقول أحياناً ألقينا وأحياناً يقول جعلنا في الكلام عن الجبال بمعنى أن

التكوين ليس واحداً وقد درسنا أن بعض الجبال تُلقى إلقاء بالبراكين (جبال بركانية) والزلازل أو قد تأتي بها الأجرام المساوية على شكل كُتل. وهناك شكل آخر من التكوين كما قال تعالى في سورة النمل (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١)) وسورة الإنبياء (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١)) وسورة المرسلات (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧)) وسورة الرعد (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣))، وهذا يدل والله أعلم على أن هناك أكثر من وسيلة لتكوين الجبال. وكينونة الجبال تختلف عن كينونة الأرض فالجبال ليست نوعاً واحداً ولا تتكون بطريقة واحدة هذا والله أعلم.

- ما الفرق بين كلمة ريح ورياح في القرآن الكريم؟ (د.فاضل السامرائى)

كلمة ريح في القرآن الكريم تستعمل للشّر كما في قوله تعالى في سورة آل عمران (مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {١١٧}).

أما كلمة الرياح فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات كما في قوله تعالى في سورة النمل (أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {٦٣}).

وفي سورة سبأ (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ {١٢}) استعملت كلمة ريح مع سليمان لكنها لم تُخصص لشيء فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر لأن الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.

المقطع الثالث: من الآية (٦٤) إلى الآية (٩٣)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (٥٩ – ٦٦) البراهين الدالة على وحدانية الله. بعد استعراض حلقات من قصص موسى وداود وسليمان وصالح ولوط عليهم السلام وهذا الختام متصل بمطلع السورة في الموضوع، والقصص بينهما متناسق مع المطلع والختام، كل قصة تؤدي جانب من جوانب الغرض الذي يعالجه سياق السورة كلها.
- الآيات (٦٧ – ٧٥) إنكار المشركين للبعث والرد عليهم. تبين الآيات بعد ما سبق موقف أولئك الكفار الذين كانوا يسألون عن وقت الساعة مع أنهم منكرون لها، ومنكرون للبعث والنشور، مستبعدين الحياة بعد موت الأجساد، وبعد أن تصير رفاتاً وتراباً فيقول سبحانه "وقال الذين كفروا أءذا كنا تراباً وءاباؤنا أئنا لمخرجون * لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين" فذكر سبحانه الشبهات التي أوردها المشركون حول البعث والنشور، وأراد فيها بذكر الدلائل القاطعة وذكر بعض الأهوال التي تكون بين يدي الساعة.
- الآيات (٧٦ – ٨١) إخبار القرآن الكريم عن أنباء السابقين. وبمناسبة الحديث عن علم الله الشامل، الذي لا تغيب عنه غائبة إلا وقد أحاط بها وبأصحابها علماً، يأتي الحديث عن القرآن، وما فيه من فصل الخطاب، فيما اختلف فيه بنوا إسرائيل، وهو في أنبائه وأخباره عما في كتب السابقين أعظم شاهد على صدق محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أين لرسول الله النبي الأمي أن يخبرهم عما في كتبهم من التحريف والتبديل، وأن يبين لهم ما وافق الحق وما خالفه منها، لو لم يكن نبياً صادقاً يوحى إليه من عند الله.
- الآيات (٨٢ – ٩٣) بعض علامات الساعة وبعض مشاهد يوم القيامة. بعد أن ذكر سبحانه فضل القرآن وحكايته للأنبياء السابقين وأن فيه الهداية للمؤمنين بعد ذلك يجول بهم في جولة أخرى في أشراط الساعة وبعض مشاهدها، قبل الإيقاع الأخير الذي يختم به السورة، جولة يذكر فيها ظهور الدابة التي تكلم الناس الذين كانوا لا يؤمنون بآيات الله الكونية، ويرسم مشهداً للحشر والتبكيت للمكذبين بالآيات وهم واجمون صامتون ثم يعود بهم من هذا المشهد إلى آيات الليل والنهار المعرضون للأبصار وهم عنها غافلون، ثم يرتد بهم ثانية إلى مشهد الفزع يوم ينفخ في الصور ويوم تسير الجبال وتمر مر السحاب ويعرض عليهم مشهد المحسنين الآمنين من ذلك الفزع والمسيئين كبت وجوههم في النار.

فوائد وأسئلة تدبرية:

- في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ، طلوع الشمس من مغربها والدخان ودابة الأرض) رواه البخاري ومسلم

- قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا) رواه مسلم.
- إذا ظهرت علامة من علامات الساعة الكبرى فإن أخواتها تتبعها كتتابع الخرز في النظام يتبع بعضها بعضا .
- عند فساد الناس وتركهم لأوامر ربهم وتبديلهم الدين الحق عند ذلك يقع عليهم القول أي يجب عليهم الوعيد لتماديهم في العصيان والفسوق والطغيان وإعراضهم عن آيات الله وتركهم تدبرها فإذا صاروا كذلك أخرج الله لهم دابة من الأرض تعقل وتنطق وتكلمهم والدواب في العادة لا تعقل ولا تنطق، ليعلم الناس أن ذلك آية من عند الله،قال تعالى: (وإذا وقع القول عليهم......)
- قال ابن مسعود رضي الله عنه: (وقع القول عليهم أي يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن ثم قال أكثروا من تلاوة القرآن قبل أن يرفع، قالوا :هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال ،قال: يسرى عليه ليلا فيصبحون منه فقرا وينسون لا إله إلا الله ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم وذلك حين يقع القول عليهم.
- يقول سيد قطب رحمه الله: إن النص القرآني والأحاديث الصحيحة تفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة وأنه إذا انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة وحق القول على الباقين فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك وإنما يقضى عليهم بما هم عليه عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم والدواب لا تتكلم أو لا يفهم الناس عنها ولكنهم اليوم يفهمون ويعلمون خارقة المنبئة بقرب الساعة .
- ومما يلاحظ أن سورة النمل التي وردت فيها مشاهد حوار وأحاديث بين طائفة من الحشرات والطير والجن وسليمان عليه السلام فجاء ذكر الدابة التي تكلم الناس متناسقا مع جو السورة.

  وقد كثر الكلام في تعيين نوع الدابة وما هي،وكلها لا دليل صحيح عليها.
- من مهامها أنها تخطم أنف الكافر فيكون علامة على كفره وتجلو وجه المؤمن ويكون دليل على إيمانه
- (تابع للمقطع السابق)

٥/(أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أي: من هو الذي يبدأ الخلق وينشئ المخلوقات ويبتدئ خلقها، ثم يعيد الخلق يوم البعث والنشور؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض بالمطر والنبات؟

(أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ) يفعل ذلك ويقدر عليه؟ (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) أي: حجتكم ودليلكم على ما قلتم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وإلا فبتقدير أنكم تقولون: إن الأصنام لها مشاركة له في شيء من ذلك فذلك مجرد دعوى صدقوها بالبرهان، وإلا فاعرفوا أنكم مبطلون لا حجة لكم، فارجعوا إلى الأدلة اليقينية والبراهين القطعية الدالة على أن الله هو المتفرد بجميع التصرفات وأنه المستحق أن تصرف له جميع أنواع العبادات.

٦/ (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) يخبر تعالى أنه المنفرد بعلم غيب السماوات والأرض ،فهذه الغيوب ونحوها اختص الله بعلمها فلم يعلمها ملك مقرب

ولا نبي مرسل، وإذا كان هو المنفرد بعلم ذلك المحيط علمه بالسرائر والبواطن والخفايا فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له.

- ما أحوال المكذبين بالآخرة،وما أثر تكذيبهم بها عليهم؟

ثم أخبر تعالى عن ضعف علم المكذبين بالآخرة منتقلا من شيء إلى ما هو أبلغ منه فقال: (وَمَا يَشْعُرُونَ) أي: وما يدرون (أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) أي: متى البعث والنشور والقيام من القبور أي: فلذلك لم يستعدوا.

(بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) أي: بل ضعف، وقل ولم يكن يقينا، ولا علما واصلا إلى القلب وهذا أقل وأدنى درجة للعلم ضعفه ووهاؤه، بل ليس عندهم علم قوي ولا ضعيف وإنما (هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا) أي: من الآخرة، والشك زال به العلم لأن العلم بجميع مراتبه لا يجامع الشك، (بَلْ هُمْ مِنْهَا) أي: من الآخرة (عَمُونَ) قد عميت عنها بصائرهم، ولم يكن في قلوبهم من وقوعها ولا احتمال بل أنكروها واستبعدوها، ولهذا قال: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ) أي: هذا بعيد غير ممكن قاسوا قدرة كامل القدرة بقدرهم الضعيفة.

(لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا) أي: البعث (نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ) أي: فلم يجئنا ولا رأينا منه شيئا. (إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ) أي: قصصهم وأخبارهم التي تقطع بها الأوقات وليس لها أصل ولا صدق فيها.

فانتقل في الإخبار عن أحوال المكذبين بالإخبار أنهم لا يدرون متى وقت الآخرة ثم الإخبار بضعف علمهم فيها ثم الإخبار بأنه شك ثم الإخبار بأنه عمى ثم الإخبار بإنكارهم لذلك واستبعادهم وقوعه.

وبسبب هذه الأحوال ترحل خوف الآخرة من قلوبهم فأقدموا على معاصي الله وسهل عليهم تكذيب الحق والتصديق بالباطل واستحلوا الشهوات على القيام بالعبادات فخسروا دنياهم وأخراهم.

- ما الأدلة على صدق ما أخبرت به الرسل؟

ثم نبههم على صدق ما أخبرت به الرسل فقال: قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) فلا تجدون مجرما قد استمر على إجرامه، إلا وعاقبته شر عاقبة وقد أحل الله به من الشر والعقوبة ما يليق بحاله.

- بماذا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم تجاه تكذيب المكذبين؟

(وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) أي: لا تحزن يا محمد على هؤلاء المكذبين وعدم إيمانهم، فإنك لو علمت ما فيهم من الشر وأنهم لا يصلحون للخير، لم تأس ولم تحزن، ولا يضق صدرك ولا تقلق نفسك بمكرهم فإن مكرهم سيعود عاقبته عليهم، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ .

- من سفاهة المكذبين استعجالهم بالعذاب .كيف ذلك.وبماذا أمر الله رسوله أن يرد عليهم؟

ويقول المكذبون بالمعاد وبالحق الذي جاء به الرسول مستعجلين للعذاب: (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وهذا من سفاهة رأيهم وجهلهم فإن وقوعه ووقته قد أجله الله بأجله وقدره بقدر، فلا يدل عدم استعجاله على بعض مطلوبهم.

ولكن - مع هذا- قال تعالى محذرا لهم وقوع ما استعجلوه: (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ) أي: قرب منكم وأوشك أن يقع بكم (بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) من العذاب.

- نبه الله تعالى على سعة جوده وكثرة أفضاله فما الذي ينبغي تجاه ذلك؟

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ) ينبه عباده على سعة جوده وكثرة أفضاله ويحثهم على شكرها، ومع هذا فأكثر الناس قد أعرضوا عن الشكر واشتغلوا بالنعم عن المنعم.

- ما المعين على مراقبة الله والخوف منه؟

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ) أي: تنطوي عليه (صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) فليحذروا من عالم السرائر والظواهر وليراقبوه.

(وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) أي: خفية وسر من أسرار العالم العلوي والسفلي (إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان ويكون إلى أن تقوم الساعة، فكل حادث يحدث جلي أو خفي إلا وهو مطابق لما كتب في اللوح المحفوظ.

- ما أعظم نعم الله علينا.وبماذا امتاز؟

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) وهذا خبر عن هيمنة القرآن على الكتب السابقة وتفصيله وتوضيحه، لما كان فيها قد وقع فيه اشتباه واختلاف عند بني إسرائيل فقصه هذا القرآن قصا زال به الإشكال وبين به الصواب من المسائل المختلف فيها. وإذا كان بهذه المثابة من الجلالة والوضوح وإزالة كل خلاف وفصل كل مشكل كان أعظم نعم الله على العباد ولكن ما كل أحد يقابل النعمة بالشكر.

- من الذين ينتفعون بالقران وبنوره وهداه؟

بين أن نفعه ونوره وهداه مختص بالمؤمنين فقال: (وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) .

(وَإِنَّهُ لَهُدًى) من الضلالة والغي والشبه (وَرَحْمَةٌ) تنثلج له صدورهم وتستقيم به أمورهم الدينية والدنيوية (لِلْمُؤْمِنِينَ) به المصدقين له المتلقين له بالقبول المقبلين على تدبره المتفكرين في معانيه، فهؤلاء تحصل لهم به الهداية إلى الصراط المستقيم والرحمة المتضمنة للسعادة والفوز والفلاح.

- متى يكون الحكم العدل والقضاء القسط في الأمور التي حصل فيها اشتباه في الدنيا؟

(إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) أي: إن الله تعالى سيفصل بين المختصين وسيحكم بين المختلفين بحكمه العدل وقضائه القسط، فالأمور وإن حصل فيها اشتباه في الدنيا بين المختلفين لخفاء الدليل أو لبعض المقاصد فإنه سيبين فيها الحق المطابق للواقع حين يحكم الله فيها، (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذي قهر الخلائق فأذعنوا له، (الْعَلِيمُ) بجميع الأشياء (الْعَلِيمُ) بأقوال المختلفين وعن ماذا صدرت وعن غاياتها ومقاصدها وسيجازي كلا بما علمه فيه.

- بماذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في جلب المنافع ودفع المضار؟

(فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ () إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ () وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ) أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار وفي تبليغ الرسالة وإقامة الدين وجهاد الأعداء. (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ) الواضح والذي على الحق يدعو إليه، ويقوم بنصرته أحق من غيره بالتوكل فإنه يسعى في أمر مجزوم به معلوم صدقه لا شك فيه ولا مرية. وأيضا فهو حق في غاية البيان لا خفاء به ولا اشتباه.

- هل يضر الرسول صلى الله عليه وسلم ضلال الضال بعد أن يدعوه؟

وإذا قمت بما حملت وتوكلت على الله في ذلك فلا يضرك ضلال من ضل وليس عليك هداهم فلهذا قال: (إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ) أي: حين تدعوهم وتناديهم، وخصوصا (إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) فإنه يكون أبلغ في عدم إسماعهم.
(وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ) أي: هؤلاء الذين ينقادون لك، الذين يؤمنون بآيات الله وينقادون لها بأعمالهم واستسلامهم.

- ذكر الله في هذه الآيات علامة من علامات الساعة الكبرى،ما هي؟

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ) أي: إذا وقع على الناس القول الذي حتمه الله وفرض وقته. (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً) خارجة (مِنَ الأَرْضِ) أو دابة من دواب الأرض ليست من السماء. وهذه الدابة (تُكَلِّمُهُمْ) أي: تكلم العباد أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، أي: لأجل أن الناس ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله، فإظهار الله هذه الدابة من آيات الله العجيبة ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون.

وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث ولم يأت دليل يدل على كيفيتها ولا من أي: نوع هي وإنما دلت الآية الكريمة على أن الله يخرجها للناس وأن هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه والله أعلم

- ما حال المكذبين في موقف القيامة؟

(وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ () حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ () وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ) يخبر تعالى عن حالة المكذبين في موقف القيامة وأن الله يجمعهم، ويحشر من كل أمة من الأمم فوجا وطائفة (مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ) يجمع أولهم على آخرهم وآخرهم على أولهم ليعمهم السؤال والتوبيخ واللوم.
(حَتَّى إِذَا جَاءُوا) وحضروا قال لهم موبخا ومقرعا: (أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا) العلم أي: الواجب عليكم التوقف حتى ينكشف لكم الحق وأن لا تتكلموا إلا بعلم، فكيف كذبتم بأمر لم تحيطوا به علما؟
(أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أي: يسألهم عن علمهم وعن عملهم فيجد عليهم تكذيبا بالحق، وعملهم لغير الله أو على غير سنة رسولهم.
(وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا) أي: حقت عليهم كلمة العذاب بسبب ظلمهم الذي استمروا عليه وتوجهت عليهم الحجة، (فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ) لأنه لا حجة لهم.

- من نعم الله العظيمة الليل والنهار كيف سخرها الله لنا؟

(أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أي: ألم يشاهدوا هذه الآية العظيمة والنعمة الجسيمة وهو تسخير الله لهم الليل والنهار، هذا بظلمته ليسكنوا فيه ويستريحوا من التعب ويستعدوا للعمل، وهذا بضيائه لينتشروا فيه في معاشهم وتصرفاتهم. (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) على كمال وحدانية الله وسبوغ نعمته.

- بين الله في هذه الآيات بعض من أهوال يوم القيامة، فما هي؟

(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ () وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) يخوف تعالى عباده ما أمامهم من يوم القيامة وما فيه من المحن والكروب، ومزعجات القلوب فقال: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ) بسبب النفخ فيه (مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) أي: انزعجوا وارتاعوا وماج بعضهم ببعض خوفا مما هو مقدمة له. (إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) ممن أكرمه الله وثبته وحفظه من الفزع. (وَكُلٌّ) من الخلق عند النفخ في الصور (أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) صاغرين ذليلين،ففي ذلك اليوم يتساوى الرؤساء والمرءوسون في الذل والخضوع لمالك الملك.

ومن هوله أنك (تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً) لا تفقد شيئا منها وتظنها باقية على الحال المعهودة وهي قد بلغت منها الشدائد والأهوال كل مبلغ وقد تفتت ثم تضمحل وتكون هباء منبثا. ولهذا قال: (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) من خفتها وشدة ذلك الخوف وذلك (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) فيجازيكم بأعمالكم.

- كيف يجازي الله الناس؟

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ () وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ()) ثم بين كيفية جزائه فقال: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) اسم جنس يشمل كل حسنة قوليه أو فعلية أو قلبية (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) هذا أقل التفضيل .

(وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) أي: من الأمر الذي فزع الخلق لأجله آمنون وإن كانوا يفزعون معهم.

(وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) اسم جنس يشمل كل سيئة (فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) أي: ألقوا في النار على وجوههم ويقال لهم: (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

- أمر الله رسوله في هذه الآيات بعدة أوامر .ما هي؟

(إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ () وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ () وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) أي: قل لهم يا محمد (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ) أي: مكة المكرمة التي حرمها وأنعم على أهلها فيجب أن يقابلوا ذلك بالشكر والقبول. (وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) من العلويات والسفليات أتى به لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته بالبيت وحده. (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أي: أبادر إلى الإسلام، وقد فعل صلى الله عليه وسلم فإنه أول هذه الأمة إسلاما وأعظمها استسلاما.

(و) أمرت أيضا (أن أَتْلُوَ) عليكم (الْقُرْآنُ) لتهتدوا به وتقتدوا وتعلموا ألفاظه ومعانيه فهذا الذي علي وقد أديته، (فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) نفعه يعود عليه وثمرته عائدة إليه (وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ) وليس بيدي من الهداية شيء.

(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) الذي له الحمد في الأولى والآخرة ومن جميع الخلق، خصوصا أهل الاختصاص والصفوة من عباده، فإن الذي ينبغي أن يقع منهم من الحمد والثناء على ربهم أعظم مما يقع من غيرهم لرفعة درجاتهم وكمال قربهم منه وكثرة خيراته عليهم.

(سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) معرفة تدلكم على الحق والباطل، فلا بد أن يريكم من آياته ما تستنيرون به في الظلمات. لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ

(وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بل قد علم ما أنتم عليه من الأعمال والأحوال وعلم مقدار جزاء تلك الأعمال وسيحكم بينكم حكما تحمدونه عليه ولا يكون لكم حجة بوجه من الوجوه عليه.

لمسات بيانية:

- آية (٧٢) :
  - (قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) النمل) وقوله (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) الأنبياء) وقوله تعالى (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) مريم) فهل هناك لمسة بيانية بين الردف والورود؟ (د.فاضل السامرائى)

ردف معناه لحق ووصل يعني عسى أن يكون لحق بكم هذا الشيء، (ردِف) فعل ماضي.
هناك رِدف ورديف الرديف هو خلف الراكب "كنت ردف النبي" الرديف هو الذي يكون خلف الراكب.

  - سؤال: هل كانت العرب غير المؤمنة تفهم هذا عندما تسمع القرآن؟

هذا كلامهم هم إذا تكلموا، العرب فهموا هذا لكنه آمن منهم من آمن وجحد بها من استيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا (١٤) النمل) (فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) الأنعام) كانوا يعلمون وإذا شاعر فاخرهم يفاخرونه ويذهبون لمن يحكم بينهم، مفاخرات موجودة لكن لماذا سكتوا عند القرآن. السمة العامة عند العرب آنذاك أنهم كلهم فصحاء كلٌ يتكلم بقبيلته إلا الذين اختلطوا بالتجارة والأجانب مثلنا الآن بدأت كلماتنا تختلط لأن اختلاطنا بخلقٍ كثير وألسنة متعددة فحتى نفهمهم ويفهمونا لا بد أن نغيّر من كلماتنا.

- آية (٧٦) :
  - كلمة يختلفون وتختلفون وردت في القرآن في مواضع كثيرة (فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) البقرة) (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) السجدة) (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) النمل) ما كُنه الاختلاف؟ (د.فاضل السامرائى)

كنه الاختلاف هنا هو الاختلاف في أمر العقيدة بين الملل المختلفة أو بين أهل الملّة الواحدة.

مثال: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) البقرة) المسألة هنا فى العقيدة والاختلاف في العقيدة بين ملل مختلفة.

مثال: (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) النحل) هنا ملة واحدة، الاختلاف فى العقيدة بين أهل ملة واحدة.

مثال: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) النمل).

مثال: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) الزمر) اعتقاد، خلاف في أمر المعبود.

مثال: (وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) الزخرف) إذن عموم الاختلاف المذكور هو في الاعتقاد بين أهل الملل المختلفة أو أهل الملة الواحدة.

- آية (٨١) :
  - لماذا وردت كلمة يهتدي بالياء في سورة النمل وبدون ياء في سورة الروم؟ (د.فاضل السامرائى)

قال تعالى في سورة النمل (وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ {٨١}) بذكر الياء وقال في سورة الروم (وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ {٥٣}) بحذف الياء، أولاً نقول أن خط المصحف لا يُقاس عليه لكن مع هذا فهناك أمور أُخرى هنا فلو لاحظنا لفظ الهداية في سورة النمل لوجدنا أنها تكررت ٩ مرات بينما وردت في سورة الروم مرتين فقط فلما زاد ذكر كلمة الهداية في سورة النمل زاد في مبنى الكلمة للدلالة على زيادة السمة التعبيرية والتكرار،

- آية (٨٨) :
  - القرآن الكريم يستخدم يصنعون ويفعلون ويعملون فما اللمسة البيانية في هذه الأفعال؟ (د.فاضل السامرائى)

الفعل عام يقع من الإنسان والحيوان والجماد وهو أعم شيء فعل الماء، فعل الرياح، وهو بقصد أو بغير قصد. العمل أخص من الفعل ويكون بقصد ولذلك قلّما يُنسب إلى الحيوان. العرب لم تقله في الحيوان إلا في البقر العوامل التي تحرث قصد الحرث، إذن العمل أخص من الفعل وينسب للإنسان وقلما ينسب إلى الحيوان. الصنع إجادة الفعل وهو أخص من العمل لا ينسب إلى حيوان ولا ينسب إلى جماد وليس كل عمل صنع حتى تحسن العمل (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) النمل) إذن هو أخص من العمل. عندما يستخدم القرآن (بما يصنعون) أي يحاولون ويدبّرون ويتقنون ماذا يفعلون، يأخذون الحيطة ماذا نفعل لو قال كذا ماذا نصنع؟ هذا الصنع مدبّر إذن الصنع إجادة العمل. إذن كل فعل بحسب الآية التي ورد فيها في القرآن الكريم لكن بشكل عام الفعل أعم ويقع بقصد أو بغير قصد والعمل أخص من العمل ويكون بقصد ويُنسب للإنسان والصنع إجادة العمل. اللغة العربية دقيقة إلى هذا الحد وهناك خلاف بين اللغويين أن هناك ترادف في القرآن أو لا، قسم يقول في القرآن ترادف وقسم يقول هي لغات، الترادف مثل المدية والسكين كلمتان تدلان على دلالة واحدة ويقولون أسماء السيف ليس مترادفة وإنما هي صفات اسمه السيف والباقي صفات مثل الحسام، وكذلك أسماء الأسد كلها صفات والإسم هو الأسد والصفات تكون في

وجهه ومشيته، غضنفر صفة وليس كل أسد غضنفر، القسورة من القسر يقسر الفريسة يأخذها قسراً بقوة وشدة وعنف. في التفسير قد تفسر كلمة بكلمة بما هو أوضح للسائل ولا يجوز بيانياً أن تحل كلمة مكان كلمة في القرآن أما في الكلام العادي العام فيجوز وكل كلمة في القرآن لها مكانها المناسب الذي وضعت فيه ولا يجوز تبديلها حتى بكلمة تقاربها في الدلالة. توفاهم وتتوفاهم مع أنهما نفس اللفظة وكلاهما فعل مضارع لو أردنا أن نستبدل في كلام الناس نفعل لكن في القرآن لا يمكن لأن هناك سبباً قال في مكان توفاهم وفي مكان آخر تتوفاهم.

- ما اللمسة البيانية في تقديم العمل أو الفعل على الخبرة علماً أنه في آيات أخرى يقدم الخبرة على العمل ؟ (د.فاضل السامرائى)

هنالك قانون في القرآن أن الكلام إذا كان على الإنسان أو على عمله يقدم عمله وإذا لم يكن الكلام على الإنسان أو كان الكلام على الله أو على الأمور القلبية يقدم الخبرة (خبير بما تعملون). (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ (٨٨) النمل) الكلام عن الله وليس على الإنسان قال في ختامها (إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)، (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) النور) هذه أمور قلبية (قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) النور) هذا أمر يعرفه الله. بينما (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) الحديد) هذا كله عمل فقال (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) إذن هذه القاعدة العامة ظاهرة.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

ابتدأت هذه السورة الكريمة بذكر القرآن الكريم، وهو المعجزة الخالدة تحداهم الله عز وجل أن يأتوا بمثله وهم أرباب الفصاحة والبيان فعجزوا، وهذا خير دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وختمت هذه السورة المباركة بذكر القرآن الكريم حيث أمره الله تعالى أن يتلو القرآن ففيه الهدى والنجاة لمن أراد النجاة في الآخرة، أما من يضل عن الطريق فلا يملك من أمرهم إلا أن يقول: ما أنا إلا نذير مبين.

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة القصص ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســورة القصص

بين يدي السورة:

- تسمى سورة القصص لأنها تناولت الكثير من القصص وخصوصاً قصص موسى عليه السلام وقومه.
- نلاحظ أن سورتين في القرآن الكريم تبدآن بطريقة متشابهة، هما سورتا يوسف عليه السلام وسور القصص، وفي كلتا السورتين تركيز على قصة أساسية تتخللها قصص فرعية تشكل جوانباً رئيسة في القصة الأساسية، مع الفارق بينهما.
- سورة القصص إحدى السور المثاني.
- سورة القصص سورة مكية.
- محور السورة: إبراز الصراع بين الحق والباطل، وأن العاقبة للحق وأهله.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

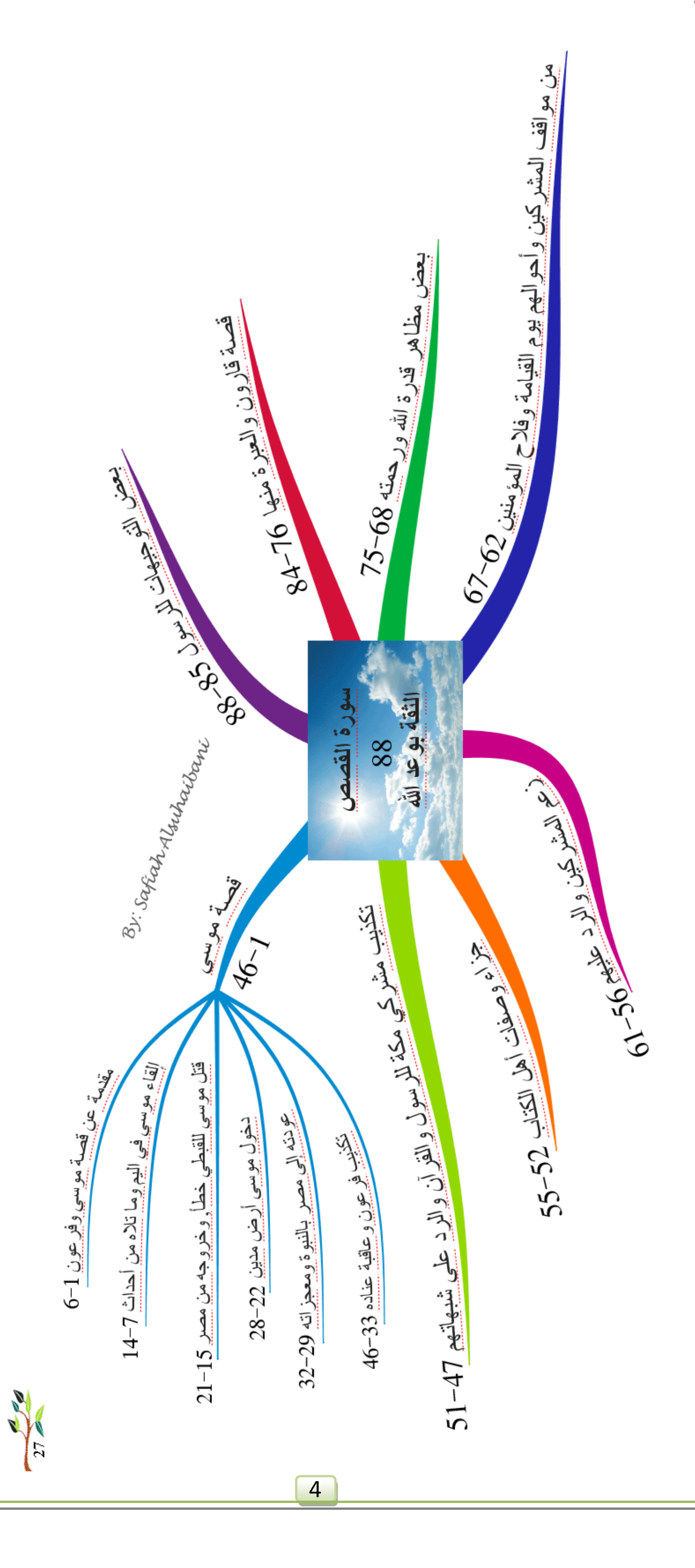
- مناسبة سورة القصص لما قبلها ظاهرة، وهو اشتمالها على شرح بعض ما أجمل في سورة النمل وسورة الشعراء معاً من أمر موسى عليه السلام.
- ومناسبة أخرى وهي قوله تعالى في آخر النمل (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها) إلى آخر السورة، وفيها ذكر حرمة مكة المكرمة، والتهديد والوعيد لكفار قريش الذين لم يراعوا حرمتها، ففيها إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم سيفتح مكة، فتعود حراماً كما كانت. والمناسبة هي أن ذكر نصر الله تعالى لموسى على فرعون وقومه في أول سورة القصص، يناسب الوعد للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة في آخر سورة النمل.
- ومناسبة أخرى وهي بين قوله تعالى في آخر النمل (وأن أتلوا القرءان) أي: ليسمعوا ما جرى لمن كفر وطغى وكيف كانت عاقبته، وبين قوله في أول القصص (نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقومٍ يؤمنون) فكأنه قيل لهم: لستم أكثر قوة وجبروتاً من فرعون وقومه، وليس أتباع النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بأضعف من بني إسرائيل في عصر فرعون حين كان يعذبهم، فهلا تأملتم عاقبة الفريقين وسلكتم أنهج الطريقين.

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

- سورة النمل وسورة القصص مكيتان، والسورتان تكملان ما ورد من قصص الأنبياء في سورة الشعراء، وفي كل سورة زيادة تفصيل في جانب من الجوانب.

- افتتحت سورة القصص بعد الحروف المقطعة بقوله تعالى (تلك ءايات الكتاب المبين) أما سورة النمل فقد افتتحت بعد الرسوم "تلك ءايات القرآن وكتاب مبين) وبعد النظر في السورتين يتبين أن سورة النمل فيها إشارة للقرآن الكريم أكثر مما في سورة القصص، وفي سورة القصص إشارة للكتاب أكثر مما في سورة النمل ولعله من أسباب الاختلاف بين فاتحتي السورتين.

محاور السورة:



المقطع الأول: من الآية (١) إلى الآية (٢٨)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (١ – ٦) طغيان فرعون وإفساده، ووعد الله تعالى بإنقاذ المضطهدين، وتوعّده بعقوبة المفسدين.
- الآيات (٧ – ١٣) ميلاد موسى عليه السالم، ونجاته من القتل. هذا المقطع يكمل القصة، ويتحدث هنا عن ميلاد موسى عليه السالم، وخوف أمه من أن يقتله أتباع فرعون، وكيف نجّاه الله تعالى منهم.
- الآيات (١٤ – ٢١) قتل القبطي خطأ، ثم الخروج إلى مدين. هنا متابعة لقصة موسى عليه السالم، والحديث هنا عن شباب موسى عليه السلام وحادثة قتل القبطي، ثم توبة موسى عليه السلام واستغفاره، ثم الطاردة ومحاولة القتل، وصولاً إلى هروب موسى عليه السلام من المدينة.
- الآيات (٢٢ – ٢٨) اللجوء إلى مدين، والزواج من ابنة الرجل الصالح. ولا يزال الحديث حول شباب موسى عليه السلام ولجوئه إلى مدين، ثم تعرّفه على الرجل الصالح، الذي عرض عليه العمل أجيراً مقابل الزواج من إحدى ابنتيه.

فوائد وأسئلة تدبرية:

- أحيانا ترى أناسا عندهم قوة تحمل وتجدهم صامدين عند الحوادث، وأناس مقاومتهم وقوتهم هشة وضعيفة وينهارون عند أتفه الحوادث. فمن الذي يعطي قوة التحمل ؟
  الله جل جلاله فالله تعالى هو الذي يربط على القلب ويثبت ويطمئن من؟ المؤمن.
- متى يتضح قوة إيمانك؟ عند المصائب أول ما تقع المصيبة كيف حالك؟ هنا تحدد قوة إيمانك من عدمها.

المصيبة حتى لو كانت في أي شيء هل تحمد الله على قضائه وتصبر وتعلم أن ما أصابك خير لك فقضاء الله كله خير لأنه الحكيم الخبير يعلم ما يصلح لنا حتى ولو كان ظاهره سوء ولكنه فيه خير لا تعلم به، فأولياء الله وأصفيائه هم الذين يربط الله على قلوبهم ويثبتهم.

- أولياء الله يحفظهم الله وييسر لهم أمورهم ومصالحهم ويثبتهم ربهم ويطمئنهم ويصرف عنهم السوء والمعاصي والفحشاء بحفظه لهم من الفتن . ويرضيهم ويكونون في أسعد حال ..فأحذر أولياء الله من أن تؤذيهم لو بقول أو برأي أو بأدنى أذى وأنت لا تشعر لأن الله قال في الحديث القدسي (من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب) ويثبتهم الله ويربط على قلوبهم عند المصائب حتى يحفظ لهم دينهم ودنياهم.
- إبراهيم عليه السلام عندما أراد قومه أن يرموه في النار وأثناء رميهم في الطريق جاءه جبريل عليه السلام فقال:هل لك حاجة ؟ قال: منك لا ،ولكن حسبي الله ونعم الوكيل. ربط الله على قلبه وثبته إلى أن توكل وفوض أمره إلى الله.

- وأصحاب الكهف الفتية ليسوا شيوخا وليسوا كهولا متعلمين هؤلاء الفتية تركوا أقرانهم ومن في سنهم وترك هؤلاء ليس بهين وأعلى من ذلك تركوا والديهم ،اعتزلوا الناس جميعا، يحتاج ذلك إلى قلب على يقين بلقاء الله رب العالمين قال تعالى: (وربطنا على قلوبهم)
- حاجة الإنسان إلى ربه في كل أحواله حاجة ملحة .
- وأيضا مؤمن آل ياسين يقول السدي: أنهم دفنوه وهو حي وهو يقول لا إله إلا الله يقول إني آمنت بربكم فاسمعون.....) إذا لم تكمل الآية تحزن عليه ولكن إذا أكملت الآية فرحت وتمنيت مثله(قيل ادخل الجنة ...)
- أيضا أم موسى عليه السلام (وأوحينا إلى أم موسى ...)
- الإيحاء يكون لمن؟ هل يكون للملائكة ؟ نعم (إذ يوحي ربك للملائكة....)
- هل يكون للحشرات؟(وأوحى ربك إلى النحل)
- هل يكون للجماد؟ نعم(بأن ربك أوحى لها)
- ويكون لغير الرسل والأنبياء؟ (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني) كيف لا تخافي ولا تحزني ؟وعدها الله برده إليها وبجعله من المرسلين.
- (أصبح فؤاد أم موسى فارغا) فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى ،عندما تهتم من شيء كيف يكون حالك؟ما تذكر إلا ذلك الشيء. حتى كادت تبدي وتخبر فرعون أنه ولدها هذا يدل على فراغ قلبها لكن الله ربط على قلبها حتى تصبح من المؤمنين فالله يربط على قلوب أوليائه بالتثبت والتطمن. هذا دليل على أن من يجزع ولا يصبر ويستمر في ذلك يدل على قلة إيمانه وضعفه.
- إذا رأيت أحداً مكلوماً فادع له اللهم اربط على قلبه ليكون من المؤمنين، لأن الله يربط على قلوب المؤمنين.
- ماذا بينت آيات الكتاب؟

(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ*نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق) (تِلْكَ) الآيات المستحقة للتعظيم والتفخيم (آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) لكل أمر يحتاج إليه العباد، من معرفة ربهم، ومعرفة حقوقه، ومعرفة أوليائه وأعدائه، ومعرفة وقائعه وأيامه، ومعرفة ثواب الأعمال، وجزاء العمال، فهذا القرآن قد بينها غاية التبيين، وجلاها للعباد، ووضحها.

ومن جملة ما أبان، قصة موسى وفرعون، فإنه أبداها، وأعادها في عدة مواضع، وبسطها في هذا الموضع فقال: (نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) فإن نبأهما غريب، وخبرهما عجيب.

- لمن سيق الخطاب ووجه الكلام ،ولماذا؟

(لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) فإليهم يساق الخطاب، ويوجه الكلام، حيث إن معهم من الإيمان، ما يقبلون به على تدبُّر ذلك، وتلقِّيه بالقبول والاهتداء بمواقع العبر، ويزدادون به إيمانا ويقينا، وخيرا إلى خيرهم، وأما من عداهم، فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم، وصانه اللّه عنهم، وجعل بينهم وبينه حجابا أن يفقهوه.

- بماذا ابتدأ الله هذه القصة في هذه السورة؟

فأول هذه القصة (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ) في ملكه وسلطانه وجنوده وجبروته، فصار من أهل العلو فيها، لا من الأعلين فيها.

(وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) أي: طوائف متفرقة، يتصرف فيهم بشهوته، وينفذ فيهم ما أراد من قهره، وسطوته.

- من الطائفة التي استضعفها فرعون ؟وكيف كان يعاملهم؟

(يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ) وتلك الطائفة، هم بنو إسرائيل، الذين فضلهم الله على العالمين، الذين ينبغي له أن يكرمهم ويجلهم، ولكنه استضعفهم، بحيث إنه رأى أنهم لا منعة لهم تمنعهم مما أراده فيهم، فصار لا يبالي بهم، ولا يهتم بشأنهم، وبلغت به الحال إلى أنه (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ) خوفا من أن يكثروا، فيغمروه في بلاده، ويصير لهم الملك.

(إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) الذين لا قصد لهم في إصلاح الدين، ولا إصلاح الدنيا، وهذا من إفساده في الأرض.

- بماذا امتن الله على المستضعفين وماذا أرى الله فرعون وهامان وجنودهم؟

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ)بأن نزيل عنهم مواد الاستضعاف، ونهلك من قاومهم، ونخذل من ناوأهم. (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً)في الدين، وذلك لا يحصل مع استضعاف، بل لا بد من تمكين في الأرض، وقدرة تامة، (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) للأرض، الذين لهم العاقبة في الدنيا قبل الآخرة.

(وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ) فهذه الأمور كلها، قد تعلقت بها إرادة الله، وجرت بها مشيئته.

(و) كذلك نريد أن (نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ) وزيره وَجُنُودَهُمَا التي بها صالوا وجالوا، وعلوا وبغوا مِنْهُمْ أي: من هذه الطائفة المستضعفة. مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ من إخراجهم من ديارهم، ولذلك كانوا يسعون في قمعهم، وكسر شوكتهم، وتقتيل أبنائهم، الذين هم محل ذلك، فكل هذا قد أراده الله.

- إذا أراد الله أمرا سهل أسبابه ونهج طرقه حتى وإن أراد منعه من أراد فكيف حفظ الله موسى في صغره من بطش فرعون وجنده؟

وإذا أراد أمرا سهل أسبابه، ونهج طرقه، وهذا الأمر كذلك، فإنه قدر وأجرى من الأسباب - التي لم يشعر بها لا أولياؤه ولا أعداؤه- ما هو سبب موصل إلى هذا المقصود.

فأول ذلك، لما أوجد الله رسوله موسى، الذي جعل استنقاذ هذا الشعب الإسرائيلي على يديه وبسببه، وكان في وقت تلك المخافة العظيمة، التي يذبحون بها الأبناء، أوحى إلى أمه أن ترضعه، ويمكث عندها.

(فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ) بأن أحسست أحدا تخافين عليه منه أن يوصله إليهم، (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) أي نيل مصر، في وسط تابوت مغلق، (وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) فبشرها بأنه سيرده عليها، وأنه سيكبر ويسلم من كيدهم، ويجعله الله رسولا.

- لماذا قدم لأم موسى البشارة قبل أن تفعل ما أمرت به؟

وهذا من أعظم البشائر الجليلة، وتقديم هذه البشارة لأم موسى، ليطمئن قلبها، ويسكن روعها، فإنها خافت عليه، وفعلت ما أمرت به، ألقته في اليم، فساقه الله تعالى.

- هل ينجي حذر من قدر ؟وكيف كانت المقدمة للظهور؟

(فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ) فصار من لقطهم، وهم الذين باشروا وجدانه، (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) أي: لتكون العاقبة والمآل من هذا الالتقاط، أن يكون عدوا لهم وحزنا يحزنهم، بسبب أن الحذر لا ينفع من

القدر، وأن الذي خافوا منه من بني إسرائيل، قيض الله أن يكون زعيمهم، يتربى تحت أيديهم، وعلى نظرهم، وبكفالتهم.

وعند التدبر والتأمل، تجد في طي ذلك من المصالح لبني إسرائيل، ودفع كثير من الأمور الفادحة بهم، ومنع كثير من التعديات قبل رسالته، بحيث إنه صار من كبار المملكة.

وبالطبع، إنه لا بد أن يحصل منه مدافعة عن حقوق شعبه هذا، وهو هو ذو الهمة العالية والغيرة المتوقدة، ولهذا وصلت الحال بذلك الشعب المستضعف - الذي بلغ بهم الذل والإهانة إلى ما قص الله علينا بعضه - أن صار بعض أفراده، ينازع ذلك الشعب القاهر العالي في الأرض، كما سيأتي بيانه.

وهذا مقدمة للظهور، فإن الله تعالى من سنته الجارية، أن جعل الأمور تمشي على التدريج شيئا فشيئا، ولا تأتي دفعة واحدة.

(إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) أي: فأردنا أن نعاقبهم على خطئهم ونكيد هم، جزاء على مكرهم وكيدهم.

- ما موقف امرأة فرعون من موسى بعد التقاطه؟

فلما التقطه آل فرعون، حنَّن الله عليه امرأة فرعون الفاضلة الجليلة المؤمنة « آسية بنت مزاحم وَقَالَتِ هذا الولد (قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ) أي: أبقه لنا، لِتقرَّ به أعيننا، ونسر به في حياتنا.

(عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) أي: لا يخلو، إما أن يكون بمنزلة الخدم، الذين يسعون في نفعنا وخدمتنا، أو نرقيه منزلة أعلى من ذلك، نجعله ولدا لنا، ونكرمه، ونجله.

فقدَّر الله تعالى، أنه نفع امرأة فرعون، التي قالت تلك المقالة، فإنه لما صار قرة عين لها، وأحبته حبا شديدا، فلم يزل لها بمنزلة الولد الشفيق حتى كبر ونبأه الله وأرسله، فبادرت إلى الإسلام والإيمان به، رضي الله عنها وأرضاها.

قال الله تعالى هذه المراجعات والمقاولات في شأن موسى: وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ما جرى به القلم، ومضى به القدر، من وصوله إلى ما وصل إليه، وهذا من لطفه تعالى، فإنهم لو شعروا، لكان لهم وله، شأن آخر.

- ما حال أم موسى لما فقدته؟

ولما فقدت موسى أمه، حزنت حزنا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا من القلق الذي أزعجها، على مقتضى الحالة البشرية، مع أن الله تعالى نهاها عن الحزن والخوف، ووعدها برده.

(إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) أي: بما في قلبها (لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا)فثبتناها، فصبرت، ولم تبد به. لِتَكُونَ بذلك الصبر والثبات مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فإن العبد إذا أصابته مصيبة فصبر وثبت، ازداد بذلك إيمانه، ودل ذلك، على أن استمرار الجزع مع العبد، دليل على ضعف إيمانه.

- بماذا أمرت أم موسى أخته؟

(وَقَالَتْ) أم موسى (لأُخْتِهِ قُصِّيهِ) أي: اذهبي فقصي الأثر عن أخيك وابحثي عنه من غير أن يحس بك أحد أو يشعروا بمقصودك فذهبت تقصه (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) أي: أبصرته على وجه، كأنها مارة لا قصد لها فيه.

وهذا من تمام الحزم والحذر، فإنها لو أبصرته، وجاءت إليهم قاصدة، لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا على ذبحه، عقوبة لأهله.

- كيف كان لطف الله بموسى وأمه؟

ومن لطف اللّه بموسى وأمه، أن منعه من قبول ثدي امرأة، فأخرجوه إلى السوق رحمة به، ولعل أحدا يطلبه، فجاءت أخته، وهو بتلك الحال(فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ).

وهذا جُلُّ غرضهم، فإنهم أحبوه حبا شديدا، وقد منعه اللّه من المراضع فخافوا أن يموت، فلما قالت لهم أخته تلك المقالة، المشتملة على الترغيب، في أهل هذا البيت، بتمام حفظه وكفالته والنصح له، بادروا إلى إجابتها، فأعلمتهم ودلتهم على أهل هذا البيت.

(فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ)كما وعدناها بذلك (كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ) بحيث إنه تربى عندها على وجه تكون فيه آمنة مطمئنة، تفرح به، وتأخذ الأجرة الكثيرة على ذلك، (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) فأريناها بعض ما وعدناها به عيانا، ليطمئن بذلك قلبها، ويزداد إيمانها، ولتعلم أنه سيحصل وعد الله في حفظه ورسالته، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) فإذا رأوا السبب متشوشا، شوش ذلك إيمانهم، لعدم علمهم الكامل، أن اللّه تعالى يجعل المحن الشاقة والعقبات الشاقة، بين يدي الأمور العالية والمطالب الفاضلة، فاستمر موسى عليه الصلاة والسلام عند آل فرعون، يتربى في سلطانهم، ويركب مراكبهم، ويلبس ملابسهم، وأمه بذلك مطمئنة، قد استقر أنها أمه من الرضاع، ولم يستنكر ملازمته إياها وحنوها عليها.

وتأمل هذا اللطف، وصيانة نبيه موسى من الكذب في منطقه، وتيسير الأمر، الذي صار به التعلق بينه وبينها، الذي بان للناس أنه هو الرضاع، الذي بسببه يسميها أُمًّا، فكان الكلام الكثير منه ومن غيره في ذلك كله، صدقا وحقا.

- بماذا أكرم الله موسى وماذا آتاه؟ومتى كان ذلك؟

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) من القوة والعقل واللب، وذلك نحو أربعين سنة في الغالب،) (وَاسْتَوَى) كملت فيه تلك الأمور (آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) أي: حكما يعرف به الأحكام الشرعية، ويحكم به بين الناس، وعلما كثيرا.

(وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) في عبادة اللّه المحسنين لخلق الله، نعطيهم علما وحكما بحسب إحسانهم، ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام.

- ما قصة الرجلين اللذين اقتتلا؟

(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) إما وقت القائلة، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار. فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ أي: يتخاصمان ويتضاربان هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ أي: من بني إسرائيل وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ القبط.

(فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) لأنه قد اشتهر، وعلم الناس أنه من بني إسرائيل.

- على ماذا يدل استغاثة أحد الرجلين بموسى؟

واستغاثته لموسى، دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغا يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة والسلطان.

- كيف كان تصرف موسى مع القبطي الذي هو عدو لهما؟وهل بادر موسى بالتوبة؟

(فَوَكَزَهُ مُوسَى) أي: وكز الذي من عدوه، استجابة لاستغاثة الإسرائيلي،(فَقَضَى عَلَيْهِ) أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها وقوة موسى.

فندم موسى عليه السلام على ما جرى منه، و (قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) أي: من تزيينه ووسوسته، (إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلال.

ثم استغفر ربه (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)خصوصا للمخبتين، المبادرين للإنابة والتوبة، كما جرى من موسى عليه السلام.

- ما وعد موسى عليه السلام بسبب منة الله عليه؟

فـ قالَ موسى (رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) بالتوبة والمغفرة، والنعم الكثيرة، (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا) أي: معينا ومساعدا (لِلْمُجْرِمِينَ) أي: لا أعين أحدا على معصية، وهذا وعد من موسى عليه السلام، بسبب منة اللّه عليه، أن لا يعين مجرما، كما فعل في قتل القبطي. وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر.

- لماذا أصبح موسى في المدينة خائف؟وما الذي حدث وهو على تلك الحال؟

(فـ) لما جرى منه قتل الذي هو من عدوه أَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ هل يشعر به آل فرعون، أم لا؟ وإنما خاف، لأنه قد علم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال سوى موسى من بني إسرائيل.

فبينما هو على تلك الحال فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ على عدوه يَسْتَصْرِخُهُ على قبطي آخر. قَالَ لَهُ مُوسَى موبخا له على حاله إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ أي: بين الغواية، ظاهر الجراءة.

(فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ) موسى (بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا) أي: له وللمخاصم المستصرخ، أي: لم يزل اللجاج بين القبطي والإسرائيلي، وهو يستغيث بموسى، فأخذته الحمية، حتى هم أن يبطش بالقبطي، قَالَ له القبطي زاجرا له عن قتله: (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ) لأن من أعظم آثار الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق. (وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) وإلا فلو أردت الإصلاح لحلت بيني وبينه من غير قتل أحد. فانكف موسى عن قتله، وارعوى لوعظه وزجره.

- ما موقف فرعون عندما شاع ما جرى من موسى وكيف أنقذ الله موسى من كيدهم؟

وشاع الخبر بما جرى من موسى في هاتين القضيتين، حتى تراود ملأ فرعون، وفرعون على قتله، وتشاوروا على ذلك.

وقيض اللّه ذلك الرجل الناصح، وبادرهم إلى الإخبار لموسى بما اجتمع عليه رَأْيُ ملئهم. فقال: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى) أي: ركضا على قدميه من نصحه لموسى، وخوفه أن يوقعوا به، قبل أن يشعر، فـ قَالَ (يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ) أي: يتشاورون فيك (لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ) عن المدينة (إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) فامتثل نصحه.

(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) أن يوقع به القتل، ودعا اللّه، و قَالَ (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فإنه قد تاب من ذنبه وفعله غضبا من غير قصد منه للقتل، فَتَوعُّدُهُمْ له ظلم منهم وجراءة.

- إلى أين توجه موسى بعد خروجه ؟وما الذي جرى له هناك؟

(وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) أي: قاصدا بوجهه مدين، وهو جنوبي فلسطين، حيث لا ملك لفرعون، (قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) أي: وسط الطريق المختصر، الموصل إليها بسهولة ورفق، فهداه الله سواء السبيل، فوصل إلى مدين.

(وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) مواشيهم، وكانوا أهل ماشية كثيرة (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ) أي: دون تلك الأمة (امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) غنمهما عن حياض الناس، لعجزهما عن مزاحمة الرجال وبخلهم، وعدم مروءتهم عن السقي لهما.

قَالَ لهما موسى مَا خَطْبُكُمَا أي: ما شأنكما بهذه الحالة، (قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) أي: قد جرت العادة أنه لا يحصل لنا سقي حتى يصدر الرعاء مواشيهم، فإذا خلا لنا الجو سقينا، (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) أي: لا قوة له على السقي، فليس فينا قوة، نقتدر بها، ولا لنا رجال يزاحمون الرعاء.

فرق لهما موسى عليه السلام ورحمهما فَسَقَى لَهُمَا غير طالب منهما الأجرة، ولا له قصد غير وجه الله تعالى، فلما سقى لهما، وكان ذلك وقت شدة حر، وسط النهار، بدليل قوله: ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ مستريحا لذلك الظلال بعد التعب.

فَقَالَ في تلك الحالة، مسترزقا ربه (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليَّ وتيسره لي. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعيا ربه متملقا. وأما المرأتان، فذهبتا إلى أبيهما، وأخبرتاه بما جرى.

فأرسل أبوهما إحداهما إلى موسى، فجاءته تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ وهذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصا في النساء.

ويدل على أن موسى عليه السلام، لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخادم الذي لا يستحى منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من حسن خلقه ومكارم أخلاقه، ما أوجب لها الحياء منه، فـ قَالَتْ له: إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا أي: لا لِيمُنَّ عليك، بل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان، وإنما قصده أن يكافئك على إحسانك، فأجابها موسى.

(فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) من ابتداء السبب الموجب لهربه، إلى أن وصل إليه قَالَ مسكنا روعه، جابرا قلبه: (لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أي: ليذهب خوفك وروعك، فإن الله نجاك منهم، حيث وصلت إلى هذا المحل، الذي ليس لهم عليه سلطان.

- ما الصفتان اللتان لابد أن تتوفر في الأجير؟

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا) أي: إحدى ابنتيه (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) أي: اجعله أجيرا عندك، يرعى الغنم ويسقيها، (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ) أي: إن موسى أولى من استؤجر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملا بإجارة أو غيرها.

فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل، وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسى عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله تعالى.

- ماذا طلب صاحب مدين من موسى عليه السلام؟وهل أجاب موسى طلبه؟

قَالَ صاحب مدين لموسى (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي) أي تصير أجيرا عندي (ثَمَانِيَ حِجَجٍ) أي: ثماني سنين. (فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ) تبرع منك، لا شيء واجب عليك. (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) فأحتم عشر السنين، أو ما أريد أن أستأجرك لأكلفك أعمالا شاقة، وإنما أستأجرك لعمل سهل يسير لا مشقة فيه سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ فرغبه في سهولة العمل، وفي حسن المعاملة، وهذا يدل على أن الرجل الصالح، ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه، وأن الذي يطلب منه، أبلغ من غيره.

فـ قَالَ موسى عليه السلام - مجيبا له فيما طلبه منه- : (ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ) أي: هذا الشرط، الذي أنت ذكرت، رضيت به، وقد تم فيما بيني وبينك.(أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ) سواء قضيت الثماني الواجبة، أم تبرعت بالزائد عليها (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدنا عليه.

- اشتهر كثيرا أن صاحب مدين هو شعيب عليه السلام .فهل هذا صحيح؟

وهذا الرجل، أبو المرأتين، صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، فإن هذا، قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون، أن شعيبا عليه السلام، قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟

وأيضا، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟ ولو كان ذلك الرجل شعيبا، لذكره الله تعالى، ولسمته المرأتان، وأيضا فإن شعيبا عليه الصلاة والسلام، قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاذ اللّه المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما، وما كان شعيب، ليرضى أن يرعى موسى عنده ويكون خادما له، وهو أفضل منه وأعلى درجة، والله أعلم، إلا أن يقال: هذا قبل نبوة موسى فلا منافاة وعلى كل حال لا يعتمد على أنه شعيب النبي بغير نقل صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

لمسات بيانية:

- آية (٤) :
  - (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) القصص) ما اللمسة البيانية في اختيار لفظ نساءهم تحديداً في مقابل يذبح أبناءهم ولم يقل بناتهم مثلاً؟ (د.فاضل السامرائى)

  هو يستبقي النساء حتى يستخدمهن جواري أو خدم يستفيدون منهن يجعلونهن خادمات وجواري. يبقون النساء فيستفيدون منهن ليخدموهنّ يتسرون بهنّ.

- آية (٦) :
  - (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) القصص) ما هو إعراب (منهم) وما هي اللمسة البيانية في هذه الآية؟ (د.فاضل السامرائى)

إعراب (منهم) جار ومجرور متعلقات بـ (نُرِي) نري فرعون منهم، (منهم) يعود على بني إسرائيل المستضعفين (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)) (منهم) أي من الذين استضعفوا. وأنه هؤلاء الذين استضعفوا في الأرض يُري فرعون وهامان وجنوده منهم ما كانوا يحذرون.

الله تعالى يريد أن يُري فرعون رئيس السلطة والسلطة التنفيذية (هامان) والقوة العسكرية ووزارة الدفاع والملأ الجنود كلهم ما كانوا يحذرون من بني إسرائيل لأنه في الأخبار أن الكهنة قالوا أنه سيلد من بني إسرائيل من يخرب ملك فرعون فبدأ يقتل المولود الذكر ويترك الأنثى فالله تعالى أراد أن يُري من هؤلاء المستضعفين الذين استضعفوا أن يُري المتغطرسين ما كانوا يحذرون بأنه ربّى هذا الشخص الذي يبدد ملكه في بيته وهو موسى□. يريه من هؤلاء المستضعفين ما كانوا يحذرون أنه سوف يلد من بني إسرائيل مولود يهدم ملكه. يريد أن يريهم من هؤلاء المستضعفين ما كانوا يحذرون.

- آية (٧) :
  - (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) القصص) (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ (٣٩) طه) فما الفرق بين الآيتين؟ وما الفرق بين ألقيه واقذفيه؟ (د.فاضل السامرائى)

لم يحدث تناقض، القذف هو إلقاء. نقرأ جزءاً من السياق حتى يتضح الأمر، الأولى في سورة طه (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩))، في سورة القصص (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)) (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠)) القذف هو الرمي والإلقاء والوضع ومن معانيه البُعد ويأتي بمعاني قد يكون بمعنى الإلقاء، القذف له معاني يقولون مفازة يعني قذف، مفازة بمعنى صحراء. أولاً نلاحظ في القصص قال (وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي) ولم يقل هذا الكلام في طه (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ) ثم ذكر أنه ربط على قلبها (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا)، كل هذه كونها لا تخافي ولا تحزني وربطنا على قلبها هذا يستدعي الهدوء في الإلقاء، ربط على قلبها إذن هي تضعه في هدوء، ثم قال (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ) والإرضاع يستدعي القرب وليس البعد. في سورة طه لم يذكر هذه الأمور لا ربط على القلب ولا شيء ولا تطمين. في طه ذكر التابوت (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ) لم يذكر أن الرضيع يلقى في اليم وإنما التابوت هو الذي يقذف، (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ) الضمير يعود على موسى □، (فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ) الضمير يعود على التابوت، إذن موسى محمي، في القصص قال (أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) التابوت يُقذف يقال لها اقذفي التابوت ولكن التابوت محمي لم يقل

اقذفيه في اليم. التابوت يقذف ويرمى أما الإبن فيقال لها ألقيه لا يقال لها اقذفيه، فلما ذكر التابوت ذكر القذف.

- آية (١٠) :
    - ذكرت سابقاً الفرق بين القلب والفؤاد فما دلالة قوله تعالى في سورة القصص (فأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كانت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها)؟ (د.حسام النعيمى)

العرب تستعمل القلب والفؤاد بمعنى واحد ولكن الحديث فرّق بين الإثنين فجعل الفؤاد للغشاء " أرقّ أفئدة وألين قلوباً" فأخذنا بقول "اللسان" أنه يكون الغشاء هو الفؤاد وهذا لا يتعارض مع الآية ففراغ فؤاد أم موسى يتضمن فراغ القلب أيضاً وليس فراغاً حقيقياً وفيه إشارة إلى عدم الإنشغال فهي لم تعد منشغلة. وقوله تعالى (لولا أن ربطنا على قلبها) أي صبّرناها لأن الربط على القلب بمعنى التصبير ، ربط على قلبه أي صبّره هكذا هي في المعجم.

- آية (١٤) :
    - لماذا جاءت كلمة (واستوى) مع موسى عليه السلام في الآية (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) القصص) بينما لم ترد مع يوسف عليه السلام (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) يوسف)؟ (د.فاضل السامرائى)

(واستوى) هنا الكلام على سيدنا موسى (ولما بلغ أشده) على سيدنا يوسف . استوى أي اكتمل شبابه واكتملت قوته، استوى من الاستواء واكتملت قوته البدنية. ذكرها لأنه ذكر ما يدل على القوة وهو أنه وكز واحداً بعضاه فقضى عليه (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا (١٥) القصص) وهذه تدل على قوة وسقى لابنتي الرجل (فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)) (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) القصص)فهذه كلها تدل على الإستواء والقوة في البدن فقال استوى. يوسف ليس فيه حالة قوة ولم يذكر شيئاً يتعلق بالقوة البدنية وإنما فقط بلغ أشده. هناك أمور تقتضي ذكر القوة البدنية. بلغ اشده أي بلغ العمر الذي يختص به واختلفوا فيه كم سنة هل أربعين أو أقل. لما قال استوى يجب أن يكون هناك أمر يتعلق بالاستواء والقوة البدنية. لماذا ذكر الاستواء؟ لأن هناك أمور تدل على القوة البدنية وتمامها ولم يذكر في يوسف ما يتعلق بهذا الأمر لا نعرف إن كان يوسف بهذه القوة ولم يذكر شيئاً فاكتفى عندما بلغ أشده واكتمل شبابه. مع سيدنا موسى ذكر اكتمال القوة البدنية (واستوى) وفي يوسف لم يذكر شيئاً يتعلق بالقوة البدنية وفي موسى ذكر ما يتعلق بالقوة البدنية وهي بحسب السياق. الفيصل في تحديد معنى الكلمة وهو السياق والمعجم يعطيك جملة معاني للمفردة الواحدة تضعها في سياقها وترى الأنسب منها للسياق.

- آية (١٩) :
  - ما اللمسة البيانية في ذكر (أن) في آية سورة القصص وما دلالتها مع أنها لم ترد في آية سورة هود في قصة لوط ولم ترد كذلك في آية سورة يوسف؟ (د.فاضل السامرائى)
    (أن) هذه عند النُحاة زائدة إذا وقعت (أن) بعد لما فهي زائدة أي لا تؤثر على المعنى العام إذا حُذفت.
    لكن الملاحظ هو قوله تعالى (فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩)) فصل بين الفعل وبين (لمّا) (ومعنى لمّا أي في الوقت الذي قرر فيه وقسم يرى أنها حرف وقسم يرى أنها ظرف لكن هي زمنية وتُسمى حينية أي حينما) نلاحظ أنه فصل بين بين لمّا والفعل وهذه الظاهرة موجودة في القرآن وهي في الآية في سورة القصص تدل على أن موسى عليه السلام لم يكن مُندفعاً للبطش فجاءت (أن) للدلالة على أنه لم يكن مندفعاً وللدلالة على الفاصل في الزمن وهي ليست كالحالة الأولى (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥)) استخدم الفاء للدلالة على الترتيب والتعقيب أما في هذه الآية فدلّت على التمهل والتريث..
  - (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) القصص) أليس في الثماني حجج مشقة على سيدنا موسى عليه السلام فكيف قال الرجل الصالح لا أريد أن أشق عليك؟ (د.فاضل السامرائى)
    الآية الكريمة (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)) العقد شريعة المتعاقدين وهذا عقد ولو كان موسى عليه السلام يرى فيه مشقة لطلب تقصير المدة أو طلب فرصة للتفكير فالأمر يعود إلى موسى وليس لسائل السؤال ليس هو صاحب الشأن فالذي يقدر الأمر ويرى إن كان فيه مشقة أو لا هو سيدنا موسى عليه السلام فلو كان يرى أن فيه مشقة لقال اجعلها أربع سنين أو ست أو دعني أفكر وأذكر لك الجواب بعد أيام مثلاً. ثم إن موسى عليه السلام فارّ خرج من قومه خائفاً يترقب لأنه قتل أحدهم (إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) القصص) فوجد زوجة ومسكناً وأماناً هذه نعمة من نعم الله تعالى عليه وليس من المعقول أن القاتل الفارّ يعود لمن يتقاضاه بعد مدة قصيرة ينتظر المدة أن تطول لعلها تُنسى أو يسقط الحكم في هذه المدة. ثم إن الله تعالى ذكرها من باب المنّة على موسى عليه السلام (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤٠)

طه) هذه من المنة يعني أن موسى عليه السلام كان مقراً بهذه المنة وما كان يرى فيها غير ذلك ولم يعتبرها موسى عليه السلام مشقة وإنما اعتبرها مِنّة من الله تعالى ثم صار له غنم ومال. ثم الأمر الظاهر جداً هو أنه قضى أبعد الأجلين كما في الحديث فلو كان يرى فيها مشقة ما كان يقضي أبعد الأجلين (الأبعد هو عشر حجج) لو كان يرى فيها مشقة أو حيف كان يقضي الثمانية ويذهب، لماذا قضى أبعد الأجلين؟ لأن ليس فيها مشقة ووجد حسن المعاملة من هذا الرجل الصالح ومن الراحة ومن السكن ما جعله يقضي أبعد الأجلين وليس فيها مشقة كما تصور السائل. (فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)) موسى عليه السلام قصّ على الرجل الظروف التي دفعته إلى الفرار فقال له لا تخف فرعون ليس له على هذه المدينة سلطة، فالرجل الصالح أمّنه وزوّجه وجعل له عملاً مقابل مدة والمدة ليست بكثيرة وإلا اعترض موسى عليه السلام. حينما قال (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) يقصد بالمشقة أن يختار موسى كما يشاء ولا يريد أن يلزمه الرجل الصالح بالمدة.

- ما معنى حجج في الآية (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ (٢٧) القصص)؟ (د.فاضل السامرائى)

الحجج يعني سنوات وقد ذكرنا الفرق بين السنة والعام والحجة والحول وذكرنا معناها، الحجج معناها سنوات وذكرنا في حينها سبب اختيار ثماني حجج دون ثماني سنوات. قلنا أصل الحجة من الحج القصد والزيارة ومنها حج بيت الله هذا الأصل ثم صارت العبادة المعروفة. الزائر أو الذي يقصد بيت الله لا يلبث والمفروض أن يعود لأهله وبالنسبة لموسى لم تكن مدين دار إقامة، هو فرّ من مصر وفرّ إلى مدين فهي ليست مقر إقامته الدائمة ولذلك استعمل الحجة لأنه كالزائر. لما كان الحج بمعنى القصد والزيارة استعمل حجج لأنه لم يمكث فيها وإنما عاد إلى أهله (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ (٢٩) القصص) كما يعود الحاج الزائر لأهله. الحجة معناها السنة ولكن الأصل معناها القصد والزيارة. لو قيل سنوات ليس بالضرورة أن نفهم أن موسى عليه السلام سيعود.

العرب كانوا يفهمون هذه المعاني وكل لكمة في القرآن لها سياقها ومعناها وهذا الكلام موجود في الكتب ويذكرون الفرق بين السنة والعام ولما يذكر في معنى أصل الحجة يذكرون معنى الزيارة.

المقطع الثاني: من الآية (٢٩) إلى الآية (٥٠)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (٢٩ – ٣٥) بعثة موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وتأييدهما. بعد الحديث عن شباب موسى عليه السلام وتعرّفه على الرجل الصالح، وبعد انتهاء مدة عمله أجيراً وزواجه من المرأة، ينطلق في طريقه عائداً إلى أهله في مصر، حيث يأتيه الوحي من الله تعالى، ويكلف بالرسالة، ويرسل إلى فرعون وملئه لدعوتهم إلى عبادة الله تعالى بعد فسقهم وخروجهم عن طاعته سبحانه وتعالى.
- الآيات (٣٦ – ٤٢) بدء الدعوة، وتكذيب فرعون وجنوده لها ونزل العقاب بهم. بعد تكليف موسى ومعه هارون عليهما السلام بالرسالة، انطلق موسى عليه السلام بالآيات البينات التي أظهرها الله على يديه إلى فرعون ملئه، فكذبوا واستكبروا، فعذبهم الله تعالى وكانت عاقبتهم كعاقبة كل ظالم.
- الآيات (٤٣ – ٥٠) إيتاء الكتاب المقدس لموسى عليه السلام، والقرآن الكريم لمحمد عليه الصلاة والسلام، وتكذيب الكفار لهما. تواصل آيات السورة الحديث عن قصص موسى عليه السلام، فبعد قصة المواجهة مع فرعون وإغراقه وملئه في اليم، تتجه الآيات بالحديث إلى إيتاء التوراة لموسى عليه السالم، والمنة على بني إسرائيل به، وتربط ذلك بإيتاء القرآن الكريم لمحمد صلى الله عليه وسلم، والمنة على مشركي العرب به، وتتحدث الآيات عما لاقاه الكتابان التكذيب من الكفار.

فوائد وأسئلة تدبرية:

- الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ويد الله مع الجماعة، وعليكم بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ،وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، وقال صلى الله عليه وسلم (لو يعلم الناس ما أعلم ما سار راكب بليل وحده) وذلك للمصالح العظيمة في الاجتماع والمخاطر الحسية والمعنوية على المسافر المفرد.
- فلو أن لكل منا لها أخوات أو أخت تثقي بعلمها وورعها تستشيرينها وتأنسين برأيها وأحيانا تشكين همك لها لتصبرك فالجماعة رحمة والإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده لأن هذا يعذبه وهكذا بحث النبي صلى الله عليه وسلم عن الصديق من أول يوم للرسالة وأفضى إليه سره، فتحمل معه الدعوة وكان أحب الناس إليه وكان خير رفيق عنده المعين له في بناء الدولة. لذلك طلب موسى عليه السلام من الله أن يجعل معه معاون ومساند في تبليغ رسالته وهو هارون عليه السلام(وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون)فاستجاب الله له(قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا)
- فإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ فالإنسان ضعيف عندما يكون وحيدا بلا نصير والمرء كثير بإخوانه .
- ولما استشعر موسى عليه السلام ضخامة المسؤولية وتحدي الرسالة العظمى ناشد ربه قائلا (رب اشرح لي صدري) فآتاه الله سؤله وزيادة وشد عضده بهارون أخيه.

- مع أن الله صنعه على عينه وقادر على نصره دون مساعدة أحد لكنها سنة العمل وشرط النجاح الإنساني. والعضد هو ما اتصل بالساعد وهو موضع عضلات الفتوة والقوة الأكبر في الجسم .
- ومهمة الدعوة والإصلاح تحتاج إلى جد واجتهاد ومعاضدة بين الناس.
- متى رجع موسى إلى قومه وبلده؟وهل أتم الأجل الذي بينه وبين رجل مدين؟

(فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ) يحتمل أنه قضى الأجل الواجب، أو الزائد عليه، كما هو الظن بموسى ووفائه، اشتاق إلى الوصول إلى أهله ووالدته وعشيرته، ووطنه، وعلم من طول المدة، أنهم قد تناسوا ما صدر منه. (سَارَ بِأَهْلِهِ) قاصدا مصر.

- أين كلم الله موسى؟ وبماذا أمره؟

(آنَسَ من جانب الطور نارا) أي: أبصر مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا (قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) وكان قد أصابهم البرد، وتاهوا الطريق.

(فلما أتاها نودي يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) فأخبر بألوهيته وربوبيته، ويلزم من ذلك، أن يأمره بعبادته، وتألهه، كما صرح به في الآية الأخرى (فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) .

(وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فألقاها فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ) تسعى سعيا شديدا، ولها سورة مُهِيلة (كَأَنَّهَا جَانٌّ) ذَكَرُ الحيات العظيم، (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) أي: يرجع، لاستيلاء الروع على قلبه، فقال ﷲ له:(يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ) وهذا أبلغ ما يكون في التأمين، وعدم الخوف.

فإن قوله: (أَقْبِلْ) يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله، وهو لم يزل في الأمر المخوف، فقال: (وَلا تَخَفْ) أمر له بشيئين، إقباله، وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال، وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فقال : (إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ) فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه، فأقبل موسى عليه السلام غير خائف ولا مرعوب، بل مطمئنا، واثقا بخبر ربه، قد ازداد إيمانه، وتم يقينه، فهذه آية، أراه ﷲ إياها قبل ذهابه إلى فرعون، ليكون على يقين تام، فيكون أجرأ له، وأقوى وأصلب.

ثم أراه الآية الأخرى فقال: (اسْلُكْ يَدَكَ) أي: أدخلها (فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) فسلكها وأخرجها، كما ذكر ﷲ تعالى.

(وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) أي ضم جناحك وهو عضدك إلى جنبك يزول عنك الرهب والخوف. (فَذَانِكَ)انقلاب العصا حية، وخروج اليد بيضاء من غير سوء (بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ) أي: حجتان قاطعتان من ﷲ، (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)فلا يكفيهم مجرد الإنذار وأمر الرسول إياهم، بل لا بد من الآيات الباهرة، إن نفعت.

- بماذا اعتذر موسى من ربه عندما أمره بالذهاب لدعوة فرعون وقومه وماذا طلب وسأل ربه؟

قَالَ موسى عليه السلام معتذرا من ربه، وسائلا له المعونة على ما حمله، وذاكرا له الموانع التي فيه، ليزيل ربه ما يحذره منها. (رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا) أي: معاونا ومساعدا (يُصَدِّقُنِي) فإنه مع تضافر الأخبار يقوى الحق

- هل أجاب الله سؤال موسى؟وبماذا وعد الله موسى في ذلك الوقت؟

فأجابه اللّه إلى سؤاله فقال: (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ) أي: نعاونك به ونقويك. ثم أزال عنه محذور القتل، فقال:(وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا) أي: تسلطا، وتمكنا من الدعوة، بالحجة، والهيبة الإلهية من عدوهما لهما، (فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا) وذلك بسبب آياتنا، وما دلت عليه من الحق، وما أزعجت به من باشرها ونظر إليها، فهي التي بها حصل لكما السلطان، واندفع بها عنكم، كيد عدوكم وصارت لكم أبلغ من الجنود، أولي الْعَدَدِ والْعُدَدِ.

(أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) وهذا وعد لموسى في ذلك الوقت، وهو وحده فريد، وقد رجع إلى بلده، بعد ما كان شريدا، فلم تزل الأحوال تتطور، والأمور تنتقل، حتى أنجز الله له موعوده، ومكنه من العباد والبلاد، وصار له ولأتباعه، الغلبة والظهور.

- كيف كان موقف فرعون وقومه من دعوة موسى؟

فذهب موسى برسالة ربه (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ) واضحات الدلالة على ما قال لهم، ليس فيها قصور ولا خفاء. قَالُوا على وجه الظلم والعلو والعناد (مَا هَذَا إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى) كما قال فرعون في تلك الحالة التي ظهر فيها الحق، واستعلى على الباطل، واضمحل الباطل، وخضع له الرؤساء العارفون حقائق الأمور إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ هذا، وهو الذكي غير الزكي الذي بلغ من المكر والخداع والكيد ما قصه اللّه علينا وقد علم مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ولكن الشقاء غالب.

(وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ)وقد كذبوا في ذلك، فإن اللّه أرسل يوسف عليه السلام قبل موسى، كما قال تعالى (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ......) .

- بماذا رد عليهم موسى عندما زعموا أن ما جاء به سحر وضلال؟

(وَقَالَ مُوسَى) حين زعموا أن الذي جاءهم به سحر وضلال، وأن ما هم عليه هو الهدى: (رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) أي: إذا لم تفد المقابلة معكم، وتبيين الآيات البينات، وأبيتم إلا التمادي في غيكم واللجاج على كفركم، فاللّه تعالى العالم بالمهتدي وغيره، ومن تكون له عاقبة الدار، نحن أم أنتم(إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) فصار عاقبة الدار لموسى وأتباعه، والفلاح والفوز، وصار لأولئك، الخسار وسوء العاقبة والهلاك.

- ما موقف فرعون عندما دعاهم موسى إلى عبادة الله وحده؟وإلى أي حال بلغ به التجرؤ على الله؟

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ) متجرئا على ربه، ومموها على قومه السفهاء، أخفاء العقول: (يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) أي: أنا وحدي، إلهكم ومعبودكم، ولو كان ثَمَّ إله غيري، لعلمته، فانظر إلى هذا الورع التام من فرعون!، حيث لم يقل « ما لكم من إله غيري » بل تورع وقال: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) وهذا، لأنه عندهم، العالم الفاضل، الذي مهما قال فهو الحق، ومهما أمر أطاعوه.

فلما قال هذه المقالة، التي قد تحتمل أن ثَمَّ إلها غيره، أراد أن يحقق النفي، الذي جعل فيه ذلك الاحتمال، فقال لـ هامان (فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ) ليجعل له لبنا من فخار. (فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا) أي: بناء (لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) ولكن سنحقق هذا الظن، ونريكم كذب موسى. فانظر هذه الجراءة العظيمة على اللّه، التي ما بلغها آدمي، كذب موسى، وادَّعى أنه إله، ونفى أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب، ليتوصل إلى إله موسى، وكل هذا ترويج،

ولكن العجب من هؤلاء الملأ الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون لشئونها، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، واستخف أحلامهم، وهذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم.

فسد دينهم، ثم تبع ذلك فساد عقولهم، فنسألك اللهم الثبات على الإيمان، وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وتهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

- ما عاقبة فرعون وجنوده ؟وما الذي جعلهم يستحقون ذلك؟

قال تعالى: (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) استكبروا على عباد الله، وساموهم سوء العذاب، واستكبروا على رسل الله، وما جاءوهم به من الآيات، فكذبوها، وزعموا أن ما هم عليه أعلى منها وأفضل.

(وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ) فلذلك تجرؤوا، وإلا فلو علموا، أو ظنوا أنهم يرجعون إلى الله، لما كان منهم ما كان.

(فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ) عندما استمر عنادهم وبغيهم (فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) كانت شر العواقب وأخسرها عاقبة أعقبتها العقوبة الدنيوية المستمرة، المتصلة بالعقوبة الأخروية.

(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) أي جعلنا فرعون وملأه من الأئمة الذين يقتدي بهم ويمشي خلفهم إلى دار الخزي والشقاء. (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ) من عذاب الله، فهم أضعف شيء، عن دفعه عن أنفسهم، وليس لهم من دون الله، من ولي ولا نصير.

(وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً) أي: وأتبعناهم، زيادة في عقوبتهم وخزيهم، في الدنيا لعنة، يلعنون، ولهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد، فهم أئمة الملعونين في الدنيا ومقدمتهم، (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) المبعدين، المستقذرة أفعالهم. الذين اجتمع عليهم مقت الله، ومقت خلقه، ومقت أنفسهم.

- متى أوتي موسى التوراة؟

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) وهو التوراة (مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى) الذين كان خاتمتهم في الإهلاك العام، فرعون وجنوده. وهذا دليل على أنه بعد نزول التوراة، انقطع الهلاك العام، وشرع جهاد الكفار بالسيف.

- على ماذا اشتملت التوراة؟

(بَصَائِرَ لِلنَّاسِ) أي: كتاب الله، الذي أنزله على موسى، فيه بصائر للناس، أي: أمور يبصرون بها ما ينفعهم، وما يضرهم، فتقوم الحجة على العاصي، وينتفع بها المؤمن، فتكون رحمة في حقه، وهداية له إلى الصراط المستقيم، ولهذا قال: (وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) .

- كيف وصلت هذه الأمور الغيبية إلى محمد صلى الله عليه وسلم؟

ولما قص الله على رسوله ما قص من هذه الأخبار الغيبية، نبه العباد على أن هذا خبر إلهي محض، ليس للرسول، طريق إلى علمه إلا من جهة الوحي، ولهذا قال:

(وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ) . أي: بجانب الطور الغربي وقت قضائنا لموسى الأمر (وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ على ذلك)، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق.

(وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) فاندرس العلم، ونسيت آياته، فبعثناك في وقت اشتدت الحاجة إليك وإلى ما علمناك وأوحينا إليك. (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا)أي: مقيما (فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ

آيَاتِنَا) أي: تعلمهم وتتعلم منهم، حتى أخبرت بما أخبرت من شأن موسى في مدين، (وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) أي: ولكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى، أثر من آثار إرسالنا إياك، وَوَحْيٌ لا سبيل لك إلى علمه، بدون إرسالنا.

(وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) موسى، وَأمرناه أن يأتي القوم الظالمين، ويبلغهم رسالتنا، ويريهم من آياتنا وعجائبنا ما قصصنا عليك. والمقصود: أن المجريات، التي جرت لموسى عليه الصلاة والسلام في هذه الأماكن، فقصصتها كما هي، من غير زيادة ولا نقص، لا يخلو من أحد أمرين.

إما أن تكون حضرتها وشاهدتها، أو ذهبت إلى محالِّها فتعلمتها من أهلها، فحينئذ قد لا يدل ذلك على أنك رسول الله، إذ الأمور التي يخبر بها عن شهادة ودراسة، من الأمور المشتركة غير المختصة بالأنبياء، ولكن هذا قد عُلِمَ وتُيُقِّن أنه ما كان وما صار، فأولياؤك وأعداؤك يعلمون عدم ذلك.

فتعين الأمر الثاني، وهو: أن هذا جاءك من قِبَلِ الله ووحيه وإرساله، فثبت بالدليل القطعي، صحة رسالتك، ورحمة الله بك للعباد، ولهذا قال: (وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ)أي: العرب، وقريش، فإن الرسالة عندهم لا تعرف وقت إرسال الرسول وقبله بأزمان متطاولة، لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ تفصيل الخير فيفعلونه، والشر فيتركونه، فإذا كنت بهذه المنزلة، كان الواجب عليهم، المبادرة إلى الإيمان بك، وشكر هذه النعمة، التي لا يقادر قدرها، ولا يدرك شكرها.

- هل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم مختصة بالعرب وحدهم؟(لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك)

وإنذاره للعرب لا ينفي أن يكون مرسلا لغيرهم، فإنه عربي، والقرآن الذي أنزل عليه عربي، وأول من باشر بدعوته العرب، فكانت رسالته إليهم أصلا ولغيرهم تبعا، كما قال تعالى أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا .

- ماذا طلب المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل إرساله؟وكيف قابلوا الحق الذي جاءهم؟

(وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من الكفر والمعاصي (فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أي: فأرسلناك يا محمد، لدفع حجتهم، وقطع مقالتهم.

(فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) الذي لا شك فيه مِنْ عِنْدِنَا وهو القرآن، الذي أوحيناه إليك قَالُوا مكذبين له، ومعترضين بما ليس يعترض به: (لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى) أي: أنزل عليه كتاب من السماء جملة واحدة. أي: فأما ما دام ينزل متفرقا، فإنه ليس من عند الله. وأي دليل في هذا؟ وأي شبهة أنه ليس من عند الله، حين نزل مفرقا؟

بل من كمال هذا القرآن، واعتناء الله بمن أنزل عليه، أن نزل متفرقا، ليثبت الله به فؤاد رسوله، ويحصل زيادة الإيمان للمؤمنين وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا وأيضا، فإن قياسهم على كتاب موسى، قياس قد نقضوه، فكيف يقيسونه على كتاب كفروا به ولم يؤمنوا؟ ولهذا قال (أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) أي: القرآن والتوراة، تعاونا في سحرهما، وإضلال الناس (وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ) فثبت بهذا أن القوم يريدون إبطال الحق بما ليس ببرهان، وينقضونه بما لا ينقض، ويقولون الأقوال المتناقضة المختلفة، وهذا شأن كل كافر. ولهذا صرح أنهم

كفروا بالكتابين والرسولين، ولكن هل كفرهم بهما كان طلبا للحق، واتباعا لأمر عندهم خير منهما، أم مجرد هوى؟.

- بماذا أمر الله من كذب بكتاب موسى ومحمد عليهما السلام؟

قال تعالى ملزما لهم بذلك: (فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا) أي: من التوراة والقرآن (أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ولا سبيل لهم ولا لغيرهم أن يأتوا بمثلهما، فإنه ما طرق العالم منذ خلقه الله، مثل هذين الكتابين، علما وهدى، وبيانا، ورحمة للخلق، وهذا من كمال الإنصاف من الداعي أن قال: أنا مقصودي الحق والهدى والرشد، وقد جئتكم بهذا الكتاب المشتمل على ذلك، الموافق لكتاب موسى، فيجب علينا جميعا الإذعان لهما واتباعهما، من حيث كونهما هدى وحقا، فإن جئتموني بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعته، وإلا فلا أترك هدى وحقا قد علمته لغير هدى وحق

- ما سبب عدم إيمانهم بكتاب موسى ومحمد وعدم إتيانهم بكتاب أهدى منهما؟

(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ) فلم يأتوا بكتاب أهدى منهما فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ أي: فاعلم أن تركهم اتباعك، ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، ولا إلى هدى، وإنما ذلك مجرد إتباع لأهوائهم.

- من أضل الناس؟

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ) فهذا من أضل الناس، حيث عرض عليه الهدى، والصراط المستقيم، الموصل إلى الله وإلى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أضل ممن هذا وصفه؟ ولكن ظلمه وعدوانه، وعدم محبته للحق، هو الذي أوجب له: أن يبقى على ضلاله ولا يهديه الله، فلهذا قال: إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أي: الذين صار الظلم لهم وصفا والعناد لهم نعتا، جاءهم الهدى فرفضوه، وعرض لهم الهوى، فتبعوه، سدوا على أنفسهم أبواب الهداية وطرقها، وفتحوا عليهم أبواب الغواية وسبلها، فهم في غيهم وظلمهم يعمهون، وفي شقائهم وهلاكهم يترددون.

- على ماذا يدل قوله تعالى: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهوائهم)؟

وفي قوله: فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ دليل على أن كل من لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول، فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى.

لمسات بيانية:

- آية (٢٩) :
  - ما الفروق الدلالية بين فعل سار ومشى؟ (د.فاضل السامرائى)

السير غير المشي في اللغة ويقال سار القوم إذا امتدّ بهم السير من جهة إلى جهة معينة في الخصوص. والسير في القرآن الكريم قد يكون لغرض وفي جهة وهو إما للعظة والاعتبار أو للتجارة أو غير ذلك كما في قوله تعالى (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله) سورة القصص فالسير هنا ممتد من مدين إلى مصر وهو ليس مشياً. وقد يكون معنى السير السير لفترة طويلة للعبرة والاتّعاظ كما في قوله تعالى (قل سيروا في الأرض ثم انظروا) وقد ورد هذا المعنى للسير في ١١ آية قرآنية (أفلم يسيروا في الأرض) (قل سيروا في الأرض

فانظروا) والسير هنا هو الامتداد وكما قلنا يكون في القرآن الكريم إما لمسافة طويلة بغرض التجارة وإما لغرض العبرة والاتّعاظ.

أما المشي فهو مجرد الانتقال وليس بالضرورة توجّه إلى هدف محدد كما في قوله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا).

- آية (٣٤) :
  - القراءات القرآنية فيها اختلاف في الإعراب مثل (تلقفْ - تلقفُ) (يصدقْنى – يصدقُنى)فهل في هذا لمسة بيانية؟ (د.فاضل السامرائى)

لا شك أن الاختلاف هذا يفضي ويؤدي إلى اختلاف في المعنى، مثل(فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي (٣٤) القصص) و(يصدقْني). لا شك تقول (تلقفْ) بالسكون هذه مجزومة جواب الشرط أو جواب الطلب يعني إن تلق ما يمينك تلقفْ، ادعوني أستجب، فهذا الجزم سيكون جواب الطلب الذي هو مقدّر في الشرط يعني إن تلق ما في يمينك تلقفْ، هذا الجزم. أما في الرفع (تلقفُ) يتغير المعنى ويصير إما استئناف أو حال مقدّرة "وألقِ ما في يمينك هي تلقفُ ما صنعوا"، حال مقدرة يسموها مستقبلة لأن الحال أكثر ما تكون مقارِنة قد تكون مقدرة وقد تكون محكية بحسب الزمن، الحال المحكية تكون للماضي والمقدرة للمستقبل (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) الصافات) هو لم يأت بعد ولكن باعتبار ما سيكون، (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ (٢٧) الفتح) التحليق والتقصير يكون بعد أن يتموا العمرة وليس عند الدخول. حال محكية يتكلم عن أمر قد مضى. نضرب مثالاً لو رأيت عقرب كبيرة تقول هذه العقرب تلسع صغيرة وكبيرة، صغيرة حال وهي ماضية يعني حالة كونها صغيرة.

إذن (تلقفْ) عند الجزم تكون جواب طلب وعند الرفع تكون إما استئناف أو حال مقدرة. نضرب مثالاً من لاكم العرب: دعه يضربْه ودعه يضربُه، دعه يضربْه شخص يريد أن يضرب واحداً وأنت تمسكه وتقول له لا تضربه اتركه، دعه يضربْه يعني إن تتركه يضربه. دعه يضربُه هو يضربه الآن وواحد يريد أن يمسك الضارب عن الضرب فيقول لا دعه يضربه، الفرق بين الاثنين أنه في الأولى لم يقع الضرب وفي الثانية الضرب واقع.

(فأرسله معي ردءاً يصدقْني) إن ترسله معي يصدقْني، أو أرسله هو يصدقُني. الضبط في الشكل هذا ما يؤثر في المعنى وهذا مما تمتاز به اللغة العربية بين اللغات الأخرى.

- آية (٤٣) :
  - (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣) البقرة) ما الفرق بين الكتاب والفرقان؟ في سورة القصص (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)) لم يذكر الفرقان في هذه الآية وذكره في آية البقرة فلماذا؟ (د.فاضل السامرائى)

الفرقان هي المعجزات بالنسبة لموسى عليه السلام كالعصى والفرقان بين الحق والباطل الذي يفرق بين الحق والباطل مثل العصى والمعجزات الأخرى وهي تسع آيات. الكتاب هو التوراة والفرقان هي المعجزات التي أوتيها موسى. لكن السؤال لماذا قال في الأولى الكتاب والفرقان وفي الثانية قال الكتاب فقط؟ قلنا السياق هو الذي يحدد. الأولى جاءت في سياق

الكلام عن بني إسرائيل. لكنه قال (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ (٤٠) البقرة) أما الثانية فقال (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ) من الذي شاهد الفرقان؟ شاهده بنو إسرائيل وفرعون الذين كانوا حاضرين لكن الناس الآخرين لم يشاهدوا هذا الشيء فلما قال بصائر للناس لم يقول الفرقان لأنهم لم يشاهدوا هذا الشيء لكن لما خاطبهم قال (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) كان الخطاب لهم هم الذين شاهدوا فلما تكلم مع بني إسرائيل خصوصاً قال الكتاب والفرقان، لما قال بصائر للناس قال الكتاب، الفرقان ذهب وبقي الكتاب والكتاب بصائر للناس وكثير من الناس لم يشاهدوا هذه المعجزات الذين شاهدها هم الحاضرون والباقون لم يشاهدوها. هو يريد أن يركز لذلك يختار الكلمات بحيث المراد منها ففي قصة إبراهيم (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) الذاريات) قال مكرمين ولما قال مكرمين اقتضى أن يقول قال سلام رد التحية بخير منها وجاء بعجل سمين فقربه إليهم ولما قال (وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْراَهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) الحجر) لم يذكر أنه رد التحية ولم يذكر أنه جاءهم بعجل. فالمناسب للمكرمين أن يرد التحية ويأتي بطعام. لما قال مكرمين ذكر هذا الشيء ولما لم يذكر مكرمين لم يذكر هذا الشيء وسارت القصة في مقام آخر غير مقام الإكرام. مرة يقول بعجل حنيذ ومرة سمين لأن حنيذ غير سمين وإلا لماذا قال تعالى (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ (٢٩) ص)؟ إذا كان الكلام مجرد سرد فلماذا نتدبر آياته ومن أين يأتي التدبر ومن أين يستنبط؟! في كل قرن تأتي أمور لم يعلمها أهل القرن السابق.

المقطع الثالث: من الآية (٥١) إلى الآية (٨٨)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (٥١ – ٦١) الإشارة إلى مؤمني أهل الكتاب، وتحذير كفار قريش من الإعراض والركون إلى الدنيا، مع تذكيرهم بما أنعم الله عليهم من الأمن والخيرات. المناسبة بين هذا المقطع والذي سبقه ظاهرة أيضاً، فبعد أن بيّن الله تعالى صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بالحق من الله تعالى، ذكر هنا نزول القرآن الكريم ووصوله إليهم تذكيراً لهم بما في الفطرة من توحيد الله وعبادته. كما نبّه إلى استجابة أهل الكتاب لهذا القرآن الذي جاء مصدقاً لما بين يديهم من خبر الأمم السابقة، وحذر كفار قريش من التكذيب والإنكار مع ما أنعم الله به عليهم من الأمن والخيرات، حتى لا يلاقوا مصير القرى التي كفرت بأنعم الله واغترت بمتاع الدنيا وزينتها، ونسوا أن ما عند الله خير وأبقى، ورغبّهم في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم للحصول على ما وعد الله به الصالحين من الجنة ونعيمها يوم القيامة بدلاً من الحساب والعقاب.
- الآيات (٦٢ – ٧٥) موقف المشركين يوم القيامة، ودعوتهم للتوبة، وتوحيد الله تعالى قبل فوات الأوان. ختم المقطع السابق بالترغيب فيما عند الله من الخيرات، والتهديد من الوعيد والويلات، وافتتح هذا المقطع بموقف من مواقف يوم القيامة لتأكيد المعنى الذي سبق، كما ختم المقطع بموقف آخر من مواقف يوم القيامة، وتوسطهما موقف ثالث. كما تضمن هذا المقطع تأكيد الترغيب الذي مر بالدعوة إلى التوبة والعمل الصالح قبل فوات الأوان (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) والتحذير من مصير الكافرين الذين سيعلمون الحق بعد فوات الأوان ولن ينفعهم ما أشركوا بالله شيئاً (فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون).
- الآيات (٧٦ – ٨٤) قصة قارون، وعاقبة البغي والتكبر. المناسبة بين هذا المقطع وما قبله اجتهد العلماء في الربط بينهما فقالوا: لما دلّ عجزهم في الآخرة وعلموا أن المتصرف في جميع الأقدار هو الله الواحد القهار، دلّ على أن ذلك له أيضاً في هذه الدنيا بوقوع عقابه في أهل البطر والطغيان. وهناك مناسبة أخرى وهي أنه لما ذكر سبحانه وتعالى أن الشركاء لن يغنوا عن أتباعهم شيئاً، بل ينادونهم فلا يستجيبون، وعنهم يضلون، ذكر بعد ذلك قصة قارون التي تدل على أن المال لن يغني أهل الطغيان الله.
- الآيات (٨٥ – ٨٨) بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالعودة إلى مكة وخاتمة السورة. مناسبة المقطع لما قبله: (على تفسير [المعاد] بأنه يوم القيامة، نقول في المناسبة) بعد أن ذكر الله تعالى الدار الآخرة وما يكون فيها من جزاء وحساب وثواب وعقاب، أتبع ذلك بتأكيد القيامة بقوله (لرادك) بعد الموت (إلى معاد).

  أما على تفسير [المعاد] بأنه مكة المكرمة، نقول في المناسبة: بعد أن ذكر الله تعالى جزاء المفسدين المعاندين، وبين أن العاقبة للمتقين، بشّر نبيه صلى الله عليه وسلم بحسن العاقبة ووعده بالعودة إلى مكة المكرمة عوداً حميداً مكرماً. وكلا التفسيرين ينسجم تماماً مع محور السورة في بيان الصراع بين الحق والباطل، وبيان عاقبة المتقين وعقاب المفسدين

فوائد وأسئلة تدبرية:

- فتح الله عليه أبواب النعم وسبل الرزق وطرق الكسب فعظمت أمواله وكثرت كنوزه وفاضت خزائنه وأوتي بسطة في الرزق ورخاء في العيش فعاش في ترف وبذخ وكبر وبطر وفخر وخيلاء . طغى وتجبر وفسق،كثر خدمه وعظم حشمه فلما بلغ الأمر مبلغه والفتنة أشدها حلت العقوبة وكانت الفاجعة ونزلت الكارثة وعظمت العبرة.
- فمن هو هذا الغني؟ وما هي قصته؟ وكيف كانت نهايته؟

قال تعالى: (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) بطل القصة/قارون، قومه/قوم موسى، موجود في زمن نبي من أنبياء الله.

- أمرين مهمين:

الأمر الأول: أن قارون لم يستفد من وجود هذا النبي ولم يتعظ بمواعظه ولم يستجب لدعوته ولم يتخلق بأخلاقه .

الأمر الثاني:الإشارة إلى قرابته لموسى وصلته به لم تغن عنه شيئا من عذاب الله

- بغى عليهم بماذا؟

بالكبر وباغتصاب أموالهم وبمنعهم من حقوقهم وبالظلم كل ما تحمله كلمة البغي.

- آتيناه/ الرزق من عند الله وليس بمهارة قارون ولا بعلمه ولا بأفضليته ،فالأرزاق بيد الله وهو الذي يقسم الأرزاق على عباده ، وليس في إعطائه للعبد دليل على رضاه عنه وليس لمنعه دليل على سخطه عليه فالدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب ولا تسوى عند الله جناح بعوضة ،والدين لا يعطيه الله إلا من يحب .
- المشهد الثاني/مشهد أهل الصلاح والخير والنصح قاموا بمسؤولية البلاغ وواجب النصيحة(إذ قال له قومه لا تفرح ....)نصحوه ألا يغويه المال ولا يغره ثراه فتحول بينه وبين الخير. ونهوه عن الفرح الذي يدفع إلى الغرور
- ما نتيجة النصيحة؟ ماذا أجابهم؟

(قال إنما أوتيته على علم عندي)أوتيته بعلمي ومهارتي وقدراتي واستحقاقي لهذه الأموال فجاءه التهديد والإشارة بالوعيد جاء قبل تمام الآية (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا)

- المشهد التالي/مشهد يخرج فيه قارون بزينته كأنه بذلك يكيد اللذين نصحوه ويستخف بمشاعرهم يخرج بغاية الزينة وغاية الكبر ونهاية الغرور وانقسم الناس إلى قسمين:

قسم وفريق من القوم يريدون الحياة الدنيا تتهاوى نفوسهم لمثل ما أوتي قارون ويرون أنه صاحب حظ عظيم .

قسم أهل العلم والحكمة ذكروهم بالرجاء فيما عند الله والاعتزاز بثوابه والفرح بعبادته فيجب أن يكونوا أعلى نفس ولا يلقاها إلا الصابرون.

- ثم يجيء المشهد المخيف في القصة (فخسفنا به وبداره الأرض)

متى كانت النهاية؟بعدما عظمت الفتنة واشتدت المحنة .

قال صلى الله عليه وسلم: (بينما رجل فيمن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين يختال فيهما أمر الله الأرض فأخذته فإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة)رواه أحمد.

- نختم هذه القصة بهذا المقطع من الآيات الجليلة الذي يؤكد أن الفوز والفلاح هم في الدار الآخرة وأن الله يجعل جناتها ونعيمها وأنسها وسرورها لأهل الإيمان والتواضع والتقوى والإحسان (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض)
- ما فائدة نزول القرآن مفرقا؟

(وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) أي: تابعناه وواصلناه، وأنزلناه شيئا فشيئا، رحمة بهم ولطفا (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) حين تتكرر عليهم آياته، وتنزل عليهم بيناته وقت الحاجة إليها. فصار نزوله متفرقا رحمة بهم، فلم اعترضوا على ما هو من مصالحهم؟

- اذكر بعض الفوائد والعبر في هذه القصة العجيبة؟

١/ فمنها أن آيات الله تعالى وعبره، وأيامه في الأمم السابقة، إنما يستفيد بها ويستنير المؤمنون، فعلى حسب إيمان العبد تكون عبرته، وإن الله تعالى إنما يسوق القصص، لأجلهم، وأما غيرهم، فلا يعبأ الله بهم، وليس لهم منها نور وهدى.

٢/ ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أمرا هيأ أسبابه، وأتى بها شيئا فشيئا بالتدريج، لا دفعة واحدة.

٣/ ومنها: أن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي لها أن يستولي عليها الكسل عن طلب حقها، ولا الإياس من ارتقائها إلى أعلى الأمور، خصوصا إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل، الأمة الضعيفة، من أسر فرعون وملئه، ومكنهم في الأرض، وملكهم بلادهم.

٤/ ومنها: أن الأمة ما دامت ذليلة مقهورة لا تأخذ حقها ولا تتكلم به، لا يقوم لها أمر دينها ولا دنياها ولا يكون لها إمامة فيه.

٥/ ومنها: لطف الله بأم موسى، وتهوينه عليها المصيبة بالبشارة، بأن الله سيرد إليها ابنها، ويجعله من المرسلين.

٦/ ومنها: أن الله يقدر على عبده بعض المشاق، لينيله سرورا أعظم من ذلك، أو يدفع عنه شرا أكثر منه، كما قدر على أم موسى ذلك الحزن الشديد، والهم البليغ، الذي هو وسيلة إلى أن يصل إليها ابنها، على وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسرورا.

٧/ ومنها: أن الخوف الطبيعي من الخلق، لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرى لأم موسى ولموسى من تلك المخاوف.

٨/ ومنها: أن الإيمان يزيد وينقص. وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان، ويتم به اليقين، الصبر عند المزعجات، والتثبيت من الله، عند المقلقات، كما قال تعالى: (لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)أي: ليزداد إيمانها بذلك ويطمئن قلبها.

٩/ ومنها: أن من أعظم نعم الله على عبده، و أعظم معونة للعبد على أموره، تثبيت الله إياه، وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب، والفعل الصواب، بخلاف من استمر قلقه وروعه، وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا ينتفع بنفسه في تلك الحال.

١٠/ ومنها: أن العبد - ولو عرف أن القضاء والقدر ووعد الله نافذ لا بد منه- فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها، ولا يكون ذلك منافيا لإيمانه بخبر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك، اجتهدت على رده، وأرسلت أخته لتقصه وتطلبه.
١١/ ومنها: جواز خروج المرأة في حوائجها، وتكليمها للرجال، من غير محذور، كما جرى لأخت موسى وابنتي صاحب مدين.
١٢/ ومنها: جواز أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع، والدلالة على من يفعل ذلك.
١٣/ ومنها: أن الله من رحمته بعبده الضعيف الذي يريد إكرامه، أن يريه من آياته، ويشهده من بيناته، ما يزيد به إيمانه، كما رد الله موسى على أمه، لتعلم أن وعد الله حق.
١٤/ ومنها: أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عرف، لا يجوز، فإن موسى عليه السلام عدَّ قتله القبطي الكافر ذنبا، واستغفر الله منه.
١٥/ ومنها: أن الذي يقتل النفوس بغير حق يعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض.
١٦/ ومنها: أن من قتل النفوس بغير حق، وزعم أنه يريد الإصلاح في الأرض، وتهييب أهل المعاصي، فإنه كاذب في ذلك، وهو مفسد كما حكى الله قول القبطي (إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) على وجه التقرير له، لا الإنكار.
١٧/ ومنها: أن إخبار الرجل غيره بما قيل فيه، على وجه التحذير له من شر يقع فيه، لا يكون ذلك نميمة - بل قد يكون واجبا- كما أخبر ذلك الرجل لموسى، ناصحا له ومحذرا.
١٨/ ومنها: أنه إذا خاف القتل والتلف في الإقامة، فإنه لا يلقي بيده إلى التهلكة، ولا يستسلم لذلك، بل يذهب عنه، كما فعل موسى.
١٩/ ومنها: أنه عند تزاحم المفسدتين، إذا كان لا بد من ارتكاب إحداهما أنه يرتكب الأخف منهما والأسلم، كما أن موسى، لما دار الأمر بين بقائه في مصر ولكنه يقتل، أو يذهب إلى بعض البلدان البعيدة، التي لا يعرف الطريق إليها، وليس معه دليل يدله غير ربه، ولكن هذه الحالة أقرب للسلامة من الأولى، فتبعها موسى.
٢٠/ ومنها: أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه، إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدي ربه، ويسأله أن يهديه الصواب من القولين، بعد أن يقصد بقلبه الحق ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب مَنْ هذه حاله. كما خرج موسى تلقاء مدين فقال: عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ .
٢١/ ومنها: أن الرحمة بالخلق، والإحسان على من يعرف ومن لا يعرف، من أخلاق الأنبياء، وأن من الإحسان سقي الماشية الماء، وإعانة العاجز.
٢٢/ ومنها استحباب الدعاء بتبيين الحال وشرحها، ولو كان الله عالما لها، لأنه تعالى، يحب تضرع عبده وإظهار ذله ومسكنته، كما قال موسى: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) .
٢٣/ ومنها أن الحياء - خصوصا من الكرام- من الأخلاق الممدوحة.
٢٤/ ومنها: المكافأة على الإحسان لم يزل دأب الأمم السابقين.
٢٥/ ومنها: أن العبد إذا فعل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، أنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض.

٢٦/ ومنها: مشروعية الإجارة، وأنها تجوز على رعاية الغنم ونحوها، مما لا يقدر العمل، وإنما مرده، العرف.
٢٧/ ومنها أنه تجوز الإجارة بالمنفعة، ولو كانت المنفعة بضعا.
٢٨/ ومنها أن خطبة الرجل لابنته الرجل الذي يتخيره، لا يلام عليه.
٢٩/ ومنها: أن خير أجير وعامل يعمل للإنسان، أن يكون قويا أمينا.
٣٠/ ومنها: أن من مكارم الأخلاق، أن يُحَسِّن خلقه لأجيره، وخادمه، ولا يشق عليه بالعمل، لقوله: (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) .
٣١/ ومنها: جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود من دون إشهاد لقوله: (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) .
٣٢/ ومنها: ما أجرى الله على يد موسى من الآيات البينات، والمعجزات الظاهرة، من الحية، وانقلاب يده بيضاء من غير سوء، ومن عصمة الله لموسى وهارون، من فرعون، ومن الغرق.
٣٣/ ومنها: أن من أعظم العقوبات أن يكون الإنسان إماما في الشر، وذلك بحسب معارضته لآيات الله وبيناته، كما أن من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده، أن يجعله إماما في الخير هاديا مهديا.
٣٤/ ومنها: ما فيها من الدلالة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث أخبر بذلك تفصيلا مطابقا، وتأصيلا موافقا، قصه قصا، صدق به المرسلين، وأيد به الحق المبين، من غير حضور شيء من تلك الوقائع، ولا مشاهدة لموضع واحد من تلك المواضع، ولا تلاوة درس فيها شيئا من هذه الأمور، ولا مجالسة أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحمن الرحيم، ووحي أنزله عليه الكريم المنان، لينذر به قوما جاهلين، وعن النذر والرسل غافلين.
فصلوات الله وسلامه، على من مجرد خبره ينبئ أنه رسول الله، ومجرد أمره ونهيه ينبه العقول النيرة، أنه من عند الله، كيف وقد تطابق على صحة ما جاء به، وصدقه خبر الأولين والآخرين، والشرع الذي جاء به من رب العالمين، وما جبل عليه من الأخلاق الفاضلة، التي لا تناسب، ولا تصلح إلا لأعلى الخلق درجة، والنصر المبين لدينه وأمته، حتى بلغ دينه مبلغ الليل والنهار، وفتحت أمته معظم بلدان الأمصار، بالسيف والسنان، وقلوبهم بالعلم والإيمان.
ولم تزل الأمم المعاندة، والملوك الكفرة المتعاضدة، ترميه بقوس واحدة، وتكيد له المكايد، وتمكر لإطفائه وإخفائه، وإخماده من الأرض، وهو قد بهرها وعلاها، لا يزداد إلا نموا، ولا آياته وبراهينه إلا ظهورا، وكل وقت من الأوقات، يظهر من آياته ما هو عبرة لِلْعَالَمِينَ، وهداية لِلْعَالمِينَ، ونور وبصيرة للمتوسمين. والحمد لله وحده.

- ما موقف أهل الكتاب الذين لم يبدلوا ولم يحرفوا كتبهم من القرآن الكريم؟وما جزاؤهم؟

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ () وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ () أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ () وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) . يذكر تعالى عظمة القرآن وصدقه وحقه، وأن أهل العلم بالحقيقة يعرفونه ويؤمنون به ويقرون بأنه الحق، (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ) وهم أهل التوراة، والإنجيل، الذين لم يغيروا ولم يبدلوا (هُمْ بِهِ) أي: بهذا القرآن ومن جاء به (يُؤْمِنُونَ) .

(وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ) استمعوا له وأذعنوا و (قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا) لموافقته ما جاءت به الرسل، ومطابقته لما ذكر في الكتب، واشتماله على الأخبار الصادقة، والأوامر والنواهي الموافقة، لغاية الحكمة.

وهؤلاء الذين تفيد شهادتهم، وينفع قولهم، لأنهم لا يقولون ما يقولون إلا عن علم وبصيرة، لأنهم أهل الصنف وأهل الكتب، وغيرهم لا يدل ردهم ومعارضتهم للحق على شبهة، فضلا عن الحجة، لأنهم ما بين جاهل فيه أو متجاهل معاند للحق.

وقوله: (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) فلذلك ثبتنا على ما مَنَّ الله به علينا من الإيمان، فصدقنا بهذا القرآن، آمنا بالكتاب الأول والكتاب الآخر، وغيرنا ينقض تكذيبه بهذا الكتاب، إيمانه بالكتاب الأول.

(أُولَئِكَ) الذين آمنوا بالكتابين (يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ) أجرا على الإيمان الأول، وأجرا على الإيمان الثاني، (بِمَا صَبَرُوا) على الإيمان، وثبتوا على العمل، فلم تزعزعهم عن ذلك شبهة، ولا ثناهم عن الإيمان رياسة ولا شهوة.

- ما الخصال الفاضلة في أهل الكتاب الذين آمنوا بكتبهم بدون تحريف؟

و من خصالهم الفاضلة التي من آثار إيمانهم الصحيح، أنهم (وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) أي: دأبهم وطريقتهم الإحسان لكل أحد، حتى للمسيء إليهم بالقول والفعل، يقابلونه بالقول الحميد والفعل الجميل، لعلمهم بفضيلة هذا الخلق العظيم، وأنه لا يوفق له إلا ذو حظ عظيم.

(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ) من جاهل خاطبهم به، (قَالُوا) مقالة عباد الرحمن أولي الألباب: (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) أي: كُلٌّ سَيُجازَى بعمله الذي عمله وحده، ليس عليه من وزر غيره شيء. ولزم من ذلك، أنهم يتبرءون مما عليه الجاهلون، من اللغو والباطل، والكلام الذي لا فائدة فيه.

(سَلامٌ عَلَيْكُمْ) أي لا تسمعون منا إلا الخير، ولا نخاطبكم بمقتضى جهلكم، فإنكم وإن رضيتم لأنفسكم هذا المرتع اللئيم، فإننا ننزه أنفسنا عنه، ونصونها عن الخوض فيه، (لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) من كل وجه.

- هل يملك الرسول صلى الله عليه وسلم هداية أحد؟

(إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) . يخبر تعالى أنك يا محمد -وغيرك من باب أولى- لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله سبحانه تعالى، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله.

- ما الهداية المثبتة للرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)؟

وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويرغب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا.

ولهذا، لو كان قادرا عليها، لهدى من وصل إليه إحسانه، ونصره ومنعه من قومه، عمه أبا طالب، ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة للدين والنصح التام، ما هو أعظم مما فعله معه عمه، ولكن الهداية بيد الله تعالى.

- بماذا اعتذر كفار قريش وأهل مكة عن إتباعهم للحق؟ وعلى ماذا يدل كلامهم؟ وبماذا اختصهم الله؟

(وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) . يخبر تعالى أن المكذبين من قريش وأهل مكة، يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم: (إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا) بالقتل والأسر ونهب الأموال، فإن الناس قد عادوك وخالفوك، فلو تابعناك لتعرضنا لمعاداة الناس كلهم، ولم يكن لنا بهم طاقة.

وهذا الكلام منهم، يدل على سوء الظن بالله تعالى، وأنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، بل يمكن الناس من أهل دينه، فيسومونهم سوء العذاب، وظنوا أن الباطل سيعلو على الحق.

قال الله مبينا لهم حالة هم بها دون الناس وأن الله اختصهم بها، فقال: (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا) أي: أولم نجعلهم متمكنين ممكنين في حرم يكثره المنتابون ويقصده الزائرون، قد احترمه البعيد والقريب، فلا يهاج أهله، ولا ينتقصون بقليل ولا كثير .

والحال أن كل ما حولهم من الأماكن، قد حف بها الخوف من كل جانب، وأهلها غير آمنين ولا مطمئنين، فَلْيَحْمَدُوا ربهم على هذا الأمن التام، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرزق الكثير، الذي يجيء إليهم من كل مكان، من الثمرات والأطعمة والبضائع، ما به يرتزقون ويتوسعون. ولْيَتَّبِعُوا هذا الرسول الكريم، ليتم لهم الأمن والرغد.

وإياهم وتكذيبه، والبطر بنعمة الله، فيبدلوا من بعد أمنهم خوفا، وبعد عزهم ذلا وبعد غناهم فقرا.

- بماذا توعد الله كفار مكة إن لم يؤمنوا؟

ولهذا توعدهم بما فعل بالأمم قبلهم، فقال: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا) أي: فخرت بها، وألهتها، واشتغلت بها عن الإيمان بالرسل، فأهلكهم الله، وأزال عنهم النعمة، وأحل بهم النقمة. (فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلا قَلِيلا) لتوالي الهلاك والتلف عليهم، وإيحاشها من بعدهم.

(وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) للعباد، نميتهم، ثم يرجع إلينا جميع ما متعناهم به من النعم، ثم نعيدهم إلينا، فنجازيهم بأعمالهم.

- متى يهلك الله الأمم ويعذبها؟

ومن حكمته ورحمته أن لا يعذب الأمم بمجرد كفرهم قبل إقامة الحجة عليهم، بإرسال الرسل إليهم، ولهذا قال: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى) أي: بكفرهم وظلمهم (حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا) أي: في القرية والمدينة التي إليها يرجعون، ونحوها يترددون، وكل ما حولها ينتجعها، ولا تخفى عليه أخبارها.

(رَسُولا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) الدالة على صحة ما جاء به، وصدق ما دعاهم إليه، فيبلغ قوله قاصيهم ودانيهم، بخلاف بعث الرسل في القرى البعيدة، والأطراف النائية، فإن ذلك مظنة الخفاء والجفاء، والمدن الأمهات مظنة الظهور والانتشار، وفي الغالب أنهم أقل جفاء من غيرهم.

(وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) بالكفر والمعاصي، مستحقون للعقوبة. والحاصل: أن الله لا يعذب أحدا إلا بظلمه، وإقامة الحجة عليه.

- كيف حض الله عباده على الزهد في الدنيا؟

(وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ () أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) . هذا حض من الله لعباده على الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الأخرى، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه، ويخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب، والفضة، والحيوانات والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمشارب، واللذات، كلها متاع الحياة الدنيا وزينتها، أي: يتمتع به وقتا قصيرا، متاعا قاصرا، محشوا بالمنغصات، ممزوجا بالغصص.

ويزين به زمانا يسيرا، للفخر والرياء، ثم يزول ذلك سريعا، وينقضي جميعا، ولم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة والندم، والخيبة والحرمان.

(وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) من النعيم المقيم، والعيش السليم (خَيْرٌ وَأَبْقَى) أي: أفضل في وصفه وكميته، وهو دائم أبدا، ومستمر سرمدا.

(أَفَلا تَعْقِلُونَ) أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تزنون أي: الأمور أولى بالإيثار، وأي الدارين أحق للعمل لها فدل ذلك أنه بحسب عقل العبد، يؤثر الأخرى على الدنيا، وأنه ما آثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله، ولهذا نبه العقول على الموازنة بين عاقبة مؤثر الدنيا ومؤثر الآخرة، فقال: (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ) . أي: هل يستوي مؤمن ساع للآخرة سعيها، قد عمل على وعد ربه له، بالثواب الحسن، الذي هو الجنة، وما فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه من غير شك ولا ارتياب، لأنه وعد من كريم صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام بمرضاته وجانب سخطه، (كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فهو يأخذ فيها ويعطي، ويأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم، قد اشتغل بدنياه عن آخرته، ولم يرفع بهدى الله رأسا، ولم ينقد للمرسلين، فهو لا يزال كذلك، لا يتزود من دنياه إلا الخسار والهلاك.

(ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) للحساب، وقد علم أنه لم يقدم خيرا لنفسه، وإنما قدم جميع ما يضره، وانتقل إلى دار الجزاء بالأعمال، فما ظنكم إلى ما يصير إليه؟ وما تحسبون ما يصنع به؟ فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولى بالاختيار، وأحق الأمرين بالإيثار.

- ماذا يسأل عنه الخلائق يوم القيامة؟

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ () قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ () وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ () وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ () فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ) . هذا إخبار من الله تعالى، عما يسأل عنه الخلائق يوم القيامة، وأنه يسألهم عن أصول الأشياء، وعن عبادة الله وإجابة رسله، فقال: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) أي: ينادي من أشركوا به شركاء يعبدونهم، ويرجون نفعهم، ودفع الضرر عنهم، فيناديهم، ليبين لهم عجزها وضلالهم، (فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ) وليس لله شريك، ولكن ذلك بحسب زعمهم وافترائهم، ولهذا قال: (الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) فأين هم، بذواتهم، وأين نفعهم وأين دفعهم؟

ومن المعلوم أنه يتبين لهم في تلك الحال، أن الذي عبدوه، ورجوه باطل، مضمحل في ذاته، وما رجوا منه، فيقرون على أنفسهم بالضلالة والغواية.

ولهذا (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) الرؤساء والقادة، في الكفر والشر، مقرين بغوايتهم وإغوائهم: (رَبَّنَا هَؤُلاءِ) التابعون (الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا) أي: كلنا قد اشترك في الغواية، وحق عليه كلمة العذاب.

(تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ) من عبادتهم، أي: نحن براء منهم ومن عملهم. (مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) وإنما كانوا يعبدون الشياطين.

(وَقِيلَ) لهم: (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) على ما أملتم فيهم من النفع فأمروا بدعائهم في ذلك الوقت الحرج، الذي يضطر فيه العابد إلى من عبده.

(فَدَعَوْهُمْ) لينفعوهم، أو يدفعوا عنهم من عذاب الله من شيء. (فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) فعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين مستحقين للعقوبة، (وَرَأَوُا الْعَذَابَ) الذي سيحل بهم عيانا، بأبصارهم بعد ما كانوا مكذبين به، منكرين له.

(لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) أي: لما حصل عليهم ما حصل، ولهدوا إلى صراط الجنة، كما اهتدوا في الدنيا، ولكن لم يهتدوا، فلم يهتدوا.

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) هل صدقتموهم، واتبعتموهم أم كذبتموهم وخالفتموهم؟ (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ) أي: لم يحيروا عن هذا السؤال جوابا، ولم يهتدوا إلى الصواب. ومن المعلوم أنه لا ينجي في هذا الموضع إلا التصريح بالجواب الصحيح، المطابق لأحوالهم، من أننا أجبناهم بالإيمان والانقياد، ولكن لما علموا تكذيبهم لهم وعنادهم لأمرهم، لم ينطقوا بشيء، ولا يمكن أن يتساءلوا ويتراجعوا بينهم في ماذا يجيبون به، ولو كان كذبا.

- ما الطريق الذي ينجو به العبد من عقاب الله تعالى ويكون من المفلحين؟

(فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) . لما ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم وعن رسلهم، ذكر الطريق الذي ينجو به العبد من عقاب الله تعالى، وأنه لا نجاة إلا لمن اتصف بالتوبة من الشرك والمعاصي، وآمن بالله فعبده، وآمن برسله فصدقهم، وعمل صالحا متبعا فيه للرسل، (فَعَسَى أَنْ يَكُونَ) من جمع هذه الخصال (مِنَ الْمُفْلِحِينَ) الناجحين بالمطلوب، الناجين من المرهوب، فلا سبيل إلى الفلاح بدون هذه الأمور.

- على ماذا دلت هذه الآيات (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ () وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ () وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

هذه الآيات، فيها عموم خلقه لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده باختيار من يختاره ويختصه، من الأشخاص، والأوامر والأزمان والأماكن، وأن أحدا ليس له من الأمر والاختيار شيء، وأنه تعالى منزه عن كل ما يشركون به، من الشريك، والظهير، والعوين، والولد، والصاحبة، ونحو ذلك، مما أشرك به المشركون، وأنه العالم بما أكنته الصدور وما أعلنوه، وأنه وحده المعبود المحمود في الدنيا والآخرة، على ماله من صفات الجلال والجمال، وعلى ما أسداه إلى خلقه من الإحسان والإفضال.

وأنه هو الحاكم في الدارين، في الدنيا، بالحكم القدري، الذي أثره جميع ما خلق وذرأ، والحكم الديني، الذي أثره جميع الشرائع، والأوامر والنواهي.

وفي الآخرة يحكم بحكمه القدري والجزائي، ولهذا قال: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)فيجازي كلا منكم بعمله، من خير وشر.

- من رحمة الله وقدرته تسخير الليل والنهار لعباده.فكيف سخرها لهم وما الذي ينبغي تجاه هذه النعم؟

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ () قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ () وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) . هذا امتنان من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل اللّه، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم في ضيائه، والليل ليهدأوا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده.

فهل أحد يقدر على شيء من ذلك؟ فلو جعل (عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ) مواعظ اللّه وآياته سماع فهم وقبول وانقياد، ولو جعل (عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ) مواقع العبر، ومواضع الآيات، فتستنير بصائركم، وتسلكوا الطريق المستقيم.

- لماذا قال في الليل (أَفَلا تَسْمَعُونَ) وفي النهار (أَفَلا تُبْصِرُونَ)؟

لأن سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر، وعكسه النهار.

- على ماذا نبه الله عباده في هذه الآيات؟ (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة......)

وفي هذه الآيات، تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم اللّه عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى أن هذا أمر لم يزل مستمرا، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء على الله، بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر.

- كيف يظهر الله كذب المشركين به يوم القيامة وبطلان ما زعموا من وجود الشركاء لله؟

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ () وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ). أي: ويوم ينادي اللّه المشركين به، العادلين به غيره، الذين يزعمون أن له شركاء، يستحقون أن يعبدوا، وينفعون ويضرون، فإذا كان يوم القيامة، أراد اللّه أن يظهر جراءتهم وكذبهم في زعمهم وتكذيبهم لأنفسهم فـ (يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) أي: بزعمهم، لا بنفس الأمر.

فإذا حضروا وإياهم، نزع (مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ) من الأمم المكذبة (شَهِيدًا) يشهد على ما جرى في الدنيا، من شركهم واعتقادهم، وهؤلاء بمنزلة المنتخبين. أي: انتخبنا من رؤساء المكذبين من يتصدى للخصومة عنهم، والمجادلة عن إخوانهم، ومن هم وإياهم على طريق واحد، فإذا برزوا للمحاكمة (فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) حجتكم ودليلكم على صحة شرككم، هل أمرناكم بذلك؟ هل أمرتكم رسلي؟ هل وجدتم ذلك في شيء من كتبي؟ هل فيهم أحد يستحق شيئا من الإلهية؟ هل ينفعونكم، أو يدفعون عنكم من عذاب اللّه أو يغنون عنكم؟ فليفعلوا إذا كان فيهم أهلية وليروكم إن كان لهم قدرة، (فَعَلِمُوا) حينئذ

بطلان قولهم وفساده، و (أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ) تعالى، قد توجهت عليهم الخصومة، وانقطعت حجتهم، وأفلجت حجة اللّه، (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من الكذب والإفك، واضمحل وتلاشى وعدم، وعلموا أن اللّه قد عدل فيهم، حيث لم يضع العقوبة إلا بمن استحقها واستأهلها.

- من هو قارون وبماذا امتن الله عليه؟

(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ) . يخبر تعالى عن حالة قارون وما فعل وفُعِلَ به ونُصِحَ ووُعِظَ، فقال: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) أي: من بني إسرائيل، الذين فُضِّلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، وامتن اللّه عليهم بما امتن به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكن قارون هذا، بغى على قومه وطغى، بما أوتيه من الأموال العظيمة المطغية (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ) أي: كنوز الأموال شيئا كثيرا، (مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)والعصبة: من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، ونحو ذلك. أي: حتى أن مفاتح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟

- بماذا نصحه الصالحون من قومه؟

(إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ) ناصحين له محذرين له عن الطغيان: (لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن اللّه لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها.

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ) أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند اللّه، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات، (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعا، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، (وَأَحْسِنْ) إلى عباد اللّه (كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) بهذه الأموال، (وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ) بالتكبر والعمل بمعاصي اللّه والاشتغال بالنعم عن المنعم، (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)بل يعاقبهم على ذلك، أشد العقوبة.

- بماذا قابل قارون نصيحة الناصحين؟

فـ قَالَ قارون ـ رادا لنصيحتهم، كافرا بنعمة ربه- : (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) . أي: إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وحذقي، أو على علم من اللّه بحالي، يعلم أني أهل لذلك، فلم تنصحوني على ما أعطاني اللّه تعالى؟

- هل عطاء الله في الدنيا دليل على حسن حالة المعطي؟

قال تعالى مبينا أن عطاءه، ليس دليلا على حسن حالة المعطي: (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) فما المانع من إهلاك قارون، مع مُضِيِّ عادتنا وسنتنا بإهلاك من هو مثله وأعظم، إذ فعل ما يوجب الهلاك؟.

(وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) بل يعاقبهم اللّه، ويعذبهم على ما يعلمه منهم، فهم، وإن أثبتوا لأنفسهم حالة حسنة، وشهدوا لها بالنجاة، فليس قولهم مقبولا وليس ذلك دافعا عنهم من العذاب شيئا، لأن ذنوبهم غير خفية، فإنكارهم لا محل له، فلم يزل قارون مستمرا على عناده وبغيه، وعدم قبول نصيحة قومه، فرحا بطرا قد أعجبته نفسه، وغره ما أوتيه من الأموال.

- عندما خرج قارون بكامل زينته انقسم الناظرون إليه إلى قسمين فما موقفهم؟

(فَخَرَجَ ذات يوم فِي زِينَتِهِ) أي: بحالة أرفع ما يكون من أحوال دنياه، قد كان له من الأموال ما كان، وقد استعد وتجمل بأعظم ما يمكنه، وتلك الزينة في العادة من مثله تكون هائلة، جمعت زينة الدنيا وزهرتها وبهجتها وغضارتها وفخرها، فرمقته في تلك الحالة العيون، وملأت بِزَّتُهُ القلوب، واختلبت زينته النفوس، فانقسم فيه الناظرون قسمين، كل تكلم بحسب ما عنده من الهمة والرغبة.

ف(قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أي: الذين تعلقت إرادتهم فيها، وصارت منتهى رغبتهم، ليس لهم إرادة في سواها، (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ) من الدنيا ومتاعها وزهرتها (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) وصدقوا إنه لذو حظ عظيم، لو كان الأمر منتهيا إلى رغباتهم، وأنه ليس وراء الدنيا، دار أخرى، فإنه قد أعطي منها ما به غاية التنعم بنعيم الدنيا، واقتدر بذلك على جميع مطالبه، فصار هذا الحظ العظيم، بحسب همتهم، وإن همة جعلت هذا غاية مرادها ومنتهى مطلبها، لَمِنْ أدنى الهمم وأسفلها وأدناها، وليس لها أدنى صعود إلى المرادات العالية والمطالب الغالية.

(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)الذين عرفوا حقائق الأشياء، ونظروا إلى باطن الدنيا، حين نظر أولئك إلى ظاهرها: (وَيْلَكُمْ) متوجعين مما تمنوا لأنفسهم، راثين لحالهم، منكرين لمقالهم: ثَوَابُ اللَّهِ العاجل، من لذة العبادة ومحبته، والإنابة إليه، والإقبال عليه. والآجل من الجنة وما فيها، مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين خَيْرٌ من هذا الذي تمنيتم ورغبتم فيه، فهذه حقيقة الأمر، ولكن ما كل من يعلم ذلك يؤثر الأعلى على الأدنى، فما يُلَقَّى ذلك ويوفق له إلا الصَّابِرُونَ الذين حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة، وصبروا على جواذب الدنيا وشهواتها، أن تشغلهم عن ربهم، وأن تحول بينهم وبين ما خلقوا له، فهؤلاء الذين يؤثرون ثواب الله على الدنيا الفانية.

- بماذا عاقب الله قارون على بغيه ؟ومتى كان ذلك؟

فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر، وازَّيَّنَت الدنيا عنده، وكثر بها إعجابه، بغته العذاب فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به، من داره وأثاثه، ومتاعه.

(فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ) أي: جماعة، وعصبة، وخدم، وجنود (يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) أي: جاءه العذاب، فما نصر ولا انتصر.

- ما موقف من أعجبتهم الدنيا وتمنوا مثل ما أوتي قارون بعدما أهلكه الله؟

(وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ) أي: الذين يريدون الحياة الدنيا، الذين قالوا: (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ) يَقُولُونَ متوجعين ومعتبرين، وخائفين من وقوع العذاب بهم: (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) أي: يضيق الرزق على من يشاء، فعلمنا حينئذ أن بسطه لقارون، ليس دليلا على خير فيه، وأننا غالطون في قولنا: (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) و لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا فلم يعاقبنا على ما قلنا، فلولا فضله ومنته لَخَسَفَ بِنَا فصار هلاك قارون عقوبة له، وعبرة وموعظة لغيره، حتى إن الذين غبطوه، سمعت كيف ندموا، وتغير فكرهم الأول. (وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) أي: لا في الدنيا ولا في الآخرة.

- لمن جعل الله الدار الآخرة؟ولمن جعل العاقبة بالفلاح والنجاح؟

(تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ).

لما ذكر تعالى، قارون وما أوتيه من الدنيا، وما صار إليه عاقبة أمره، وأن أهل العلم قالوا: ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا رغب تعالى في الدار الآخرة، وأخبر بالسبب الموصل إليها فقال: (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ) التي أخبر الله بها في كتبه وأخبرت بها رسله، التي قد جمعت كل نعيم، واندفع عنها كل مكدر ومنغص، (نَجْعَلُهَا) دارا وقرارا (لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأرْضِ وَلا فَسَادًا) أي: ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلو في الأرض على عباد الله، والتكبر عليهم وعلى الحق (وَلا فَسَادًا) وهذا شامل لجميع المعاصي، فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض والإفساد، لزم من ذلك، أن تكون إرادتهم مصروفة إلى الله، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح.

وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة، ولهذا قال: (وَالْعَاقِبَةُ) أي حالة الفلاح والنجاح، التي تستقر وتستمر، لمن اتقى الله تعالى، وغيرهم - وإن حصل لهم بعض الظهور والراحة- فإنه لا يطول وقته، ويزول عن قريب. وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة، أن الذين يريدون العلو في الأرض، أو الفساد، ليس لهم في الدار الآخرة، نصيب، ولا لهم منها نصيب

- في جزاء الله على الحسنات والسيئات ما يدل على مضاعفة فضله وتمام عدله.فكيف ذلك؟

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يخبر تعالى عن مضاعفة فضله، وتمام عدله فقال: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) شرط فيها أن يأتي بها العامل، لأنه قد يعملها، ولكن يقترن بها ما لا تقبل منه أو يبطلها، فهذا لم يجئ بالحسنة، والحسنة: اسم جنس يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله تعالى وحق عباده، (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) أي: أعظم وأجل، وفي الآية الأخرى فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا

هذا التضعيف للحسنة، لا بد منه، وقد يقترن بذلك من الأسباب ما تزيد به المضاعفة، كما قال تعالى: وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ بحسب حال العامل وعمله، ونفعه ومحله ومكانه، (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) وهي كل ما نهى الشارع عنه، نَهْيَ تحريم. (فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) كقوله تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ .

- ماذا أثبتت هذه الآية(إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) .

يقول تعالى (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) أي: أنزله، وفرض فيه الأحكام، وبين فيه الحلال والحرام، وأمرك بتبليغه للعالمين، والدعوة لأحكام جميع المكلفين، لا يليق بحكمته أن تكون الحياة هي الحياة الدنيا فقط، من غير أن يثاب العباد ويعاقبوا، بل لا بد أن يردك إلى معاد، يجازى فيه المحسنون بإحسانهم، والمسيئون بمعصيتهم.

وقد بينت لهم الهدى، وأوضحت لهم المنهج، فإن تبعوك، فذلك حظهم وسعادتهم، وإن أبوا إلا عصيانك والقدح بما جئت به من الهدى، وتفضيل ما معهم من الباطل على الحق، فلم يبق للمجادلة محل، ولم يبق إلا المجازاة على الأعمال من العالم بالغيب والشهادة، والمحق والمبطل. ولهذا قال: (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) وقد علم أن رسوله هو المهتدي الهادي، وأن أعداءه هم الضالون المضلون.

- هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم متحريا نزول القرآن قبل أن يأتيه؟

(وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ) أي: لم تكن متحريا لنزول هذا الكتاب عليك، ولا مستعدا له، ولا متصديا. (إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) بك وبالعباد، فأرسلك بهذا الكتاب، الذي رحم به العالمين، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، وزكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فإذا علمت أنه أنزل إليك رحمة منه، علمت أن جميع ما أمر به ونهى عنه، فإنه رحمة وفضل من الله، فلا يكن في صدرك حرج من شيء منه، وتظن أن مخالفه أصلح وأنفع.

- ما الأوامر والنواهي للرسول صلى الله عليه وسلم التي ختمت بها هذه السورة؟

(فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ) أي: معينا لهم على ما هو من شعب كفرهم، ومن جملة مظاهرتهم، أن يقال في شيء منه، إنه خلاف الحكمة والمصلحة والمنفعة.

(وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزلَتْ إِلَيْكَ) بل أبلغها وأنفذها، ولا تبال بمكرهم ولا يخدعنك عنها، ولا تتبع أهواءهم.

(وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ) أي اجعل الدعوة إلى ربك منتهى قصدك وغاية عملك، فكل ما خالف ذلك فارفضه، من رياء، أو سمعة، أو موافقة أغراض أهل الباطل، فإن ذلك داع إلى الكون معهم، ومساعدتهم على أمرهم، ولهذا قال: (وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) لا في شركهم، ولا في فروعه وشعبه، التي هي جميع المعاصي.

(وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) بل أخلص لله عبادتك، فإنه (لا إِلَهَ إِلا هُوَ) فلا أحد يستحق أن يؤله ويحب ويعبد، إلا الله الكامل الباقي الذي (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ) وإذا كان كل شيء هالكا مضمحلا سواه فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها، وفساد نهايتها. (لَهُ الْحُكْمُ) في الدنيا والآخرة (وَإِلَيْهِ) لا إلى غيره (تُرْجَعُونَ) فإذا كان ما سوى الله باطلا هالكا، والله هو الباقي، الذي لا إله إلا هو، وله الحكم في الدنيا والآخرة، وإليه مرجع الخلائق كلهم، ليجازيهم بأعمالهم، تعيَّن على من له عقل، أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويعمل لما يقربه ويدنيه، ويحذر من سخطه وعقابه، وأن يقدم على ربه غير تائب، ولا مقلع عن خطئه وذنوبه.

لمسات بيانية:

- آية (٥٢) :
  - ما الفرق بين (أوتوا الكتاب) و (آتيناهم الكتاب)؟ (د.فاضل السامرائى)

القرآن الكريم يستعمل أوتوا الكتاب في مقام الذم ويستعمل آتيناهم الكتاب في مقام المدح. قال تعالى (وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (١٠١) البقرة) هذا ذم، (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ (١٤٥) البقرة) هذا ذم، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) آل عمران) (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) البينة) هذا ذم، (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ (٤٤) النساء) ذم. بينما آتيناهم

الكتاب تأتي مع المدح (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ (١٢١) البقرة) مدح، (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ (٨٩) الأنعام) مدح، (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ (٣٦) الرعد) (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) القصص) مدح، (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ (٤٧) العنكبوت) مدح. هذا خط عام في القرآن على كثرة ما ورد من أوتوا الكتاب وآتيناهم الكتاب حيث قال أوتوا الكتاب فهي في مقام ذم وحيث قال آتيناهم الكتاب في مقام ثناء ومدح. القرآن الكريم له خصوصية خاصة في استخدام المفردات وإن لم تجري في سنن العربية. أوتوا في العربية لا تأتي في مقام الذم وإنما هذا خاص بالقرآن الكريم. عموماً رب العالمين يسند التفضل والخير لنفسه (آتيناهم الكتاب) لما كان فيه ثناء وخير نسب الإيتاء إلى نفسه، أوتوا فيها ذم فنسبه للمجهول (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا (٥) الجمعة) (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) الشورى)، أما قوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٣٢) فاطر) هذا مدح.

- آية (٥٤) :
  - في الأحزاب قال (وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)) وفي القصص (أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا (٥٤)) وهنا قال كفلين لماذا الاختلاف وما الفرق بين الكفل والأجر؟ (د.فاضل السامرائى)

الكفل هو النصيب وأحياناً بمعنى المِثل. قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ (٢٨) الحديد) أي نصيبين من الرحمة أي يضاعف لهم الأجر إذن لماذا لم يقل أجرهم كما في آية القصص؟ الأجر في اللغة هو الجزاء على العمل ، أصل الأجر الجزاء على العمل تقول أعطه أجراً، استأجره أي يعمل عملاً مقابل مال. الكِفل ليس له علاقة بالعمل وإنما نصيب. الكفل هو المِثل وقد يكون في الخير أو في الشر. لكن السؤال لماذا قال هنا كفلين من رحمته وقال في القصص والأحزاب أجرهم وأجرها؟ قلنا أن الأجر هو الجزاء على العمل وهنا لم يذكر عملاً وإنما التقوى والإيمان بالرسول هذا ليس عملاً وإنما قلبي الآن ما ذكر العمل بينما في القصص قال (أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)) إذن ذكر الأجر بمقابل العمل قال (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) وفي سورة الأحزاب (وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) إذن الأجر مقترن بالعمل أما الكفل فهو النصيب.

- آية (٥٩) :
  - قال تعالى في سورة الأنفال (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)) وفي آية أخرى قال تعالى (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) القصص) كيف نطبق القاعدة؟ (د.فاضل السامرائى)

وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم مانع للعذاب لكن هذا المنع موقوت ببقاء الرسول عليه الصلاة والسلام فيما بينهم أما الاستغفار فقد جعله الله تعالى مانعاً ثابتاً والاستغفار يدفع العذاب (وما كان الله معذبهم) بقاء الرسول عليه الصلاة والسلام بينهم متغير ولو تركهم حق

عليهم العذاب. ونلاحظ من كرم الله تعالى ما قال (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ربنا يدفع العذاب ولو لم يكن الاستغفار صفة ثابتة فيهم لأن رحمته واسعة تسع كل شيء . وفي آية أخرى قال تعالى (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) القصص) إذا كان الظلم صفة ثابتة يفضي بهم إلى الهلاك لكن في الاستغفار حتى لو لم يكن ثابتاً يغفر الله تعالى من رحمته.

- آية (٦٣) :
  - ما معنى حق القول؟ (د.فاضل السامرائى)

حق القول في القرآن معناه ثبت لهم العذاب. القول هو قوله تعالى (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) السجدة). كلمة حق القول إشارة إلى حق القول مني. الذي ورد في القرآن الكريم طبعاً عموم النحاة كلهم يذكرون أن حق القول المقصود به (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) السجدة) أو (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) ص) حق القول في القرآن الكريم وكذلك حقت الكلمة لم ترد إلا في ثبوت العذاب هذا يمتد في جميع القرآن استقصاء بإلا بمعنى وجب لهم العذاب أو ثبت لهم العذاب مثال (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) القصص) (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) السجدة) (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ (٩٦) يونس) كلها لم ترد في القرآن لم ترد إلا بهذا المعنى وهذه الدلالة، حق القول أو حقت الكلمة لم ترد إلا بهذه الدلالة.

- آية (٧٠) :
  - في سورة القصص وردت الآية: (فله الحمد في الأولى والآخرة) أي تقدم ذكر الاولى على الآخرة وفي سورة الليل تقدم ذكر الآخرة على الأولى فما الفرق بين الآيتين؟(د.فاضل السامرائى)

في سورة القصص سياق الآيات (٧٠ – ٧٣) هو في نعم الدنيا من الآية: (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيع ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) فالسياق كله في الدنيا وما أودع الله تعالى من النعم في الأولى. فلذا ناسب تقديم الأولى على الآخرة في سورة القصص. وقال تعالى: (وله الحمد) أيضا الذي يدل على أن النعم يجب أن تقابل بالحمد والشكر والاختيار ناسب السياق للآيات وهو تذكير للإنسان بنعم الله تعالى في الدنيا. أما في سورة الليل فقال تعالى (إن لنا للآخرة والأولى) لم يذكر الحمد وقدم الآخرة .

- آية (٧١-٧٢) :
  - ما دلالة الاختلاف فى الفاصلة بين الآيتين(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) القصص) والآية بعدها (قُلْ أَرَأَيْتُمْ

إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) القصص)؟ (د.فاضل السامرائى)

لما كان الأمر يأتي عن طريق السماع قال (أَفَلَا يَسْمَعُونَ) ولما كان الأمر مشاهداً يأتي عن طريق المشاهدة قال أفلا يبصرون. ذكرنا سابقاً قوله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) القصص) لما ذكر الليل قال أفلا تسمعون لأن الليل سرمد لا يُرى فيه والآية بعدها (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) القصص) لما ذكر النهار قال أفلا تبصرون وعندما ذكر الليل قال أفلا تسمعون.

- لم قدم السمع على البصر فى الآيتين (٧١)-(٧٢)؟ (د.فاضل السامرائى)

في القرآن الكريم غالباً يتقدم السمع على البصر لأن من يسمعك أقرب إليك ممن يراك، أنت ترى النجوم والكواكب والشمس والقمر وترى رجلاً من بعيد ولا تسمع صوته (قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦) طه) يشعر بالقرب والطمأنينة وفي مجال الدعوة والتبليغ السمع أهم من البصر. كما في الإسراء كان في الليل والليل أداته السمع وليس البصر وقال تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) القصص) مراعاة الحالة فناسبت الكلمة المسرح الذي تتحدث عنه. إذن تقديم السمع أولى من كل ناحية.

ذكرنا فيما ذكرنا أن القصة في سورتي النمل والقصص كل منهما له طابع فذكرنا أنه في سورة القصص مقام تبسّط وتفصيل وفي النمل الإيجاز، هذا أمر يطبعهما وفي القصص مقام الخوف كان مسيطراً على القصة في جوانب متعددة من قبل ولادة موسى إلى الآخر وأما في النمل فهي في مقام التكريم والتشريف ولم يذكر الخوف بالنسبة لموسى إلا في مقام واحد وهو إلقاء العصا. هذان الأمران طبعا القصة إلى حد كبير وذكرنا جملة من التشابه والأختلاف (سآتيكم – لعلي آتيكم/ بشهاب قبس، جذوة).

- (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)يس) لماذا لم يتكرر فعل (جعلنا) كما في قوله تعالى (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) النبأ)و((٧١) -(٧٢) القصص) ؟ (د.فاضل السامرائى)

التكرار يفيد التوكيد في الغالب. هل المطلوب السير إلى الأمام أو الرجوع؟ السير إلى الأمام، إذن ليسا بمنزلة واحدة الرجوع ليس كالسير إلى الأمام. السير إلى الأمام يكون عندك هدف والأهم هو السير إلى الأمام قال (وجعلنا) إذن العودة إلى الخلف ليست بمنزلة السير إلى الأمام فلم يقل (جعلنا) لأنهما ليسا بمنزلة واحدة ولو قال (وجعلنا من خلفهم سدا) يدل على أنهما بمنزلة واحدة بينما إلى الأمام ليس كـ إلى الخلف. بينما في قوله تعالى (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) النبأ) كلاهما لا تقوم الحياة إلا بهما وهما بمنزلة واحدة لا تصلح الحياة بأحدهما لا تصلح الحياة بليل لا نهار فيه أو نهار لا ليل فيه وقال تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ

يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) القصص) هذان بمنزلة واحدة للحياة الليل والنهار لا تصلح الحياة بأحدهما فكرر (جعلنا) أما في سورة يس فليسا بمنزلة واحدة.

- آية (٨٠) :
  - (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) القصص) لماذا لم يقل أوتوا التقوى؟ هل لأن أهل العلم الشرعي بالذات لديهم بصيرة ونور أكثر من أهل التقوى والصدق؟ أم هم الأقدر تمييزاً في هذا الاختيار المصيري بين الدنيا والآخرة؟ فهل يحق لي كطالبة علم أن أتفكر في بعض الآيات وأسأل أهل العلم؟ (د.فاضل السامرائى)

يجوز أن تفكر وتسأل.

العلم بأحوال الدنيا والآخرة. ذكر أوتوا العلم مناسب لما ادّعاه قارون (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي (٧٨) القصص) لأنه ادعى أن ما حصل عليه من علمه لكن هذا العلم الذي عنده أورده موارد الهلكة فهؤلاء الآخرون الذين أوتوا حق العلم هم الذين يعرفون ماذا كان ينبغي أن يكون وليس العلم الذي ادعاه قارون حتى أورده موارد الهلكة، فعلم هؤلاء بمقابل علم هذا الشخص الذي ادّعاه لنفسه. هذا أمر والأمر الآخر هو ذكر الذين أوتوا العلم ولم يذكر التقوى لئلا يُظن أن التقوى هي نقيض العلم لو قال التوقى معناه العلم لا ينفع. لو لم يذكر العلم وقال التقوى ستصبح التقوى بمقابل العلم لكن التقوى ليست بمقابل العلم العلم أيضاً يأتي بالتقوى وليس نقيضاً لها كأن معنى أن الذي أوتي العلم يريد الهلكة لكن المتقي ينجو من ذلك والأمر ليس كذلك الذي يعلم حق العلم هو الذي ينجو لأن المؤمن والمتقي قد لا يكون عالماً وإذا لم يكن عالماً قد يقع في جهله ويقع في أمور هو لا يعلمها لكن الراسخون في العلم الذين يعلمون حق العلم هم المتقون فعلاً كما قال تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء (٢٨) فاطر) ذكر العلم لأن هؤلاء هم المتقون حقاً وكلمة أوتوا العلم لم ترد في جميع القرآن إلا في المدح والثناء. إذن هذا الذي أوتي العلم حق العلم هو متقي وهو مؤمن (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) الإسراء) إذن الذين أوتوا العلم يعني يعلمون حق العلم ماذا كان ينبغي أن يفعل، الذي ضلّ لم يؤتى حق العلم هذا ورد موارد الهلكة أنه لم يعلم حق العلم ولو علم حق العلم لخشي (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) إذن الذين أوتوا العلم ويعلمون بأحوال الدنيا والآخرة هم الذين قالوا.

- آية (٨٥) :
  - ما اللمسة البيانية في الآية (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ (٨٥) القصص)؟ وما دلالة كلمة معاد؟ ولماذا لم يقل ميعاد؟ (د.فاضل السامرائى)

المعاد غير الميعاد. المعاد هو بلد الرجل من العَوْد، نعاد إسم مكان بلد الرجل معاده لأنه يسافر ثم يعود. هناك فرق بين المعاد والميعاد: المعاد من عاد والميعاد من وعد (مفعال - موعاد) أصلها موعاد سكن حرف العلة وقبلها كسرة فيصير ميعاد. إذن المعاد من عاد من العوْد إسم مكان، المعاد هو البلد بلد الإنسان هو معاده، البلد الذي يعيش فيه لأنه مهما ذهب يعود إليه فهو معاده (إلى معاد) يعني لرادك إلى مكة، الآية نزلت في الجحفة هي بشارة أنه عليه الصلاة والسلام سيعود إلى مكة فالمعاد هو من العوْد من عاد يعود والميعاد من عاد،

الميعاد هو الموعد (إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١) الرعد) يعني لا يخلف الموعد ولا يصح أن يقال لا يخلف المعاد. (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ (٨١) هود) هذا موعد من ميعاد، (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١) الرعد) (وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ (٤٧) الحج). قسم قال المعاد هو الحشر والجنة باعتبار الناس يعودون أو الجنة لأنه تعود إليهم حياتهم. نقول نعود إلى المعاد في الميعاد.

- آية (٨٦):
  - ما دلالة كلمة يُلقى في قوله تعالى (وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ (٨٦))؟ (د.حسام النعيمى)

الرسول صلى الله عليه وسلم كان أمياً وكان عليه الصلاة والسلام يعلم أن اليهود عندهم كتاب والنصارى عندهم كتاب. الأمي هل يتوقع أن يكون نبياً؟ ما دام هناك كتب وهو لم يكن يقرأ فما كان يتصور أن يكون نبياً لكن هناك منفذ لم يكن يتخيله عليه الصلاة والسلام وهو أن يلقى القرآن إليه شفاهاً ما كان يتوقعه فإذن هنا يُلقى إليك ليس بمعنى يرمى إليك وإنما من الإلقاء. نحن إلى الآن نستعملها نقول: ألقى فلاناً قصيدة جميلة يعني قرأها على مسامعنا شفاهاً. الآية تبين أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يأمل أو يتوقع أن يكون رسولاً ينزل عليه كتاب وهو الأميّ الذي لا يقرأ ولا يكتب ولكن الله سبحانه وتعالى أكرمه بأن جعل الكتاب يُلقى إليه إلقاء فيسمعه ويبلّغه أمّته. قال تعالى (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨٥) وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦)). ما كان يرجو عليه الصلاة والسلام أن يكون نبياً لكن هذا المنفذ فوجئ به عليه الصلاة والسلام أن القرآن ألقي إليه إلقاء وهذا ينسجم مع ما ورد في الإنجيل أن أتباع النبي الخاتم أناجيلهم في صدورهم يحفظونها حفظاً. ولاحظ ليس هناك كتاب يُحفظ غير القرآن. أناجيلهم في صدورهم أي قرآنهم في صدورهم وهذا ما لا يمحى أو يُحرّف.

  - في قوله تعالى (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ (٨٨) القصص) أين المستثنى والمستثنى منه؟ وما إعراب كلمة (وجهه)؟ (د.فاضل السامرائى)

في الآية (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) الوجه هو شيء ربنا سبحانه وتعالى سمى نفسه شيئاً فقال (ليس كمثله شيء). فإذن المستثنى ظاهر (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) يعني الوجه مستثنى من الشيء، المستثنى هنا ظاهر (شيء) والمستثنى منه (وجهه) يعرب مستثنى منه منصوب بالفتحة.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

- لما بدئت السورة بالحديث عن أمر موسى عليه السلام مع قومه ونصرته، وتمسكه بعبادة الله تعالى حيث قال (فلن أكون ظهيراً للمجرمين)، وخروجه من وطنه، ختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بألا يكون ظهيراً للكافرين، وبتسليته عليه الصلاة والسلام عن إخراجه من مكة، ووعده بالعود إليها، ويناسب هذا أيضاً ما جاء في أول السورة الكريمة من قول الله تعالى (إنا رادوه إليك).
- لما ذكر في أول السورة علو فرعون في الأرض وإفساده، نبّه سبحانه وتعالى في آخر السورة إلى أن الدار الآخرة (للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا).

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة العنكبوت ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســـــورة العنكبوت

بين يدي السورة:

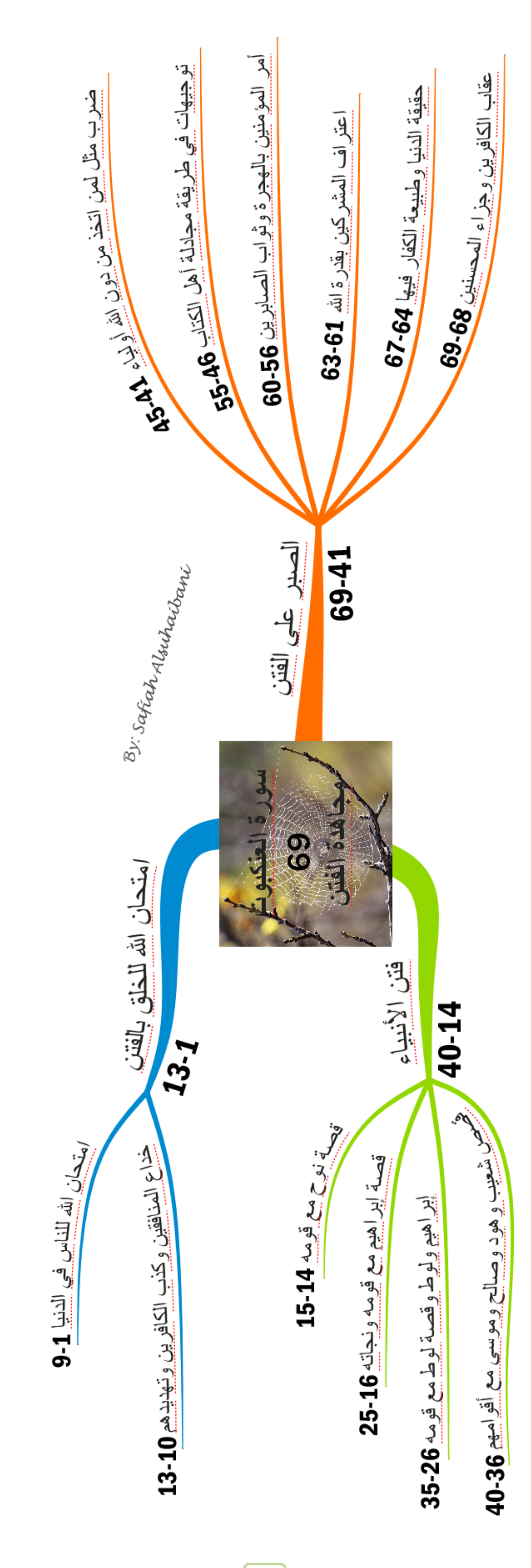
- تسمى سورة العنكبوت، وسميت بهذا الاسم عن أهل التفسير والحديث، وهو اسم توقيفي.
- محور السورة: محورها يدور حول الإيمان وتثبيته وقت الابتلاء والشدائد والمحن فالإنسان معرض لأن يفتن في كثير من الأمور، كفتنة المال، والبنين، والشهوة، والسلطة... وغيرها.
- سبب نزولها: أنزلت في أناس كانوا بمكة، أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة أنه لا يقبل منكم حتى تهاجروا، فخرجوا قاصدين المدينة، فتبعهم المشركون، فردوهم، فنزلت فيهم هذه الآيات. فكتبوا إليهم أنه قد نزل فيكم كذا وكذا، فقالوا: نخرج، فإن ابتعنا أحد قاتلناه، فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل، منهم من نجا فنزل: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين"

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

ذكر الله تعالى في سورة القصص قبلها استعلاء فرعون وجبروته وقوته، باستضعاف بني إسرائيل وذبح أبنائهم، واستحياء نسائهم، ونجاة موسى عليه السلام وقومه، وانتصاره على فرعون ومن معه، وذكر الله تعالى قصة قارون وبغيه، وعاقبه بأن خسف به الأرض، وفي هذه السورة ذكر قصة المشركين في مكة، الذين عذبوا المؤمنين، وقصة نوح مع قومه وإغراق الذين كذبوه.

وفي مطلع هذه السورة رد على منكري الحشر، وأن الله يثيب المطيع العابد، ويعذب الكفور الجاحد. فالمناسبة بين السورتين بذكر الأمثلة الواقعية من الصراع بين الحق والباطل والصبر وعدم الصبر، والبعث والجزاء.

محاور السورة:



المقطع الأول: من الآية (١) إلى الآية (٢٣)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (١ – ٧) اختبار الناس وجزاؤهم. ابتدأ هذا المقطع بالحروف المقطعة التي تنبه على إعجاز القرآن، ثم بالاستفهام الإنكاري لمن ظن من المؤمنين الذين كانوا بمكة مستضعفين، وكان كفار قريش يعذبونهم، فضاقت صدورهم، فآنسهم الله بهذه الآية، ووعظهم وأبان لهم أن هذه سنته في عباده المؤمنين.
- الآيات (٨ – ١٣) التوصية بحسن معاملة الوالدين وبيان خسة المنافقين.
- الآيات (١٤ – ١٥) قصة نوح عليه السلام. في هذه القصة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من أذى المشركين، وعدم إتباعهم له، وإيذاء أتباعه.
- الآيات (١٦ – ٢٧) قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، وجوابهم له.

التمهيد:

بسم الله و الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين ، اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا هدى وتقى .

اليوم بإذن الله نتكلم عن العنكبوت ، ذكره يسمى العنكب أما أنثاه فهي العنكبوت ، معظم أنواعه ليست ضارة باستثناء بعض الأنواع المعدودة على الأصابع .

من فوائدها أنها تقضي معظم وقتها في اصطياد الحشرات .

حقائق عن العنكبوت:

- الحقيقة الأولى : أن ذكر العنكبوت لا يستطيع أن يبني بيتا وأن التي تقوم ببناء البيت هي الأنثى فقط.

من خلال مغزل خاص موجود في نهاية بطنها ولايوجد مثله عند الذكر.

- الحقيقة الثانية : لا تبدأ الأنثى ببناء البيت إلا حينما تصل إلى مرحلة البلوغ والإستعداد للزواج ،فتقوم ببناء بيتها الذي يكون عامل لجذب قوي للذكر غير القادر على البناء بطبيعته التي خلقها الله له.
- الحقيقة الثالثة: تقوم الأنثى ببناء بيتها بخيوط منسوجة بتداخلات فنية وهندسية خاصة حيث تكون شديدة الحساسية لأي اهتزاز خارجي ، وهذه الخيوط مشبعة بمادة لزجة صمغية تلتصق بها أي حشرة بمجرد المرور عليها أو الإقتراب منها وهذه الخيوط تقوم بتكبيل الحشرة حتى تأتي أنثى العنكبوت فتفترسها.

- الحقيقة الرابعة: بعد أن تتم مرحلة التزاوج وينتهي الذكر من تلقيح الأنثى تذهب الأنثى إلى مكان بعيد آمن حيث تضع البيض ،وبينما الذكر في بيته يشعر بالأمان إذا بالأنثى تنقض عليه فتأكله وهذا الأكل لابد أن يتم حيث أن أنسجة الذكر مهمة في عملية إنضاج البيض.

وبهذه الحقائق تتضح لنا الأمور التالية:

١ـ أن بيت العنكبوت هو أوهن البيوت على الإطلاق من حيث بنائه ودقة خيوطه التي لاتقي حرا ولا قرا.

٢ـ على الرغم من أن بيت العنكبوت هو أوهن البيوت على الأرض إلا أنه فخا لأية حشرة تقترب منه أو تمر عليه .

٣ـ لا يقتصر وهن بيت العنكبوت على الوهن الحسي الظاهر في بنائه فقط بل إن هناك وهنا معنويا آخر فالأنثى تقتل الذكر ، وكذلك الصغار بعد أن يكبروا يقومون بقتل الأم وإلقائها خارج المنزل ..

فهو بحق بيت من أعجب البيوت وأسوئها ، وقد وصفه القرآن في آية واحدة (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)

نعم .. الناس يعلمون مدى وهنه الحسي ولكنهم لم يدركوا وهنه المعنوي إلا في هذا العصر عند تقدم العلم. لهذا جاءت خاتمة الآية (لو كانوا يعلمون) ومع ذلك سمى الله هذه السورة باسم هذه الحشرة ويتكلم عنها في آية واحدة.

مع أن السورة تتحدث عن الفتن ، فما علاقة الفتن بالعنكبوت ؟؟

إن تداخل الفتن يشبه خيوط العنكبوت فالفتن متشابكة متداخلة لا يستطيع المرء أن يميز بينها وهي كثيرة معقدة ولكنها هشة ضعيفة إذا تمسكنا بالكتاب والسنة واستعنا بالله ..

اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ..

فوائد وأسئلة تدبرية:

- ماهي سنة الله التي قضاها على عباده المؤمنين؟

يخبر تعالى عن [تمام} حكمته وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال " إنه مؤمن " وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل.

- ماهي أنواع الفتن التي تعرض للإنسان؟

فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة.

- كيف نعرف صدق إيماننا من عدمه؟

فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته.

- ما ميزان الإيمان ؟

ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكا وريبا، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصدفه عن الواجبات، دلَّ ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه.

- هل موقف الناس من الفتن واحد ؟

والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها وطيبها.

- استفتهام {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} أي: أحسب الذين همهم فعل السيئات وارتكاب الجنايات، أن أعمالهم ستهمل، وأن الله سيغفل عنهم، أو يفوتونه، فلذلك أقدموا عليها، وسهل عليهم عملها؟ {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} أي: ساء حكمهم، فإنه حكم جائر، لتضمنه إنكار قدرة الله وحكمته، وأن لديهم قدرة يمتنعون بها من عقاب الله، وهم أضعف شيء وأعجزه.
- من الذي يرجو لقاء الله؟

{مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} يعني: يا أيها المحب لربه، المشتاق لقربه ولقائه، المسارع في مرضاته، أبشر بقرب لقاء الحبيب، فإنه آت، وكل آت إنما هو قريب، فتزود للقائه، وسر نحوه، مستصحبا الرجاء، مؤملا الوصول إليه، ولكن، ما كل من يَدَّعِي يُعْطَى بدعواه، ولا كل من تمنى يعطى ما تمناه، فإن الله سميع للأصوات، عليم بالنيات، فمن كان صادقا في ذلك أناله ما يرجو، ومن كان كاذبا لم تنفعه دعواه، وهو العليم بمن يصلح لحبه ومن لا يصلح.

- ما هي أنواع الجهاد؟

(وَمَنْ جَاهَدَ) نفسه وشيطانه، وعدوه الكافر، {فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ} لأن نفعه راجع إليه، وثمرته عائدة إليه، والله غني عن العالمين، لم يأمرهم بما أمرهم به لينتفع به، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بُخْلًا عليهم.

- لماذا يأمرنا بالمجاهدة؟

وقد علم أن الأوامر والنواهي يحتاج المكلف فيها إلى جهاد، لأن نفسه تتثاقل بطبعها عن الخير، وشيطانه ينهاه عنه، وعدوه الكافر يمنعه من إقامة دينه، كما ينبغي، وكل هذا معارضات تحتاج إلى مجاهدات وسعي شديد.

- هل المؤمن يخطئ؟

يعني أن الذين منَّ الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح، سيكفر الله عنهم سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات.

- ماهو أحسن ما يعمل الإنسان؟

وهي أعمال الخير، من واجبات ومستحبات، فهي أحسن ما يعمل العبد، لأنه يعمل المباحات أيضا، وغيرها.

- {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} أي: وأمرنا الإنسان، ووصيناه بوالديه حسنا، أي: ببرهما والإحسان إليهما، بالقول والعمل، وأن يحافظ على ذلك، ولا يعقهما ويسيء إليهما في قوله وعمله.

{وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} وليس لأحد علم بصحة الشرك بالله، وهذا تعظيم لأمر الشرك، {فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} فأجازيكم بأعمالكم، فبروا والديكم وقدموا طاعتهما، إلا على طاعة الله ورسوله، فإنها مقدمة على كل شيء.

- الذين ءامنوا وعملوا صالحا بماذا وعدهم الله؟

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ} أي: من آمن بالله وعمل صالحا، فإن الله وعده أن يدخله الجنة في جملة عباده الصالحين، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، كل على حسب درجته ومرتبته عند الله، فالإيمان الصحيح والعمل الصالح عنوان على سعادة صاحبه، وأنه من أهل الرحمن، والصالحين من عباد الله تعالى.

- ذكر الله فئة من الناس من هم؟

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ}

- لما ذكر تعالى أنه لا بد أن يمتحن من ادَّعى الإيمان، ليظهر الصادق من الكاذب، بيَّن تعالى أن من الناس فريقا لا صبر لهم على المحن، ولا ثبات لهم على بعض الزلازل فقال: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ} بضرب، أو أخذ مال، أو تعيير، ليرتد عن دينه، وليراجع الباطل، {جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} أي: يجعلها صادَّة له عن الإيمان والثبات عليه، كما أن العذاب صادٌّ عما هو سببه.

وإن جاء مايوافق هواه {وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} لأنه موافق للهوى، فهذا الصنف من الناس من الذين قال الله فيهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}

{أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ} حيث أخبركم بهذا الفريق، الذي حاله كما وصف لكم، فتعرفون بذلك كمال علمه وسعة حكمته.

- كيف بين ذلك؟

{وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} أي: فلذلك قَدَّرَ مِحَنًا وابتلاء، ليظهر علمه فيهم، فيجازيهم بما ظهر منهم، لا بما يعلمه بمجرده، لأنهم قد يحتجون على الله، أنهم لو ابتُلُوا لَثَبَتُوا.

- بماذا حذر الله المؤمنين؟

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} يخبر تعالى عن افتراء الكفار ودعوتهم للمؤمنين إلى دينهم، وفي ضمن ذلك، تحذير المؤمنين من الاغترار بهم والوقوع في مكرهم، فقال: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا} فاتركوا دينكم أو بعضه واتبعونا في ديننا، فإننا نضمن لكم الأمر {وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} وهذا الأمر ليس بأيديهم، فلهذا قال: {وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ} لا قليل ولا كثير. فهذا التحمل، ولو رضي به صاحبه، فإنه لا يفيد شيئا، فإن الحق لله، والله تعالى لم يمكن العبد من التصرف في حقه إلا بأمره وحكمه، وحكمه {أن لَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}

ولما كان قوله: {وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ} قد يتوهم منه أيضا، أن الكفار الداعين إلى كفرهم ـ ونحوهم ممن دعا إلى باطله ـ ليس عليهم إلا ذنبهم الذي ارتكبوه، دون الذنب الذي فعله غيرهم، ولو كانوا متسببين فيه، قال: [مخبرا عن هذا الوهم]

{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ} ماهي؟ أي: أثقال ذنوبهم التي عملوها {وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} وهي الذنوب التي بسببهم ومن جرائهم، فالذنب الذي فعله التابع [لكل من التابع}، والمتبوع حصته منه، هذا لأنه فعله وباشره، والمتبوع [لأنه} تسبب في فعله ودعا إليه، كما أن الحسنة إذا فعلها التابع له أجرها

بالمباشرة، وللداعي أجره بالتسبب. {وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} من الشر وتزيينه، [وقولهم] {وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ}.

- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}

لم ذكر هنا مدة مكث نوح عليه السلام في قومه ولم يذكرها في أي موضع آخر؟

يخبر تعالى عن حكمه وحكمته في عقوبة الأمم المكذبة، وأن الله أرسل عبده ورسوله نوحا عليه الصلاة السلام إلى قومه، يدعوهم إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، والنهي عن الأنداد والأصنام، {فَلَبِثَ فِيهِمْ} نبيا داعيا {أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا} وهو لا يَنِي بدعوتهم، ولا يفتر في نصحهم، يدعوهم ليلا ونهارا وسرا وجهارا، فلم يرشدوا ولم يهتدوا، بل استمروا على كفرهم وطغيانهم، حتى دعا عليهم نبيهم نوح عليه الصلاة والسلام، مع شدة صبره وحلمه واحتماله، فقال: {رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} {فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ} أي: الماء الذي نزل من السماء بكثرة، ونبع من الأرض بشدة {وَهُمْ ظَالِمُونَ} مستحقون للعذاب.

{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ} الذين ركبوا معه، أهله ومن آمن به.

- كيف يكون الاعتبار؟

{وَجَعَلْنَاهَا} أي: السفينة، أو قصة نوح {آيَةً لِلْعَالَمِينَ} يعتبرون بها، على أن من كذب الرسل، آخر أمره الهلاك، وأن المؤمنين سيجعل الله لهم من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا.

وجعل الله أيضا السفينة، أي: جنسها آية للعالمين، يعتبرون بها رحمة ربهم، الذي قيض لهم أسبابها، ويسر لهم أمرها، وجعلها تحملهم وتحمل متاعهم من محل إلى محل ومن قُطرٍ إلى قُطرٍ.

- ماهي قصة إبراهيم التي أوردها الله في هذه االسورة ؟

يذكر تعالى أنه أرسل خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى قومه، يدعوهم إلى الله، فقال [لهم]: {اعْبُدُوا اللَّهَ} أي: وحِّدوه، وأخلصوا له العبادة، وامتثلوا ما أمركم به، {وَاتَّقُوهُ} أن يغضب عليكم، فيعذبكم، وذلك بترك ما يغضبه من المعاصي، {ذَلِكُمْ} أي: عبادة الله وتقواه {خَيْرٌ لَكُمْ} من ترك ذلك، وهذا من باب إطلاق {أفعل التفضيل} بما ليس في الطرف الآخر منه شيء، فإن ترك عبادة الله، وترك تقواه، لا خير فيه بوجه، وإنما كانت عبادة الله وتقواه خيرا للناس، لأنه لا سبيل إلى نيل كرامته في الدنيا والآخرة إلا بذلك، وكل خير يوجد في الدنيا والآخرة، فإنه من آثار عبادة الله وتقواه. {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ذلك، فاعلموا الأمور وانظروا ما هو أولى بالإيثار.

- بعد أن أمرهم بعبادة الله عن ماذا نهاهم؟

فلما أمرهم بعبادة الله وتقواه، نهاهم عن عبادة الأصنام، وبيَّن لهم نقصها وعدم استحقاقها للعبودية، فقال: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا} تنحتونها وتخلقونها بأيديكم، وتخلقون لها أسماء الآلهة، وتختلقون الكذب بالأمر بعبادتها والتمسك بذلك، {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} في نقصه، وأنه ليس فيه ما يدعو إلى عبادته، {لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا} فكأنه قيل: قد بان لنا أن هذه الأوثان مخلوقة ناقصة، لا تملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وأن من هذا وصفه، لا يستحق أدنى أدنى مثقال مثقال ذرة من العبادة والتأله، والقلوب لا بد أن تطلب معبودا تألهه وتسأله حوائجها، فقال ـ حاثا لهم على من يستحق العبادة ـ {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ} فإنه هو الميسر له، المقدر، المجيب لدعوة من دعاه في أمر دينه ودنياه {وَاعْبُدُوهُ} وحده لا شريك له، لكونه الكامل النافع الضار، المتفرد بالتدبير، {وَاشْكُرُوا لَهُ} وحده، لكون جميع ما وصل ويصل إلى الخلق من النعم فمنه، وجميع ما اندفع ويندفع من النقم عنهم فهو الدافع لها.

- مادلالة قوله إليه ترجعون؟

{إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يجازيكم على ما عملتم، وينبئكم بما أسررتم وأعلنتم، فاحذروا القدوم عليه وأنتم على شرككم، وارغبوا فيما يقربكم إليه، ويثيبكم ـ عند القدوم ـ عليه.

- إذا حصل ريب أو شك ماذا يفعلون؟

{أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} يوم القيامة {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}

{قُلْ} لهم، إن حصل معهم ريب وشك في الابتداء: {سِيرُوا فِي الْأَرْضِ} بأبدانكم وقلوبكم {فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ} فإنكم ستجدون أمما من الآدميين والحيوانات، لا تزال توجد شيئا فشيئا، وتجدون النبات والأشجار، كيف تحدث وقتا بعد وقت، وتجدون السحاب والرياح ونحوها، مستمرة في تجددها، بل الخلق دائما في بدء وإعادة.

- مثال:

فانظر إليهم وقت موتتهم الصغرى ـالنومـ وقد هجم عليهم الليل بظلامه، فسكنت منهم الحركات، وانقطعت منهم الأصوات، وصاروا في فرشهم ومأواهم كالميتين، ثم إنهم لم يزالوا على ذلك طول ليلهم، حتى انفلق الإصباح، فانتبهوا من رقدتهم، وبعثوا من موتتهم، قائلين: " الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور "

ولهذا قال: {ثُمَّ اللَّهُ} بعد الإعادة {يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ} وهي النشأة التي لا تقبل موتا ولا نوما، وإنما هو الخلود والدوام في إحدى الدارين. {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فقدرته تعالى لا يعجزها شيء وكما قدر بها على ابتداء الخلق، فقدرته على الإعادة من باب أولى وأحرى.

{يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ} أي: هو المنفرد بالحكم الجزائي، وهو إثابة الطائعين ورحمتهم، وتعذيب العاصين والتنكيل بهم.

- أين يكون الحكم الجزائي؟

{وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ} أي: ترجعون إلى الدار، التي بها تجري عليكم أحكام عذابه ورحمته، فاكتسبوا في هذه الدار، ما هو من أسباب رحمته من الطاعات، وابتعدوا من أسباب عذابه، وهي المعاصي.

- هل العصاة يعجزون الله؟

{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} أي: يا هؤلاء المكذبون، المتجرؤن على المعاصي، لا تحسبوا أنه مغفول عنكم، أو معجزون لله في الأرض ولا في السماء، فلا تغرنكم قدرتكم وما زينت لكم أنفسكم وخدعتكم، من النجاة من عذاب الله، فلستم بمعجزين الله في جميع أقطار العالم.

{وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ} يتولاكم، فيحصل لكم مصالح دينكم ودنياكم، {وَلَا نَصِيرٍ} ينصركم، فيدفع عنكم المكاره.

- من الذين زاال عنهم الخير وحصل لهم الشر؟

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} يخبر تعالى من هم الذين زال عنهم الخير، وحصل لهم الشر، وأنهم الذين كفروا به وبرسله، وبما جاءوهم به، وكذبوا بلقاء اللّه، فليس عندهم إلا الدنيا، فلذلك قدموا على ما أقدموا عليه من الشرك والمعاصي، لأنه ليس في قلوبهم ما يخوفهم من عاقبة ذلك، ولهذا قال تعالى: {أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي} أي: فلذلك لم يعلموا سببا واحدا يحصلون به الرحمة، وإلا لو طمعوا في رحمته، لعملوا لذلك أعمالا، والإياس من رحمة اللّه من أعظم المحاذير.

- ما هي أنواع الإياس من رحمة الله؟

وهو نوعان:

١ـ إياس الكفار منها، وتركهم جميع سبب يقربهم منها.

٢ـ وإياس العصاة، بسبب كثرة جناياتهم أوحشتهم، فملكت قلوبهم، فأحدث لها الإياس.

- {وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي: مؤلم موجع. وكأن هذه الآيات معترضات بين كلام إبراهيم عليه السلام لقومه، وردهم عليه، والله أعلم بذلك.

لمسات بيانية:

آية (٣):

*ما دلالة استخدام صيغة اسم الفاعل في كلمة الكاذبين والمنافقين في سورة العنكبوت؟(د.فاضل السامرائى)

قال تعالى في سورة العنكبوت (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ {٣}) و (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ {١١}) فجاءت (الذين صدقوا) و(الذين آمنوا) بصيغة الفعل وجاءت كلمة (الكاذبين) و(المنافقين) بصيغة اسم الفاعل. هناك قاعدة في اللغةإن الإسم أقوى وأثبت وأدوم من الفعل. والآية نزلت في قوم قريبي عهد بالدين والتكاليف، (الذين صدقوا والكاذبين) الكاذبين هم الأصل أي الكفرة فهل صدقوا إيمانهم أم بقوا على حالهم؟ الكلام في عموم المنافقين الذي أحدث إيماناً.

آية (٨):

*ما الفرق بين (حسناً) و (إحساناً)؟د.فاضل السامرائى:

في آية قال تعالى (حسناً) (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) العنكبوت) وفي آية (إحساناً) وفي آية لم يذكرها. في العنكبوت (حسنا)، في لقمان لم ترد (إحساناً)، في الأحقاف وردت (إحساناً). أولاً المراتب: الإحسان أكرم من الحُسن، تعامل الإنسان حسناً أمر عادي لكن أن تحسن إليه هذه مرتبة أعلى من الحسن. قال (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) لقمان) قال (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا (١٥) لقمان) بينما في العنكبوت قال (وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي)، (على أن) فيها تعهد. نقول مثلاً زوجتك ابنتي لتعينني، زوجتك ابنتي على أن تعينني، (على أن تعينني) شرط كما قال تعالى (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ (٢٧) القصص)، (على أن) إشتراط. الوالدان في آية لقمان أشد كفراً يشترطون عليه الكفر (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي)، في العنكبوت (لتشرك بي) اللام هنا للتعليل. (على أن) أقوى للتشرط وفيها الإستعلاء. فلما كان في العنكبوت أقل المجاهدة قال (حسناً) ليست كالتي في لقمان. ثم هناك مسألة: الله تعالى في جميع القرآن إذا أمر بالبر والدعاء يستعمل الوالدين وليس الأبوين في القرآن كله. مع العلم أن الوالدين مثنى والد ووالدة وغلّب المذكر الوالد والأبوين مثنى وغلّب المذكر الأب والأبوان أب وأم. (وبالوالدين إحساناً) هذه عامة لم يحدد ذكر صفة من كفر أو غيره. (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨) نوح) (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) إبراهيم) (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (٢٣) الإسراء) لم يذكر في القرآن موقف بر أو دعاء إلا بلفظ الوالدين. في آية المواريث (وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ

(١١) النساء). (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ (٨٠) الكهف) ليس فيها مقام ذكر البر لذا قال أبواه أما في الدعاء فقال (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) لا يستعمل الأبوين. الأبوين يستعملها في مكان آخر.

ما الفرق بين الوالد والأب؟ التي تلد هي الأم والوالد من الولادة والولادة تقوم بها الأم وهذه إشارة أن الأم أولى بالصحبة وأولى بالبر قبل الوالد. لكن في المواريث لأن نصيب الأب أكبر من نصيب الأم استعمل الأب (وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ). في الأموال يستعمل الأبوين وفي الدعاء الوالدين.

سؤال: اقتران العبادة بالتوحيد (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (٣٦) النساء) التوحيد والوالدين.ما دلالتها؟

هذا الإقتران المخيف يعني جعلهم الله عز وجل كتوحيده الشرك وعقوق الوالدين (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (٢٣) الإسراء) ما قضى إلا هذا رب العالمين (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ومن كرمه رب العالمين لم يقل حسنا قال إحساناً وهذا تقوم به بسهولة. أما الحُسن هذا درجة عالية لمن يسّره الله له ولهذا في الفقه الإسلامي لا يجوز أن تعطي أبوك زكاة لما رب العالمين قال الزكاة لمن؟ قال الصدقات (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ (٦٠) التوبة) لم يقل والأبوين، الأبوان (أنت ومالك لأبيك) ما لم تقتنع بأنك عبدٌ عند أبيك وكل ما تملكه إنما هو ملكٌ لأبيك فأنت لا تصل إلى مرتبة الحُسن ونحن نتكلم الآن عن مرحلة الحسن. ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال "الصلاة على وقتها قالوا: ثم أيّ؟ قال: بر الوالدين" البر مجرد بر الوالدين يعني العمل الثاني بعد الصلاة لأن الصلاة ليس لها بديل وإذا كان البر هكذا فما بالك بالحُسن؟! والحسن لا يعمله إلا القليل لأن هذا يحتاج إلى ثقافة، إلى معرفة بالله عز وجل، إلى أن يُعلَّم هذا الإنسان هذا الأب المسلم ما معنى أن تكون مع أبيك حسناً؟ وهكذا أما البر ما دمت إنساناً أنت بك غريزة وميل طبيعي إلى أن تبر بأبويك ولهذا الله قال (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ) لمجرد كونك إنساناً من عناصر أنسنتك بعد أن أخرجك الله من المملكة الحيوانية وأطلق يديك من الأرض فسوّاك فخلقك فعدلك أطلق يديك حينئذٍ جعل من عناصر هذه الأنسنة أن تكون باراً بوالديك تميل إليهما، تنتسب إليهما، لهما حظوة واحترامٌ عليك وإلى كل المنظومة التي هي حسنٌ أو إحسانٌ أو برٌ ولكلٍ شرحها الذي يطول.

آية (١٤):

*ما الفرق بين سنة وعام في قوله تعالى في قصة نوح تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) العنكبوت)؟

د.فاضل السامرائى:

كلمة سنة في القرآن تدلّ عادة على الجدب والقحط ويقال أسنت الناس إذا أصابهم قحط ويقال أصابتنا سَنَة بمعنى جدب وقحط. أما كلمة عام فهي عادة تستعمل في الخير في الغالب. وفي قصة نوح يقول المفسرون أنه لبث في الدعوة ٩٥٠ سنة مع قومه بشدة وصعوبة وتكذيب له واستهزاء به أما الخمسن عاماً فهي ما كان بعد الطوفان حيث قضاها مع المؤمنين في راحة وطمأنينة وهدوء بعيداً عن الكافرين من قومه الذين أغرقهم الله بالطوفان.

الوصايا العملية:

- لا يكمل إيمان المرء ولا يستقيم إلا إذا خالطه يقين والرضا بما يقدره الله عليه من خير وشر ، وأن يغلب في قلبه الخوف من الله وحده .
- على الداعي إلى الله أن يصبر ويجاهد ويتحمل الأذى في سبيل الله ، فقد ضرب لنا نوح عليه السلام أروع مثال في الصبر على الأذى في سبيل الله .
- لابد أن يبدأ الداعي إلى الله بأصول التوحيد ، حتى عند تعليم الصغار لابد من البدء بأصول التوحيد لأنها هي الأساس .
- سنة الله في عباده وأولياءه أن يبتليهم ليعلم الصادق من المنافق ، حتى ينفي عنهم خبث المعصية والكفر ، وكلما زاد ابتلائك يعني انك نجحت واجتزت الابتلاء السابق ، والعكس كلما قل ابتلائك فهذا يعني انك لم تصبري ولم تنجي في الابتلاء السابق.
- لا ييأس من رحمة الله إلا من في دينه رقة وضعف نسأل الله العافية ، فالمؤمن دائما يتحلى باليقين والصبر ، وأمره كله خير .

المقطع الثاني: من الآية (٢٤) إلى الآية (٤٥)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (١٦ – ٢٧) قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، وجوابهم له.
- الآيات (٢٨ – ٣٥) قصة لوط عليه السالم مع قومه.
- الآيات (٣٦ – ٤٣) قصة شعيب وهود وصالح وموسى عليهم السلام.
- الآيات (٤٤ – ٤٥) فائدة خلق السماوات والأرض وتلاوة القرآن وإقامة الصلاة. في هذا المقطع من السورة نقلة أخرى ترتبط بالمقطع السابق الذين يتفكرون ويعقلون مراد الله عز وجل، فبين لهم أنه سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض لا على وجه العبث واللهو بل للدلالة على وجوده ووحدانيته، وخلقها بشكل بديع، وصنع محكم، وفي ذلك آية للمؤمنين الموحدين.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى ونور.

الصلاة هي عمود الدين ومن اول العبادات التي وصى بها الشرع ، وأول مايحاسب عليه العبد يوم القيامة ، ويترتب على إقامتها من إقامة الدين وإعزاز له وعلى تركها من ترك للدين وتفريط به .

عن الحسن رضي الله عنه أن النبي صلى الله عيله وسلم قال : " من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا " بمعنى أن صلاة العاصي لا تؤثر في تقريبه من الله.

وقول ابن مسعود رضي الله عنه : من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا .

في الصلاة ثلاث خصال : إخلاص وخشية وذكر لله ، فالإخلاص يامر بالمعروف والخشية تنهاه عن المنكر وذكر القرآن يأمره وينهاه، فهناك آية جامعة وردت في الأمر بالصلاة والحث عليها ، قال تعالى : (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء واالمنكر) وفي الصلاة أفعال وهي خضوع وتذلل لله تعالى من قيام وركوع وسجود وكل ذلك مما يبعد عن الفحشاء والمنكر.

فكانت الصلاة في مجموعها كالواعظ الناهي عن الفحشاء والمنكر.

فالله تعالى قال : (تنهى عن الفحشاء والمنكر) ولم يقل تصد وتحول مما يقتضي صرف المصلي عن الفحشاء والمنكر.

فالإنسان إذا أدى صلاته بمعناها الكامل تتوسع عنده فترات النور وتقل عنده فترات الظلام وتنمو عنده حالات البسط.

وبدرجة المستوى الذي نبلغه في الصلاة نكون بعيدين عن المنكرات .

اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية في نصابنا .

فوائد وأسئلة تدبرية:

- ما هو موقف قوم إبراهيم عليه السلام؟

فما كان مجاوبة قوم إبراهيم إبراهيم حين دعاهم إلى ربه قبول دعوته، والاهتداء بنصحه، ورؤية نعمة الله عليهم بإرساله إليهم، وإنما كان مجاوبتهم له شر مجاوبة.

- كيف كان موقفهم من الدعوة؟

{قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ} أشنع القتلات، وهم أناس مقتدرون، لهم السلطان، فألقوه في النار {فَأَنْجَاهُ اللَّهُ} منها.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} فيعلمون صحة ما جاءت به الرسل، وبِرَّهُمْ ونصحهم، وبطلان قول من خالفهم وناقضهم، وأن المعارضين للرسل كأنهم تواصوا وحث بعضهم بعضا على التكذيب.

- بماذا نصحهم إبراهيم عليه السلام؟

وَقَالَ} لهم إبراهيم في جملة ما قاله من نصحه: {إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} أي: غاية ذلك، مودة في الدنيا ستنقطع وتضمحل، {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} أي: يتبرأ كل من العابدين والمعبودين من الآخر {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} فكيف تتعلقون بمن يعلم أنه سيتبرأ من عابديه ويلعنهم؟ " و " أن مأوى الجميع، العابدين والمعبودين " النَّار " وليس أحد ينصرهم من عذاب اللّه، ولا يدفع عنهم عقابه.

- من هو الذي آمن لإبراهيم عليه السلام؟

لم يزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو قومه، وهم مستمرون على عنادهم، إلا أنه آمن له بدعوته لوط، الذي نبأه الله، وأرسله إلى قومه كما سيأتي ذكره.

- ماذا قال إبراهيم عندما رأى أن دعوته لم تجب؟

وَقَالَ} إبراهيم حين رأى أن دعوة قومه لا تفيدهم شيئا: {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} أي: هاجر أرض السوء، ومهاجر إلى الأرض المباركة، وهي الشام، {إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ} أي: الذي له القوة، وهو يقدر على هدايتكم، ولكنه حَكِيمٌ ما اقتضت حكمته ذلك، ولما اعتزلهم وفارقهم، وهم بحالهم.

- ماهو عذاب قوم إبراهيم؟

لم يذكر الله عنهم أنه أهلكهم بعذاب، بل ذكر اعتزاله إياهم، وهجرته من بين أظهرهم. فأما ما يذكر في الإسرائيليات، أن الله تعالى فتح على قومه باب البعوض، فشرب دماءهم، وأكل لحومهم، وأتلفهم عن آخرهم، فهذا يتوقف الجزم به على الدليل الشرعي، ولم يوجد، فلو كان الله استأصلهم بالعذاب لذكره كما ذكر إهلاك الأمم المكذبة.

- ما هي العلة ؟

لعل من أسرار ذلك، أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم [وأحلمهم} وأجلهم، فلم يدع على قومه كما دعا غيره، ولم يكن الله ليجري بسببه عذابا عاما.

- ما الدليل؟

ومما يدل على ذلك، أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط، وجادلهم، ودافع عنهم، وهم ليسوا قومه، والله أعلم بالحال.

- {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} أي: بعد ما هاجر إلى الشام {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ}كيف كان ذلك ؟ فلم يأت بعده نبي إلا من ذريته، ولا نزل كتاب إلا على ذريته، حتى ختموا بالنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليهم أجمعين.
- ماذا يدل عليه؟

وهذا [من} أعظم المناقب والمفاخر، أن تكون مواد الهداية والرحمة والسعادة والفلاح في ذريَّته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلح الصالحون. {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا} من الزوجة الجميلة فائقة الجمال، والرزق الواسع، والأولاد، الذين بهم قرت عينه، ومعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه.

{وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} بل هو ومحمد صلى الله عليهما وسلم أفضل الصالحين على الإطلاق، وأعلاهم منزلة، فجمع الله له بين سعادة الدنيا والآخرة.

- من هو لوط؟

تقدم أن لوطا عليه السلام آمن لإبراهيم، وصار من المهتدين به، وقد ذكروا أنه ليس من ذرية إبراهيم، وإنما هو ابن أخي إبراهيم.

فقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} وإن كان عاما، فلا يناقض كون لوط نبيا رسولا وهو ليس من ذريته، لأن الآية جيء بها لسياق المدح والثناء على الخليل، وقد أخبر أن لوطا اهتدى على يديه، ومن اهتدى على يديه أكمل ممن اهتدى من ذريته بالنسبة إلى فضيلة الهادي، والله أعلم.

- ما هو الذنب الذي انتشر في قوم لوط؟

فأرسل الله لوطا إلى قومه، وكانوا مع شركهم، قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، وتقطيع السبيل، وفشو المنكرات في مجالسهم، فنصحهم لوط عن هذه الأمور، وبيَّن لهم قبائحها في نفسها، وما تئول إليه من العقوبة البليغة، فلم يرعووا ولم يذكروا. {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}

فأيس منهم نبيهم، وعلم استحقاقهم العذاب، وجزع من شدة تكذيبهم له، فدعا عليهم و{قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} فاستجاب الله دعاءه، فأرسل الملائكة لإهلاكهم، فمروا بإبراهيم قبل، وبشروه بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ثم سألهم إبراهيم أين يريدون؟ فأخبروه أنهم يريدون إهلاك قوم لوط، فجعل يراجعهم ويقول: {إِنَّ فِيهَا لُوطًا} فقالوا له: {لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} ثم مضوا حتى أتوا لوطا، فساءه مجيئهم، وضاق بهم ذرعا،لماذا؟ بحيث إنه لم يعرفهم، وظن أنهم من جملة أبناء السبيل الضيوف، فخاف عليهم من قومه، فقالوا له: {لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ} وأخبروه أنهم رسل الله.

{إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا} أي: عذابا {مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} فأمروه أن يسري بأهله ليلا، فلما أصبحوا، قلب الله عليهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة حتى أبادتهم وأهلكتهم، فصاروا سَمَرًا من الأسمار، وعبرة من العِبر.

- تعود هذه الآية على من ؟

{وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أي: تركنا من ديار قوم لوط، آثارا بينة لقوم يعقلون العِبر بقلوبهم، [فينتفعون بها}، كما قال تعالى: {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}

{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}

أي {و} أرسلنا {إِلَى مَدْيَنَ} القبيلة المعروفة المشهورة {شُعَيْبًا} فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالبعث ورجائه، والعمل له، ونهاهم عن الإفساد في الأرض، ببخس المكاييل والموازين، والسعي بقطع الطرق، فكذبوه فأخذهم عذاب الله {فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}.

- هناك غير قوم إبراهيم وقوم لوط عليهما السلام قد جاءتهم رسلهم فكذبوهم من هم؟

أي: وكذلك ما فعلنا بعاد وثمود، وقد علمتم قصصهم، وتبين لكم بشيء تشاهدونه بأبصاركم من مساكنهم وآثارهم التي بانوا عنها، وقد جاءتهم رسلهم بالآيات البينات، المفيدة للبصيرة، فكذبوهم وجادلوهم.

- ما سبب ضلالهم؟

{وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} حتى ظنوا أنها أفضل مما جاءتهم به الرسل.

وكذلك قارون، وفرعون، وهامان، حين بعث الله إليهم موسى بن عمران، بالآيات البينات، والبراهين الساطعات، فلم ينقادوا، واستكبروا في الأرض، [على عباد الله فأذلوهم، وعلى الحق فردوه فلم يقدروا على النجاء حين نزلت بهم العقوبة} {وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ} الله، ولا فائتين، بل سلموا واستسلموا.

{فَكُلا} من هؤلاء الأمم المكذبة {أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ} على قدره، وبعقوبة مناسبة له، {فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا} أي: عذابا يحصبهم، كقوم عاد، حين أرسل الله عليهم الريح العقيم، و {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ}

{وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ} كقوم صالح، {وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ} كقارون، {وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا} كفرعون وهامان وجنودهما.

{وَمَا كَانَ اللَّهُ} أي: ما ينبغي ولا يليق به تعالى أن يظلمهم لكمال عدله، وغناه التام عن جميع الخلق. {وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} منعوها حقها التي هي بصدده، فإنها مخلوقة لعبادة الله وحده، فهؤلاء وضعوها في غير موضعها، وأشغلوها بالشهوات والمعاصي، فضروها غاية الضرر، من حيث ظنوا أنهم ينفعونها.

- ضرب الله بيت العنكبوت مثلا، فمن المقصود بضرب المثل له؟

{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتَّقَوِّي والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده،

- ما وجه الشبه؟

فإن مثله كمثل العنكبوت، اتخذت بيتا يقيها من الحر والبرد والآفات، {وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ} أضعفها وأوهاها {لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ} فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفا، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفا إلى ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم.

فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل نائل.

- هل يعلمون حقيقة حالهم؟

فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم، حالهم وحال من اتخذوهم، لم يتخذوهم، ولتبرأوا منهم، ولتولوا الرب القادر الرحيم، الذي إذا تولاه عبده وتوكل عليه، كفاه مئونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته، في قلبه وفي بدنه وحاله وأعماله.

- ما هي حقيقة هذه الأصنام؟

ولما بين نهاية ضعف آلهة المشركين، ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشيء، بل هي مجرد أسماء سموها، وظنون اعتقدوها، وعند التحقيق، يتبين للعاقل بطلانها وعدمها، ولهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} أي: إنه تعالى يعلم ـ وهو عالم الغيب والشهادة ـ أنهم ما يدعون من دون الله شيئا موجودا، ولا إلها له حقيقة، كقوله تعالى: {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} وقوله: {وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وإن هم إلا يخرصون}

{وَهُوَ الْعَزِيزُ الحكيم} الذي له القوة جميعا، التي قهر بها جميع المخلوقات، {الْحَكِيمُ} الذي يضع الأشياء مواضعها، الذي أحسن كل شيء خلقه، وأتقن ما أمره.

- ما فائدة ضرب الأمثال ؟

{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ} أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس.

- من الذي يعقل الأمثال؟

و لكن {مَا يَعْقِلُهَا} بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب {إِلَّا الْعَالِمُونَ} أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم.

- على ماذا تدل أن الأمثال لايعقلها إلا العالمون؟

وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحثٌّ على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين.

- لماذا ؟ والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها.
- ماذا يدل عليه عدم عقل هذه الأمثال؟

وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى. ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها.

- ماذا يدل عليه خلق السماوات والأرض؟

{خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ}

أي: هو تعالى المنفرد بخلق السماوات، على علوها وارتفاعها وسعتها وحسنها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب والملائكة، والأرض وما فيها من الجبال والبحار والبراري والقفار والأشجار ونحوها، وكل ذلك خلقه بالحق، أي: لم يخلقها عبثا ولا سدى، ولا لغير فائدة، وإنما خلقها، ليقوم أمره وشرعه، ولتتم نعمته على عباده، وليروا من حكمته وقهره وتدبيره، ما يدلهم على أنه وحده معبودهم ومحبوبهم وإلههم. {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} على كثير من المطالب الإيمانية، إذا تدبرها المؤمن رأى ذلك فيها عيانا.

- ما هو الوحي ؟

{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}

يأمر تعالى بتلاوة وحيه وتنزيله، وهو هذا الكتاب العظيم، ومعنى تلاوته اتباعه، بامتثال ما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه، والاهتداء بهداه، وتصديق أخباره، وتدبر معانيه، وتلاوة ألفاظه، فصار تلاوة لفظه جزء المعنى وبعضه.

- ماذا يدخل في تلاوة الكتاب ؟

وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب، علم أن إقامة الدين كله، داخلة في تلاوة الكتاب. فيكون قوله: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} من باب عطف الخاص على العام، لفضل الصلاة وشرفها، وآثارها الجميلة، وهي {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}

- ما المقصود بالفحشاء؟

والفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس.

والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر.

- كيف تنهى عن الفحشاء ؟

ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها.

- في الصلاة أشياء عظيمة ماهي ؟

وثَمَّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله، بالقلب واللسان والبدن. فإن الله تعالى، إنما خلق الخلق لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة، وفيها من عبوديات الجوارح كلها، ما ليس في غيرها، ولهذا قال: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}

ويحتمل أنه لما أمر بالصلاة ومدحها، أخبر أن ذكره تعالى خارج الصلاة أكبر من الصلاة، كما هو قول جمهور المفسرين، لكن الأول أولى، لأن الصلاة أفضل من الذكر خارجها، ولأنها ـ كما تقدمـ بنفسها من أكبر الذكر.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} من خير وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه.

لمسات بيانية:

آية (٢٤):

* ما الفرق بين (أنجى) و(نجّى) ؟(د.فاضل السامرائى)

ربنا تعالى قال في سورة البقرة (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ) وفي إبراهيم قال على لسان سيدنا موسى (إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ) أنجاكم ولم يقل هنا نجّاكم. هناك فرق بين فعّل وأفعل، نجّى يفيد التمهل والتلبّث والبقاء مثل علّم وأعلم، علّم تحتاج إلى وقت أما أعلم فهو إخبار، فعّل فيها تمهل وتلبّث. موسى يعدد النعم عليهم فقال (أنجاكم) فأنهى الموضوع بسرعة. كما قال (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٠) البقرة) لأنهم لم يمكثوا في البحر طويلاً فقال أنجيناكم. حتى في إبراهيم قال (فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ (٢٤) العنكبوت) لم يقل نجّاه لأنه لم يلبث كثيراً في النار.

آية (٢٦):

*فى سورة العنكبوت (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) العنكبوت) لم يقل آمن به لماذا؟(د.فاضل السامرائى)

هذا سؤال نحوي: آمن له أي استجاب له وآمن له تستعمل للأشخاص. (آمنوا به) ليس للشخص وإنما لله تعالى. آمن له أي استجاب له والقرآن يستعملها في الأشخاص (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) يوسف) وفي الله والعقيدة يستعمل الباء (آمن به).

آية (٢٩):

*في سورة العنكبوت (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) لماذا قال ناديكم ولم يقل شيئاً آخر؟(د.حسام النعيمى)

النادي مكان اجتماع الناس من الفعل ندا يندو. يقال ندا القوم أي دعاهم إلى الإجتماع في مكان. منه تنادوا كأن كلٌ نادى صاحبه إلى هذا المكان ومنه دار الندوة التي ينتدون فيها يعني مكان الاجتماع وهي عامة من جهة خاصة من جهة لأنها منحصرة فتكون لمن يندو بعضهم بعضاً. هذا الإجتماع هم لجمع من الناس، جمهرة من الناس فكأنما الله تعالى يريد أن يرينا كيف أن هؤلاء تمادوا في مجاهرتهم بالفاحشة،هذا الجهر في الفاحشة بحيث أنهم في هذا النادي يعملون المنكر الذي ما سبقهم به من أحد من العالمين. كأن في جمهورهم لنتخيل أن في هذا النادي مئة رجل يتعرّون ويعملون في هذا المكان المنكر هذا منتهى إشاعة الفاحشة والجرأة وسوء الخلق فقال (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) يعني بهذه المهاجرة ولذلك الله سبحانه وتعالى أنزل بهم عقابه. هم لا يستخفون ولا يستترون في هذا المكان لإظهار مدى مجاهرتهم بالفاحشة التي ما سبقهم بها من أحد من العالمين وهو إتيانهم الرجال أن يأتي بعضهم بعضاً.

*ما دلالة كلمة ذرع في قوله تعالى (ولمّا أن جاءت رسلنا سيء بهم وضاق بهم ذرعا) في سورتي هود والعنكبوت؟ (د.فاضل السامرائى)

قال تعالى في سورة هود (وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ {٧٧}) وقال في سورة العنكبوت (وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ

إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ {٣٣}). الذرع في اللغة هو الوسع والطاقة والخلق أي الإمكانية من حيث المعنى العام. وضاق بهم ذرعاً بمعنى لا طاقة له بهم. وأصل التعبير ضاق ذرعاً أي مدّ ذراعه ليصل إلى شيء فلم يستطع إذن ضاق ذرعاً بمعنى لم يتمكن.

*جاء في سورة هود قوله تعالى (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)) بدون (أن) بينما وردت في سورة العنكبوت (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣)) مع ذكر (أن) لماذا؟ (د.فاضل السامرائى)

هذا لأكثر من سبب أولاً لأن القصة في العنكبوت جاءت مفصلة وذكر تعالى من صفات قوم لوط السيئة (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) ما لم يذكره في سورة هود (وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) ثم ذكر تعالى أن ضيق لوط بقومه في العنكبوت أكثر وكان ترقّبه للخلاص أكثر وكان برماً بقومه (سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا). ثم ان قوم لوط تعجلوا العذاب في سورة العنكبوت فقالوا (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)) ثم دعا لوط ربه أن ينصره عليهم (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)) إذن برم لوط وضيقه بقومه كان أكثر فكأنه استبطأ مجيء العذاب على هؤلاء وهو نفسياً كأنما وجد أن مجيئهم كان طويلاً وتمنى لو أن العذاب جاء عليهم قبل هذا. فهي من حيث التفصيل أنسب ومن حيث عمل السيئات إذا كانت للتوكيد أنسب وإن كانت من ناحية برم لوط فهي أنسب.

أن للإطالة ويقولون للتوكيد لكن التوكيد له مواطن عندهم والقياس أن تُزاد (أن) بعد (لمّا) إن شئت أن تأتي بها فلا حرج ويقولون إنها زائدة والزيادة للتوكيد في الغالب مع أنها ليست بالضرورة للتوكيد فالزيادة لها أغراض فقد تكون تزيينية أو زيادة لازمة أو تكون لأمور أخرى منها التنصيص على معنى معين وهي كلها أمور نحوية.

آية (٣٩):

* ذكرالله عز وجل قصة موسى في آيتين مع أنه ذكرها في عدة سور أخرى بعدة آيات؟ (د.فاضل السامرائى)

هو لم يتكلم عن قصة موسى في العنكبوت وإنما ذكر عقوبة مجموعة من الأقوام. تكلم عن شعيب ومدين في آيتين ثم ذكر عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان وذكر عقوبتهم في آية واحدة. ننظر السياق (وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)) لم يذكر لهم دعوة ولا شيء. (وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)) (حاصباً) عاد و(الصيحة) ثمود و(ومنهم من خسفنا به الأرض) قارون و (منهم من أغرقنا) هذا فرعون. (وما كان الله ليظلمهم) ذكر عقوبة مجموعة من الأقوام وليس هناك قصة.

* ما اللمسة البيانية في ترتيب الأسماء في قوله تعالى (وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) العنكبوت) وقوله تعالى (إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) غافر)؟ (د.فاضل السامرائى)

الفكرة العامة أولاً في طريقة القرآن في الآيتين أن ما أخّره لا يأتي على ذكره في السورة ففي سورة العنكبوت أخّر هامان وهامان لم يُذكر في السورة إلا في هذه الآية، وفي آية غافر أخّر قارون الذي لم يُذكر في السورة إلا في هذه الآية.

ثم إن هناك أمر آخر وهو أن في سورة العنكبوت قدّم قارون على فرعون لماذا؟ لأنه إذا لاحظنا السياق في السورة في الآية التي سبقت الآية موضع السؤال (وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)) نجد أنه ورد في آخرها كلمة (مستبصرين) عن قوم عاد وثمود، وقارون كان مستبصراً فقد كان من قوم موسى فبغى عليهم أي أنه كان يعرف الحق مستبصراً به فجاء ذكره أولاً لأنه يدخل مع المستبصرين في الآية التي سبقت.

ثم إن الترتيب جاء مناسباً لترتيب العقوبة في السورة عقاب قارون أولاً (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) ثم فرعون (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) فالعقوبات ترتبت بموجب الذِكر فالسياق إذن مناسب للعقوبات التي ذكرها ولا يصح غير هذا الترتيب من الناحية الفنية.

أما في سورة غافر فقد جاء قوله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣)) لمن أرسل موسى؟ لفرعون فناسب أن يكون فرعون أول المذكورين في الآية التي بعدها (إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤)) والسياق في السورة يدور حول فرعون (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)) (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦)) أما قارون فهو خارج السياق.

آية (٤٣):

*ما الفرق بين علماء وعالمون؟(د.أحمد الكبيسى)

الفرق بين كل جمع تكسير وجمع مذكر سالم أن جمع المذكر السالم أشرف وأكرم وأعلى من جمع التكسير. يعني فرق بين طلاب وطالبون طلاب كلهم خلط زين على شين مثل خضرة آخر الليل لكن الطالبون النبهاء والله قال (وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) الأنبياء) (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) العنكبوت) جمع مذكر سالم (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٢٨) فاطر) (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آَيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) الشعراء) عندنا علماء وعالمون، العلماء صغارهم وكبارهم وطلاب العلم كل من يشتغل بالعلم - كما تعرفون الآن في واقعنا الحالي - ليس العلماء على نسقٍ واحد هناك الصغير والمبتدئ والجديد هناك عاقل هناك حفاظ هناك دراخ هناك من لا يفكر وهناك من يفكر خليط فلما تقول عالمون لا، هؤلاء قمم مجتهدون أصحاب نظريات (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) وحينئذٍ كل ما جئت به في لغتنا وفي القرآن الكريم جمع التكسير شامل يشمل الزين والشين وبعضه يفضل بعضه، لكن لما جمع مذكر سالم لا، القمم يعني عندما تجمع

أبو حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وجعفر الصادق والباقر وابن حزم الخ وتسميهم علماء! لا، هؤلاء عالمون، هناك عموم الشيء وهناك خصوصهم.

الوصايا العملية:

- إقامة الصلاة على أتم وجه سببا لحماية المرء من الفحشاء والمنكر ، ولا ينتفع بهذه الثمرة من تكاسل وغفل عن صلاته ومن ينقرها كنقر الغراب ، بل لابد من إقامتها على وجهها الأكمل حتى تحصل له تلك الثمرة.
- كل أمتي معافى إلا المجاهرون ، فمن أفحش الفحش أن يفعل الإنسان المنكر علانية وجهارا ، وسيحرم التوبة نسأل الله العافية فلا يكفيه انه لم يستحي من الله عند إقتراف الذنب بل ويجاهر به أمام الناس والعياذ بالله ، فهذا قد نزع عنه الحياء ولن يوفق للتوبة .
- لا يغتر الإنسان العاقل بكثرة المنكر وانتشاره فلا يقول ويحتج بأن كل الناس يفعلون كذا ، بل من أعظم الثبات أن يثبت الإنسان في مثل هذه الظروف نسأل الله من فضله .
- لابد أن يكون عندك علم ونظر إعتبار في آيات الله وما يضربه لنا من الأمثال ، فالعلم الذي لايقود صاحبه إلى العمل علم عقيم لافائدة منه .
- احيي قلبك بالتفكر بكل ما حولك من آيات الله ، فعبادة التفكر من أسباب زيادة الإيمان .

المقطع الثالث: من الآية (٤٦) إلى الآية (٦٩)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (٤٦ – ٥٥) مناقشة أهل الكتاب الحسنى، ومطالبهم التعجيزية. في هذا المقطع تعليم للمؤمنين كيف يناقشون أهل الكتاب في أمر الدين، ويكون ذلك بالطريقة الحسنى، كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه وبيناته، فإنهم آمنوا بإنزال الكتب وإرسال الرسل إلا الاعتراف بالنبي عليه الصلاة والسلام.
- الآيات (٥٦ – ٦٠) حض المؤمنين على الهجرة عند التضييق عليهم. هنا خاطب الله المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا بمكة، خاطبهم خطاب تشريف لهم "يا عبادي الذين آمنوا". وهذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم.
- الآيات (٦١ – ٦٩) تبيين حال الدنيا والآخرة واعتراف المشركين بالله الخالق الرازق المحيي.

التمهيد ١:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا هدى وتقى وعلما..

الحياة الآخرة هي دار الجزاء والدنيا دار عمل وابتلاء ، وفي الآخرة تظهر نتيجة هذا الإبتلاء فيلقى الإنسان في الآخرة جزاء عمله (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)الحياة الآخرة كما وصفها القرآن..

(يا أيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)

الحياة التي أرادها الله لنا ، الحياة التي خلقنا الله من أجلها ، الحياة الأبدية وهي دار القرار وهي الحياة الحقيقة ، قال تعالى : (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)

حيوان جمع لكلمة حياة ، لأن دار الآخرة تجمع الحياة المستقرة الثابته التي ليس فيها لمن دخل الجنة تنقيص ولاتنكيد ولا خوف ولاحزن ولو كانوا يعلمون الحقيقة ما اشتغلوا بالدنيا عن الآخرة التي هي الحيوان ، فإن الإنسان لو كان عنده علم نافع تعلم وعمل به لآثر الحياة الآخرة على الدنيا ، ومع هذا فإن نصيب الإنسان من الحياة الدنيا لا يمنع إذا لم يشغله عن نصيبه من الحياة الآخرة ، فلا حرج على الإنسان أن يأخذ من الدنيا ما أحل الله له ، بل إن الإمتناع من الطيبات بغير سبب شرعي مذموم وليس من طريقة أهل الإسلام ، إنما ما يشغل عن طاعة الله فإنه لا خير فيه.

ومن اسم الله المقدم المؤخر فإن الإنسان كلما تقدم في الدنيا تأخر في الآخرة وكلما تاخر في الدنيا تقدم في الآخرة.

اليوم بإذن الله سنتداس هذه الآية (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)

تمهيد ٢:

الرزاق هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها ، فسبحانه وسع الخلق كلهم برزقه ورحمته فلم يخص بذلك مؤمنا ولا كافرا ولا وليا دون عدو ، وما من موجود في العالم العلوي ولا العالم السفلي إلا متمتع برزقه مغمور بكرمه يوصل الرزق إلى من يحتاجه بسبب وبغير سبب وبطلب وغير طلب .

أنواع الرزق :

الرزق العام: وهو الذي يشمل البر والفاجر والمؤمن والكافر والكبير والصغير والعاقل وغير العاقل ، بل يشمل جميع مايدب على الأرض قال تعالى : (وما من دابة إلا على الله رزقها) .

الرزق الخاص: وهو الرزق النافع للعباد ويستمر نفعه في الدنيا والآخرة ويشمل الرزق بالعلم النافع والهداية والرشاد والتوفيق إلى سلوك الخير وهو الرزق الحقيقي.

الآثار الإيمانية :

- صدق التوكل على الله وان العبد مكتوب رزقه منذ أن نفخت فيه الروح .
- شكر الله على نعمه كلها .
- مراقبة الله .

فوائد وأسئلة تدبرية:

- ماذا نهى الله عنه؟

ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية.

- كيف تكون المجادلة؟

وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها ضائع.

- ما الذي يدل على صدق مجادلتهم؟

{وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ} أي: ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ولا تكن مناظرتكم إياهم [على وجه} يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من

الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجميع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم، وخروج عن الواجب وآداب النظر.

- ما الواجب في المجادلة؟

فإن الواجب، أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافرًا. وأيضًا، فإن بناء مناظرة أهل الكتاب، على هذا الطريق، فيه إلزام لهم بالإقرار بالقرآن، وبالرسول الذي جاء به، فإنه إذا تكلم في الأصول الدينية التي اتفقت عليها الأنبياء والكتب، وتقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما، وكانت الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد بينتها ودلت عليها وأخبرت بها، فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها، والرسل كلهم، وهذا من خصائص الإسلام.

- ماذا يدل عليه إيمانهم بكتابهم فقط؟

فأما أن يقال: نؤمن بما دل عليه الكتاب الفلاني، دون الكتاب الفلاني وهو الحق الذي صدق ما قبله، فهذا ظلم وجور، وهو يرجع إلى قوله بالتكذيب، لأنه إذا كذب القرآن الدال عليها، المصدق لما بين يديه من التوراة، فإنه مكذب لما زعم أنه به مؤمن.

وأيضا، فإن كل طريق تثبت به نبوة أي: نبي كان، فإن مثلها وأعظم منها، دالة على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكل شبهة يقدح بها في نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن مثلها أو أعظم منها، يمكن توجيهها إلى نبوة غيره، فإذا ثبت بطلانها في غيره، فثبوت بطلانها في حقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أظهر وأظهر.

وقوله: {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} أي: منقادون مستسلمون لأمره. ومن آمن به، واتخذه إلها، وآمن بجميع كتبه ورسله، وانقاد لله واتبع رسله، فهو السعيد، ومن انحرف عن هذا الطريق، فهو الشقي.

- [٤٧ ـ ٤٨] {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ * وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} أي: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ} يا محمد، هذا {الْكِتَابَ} الكريم، المبين كل نبأ عظيم، الداعي إلى كل خلق فاضل، وأمر كامل، المصدق للكتب السابقة، المخبر به الأنبياء الأقدمون.

{فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} فعرفوه حق معرفته، ولم يداخلهم حسد وهوى.

{يُؤْمِنُونَ بِهِ} لأنهم تيقنوا صدقه، بما لديهم من الموافقات، وبما عندهم من البشارات، وبما تميزوا به من معرفة الحسن والقبيح، والصدق والكذب.

{وَمِنْ هَؤُلَاءِ} الموجودين {مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ} إيمانا عن بصيرة، لا عن رغبته ولا رهبته.

- ما نكال الذي يجحد ويكذب ؟

{وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ} الذين دأبهم الجحود للحق والعناد له. وهذا حصر لمن كفر به، أنه لا يكون من أحد قصده متابعة الحق، وإلا، فكل من له قصد صحيح، فإنه لا بد أن يؤمن به، لما اشتمل عليه من البينات، لكل من له عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد.

- ما الذي يدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

ومما يدل على صحته، أنه جاء به هذا النبي الأمين، الذي عرف قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه وسائر أحواله، وهو لا يكتب بيده خطا، ولا يقرأ خطا مكتوبا، فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر البينات القاطعة، التي لا تقبل الارتياب، أنه من عند اللّٰه العزيز الحميد، ولهذا قال: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو} أي: تقرأ {مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا} لو كنت بهذه الحال {لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} فقالوا: تعلمه من الكتب السابقة، أو استنسخه منها، فأما وقد نزل على قلبك، كتابا جليلا، تحديت به الفصحاء والبلغاء، الأعداء الألداء، أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، فعجزوا غاية العجز، بل ولا حدثتهم أنفسهم بالمعارضة، لعلمهم ببلاغته وفصاحته، وأن كلام أحد من البشر، لا يبلغ أن يكون مجاريا له أو على منواله، ولهذا قال:

- [٤٩] {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} أي: {بَلْ} هذا القرآن {آيَات بَيِّنَات} لا خفيات، {فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} وهم سادة الخلق، وعقلاؤهم، وأولو الألباب منهم، والكمل منهم.

فإذا كان آيات بينات في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم، وإنكار غيرهم لا يضر، ولا يكون ذلك إلا ظلما، ولهذا قال: {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} لأنه لا يجحدها إلا جاهل تكلم بغير علم، ولم يقتد بأهل العلم، وهو متمكن من معرفته على حقيقته، وإما متجاهل عرف أنه حق فعانده، وعرف صدقه فخالفه.

- [٥٠ ـ ٥٢] {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} أي: واعترض هؤلاء الظالمون المكذبون للرسول ولما جاء به، واقترحوا عليه نزول آيات عينوها، كقولهم: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} الآيات. فتعيين الآيات ليس عندهم، ولا عند الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن في ذلك تدبيرا مع اللّٰه، وأنه لو كان كذلك، وينبغي أن يكون كذلك، وليس لأحد من الأمر شيء.

ولهذا قال: {قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} إن شاء أنزلها أو منعها {وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} وليس لي مرتبة فوق هذه المرتبة.

وإذا كان القصد بيان الحق من الباطل، فإذا حصل المقصود ـ بأي: طريق ـ كان اقتراح الآيات المعينات على ذلك ظلما وجورا، وتكبرا على الله وعلى الحق.

بل لو قدر أن تنزل تلك الآيات، ويكون في قلوبهم أنهم لا يؤمنون بالحق إلا بها، كان ذلك ليس بإيمان، وإنما ذلك شيء وافق أهواءهم، فآمنوا، لا لأنه حق، بل لتلك الآيات. فأي فائدة حصلت في إنزالها على التقدير الفرضي؟

ولما كان المقصود بيان الحق، ذكر تعالى طريقه، فقال: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ} في علمهم بصدقك وصدق ما جئت به {أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ} وهذا كلام مختصر جامع، فيه من الآيات البينات، والدلالات الباهرات، شيء كثير، فإنه كما تقدم إتيان الرسول به بمجرده وهو أمي، من أكبر الآيات على صدقه.

ثم عجزهم عن معارضته، وتحديه إياهم آية أخرى، ثم ظهوره، وبروزه جهرا علانية، يتلى عليهم، ويقال: هو من عند الله، قد أظهره الرسول، وهو في وقت قلَّ فيه أنصاره، وكثر مخالفوه وأعداؤه، فلم يخفه، ولم يثن ذلك عزمه، بل صرح به على رءوس الأشهاد، ونادى به بين الحاضر والباد، بأن هذا كلام ربي، فهل أحد يقدر على معارضته، أو ينطق بمباراته أو يستطيع مجاراته؟.

ثم إخباره عن قصص الأولين، وأنباء السابقين والغيوب المتقدمة والمتأخرة، مع مطابقته للواقع.

ثم هيمنته على الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح، ونَفْيُ ما أدخل فيها من التحريف والتبديل، ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره ونهيه، فما أمر بشيء فقال العقل "ليته لم يأمر به" ولا نهى عن شيء فقال العقل: "ليته لم ينه عنه" بل هو مطابق للعدل والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول [ثم مسايرة إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال وكل زمان بحيث لا تصلح الأمور إلا به}

فجميع ذلك يكفي من أراد تصديق الحق، وعمل على طلب الحق، فلا كفى الله من لم يكفه القرآن، ولا شفى الله من لم يشفه الفرقان، ومن اهتدى به واكتفى، فإنه خير له فلذلك قال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} وذلك لما يحصلون فيه من العلم الكثير، والخير الغزير، وتزكية القلوب والأرواح، وتطهير العقائد، وتكميل الأخلاق، والفتوحات الإلهية، والأسرار الربانية.

- بماذا أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم تجاه هذه الإدعاءات من هؤلاء الفئة من المكذبين؟
- {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا} فأنا قد استشهدته، فإن كنت كاذبا، أَحَلَّ بي ما به تعتبرون، وإن كان إنما يؤيدني وينصرني وييسر لي الأمور، فلتكفكم هذه الشهادة الجليلة من الله، فإن وقع في قلوبكم أن شهادته ـ وأنتم لم تسمعوه ولم تروه ـ لا تكفي دليلا، فإنه {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

ومن جملة معلوماته حالي وحالكم، ومقالي لكم فلو كنت متقولا عليه، مع علمه بذلك، وقدرته على عقوبتي، لكان [قدحا في علمه وقدرته وحكمته} كما قال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}

{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} حيث هم خسروا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وحيث فاتهم النعيم المقيم، وحيث حصل لهم في مقابلة الحق الصحيح كل باطل قبيح، وفي مقابلة النعيم كل عذاب أليم، فخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

- من ضلالهم وسفههم كانوا يستعجلون ماذا؟

[٥٣ ـ ٥٥] {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} يخبر تعالى عن جهل المكذبين للرسول وما جاء به، وأنهم يقولون ـاستعجالا للعذاب، وزيادة تكذيبـ {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ؟

يقول تعالى: {وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى} مضروب لنزوله، ولم يأت بعد، {لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ} بسبب تعجيزهم لنا وتكذيبهم الحق، فلو آخذناهم بجهلهم، لكان كلامهم أسرع لبلائهم وعقوبتهم، ولكن ـمع ذلكـ فلا يستبطئون نزوله، فإنه سيأتيهم {بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} فوقع كما أخبر الله تعالى، لما قدموا لـ "بدر" بطرين مفاخرين، ظانين أنهم قادرون على مقصودهم، فأهانهم الله، وقتل كبارهم، واستوعب جملة أشرارهم، ولم يبق فيهم بيت إلا أصابته تلك المصيبة، فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، ونزل بهم وهم لا يشعرون. هذا، وإن لم ينزل عليهم العذاب الدنيوي، فإن أمامهم العذاب الأخروي، الذي لا يخلص منهم أحد منه، سواء عوجل بعذاب الدنيا أو أمهل. {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} ليس لهم عنها معدل ولا متصرف، قد أحاطت بهم من كل جانب، كما أحاطت بهم ذنوبهم وسيئاتهم وكفرهم، وذلك العذاب، هو العذاب الشديد. {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} فإن أعمالكم انقلبت عليكم عذابا، وشملكم العذاب كما شملكم الكفر والذنوب.

- بماذا أمر الله عباده المؤمنين في حال إذا تم التضييق عليهم في دينهم ؟

يقول تعالى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا} بي وصدقوا رسولي {إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} فإذا تعذرت عليكم عبادة ربكم في أرض، فارتحلوا منها إلى أرض أخرى، حيث كانت العبادة لله وحده، فأماكن العبادة ومواضعها، واسعة، والمعبود واحد، والموت لا بد أن ينزل بكم ثم ترجعون إلى ربكم، فيجازي من أحسن عبادته وجمع بين الإيمان والعمل الصالح بإنزاله الغرف العالية، والمنازل الأنيقة الجامعة لما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون.

فـ {نعم} تلك المنازل، في جنات النعيم {أَجْرُ الْعَامِلِينَ} لله.

- بماذا امتدح الله عباده المؤمنين؟

{الَّذِينَ صَبَرُوا} على عبادة الله {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} في ذلك. فصبرهم على عبادة الله، يقتضي بذل الجهد والطاقة في ذلك، والمحاربة العظيمة للشيطان، الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك، وتوكلهم، يقتضي شدة اعتمادهم على الله، وحسن ظنهم به، أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال ويكملها، ونص على التوكل، وإن كان داخلا في الصبر، لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك مأمور به، ولا يتم إلا به.

- [٦٠] {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}
- ماذا تثبت هذه الآية لله من صفاته العلية؟

أي: الباري تبارك وتعالى، قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم، قويهم وعاجزهم، فكم {مِنْ دَابَّةٍ} في الأرض، ضعيفة القوى، ضعيفة العقل. {لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} ولا تدخره، بل لم تزل، لا شيء معها من الرزق، ولا يزال الله يسخر لها الرزق، في كل وقت بوقته.

{اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} فكلكم عيال الله، القائم برزقكم، كما قام بخلقكم وتدبيركم، {وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} فلا يخفى عليه خافية، ولا تهلك دابة من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه.

- كيف أثبت الله عز وجل إقرار هؤلاء المشركين بتوحيد الربوبية ؟

هذا استدلال على المشركين المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنت لو سألتهم من خلق السماوات والأرض، ومن نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ {لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} وحده، ولَاعْتَرَفُوا بعجز الأوثان ومن عبدوه مع الله على شيء من ذلك.

فاعجب لإفكهم وكذبهم، وعدولهم إلى من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئا، وسَجِّلْ عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلا، وأقل بصيرة، ممن أتى إلى حجر، أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع الرب، الخالق الرازق، النافع الضار. وقل: الحمد لله الذي بين الهدى من الضلال، وأوضح بطلان ما عليه المشركون، ليحذره الموفقون.

وقل: الحمد لله، الذي خلق العالم العلوي والسفلي، وقام بتدبيرهم ورزقهم، وبسط الرزق على من يشاء، وضيقه على من يشاء، حكمة منه، ولعلمه بما يصلح عباده وما ينبغي لهم.

- بماذا وصف الله الحياة الدنيا والحياة الآخرة؟

يخبر تعالى عن حالة الدنيا والآخرة، وفي ضمن ذلك، التزهيد في الدنيا والتشويق للأخرى، فقال: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} في الحقيقة {إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ} تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان، بسبب ما جعل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة للقلوب المعرضة، الباهجة للعيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلة الباطلة، ثم تزول سريعا، وتنقضي جميعا، ولم يحصل منها محبها إلا على الندم والحسرة والخسران.

وأما الدار الآخرة، فإنها دار {الحيوان} أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجودا فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات، من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، فدل ذلك على أن الذين يعلمون، لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين.

- كيف يكون حال المشركين في الشدائد؟

ثم ألزم تعالى المشركين بإخلاصهم لله تعالى، في حالة الشدة، عند ركوب البحر وتلاطم أمواجه وخوفهم الهلاك، يتركون إذا أندادهم، ويخلصون الدعاء لله وحده لا شريك له، فلما زالت عنهم الشدة، ونجى من أخلصوا له الدعاء إلى البر، أشركوا به من لا نجاهم من شدة، ولا أزال عنهم مشقة.

فهلا أخلصوا لله الدعاء في حال الرخاء والشدة، واليسر والعسر، ليكونوا مؤمنين به حقا، مستحقين ثوابه، مندفعا عنهم عقابه.

ولكن شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم، بالنجاة من البحر، ليكون عاقبته كفر ما آتيناهم، ومقابلة النعمة بالإساءة، وليكملوا تمتعهم في الدنيا، الذي هو كتمتع الأنعام، ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم.

{فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، شدة الأسف وأليم العقوبة.

- بماذا امتن الله على المشركين الضالين؟

ثم امتن عليهم بحرمه الآمن، وأنهم أهله في أمن وسعة ورزق، والناس من حولهم يتخطفون ويخافون، أفلا يعبدون الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

{أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ} وهو ما هم عليه من الشرك، والأقوال، والأفعال الباطلة. {وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ} هم {يَكْفُرُونَ} فأين ذهبت عقولهم، وانسلخت أحلامهم حيث آثروا الضلال على الهدى، والباطل على الحق، والشقاء على السعادة، وحيث كانوا أظلم الخلق.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، {أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ} على يد رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ولكن هذا الظالم العنيد، أمامه جهنم {أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ} يؤخذ بها منهم الحق، ويخزون بها، وتكون منزلهم الدائم، الذين لا يخرجون منه.

- ماهو جزاء المجاهدين والمهاجرين في سبيل الله؟

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا} وهم الذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته، {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} أي: الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم محسنون.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} بالعون والنصر والهداية. دل هذا، على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعَي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين.

لمسات بيانية:

آية (٤٧):

*ما الفرق بين (أوتوا الكتاب) و (آتيناهم الكتاب)؟ (د.فاضل السامرائى)

القرآن الكريم يستعمل أوتوا الكتاب في مقام الذم ويستعمل آتيناهم الكتاب في مقام المدح. قال تعالى (وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (١٠١) البقرة) هذا ذم، (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ (١٤٥) البقرة) هذا ذم، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) آل عمران). بينما آتيناهم الكتاب تأتي مع المدح (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ (١٢١) البقرة) مدح،

*(وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧) العنكبوت) ما الفرق بين يؤمنون به ويؤمن به؟ (د.فاضل السامرائى)

(فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) الذين جمع فيقول يؤمنون به لا يصح أن يقول يؤمن به. (وَمِنْ هَؤُلَاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ) (من) للمفرد والمثنى والجمع والأصل في (من) إذا ذكرت أن يُبدأ بدلالة لفظها ثم ينصرف إلى المعنى، دلالة اللفظ مفرد مذكر ثم يصرف إلى المعنى الذي يحدده السياق (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) البقرة) هم جمع ومن يقول مفرد، يبدأ بالمفرد. (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ (٤٩) التوبة) من يقول مفرد، سقطوا جمع، يبدأ بالمفرد. (يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ (٣٠) الأحزاب) من يأت مفرد، (من وما) يبدأ بلفظها تكونان للمفرد والمثنى والجمع مذكر أو مؤنث. أكثر الكلام عند العرب إذا بدأوا بـ (من) حتى لو كان جمعاً (من) لها لفظ ولها معنى، لفظها المفرد المذكر ومعناها يختلف، يبدأ بالمفرد المذكر ثم يوضح المعنى فيما بعد (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) البقرة) مفرد مذكر، وما هم بؤمنين جمع، (وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا (٣١) الأحزاب)، وعليها يؤمنون به ويؤمن به.

آية (٥٢):

*ما دلالة تقديم وتأخير كلمة (شهيداً) في آية سورة العنكبوت وآية سورة الإسراء؟ (د.فاضل السامرائى)

قال تعالى في سورة العنكبوت (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {٥٢}) وقال في سورة الإسراء (قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً {٩٦})

في آية سورة الإسراء ختم تعالى الآية بذكر صفاته (خبيراً بصيرا) لذا اقتضى أن يُقدّم صفته (شهيداً) على (بيني وبينكم)، أما في آية سورة العنكبوت فقد ختمت الآية بصفات البشر (أولئك هم الخاسرون) لذا اقتضى تقديم ما يتعلّق بالبشر (بيني وبينكم) على (شهيدا).

آية (٥٨):

*ما الفرق بين (نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) – (وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) – (فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)فى قوله تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) العنكبوت) – (أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) آل عمران) – (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) الزمر)؟ (د.أحمد الكبيسى)

لماذا مرة (نعم أجر العاملين) ومرة بالواو (ونعم أجر العاملين) ومرة بالفاء (فنعم أجر العاملين)؟ عندما تكرّم الأول في الجامعة هناك أول مكرر هناك أكثر من أول فأعطيت كل واحد سيارة هذا نعم أجر العاملين، لكن أول الأوائل الذي هو أولهم أخذ سيارتين هذا ونعم أجر العاملين هذه أقوى من الأولى، أما فنعم أجر العاملين هذه عندما يستلمون الجائزة.

قال تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) العنكبوت) غُرَف غرفات هذه كأنها درر وياقوت أعجوبة العجائب، نعم أجر العاملين على العمل الصالح يصوم ويصلي كما جميع المسلمين المؤمنين بالله إذا داوموا عليه لهم أجرهم العظيم التي هي الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علة قلب بشر هذا نِعم أجر العاملين. كل مؤمن بدينه ويطبقه بالشكل الذي أمر الله عز وجل عباده والرسل على أي وجه هذا نعم أجر العاملين. لكن هناك

أناس عندهم دقة (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) آل عمران) شهوات قوية صبروا عليها ويندمون ويعودون قال (ونعم أجر العاملين) هذه مرتبة أعلى. عندما تأتي يوم القيامة تحاسَب أو لا تحساب، تدخل الجنة وترى النعيم (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) الزمر) بالفاء أي استلمنا. (فنعم) لا تقولها إلا عندما تستلم جائزتك وأجرك. فالأجر إن وُعِدت به فهم (نعم أجر العاملين) إذا كان شيئاً متميزاً لأنك أنت متميز هذه (ونعم أجر العاملين) وإذا استلمته (فنعم أجر العاملين)، هذا هو الفرق.

آية (٦٣):

*ما الفرق بين قوله تعالى (من بعدها) في سورة العنكبوت مع أنه ورد في القرآن كله (بعدها)؟(د.فاضل السامرائى)

قال تعالى في سورة العنكبوت (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ {٦٣}) وفي القرآن كله وردت (بعد موتها) بدون (من) كما في سورة البقرة (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {١٦٤}) وسورة النحل (وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ {٦٥}) وسورة فاطر (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ {٩}).

وآية سورة العنكبوت هي الموطن الوحيد الذي وردت فيه (من بعد موتها) ، واستعمال (بعد موتها) فقط يحتمل البعدية القريبة والبعيدة، أما (من بعد موتها) فهي تدلّ على أنها بعد الموت مباشرة أي تحتمل البعدية القريبة فقط دون البعيدة. وإذا استعرضنا الآيات في سورة العنكبوت قبل الآية نجد أن الإحياء كلن مباشرة بعد موتها وبدون مهلة ومجرّد العقل كان سيهديهم إلى أن الله تعالى هو القادر على إحياء الأرض من بعد موتها.

آية (٦٤):

*ما دلالة تقديم وتأخير اللهو على اللعب في آية سورة العنكبوت؟(د.فاضل السامرائى)

كل الآيات في القرآن جاء اللعب مقدّماً على اللهو إلا في هذه الآية من سورة العنكبوت (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ {٦٤}). ولو لاحظنا الآية التي سبقت هذه الآية في نفس السورة (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {٦٢}) فالرزق ليس مدعاة اللعب وإنما مدعاة اللهو كما في قوله تعالى في سورة المنافقون (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {٩}) ففي الآية نهي من الله تعالى للمؤمنين عن الالتهاء بجمع الأموال. والعباد عموماً يلتهون بالمال سواء كانوا ممن بسط الله تعالى لهم الرزق أو ممن قُدر عليهم رزقهم، وعليه تقدّم ذكر اللهو على اللعب في آية سورة العنكبوت دون باقي السور.

*ما دلالة كلمة (الحيوان) في التعبير عن الدار الآخرة في سورة العنكبوت؟(د.فاضل السامرائى)

قال تعالى في سورة العنكبوت (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ {٦٤}). الحيوان مصدر على وزن فعلان مثل غثيان وفيضان ودوران وغليان. والحيوان صيغة في المصادر تدلّ على الحركة المستمرة والحدوث وهي أعلى أنواع الحياة لأن من أهم صفات الحياة الحركة، فالحياة الدنيا عبارة عن نوم وسُبات بالنسبة للآخرة وهي ليست حياة إذا ما قورنت بالآخرة من حيث الحركة المستمرة. والآخرة كلها حركة وفيها سعي وتفكر وانتقال وليس فيها نوم. ولو استعملت كلمة الحياة لدلّت على التقلب فقط ولم تدل على الحركة والحدوث فناسب استعمال كلمة الحيوان مع الحركة والحدوث الذي يكون في الآخرة.

الوصايا العملية:

- احذري الجدال بغير العلم ، فالجدال لا يأتي بخير ، ولا تجادلي أهل الكتاب إذا لم يكن لديك علم ، لأن هذا يقدح في ما تحملينه من الحق ، فجدالك بغير علم قد يسئ للحق الذي معك .
- لا يتدبر آيات القرءان وينتفع بها إلا الذين اختصهم الله وآتاهم العلم والبصيرة ، فنور الله لا يؤتي لعاصي معرض عن فهم آيات الله والعمل بها .
- من الهجرة في سبيل الله ترك المكان الذي فيه معصية مثل الغيبة والغناء والفحش واللبس العاري وغيرها .
- من الهجرة أيضا ترك المكان الذي لا تستطيعين فيه قرءاة القرآن لوجود ملهيات ومشتتات .
- الدنيا حلوة خضرة فلا تغتري بها وتركضين وراء ملاهيها ، ولا تجعلي الدنيا أكبر همك ، واستعيني على هوى نفسك بذكر الموت والآخرة والقبر وبكثرة الذكر والنوافل .
- اعرفي الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، ومن عرف الله في السراء ثبته الله عند السراء ورزقه إيمانا وتسليما ورضا.
- جاهدي نفسك على فعل الطاعات وترك المحرمات ، وجاهدي ظروفك التي تمنعك من الخير واجعلي زادك " إن الله لمع المحسنين " فإذا علم الله صدقك يسر امورك وسهلها لك .

تناسب فواتح سورة العنكبوت مع خواتيمها:

قال في أولها (الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)) وفي آخرها قال (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)) يعني الفتنة من الجهاد. الجهاد هنا بمعناه العام وليس القتال وحتى في القرآن الجهاد معناه عام (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي (١٥) لقمان). هذا بحد ذاته نوع من الفتنة. يذكر (وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) في مفتتح السورة ثم يفسر كيف تكون الفتنة في عملية الجهاد (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) اصبر اصبر (وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ).

| ● | نهاية سورة العنكبوت | ● |



:: ســــورة الروم ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســــورة الروم

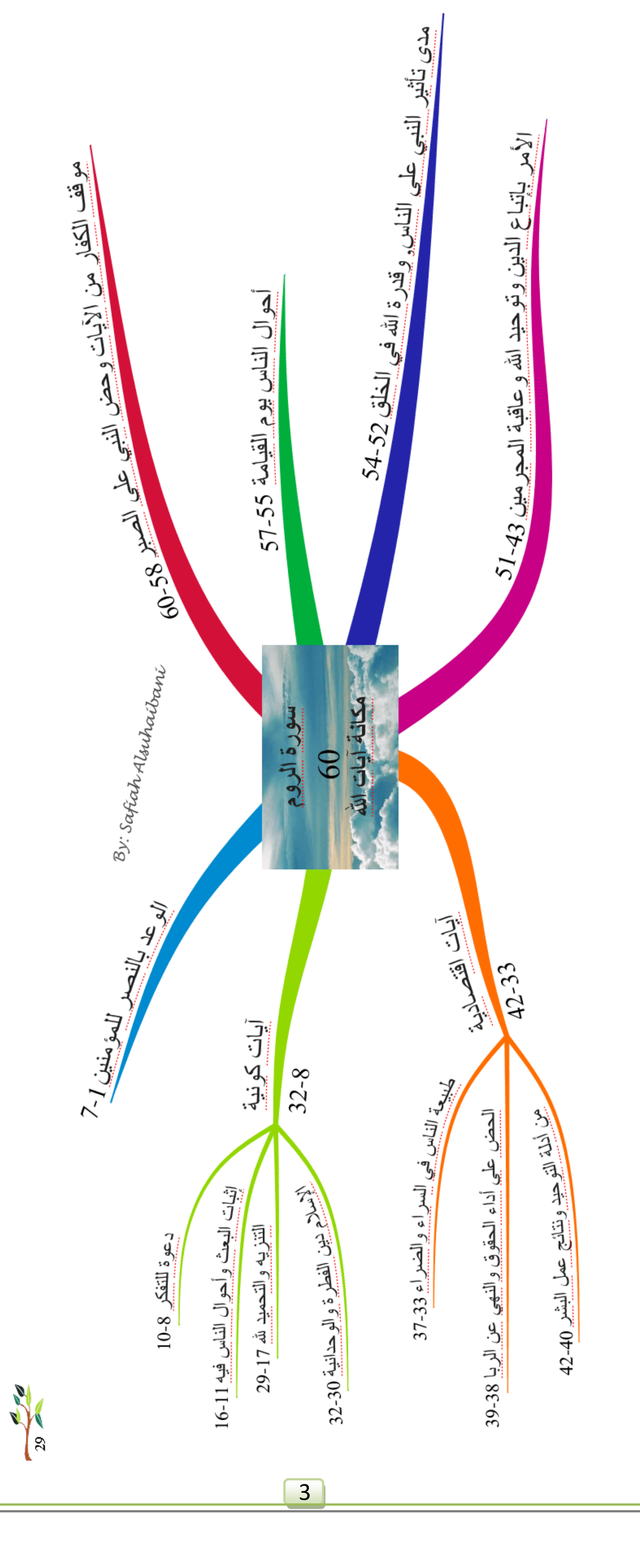
بين يدي السورة:

- تسمى بسورة الروم وسميت بهذا الاسم عند السلف والخلف.
- محور السورة: زرع القيم الإيمانية، وربط المسلمين بما يدور حولهم، في الكون كله، وليصل ما بين ماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، ثم ينتقل بها إلى العالم الآخر، وتتحدث السورة عن أصول العقيدة الإسلامية في إطارها العام.
- سبب نزولها: نزلت الآيات الأولى من هذه السورة بمناسبة معينة، حين غلبت فارس الروم، وكان الروم دينهم النصرانية، والفرس مجوس يعبدون النار، ويسيطرون على الجزيرة العربية، ووجد المشركون من أهل مكة في هذا الحادث فرصة للاستعلاء على المؤمنين، وأنهم سينتصرون على المؤمنين، كما انتصر الفرس على الروم وهم أهل كتاب. فنزلت هذه الآيات تبشر بأن أهل الكتاب من الروم سيغلبون الفرس في بضع سنين، وبهذه الغلبة يفرح المؤمنون، والذي يحبون انتصار ملة الإيمان من كل دين.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

- تتشابه سورة الروم مع السورة التي قبلها (سورة العنكبوت) أن كلا منهما افتتح بـ (الم) الحروف المقطعة غير مقرون بذكر التنزيل والكتاب والقرآن.
- قد ذكر في أول هذه السورة أخبار عن الغيب، كما ذكر في السورة السابقة لتنبيه السامع والإقبال على الاستماع لما هو معجزة.
- سورة العنكبوت اختتمت بالجهاد وذلك في قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)، وبدأت هذه السورة بوعد المجاهدين في سبيل الله بالنصر على الكافرين.
- التوحيد في هذه السورة جاء مفصلاً للمجمل في السورة السابقة مثل قوله تعالى (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده)، وقوله تعالى (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير)، وفي هذه السورة جاء التفصيل في قوله تعالى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزوجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ....) إلى قوله تعالى (وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده..) الآية.

محاور السورة:



المقطع الأول: من الآية (١) إلى الآية (٣٢)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (١ – ٧) الإخبار عن غيب المستقبل. هذه الآيات الكريمة من المعجزات الغيبية التي تدل على أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل، وتدل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أخبر عن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله العليم الخبير ووقع كما أخبر، وهزم الروم الفرس، وفرح المؤمنون بنصر الله لأهل الكتاب على المجوس. وصادف ذلك اليوم يوم غزوة بدر، قال ابن عباس: كان يوم بدر هزيمة عبدة الأوثان وعبدة النيران.
- الآيات (٨ – ١٦) التفكير بمخلوقات الله يدل على وجوده وهو الذي يعيد خلق الإنسان يوم القيامة. في هذا المقطع خطاب للمشركين ليتفكروا بعقولهم ويعلموا أن الله سبحانه وتعالى ما خلق السماوات والأرض عبثاً، فهم وإن ملكوا الدنيا فإنها فانية لا تبقى لهم.
- الآيات (١٧ – ٢٧) تنزيه الله وحده، وأدلة وجوده وربوبيته سبحانه وتعالى.
- الآيات (٢٨ – ٣٢) إثبات الوحدانية وبطلان الشرك والأمر بإتباع الإسلام الدين الحق.

التمهيد:

بسم الله و الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين ، اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا هدى وتقى .

*عن ابن مسعود رضي الله عنه : كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان .

*ورد في سبب نزول السورة ٨٤ قولا...

*ونزلت بعد سورة الانشقاق وقبل سورة العنكبوت

* روي عن قتادة أن غلب الروم على الفرس كان في عام بيعة الرضوان .

*واتفقت الروايات على أن غلب الروم على فارس وقع بعد سبع سنين من غلب الفرس على الروم الذي نزلت عنده هذه الآية .

* عن أبي سعيد الخدري أن انتصار الروم على فارس يوافق يوم بدر .

سبب نزولها:

مارواه الترمذي عن ابن عباس ، لما تحارب الفرس والروم الحرب التي سنذكرها عند قوله تعالى (غلبت الروم) وتغلب الفرس على الروم كان المشركون من أهل مكة فرحين بغلب الفرس على الروم لأن الفرس

كانوا مشركين ولم يكونوا من أهل الكتاب فكان حالهم أقرب إلى حال قريش ولأن عرب الحجاز والعراق كانوا أنصار الفرس.

وكان العرب عرب الشام أنصار الروم ، فأظهرت قريش التطاول على المسلمين وبذلك أنزل الله هذه السورة مقتا لهم وإبطالا لتطاولهم بأن الله سينصر الروم على الفرس بعد سنين ، فلذلك لما نزلت الآيات الأولى من هذه السورة خرج أبو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة (الم * غلبت الروم.....)

وراهن أبو بكر المشركين على ذلك كما سيأتي .

فوائد وأسئلة تدبرية:

- كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكان يكون بينهما من الحروب والقتال ما يكون بين الدول المتوازنة.
- وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون ـ لاشتراكهم والفرس في الشرك ـ يحبون ظهور الفرس على الروم.
- فظهر الفرس على الروم فغلبوهم غلبا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم، ففرح بذلك مشركوا مكة وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم أن الروم ستغلب الفرس.
- **كم المدة التي وعد بها الله لنصر الروم؟**
- {فِي بِضْعِ سِنِينَ} تسع أو ثمان ونحو ذلك مما لا يزيد على العشر، ولا ينقص عن الثلاث، وأن غلبة الفرس للروم ثم غلبة الروم للفرس كل ذلك بمشيئته وقدرته ولهذا قال: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} فليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما هي لا بد أن يقترن بها القضاء والقدر.
- متى هذا اليوم؟

وَيَوْمَئِذٍ} أي: يوم يغلب الروم الفرس ويقهرونهم {يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} أي: يفرحون بانتصارهم على الفرس وإن كان الجميع كفارا ولكن بعض الشر أهون من بعض ويحزن يومئذ المشركون.

- **ما مناسبة اسمي الله العزيز الرحيم في خاتمة الآية؟**

{وَهُوَ الْعَزِيزُ} الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء. {الرَّحِيم} بعباده المؤمنين حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم ما لا يدخل في الحساب.

- **ما موقف المسلمين من هذا الوعد؟**.
- {وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ} فتيقنوا ذلك واجزموا به واعلموا أنه لا بد من وقوعه.
- فلما نزلت هذه الآيات التي فيها هذا الوعد صدق بها المسلمون، وكفر بها المشركون حتى تراهن بعض المسلمين وبعض المشركين على مدة سنين عينوها، فلما جاء الأجل الذي ضربه الله انتصر الروم على الفرس وأجلوهم من بلادهم التي أخذوها منهم وتحقق وعد الله.

- **الإخبار بالغيب ماذا يدل عليه؟**
- وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها ووجدت في زمان من أخبرهم الله بها من المسلمين والمشركين. {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} أن ما وعد الله به حق فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله، ويكذبون آياته.
- وهؤلاء الذين لا يعلمون أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها. وإنما {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فينظرون إلى الأسباب ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت أسباب وجوده ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئا، فهم واقفون مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها.
- كيف هو حال أهل الدنيا؟
- {وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها فعملت لها وسعت وأقبلت بها وأدبرت وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها ولا النار تخافها وتخشاها ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة.
- ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب.
- وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزا عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم وأشدهم غفلة عن آخرتهم وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رآهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون وفي ضلالهم يعمهون وفي باطلهم يترددون نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون.
- ثم نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها و[ما} حرموا من العقل العالي فعرفوا أن الأمر لله والحكم له في عباده وإن هو إلا توفيقه وخذلانه فخافوا ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته [وهذه الأمور لو قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثمرت الرُّقِيَّ العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير}.
- **ما الآيات الدالة على صدق ماجاء به الرسل؟**

أفلم يتفكر هؤلاء المكذبون لرسل الله ولقائه {فِي أَنْفُسِهِمْ} فإن في أنفسهم آيات يعرفون بها أن الذي أوجدهم من العدم سيعيدهم بعد ذلك وأن الذي نقلهم أطوارًا من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي قد نفخ فيه الروح إلى طفل إلى شاب إلى شيخ إلى هرم، غير لائق أن يتركهم سدى مهملين لا ينهون ولا يؤمرون ولا يثابون ولا يعاقبون.

- **ما الحكمة من خلق السماوات والأرض؟**

{مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} [أي} ليبلوكم أيكم أحسن عملا. {وَأَجَلٌ مُسَمًّى} أي: مؤقت بقاؤهما إلى أجل تنقضي به الدنيا وتجيء به القيامة وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات.

- **ما سبب كفر كثير من الناس؟**

- {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} فلذلك لم يستعدوا للقائه ولم يصدقوا رسله التي أخبرت به وهذا الكفر عن غير دليل، بل الأدلة القاطعة قد دلت على البعث والجزاء، ولهذا نبههم على السير في الأرض والنظر في عاقبة الذين كذبوا رسلهم وخالفوا أمرهم ممن هم أشد من هؤلاء قوة وأكثر آثارا في الأرض من بناء قصور ومصانع ومن غرس أشجار ومن زرع وإجراء أنهار، فلم تغن عنهم قوتهم ولا نفعتهم آثارهم حين كذبوا رسلهم الذين جاءوهم بالبينات الدالات على الحق وصحة ما جاءوهم به، فإنهم حين ينظرون في آثار أولئك لم يجدوا إلا أمما بائدة وخلقا مهلكين ومنازل بعدهم موحشة وذم من الخلق عليهم متتابع. وهذا جزاء معجل نموذج للجزاء الأخروي ومبتدأ له.
- وكل هذه الأمم المهلكة لم يظلمهم الله بذلك الإهلاك وإنما ظلموا أنفسهم وتسببوا في هلاكها.

- **ماسبب العاقبة السيئة؟**

{ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السوأى} أي: الحالة السيئة الشنيعة، وصار ذلك داعيا لهم لأن {كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} فهذا عقوبة لسوئهم وذنوبهم.

ثم ذلك الاستهزاء والتكذيب يكون سببا لأعظم العقوبات وأعضل المثلات.

- من الذي بدأ الخلق ومن هو الذي يعيده ؟
- يخبر تعالى أنه المتفرد بإبداء المخلوقات ثم يعيدهم ثم إليه يرجعون بعد إعادتهم ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا ذكر جزاء أهل الشر ثم جزاء أهل الخير فقال:
- {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} أي: يقوم الناس لرب العالمين ويردون القيامة عيانا، يومئذ {يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} أي: ييأسون من كل خير. وذلك أنهم ما قدموا لذلك اليوم إلا الإجرام وهي الذنوب، من كفر وشرك ومعاصي، فلما قدموا أسباب العقاب ولم يخلطوها بشيء من أسباب الثواب، أيسوا وأبلسوا وأفلسوا وضل عنهم ما كانوا يفترونه، من نفع شركائهم وأنهم يشفعون لهم، ولهذا قال: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ} التي عبدوها مع الله {شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ} تبرأ المشركون ممن أشركوهم مع الله وتبرأ المعبودون وقالوا: {تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} والتعنوا وابتعدوا، وفي ذلك اليوم يفترق أهل الخير والشر كما افترقت أعمالهم في الدنيا.

- **القرآن مثاني فإذا ذكر أهل الباطل يقابلهم بأهل الحق؟**
- {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} آمنوا بقلوبهم وصدقوا ذلك بالأعمال الصالحة {فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ} فيها سائر أنواع النبات وأصناف المشتهيات، {يُحْبَرُونَ} أي: يسرون وينعمون بالمآكل اللذيذة والأشربة والحور الحسان والخدم والولدان والأصوات المطربات والسماع المشجي والمناظر العجيبة والروائح الطيبة والفرح والسرور واللذة والحبور مما لا يقدر أحد أن يصفه.
- [١٦] {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} وجحدوا نعمه وقابلوها بالكفر {وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} التي جاءتهم بها رسلنا {فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} فيه، قد أحاطت بهم جهنم من جميع جهاتهم واطّلع العذاب الأليم

على أفئدتهم وشوى الحميم وجوههم وقطّع أمعاءهم، فأين الفرق بين الفريقين وأين التساوي بين المنعمين والمعذبين؟"

- **ماهي أفضل أوقات الذكر والتسبيح؟**
- {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}
- هذا إخبار عن تنزهه عن السوء والنقص وتقدسه عن أن يماثله أحد من الخلق وأمر للعباد أن يسبحوه حين يمسون وحين يصبحون ووقت العشي ووقت الظهيرة.
- فهذه الأوقات الخمسة أوقات الصلوات الخمس أمر الله عباده بالتسبيح فيها والحمد، ويدخل في ذلك الواجب منه كالمشتملة عليه الصلوات الخمس، والمستحب كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات وما يقترن بها من النوافل، لأن هذه الأوقات التي اختارها الله [لأوقات المفروضات هي} أفضل من غيرها .
- **هل العبادة لابد أن تشتمل على التسبيح؟**

[فالتسبيح والتحميد فيها والعبادة فيها أفضل من غيرها} بل العبادة وإن لم تشتمل على قول "سبحان الله" فإن الإخلاص فيها تنزيه لله بالفعل أن يكون له شريك في العبادة أو أن يستحق أحد من الخلق ما يستحقه من الإخلاص والإنابة.

- **ما هي الأدلة القاطعة على إحياء الأموات؟**
- {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} كما يخرج النبات من الأرض الميتة والسنبلة من الحبة والشجرة من النواة والفرخ من البيضة والمؤمن من الكافر، ونحو ذلك.
- {وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} بعكس المذكور {وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فينزل عليها المطر وهي ميتة هامدة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج {وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} من قبوركم.
- فهذا دليل قاطع وبرهان ساطع أن الذي أحيا الأرض بعد موتها فإنه يحيي الأموات، فلا فرق في نظر العقل بين الأمرين ولا موجب لاستبعاد أحدهما مع مشاهدة الآخر.
- ماهي آيات الله التي تدل على انفراده بالألوهية؟
- {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}
- هذا شروع في تعداد آياته الدالة على انفراده بالإلهية وكمال عظمته، ونفوذ مشيئته وقوة اقتداره وجميل صنعه وسعة رحمته وإحسانه فقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} وذلك بخلق أصل النسل آدم عليه السلام {ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} [أي: الذي خلقكم من أصل واحد ومادة واحدة} وبثكم في أقطار الأرض [وأرجائها ففي ذلك آيات على أن الذي أنشأكم من هذا الأصل وبثكم في أقطار الأرض} هو الرب المعبود الملك المحمود والرحيم الودود الذي سيعيدكم بالبعث بعد الموت.
- ما الآية من خلق الأزواج؟
- {وَمِنْ آيَاتِهِ} الدالة على رحمته وعنايته بعباده وحكمته العظيمة وعلمه المحيط، {أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} تناسبكم وتناسبونهن وتشاكلكم وتشاكلونهن {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة.

- فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} يُعملون أفكارهم ويتدبرون آيات اللّه وينتقلون من شيء إلى شيء.
- **من هم العالمون؟**
- والعَالِمُون هم أهل العلم الذين يفهمون العبر ويتدبرون الآيات. والآيات في ذلك كثيرة: فمن آيات خلق السماوات والأرض وما فيهما، أن ذلك دال على عظمة سلطان اللّه وكمال اقتداره الذي أوجد هذه المخلوقات العظيمة، وكمال حكمته لما فيها من الإتقان وسعة علمه، لأن الخالق لا بد أن يعلم ما خلقه {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} وعموم رحمته وفضله لما في ذلك من المنافع الجليلة، وأنه المريد الذي يختار ما يشاء لما فيها من التخصيصات والمزايا، وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد ويوحد لأنه المنفرد بالخلق فيجب أن يفرد بالعبادة، فكل هذه أدلة عقلية نبه اللّه العقول إليها وأمرها بالتفكر واستخراج العبرة منها.
- {و} كذلك في {اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ} على كثرتكم وتباينكم مع أن الأصل واحد ومخارج الحروف واحدة، ومع ذلك لا تجد صوتين متفقين من كل وجه ولا لونين متشابهين من كل وجه إلا وتجد من الفرق بين ذلك ما به يحصل التمييز. وهذا دال على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته.
- **ما الحكمة من الإختلاف؟**
- و[من} عنايته بعباده ورحمته بهم أن قدر ذلك الاختلاف لئلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب ويفوت كثير من المقاصد والمطالب.
- {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}
- أي: سماع تدبر وتعقل للمعاني والآيات في ذلك.
- إن ذلك دليل على رحمة اللّه تعالى كما قال: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} وعلى تمام حكمته إذ حكمته اقتضت سكون الخلق في وقت ليستريحوا به ويستجموا وانتشارهم في وقت، لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا يتم ذلك إلا بتعاقب الليل والنهار عليهم، والمنفرد بذلك هو المستحق للعبادة.
- {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}
- أي: ومن آياته أن ينزل عليكم المطر الذي تحيا به البلاد والعباد ويريكم قبل نزوله مقدماته من الرعد والبرق الذي يُخَاف ويُطْمَع فيه.
- {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} [دالة} على عموم إحسانه وسعة علمه وكمال إتقانه، وعظيم حكمته وأنه يحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها.
- {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أي: لهم عقول تعقل بها ما تسمعه وتراه وتحفظه، وتستدل به عل ما جعل دليلا عليه.
- **كيف يكون قيام السماوات والأرض؟**
- ومن آياته العظيمة أن قامت السماوات والأرض واستقرتا وثبتتا بأمره فلم تتزلزلا ولم تسقط السماء على الأرض، فقدرته العظيمة التي بها أمسك السماوات والأرض أن تزولا، يقدر بها أنه إذا دعا الخلق دعوة من الأرض إذا هم يخرجون {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}
- {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} الكل خلقه ومماليكه المتصرف فيهم من غير منازع ولا معاون ولا معارض وكلهم قانتون لجلاله خاضعون لكماله.

- {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ} أي: الإعادة للخلق بعد موتهم {أَهْوَنُ عَلَيْهِ} من ابتداء خلقهم وهذا بالنسبة إلى الأذهان والعقول، فإذا كان قادرا على الابتداء الذي تقرون به كانت قدرته على الإعادة التي أهون أولى وأولى.
- **ماهو الأمر العظيم والمطلب بعد هذا كله؟**
- ولما ذكر من الآيات العظيمة ما به يعتبر المعتبرون ويتذكر المؤمنون ويتبصر المهتدون ذكر الأمر العظيم والمطلب الكبير فقال: {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} وهو كل صفة كمال، والكمال من تلك الصفة والمحبة والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين والذكر الجليل والعبادة منهم. فالمثل الأعلى هو وصفه الأعلى وما ترتب عليه.
- ولهذا كان أهل العلم يستعملون في حق الباري قياس الأولى، فيقولون: كل صفة كمال في المخلوقات فخالقها أحق بالاتصاف بها على وجه لا يشاركه فيها أحد، وكل نقص في المخلوق ينزه عنه فتنزيه الخالق عنه من باب أولى وأحرى.
- {وَهُوَ الْعَزِيزُ الحكيم} أي: له العزة الكاملة والحكمة الواسعة، فعزته أوجد بها المخلوقات وأظهر المأمورات، وحكمته أتقن بها ما صنعه وأحسن فيها ما شرعه.
- **ماهو المثل المضروب؟**
- هذا مثل ضربه الله تعالى لقبح الشرك وتهجينه مثلا من أنفسكم لا يحتاج إلى حل وترحال وإعمال الجمال.
- {هَلْ لَكُمْ ممَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ} أي: هل أحد من عبيدكم وإمائكم الأرقاء يشارككم في رزقكم وترون أنكم وهم فيه على حد سواء.
- ماهو وجه الشبه؟
- {تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} أي: كالأحرار الشركاء في الحقيقة الذين يخاف من قسمه واختصاص كل شيء بحاله؟
- ليس الأمر كذلك فإنه ليس أحد مما ملكت أيمانكم شريكا لكم فيما رزقكم الله تعالى.
- هذا، ولستم الذين خلقتموهم ورزقتموهم وهم أيضا مماليك مثلكم، فكيف ترضون أن تجعلوا لله شريكا من خلقه وتجعلونه بمنزلته، وعديلا له في العبادة وأنتم لا ترضون مساواة مماليككم لكم؟
- **اتخاذ الشريك ماذا يدل عليه؟**
- هذا من أعجب الأشياء ومن أدل شيء على [سفه} من اتخذ شريكا مع الله وأن ما اتخذه باطل مضمحل ليس مساويا لله ولا له من العبادة شيء.
- {كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ} بتوضيحها بأمثلتها {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} الحقائق ويعرفون، وأما من لا يعقل فلو فُصِّلَت له الآيات وبينت له البينات لم يكن له عقل يبصر به ما تبين ولا لُبٌّ يعقل به ما توضح، فأهل العقول والألباب هم الذين يساق إليهم الكلام ويوجه الخطاب.
- وإذا علم من هذا المثال أن من اتخذ من دون الله شريكا يعبده ويتوكل عليه في أموره، فإنه ليس معه من الحق شيء فما الذي أوجب له الإقدام على أمر باطل توضح له بطلانه وظهر برهانه؟ [لقد} أوجب لهم ذلك اتباع الهوى فلهذا قال: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} هويت أنفسهم الناقصة التي ظهر من نقصانها ما تعلق به هواها، أمرا يجزم العقل بفساده والفطر برده بغير علم دلهم عليه ولا برهان قادهم إليه.
- {فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ} أي: لا تعجبوا من عدم هدايتهم فإن الله تعالى أضلهم بظلمهم ولا طريق لهداية من أضل الله لأنه ليس أحد معارضا لله أو منازعا له في ملكه.
- {وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} ينصرونهم حين تحق عليهم كلمة العذاب، وتنقطع بهم الوصل والأسباب.

- [٣٠ ـ ٣٢] {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}
- يأمر تعالى بالإخلاص له في جميع الأحوال وإقامة دينه فقال: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ} أي: انصبه ووجهه إلى الدين الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان بأن تتوجه بقلبك وقصدك وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها. وشرائعه الباطنة كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة بأن تعبد الله فيها كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
- **لماذا خص الوجة بالإقامة؟**
- وخص الله إقامة الوجه لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب ويترتب على الأمرين سَعْيُ البدن ولهذا قال: {حَنِيفًا} أي: مقبلا على الله في ذلك معرضا عما سواه.
- وهذا الأمر الذي أمرناك به هو {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} ووضع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة.
- ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"
- {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} أي: لا أحد يبدل خلق الله فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله، {ذَلِكَ} الذي أمرنا به {الدِّينُ الْقَيِّمُ} أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله وإلى كرامته، فإن من أقام وجهه للدين حنيفا فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه وطرقه، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} فلا يتعرفون الدين القيم وإن عرفوه لم يسلكوه.
- **كيف تكون إقامة الدين ؟**
- {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ} وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالى.
- ويلزم من ذلك حمل البدن بمقتضى ما في القلب فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا بترك المعاصي الظاهرة والباطنة فلذلك قال: {وَاتَّقُوهُ} فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات.
- لماذا خص الله الصلاة؟
- وخص من المأمورات الصلاة لكونها تدعو إلى الإنابة والتقوى لقوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} فهذا إعانتها على التقوى.
- ثم قال: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} فهذا حثها على الإنابة. وخص من المنهيات أصلها والذي لا يقبل معه عمل وهو الشرك فقال: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} لكون الشرك مضادا للإنابة التي روحها الإخلاص من كل وجه.
- **ما هو حال المشركين؟**
- ثم ذكر حالة المشركين مهجنا لها ومقبحا فقال: {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ} مع أن الدين واحد وهو إخلاص العبادة لله وحده وهؤلاء المشركون فرقوه، منهم من يعبد الأوثان والأصنام. ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين ومنهم يهود ومنهم نصارى.
- ولهذا قال: {وَكَانُوا شِيَعًا} أي: كل فرقة من فرق الشرك تألفت وتعصبت على نصر ما معها من الباطل ومنابذة غيرهم ومحاربتهم.

- {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ} من العلوم المخالفة لعلوم الرسل {فَرِحُونَ} به يحكمون لأنفسهم بأنه الحق وأن غيرهم على باطل، وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق بل الدين واحد والرسول واحد والإله واحد.
- وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة، والأخوة الإيمانية قد عقدها الله وربطها أتم ربط، فما بال ذلك كله يُلْغَى ويُبْنَى التفرق والشقاق بين المسلمين على مسائل خفية أو فروع خلافية يضلل بها بعضهم بعضا، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟
- فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين؟
- وهل السعي في جمع كلمتهم وإزالة ما بينهم من الشقاق المبني على ذلك الأصل الباطل، إلا من أفضل الجهاد في سبيل الله وأفضل الأعمال المقربة إلى الله؟
- ولما أمر تعالى بالإنابة إليه ـ وكان المأمور بها هي الإنابة الاختيارية، التي تكون في حَالَي العسر واليسر والسعة والضيق ـ ذكر الإنابة الاضطرارية التي لا تكون مع الإنسان إلا عند ضيقه وكربه، فإذا زال عنه الضيق نبذها وراء ظهره وهذه غير نافعة .

لمسات بيانية:

آية (١٧):

***ما دلالة كلمة (حين) في القرآن الكريم؟(د.فاضل السامرائى)**

في اللغة هناك ظروف محددة مثل (شهر، عام، أسبوع، حول) وظروف مبهمة. و(حين) هي من الظروف المبهمة بمعنى أنه ليس لها وقت محدد لكن قد يُعلم وقتها بما تُضاف إليه. كقوله تعالى في سورة الروم (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ {١٧}) وكذلك قوله تعالى في سورة ابراهيم (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ {٢٥}) حسب الثمار.

***(فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) الروم) ما دلالة تقديم الإمساء على الإصباح مع أن الإصباح أسبق؟(د.فاضل السامرائى)**

في آية أخرى قدم أيضاً وقال (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) الأحزاب). الآية (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) الروم) أصلاً هو السياق في ذكر الساعة (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآَخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦) فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) الروم) السياق في الآخرة والساعة هي آخر الدنيا والمساء آخر النهار فربط بين هذه وتلك. وفي الحديث قال "ما بقي من يومكم إلا ما بين العصر والمغرب" يذكر أن الوقت قصير. فالمساء هو آخر النهار والساعة هي الآخر فقدم المساء لمناسبة الحديث العام عن الموضوع بينما الاية الأخرى (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) الأحزاب) نأخذ الآن القياس بين البكرة والأصيل الظلمات تمثل الليل والنور يمثل

النهار بعد الظلمات نهار ونور بعد الليل نهار إذن (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) لأن البكرة تأتي مباشرة بعد الظلمة، البكرة هي الصباح والأصيل المغرب لما قال (مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) يقدم البكرة على الأصيل طبيعة الحال لأن بعد الظلمات هي البكرة وليس الأصيل تلك مناسبة الساعة الآخر بالآخر ومناسبة الظلمات والنور.

آية (١٩):

***ما هو تفسير الآية (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ (١٩) الروم) ؟(د.فاضل السامرائى)**

اختلفوا في تفسير الآية فقسم قالوا تكون الحياة من موادها الميتة فيخرج حياة من مواد ميتة من التراب من غيره وقسم قالوا البذرة من الشجرة واالنواة من النخلة والبيضة من الفرخة ويقولون المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لأن الله تعالى سمى الإيمان حياة والكفر موت (أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ (١٢٢) الأنعام) قال قسم من المفسرين يخرج الحي من الميت أي المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي أي الكافر من المؤمن.

الوصايا العملية:

- من عنده فقط علم بأمور دنياه فليس بعالم ، العالم الحقيقي من يكون علمه نافع ينتفع به في آخرته .
- الحث على كثرة الذكر وأفضل أوقات الذكر قبل طلوع الشمس وقبل غروبها .
- لابد من احتواء العبادة على التسبيح والذكر فهو ادعى للإخلاص والقبول بإذن الله .
- عبادة التفكر من العبادات التي يغفل الناس عنها وهي من أهم العبادات التي تزيد من إيمان العبد .
- إقامة الصلاة على وجهها المشروع سببا لتجنب المعاصي والفحشاء ، لكن من ينقر صلاته كنقر الغراب فأنى تكون له هذه الثمرة ! .
- الإيمان بالغيب من علامات صدق الإيمان ، ولا ينبغي للإنسان أن يبحث ويكثر السؤال ويجادل فيما سكت عنه الشرع ، وعليه الإيمان والتسليم التام بكل ما جاء من أمور الغيب .

المقطع الثاني: من الآية (٣٣) إلى الآية (٦٠)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (٣٣ – ٣٧) لجوء الناس إلى الله عند الشدائد وإعراضهم عند زوالها. في هذا المقطع يشنع الله على المشركين، الذين يدعون الله في وقت الشدة فقط، ثم إذا أزال الله عنهم تلك الشدة وعادوا إلى ما كانوا عليه من الشرك.
- الآيات (٣٨ – ٤٠) الحث على الإنفاق لذوي الأرحام والتحذير من المال الحرام.
- الآيات (٤١ – ٤٥) جزاء المفسدين والمؤمنين.
- الآيات (٤٦ – ٥٣) الرياح والأمطار دالة على قدرة الله، وتشبيه الكفار بالموتى. في هذا المقطع يذكر الله سبحانه نعمه وفضله على خلقه بإرسال الرياح والأمطار الدالة على وحدانيته وكمال قدرته. ثم ذكر سبحانه وتعالى تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه وإن كذبه كثير من قومه فقد كذبت الرسل من قبله. ثم أبان تعالى كيفية خلقه للسحاب الذي ينزل منه المطر. ثم بين حال الكافرين وتنكرهم للمعروف. ثم نبه سبحانه وتعالى إلى أن هؤلاء الكفار كالأموات لا ينفع معهم نصح ولا تذكير.
- الآيات (٥٤ – ٥٧) أطوار حياة الإنسان، وقسم المجربين في الآخرة. في هذا المقطع يبن الله سبحانه وتعالى أنه هو الذي خلق الإنسان من أصل ضعيف وهو النطفة.
- الآيات (٥٨ – ٦٠) ضرب الأمثال للعبرة والموعظة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على الأذى والدعوة.

التمهيد ١:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى ونور.

خلق الله السماوات والأرض وأنشأها على أحسن حال ، إلى أن تدخل فيها البشر فغيروا وأفسدوا فبدأت حركة النبوات فيها ، ومضى رسل الله في مهمتهم الرسالية الكبرى لإصلاح الأرض بعد فسادها .

ولقد بين الإسلام خطورة الفساد في الدنيا والعواقب الوخيمة لها في الآخرة ليرتدع الناس عن الإقدام عليها ولينتهوا عنها.

والفساد يكون بالإعراض عن المنهج الذي رسمه الله عز وجل وفرضه لما فيه مصالح العباد والبلاد ، وإذا حدث الإعراض والمخالفة واتباع الهوى حدث الفساد والشقاء وتعطلت مصالح العبد ، بدلا من السعادة والخير .

الفساد في الأرض يتجلى في مظاهر عديدة ذكرها الله تعالى في كتابه :

١ـ الكفر والصد عن سبيل الله.

٢ـ النفاق (وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون)

٣ـ قتل النفس التي حرم الله.

٤ـ بخس الموازين والتطفيف في المكاييل.

٥ـ قطع الأرحام (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)

٦ـ الإسراف ومجاوزة الحد في الغي والمعاصي .

٧ـ ارتكاب المنكرات والفواحش.

ومن الفساد إفساد النفس بالإصرار على الذنوب والمعاصي ، فكل معصية إفساد .

فالناس لاغيرهم من المخلوقات هم من ملأوا الأرض بالفساد ،حيث ضلوا عن الصراط المستقيم ، قال تعالى : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس)

اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية في نصابنا .

التمهيد ٢ :

بسم الله والحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بماعلمتنا..

يعد خلق الإنسان آية عظيمة من آيات الله خاصة إذا علمنا أن كل طور من أطوار خلقه يعد آية في حد ذاته ، وإخبار الله عن هذه الأطوار والمراحل يعتبر من الإعجاز العلمي لاسيما أن العلم الحديث لم يتوصل إليه إلا منذ سنوات قليلة .

أول عناصر خلق الإنسان هو الماء ثم التراب ثم الطين ثم الحمأ المسنون ثم كونه صلصال ثم نفخ فيه الروح.

ثم مراحل خلق الإنسان في بطن أمه : النطفة ثم العلقة ثم المضغة المخلقة وغير المخلقة ثم العظام ثم كساء اللحم ثم تكوينه خلقا آخر ..

أطوار عمر الإنسان في القرآن:

١ـ مرحلة المهد تمتد من الولادة إلى الفطام.

٢ـ مرحلة الصبا وهي من المهد إلى ماقبل البلوغ.

٣ـ مرحلة الفتوة (الشباب) وهي من الإحتلام إلى مرحلة الكهولة.

٤ـ مرحلة الكهولة وهي من عمر ٣٥ـ٤٥ ، من جاوز الخمسين وتكتمل فيها القوة البدنية والعقلية أي هي مرحلة الرشد والإكتمال.

والعرب تمتدح مرحلة الكهولة لأنها الحالة الوسطى في استكمال السن واستحكام الفعل وجودة الرأي والتجربة.

٥ ـ الشيخوخة وهي مابين الكهولة والهرم وهي غالبا عند الخمسين وفوق الكهل ودون الهرم ، وفيها يضعف الإنسان عن القيام بما كان يقوم به ويستمر الضعف حتى يصل إلى الوفاة.

٦ـ الهرم وفيها يبلغ أقصى الكبر والضعف فهو هرم .

وليست لهذه المراحل حدود زمنية فاصلة بينها لأن هناك فروقا وظروفا ومؤثرات قد تختلف من شخص لآخر ومن بيئة لبيئة كل حسب مايسره الله له ، قال تعالى : (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعف وشيبة ...)

فوائد وأسئلة تدبرية:

- **ماهي حال الناس في حال الشدة؟**

{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ} مرض أو خوف من هلاك ونحوه. {دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} ونسوا ما كانوا به يشركون في تلك الحال لعلمهم أنه لا يكشف الضر إلا اللّه.

- كيف حالهم في السراء مع الله؟
- {ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً} شفاهم من مرضهم وآمنهم من خوفهم، {إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ} ينقضون تلك الإنابة التي صدرت منهم ويشركون به من لا دفع عنهم ولا أغنى، ولا أفقر ولا أغنى، وكل هذا كفر بما آتاهم اللّه ومَنَّ به عليهم حيث أنجاهم، وأنقذهم من الشدة وأزال عنهم المشقة، فهلا قابلوا هذه النعمة الجليلة بالشكر والدوام على الإخلاص له في جميع الأحوال؟.
- استفهام إنكاري ، **هل عندهم سلطان وحجة؟**
- {أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا} أي: حجة ظاهرة {فَهُوَ} أي: ذلك السلطان، {يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ} ويقول لهم: اثبتوا على شرككم واستمروا على شككم فإن ما أنتم عليه هو الحق وما دعتكم الرسل إليه باطل.
- فهل ذلك السلطان موجود عندهم حتى يوجب لهم شدة التمسك بالشرك؟ أم البراهين العقلية والسمعية والكتب السماوية والرسل الكرام وسادات الأنام، قد نهوا أشد النهي عن ذلك وحذروا من سلوك طرقه الموصلة إليه وحكموا بفساد عقل ودين من ارتكبه؟.
- فشرك هؤلاء بغير حجة ولا برهان وإنما هو أهواء النفوس، ونزغات الشيطان.
- **ما هو حال أكثر الناس في الشدة والرخاء؟**
- يخبر تعالى عن طبيعة أكثر الناس في حالي الرخاء والشدة أنهم إذا أذاقهم اللّه منه رحمة من صحة وغنى ونصر ونحو ذلك فرحوا بذلك فرح بطر، لا فرح شكر وتبجح بنعمة اللّه.

- {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} أي:: حال تسوؤهم وذلك {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} من المعاصي. {إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} ييأسون من زوال ذلك الفقر والمرض ونحوه. وهذا جهل منهم وعدم معرفة.
- **الرزق بيد من ؟ وماذا يدعوك ذلك؟**
- {أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} فالقنوط بعد ما علم أن الخير والشر من الله والرزق سعته وضيقه من تقديره ضائع ليس له محل. فلا تنظر أيها العاقل لمجرد الأسباب بل اجعل نظرك لمسببها ولهذا قال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} فهم الذين يعتبرون بسط الله لمن يشاء وقبضه، ويعرفون بذلك حكمة الله ورحمته وجوده وجذب القلوب لسؤاله في جميع مطالب الرزق.
- [٣٨ ـ ٣٩] {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}
- أي: فأعط القريب منك ـ على حسب قربه وحاجته ـ حقه الذي أوجبه الشارع أو حض عليه من النفقة الواجبة والصدقة والهدية والبر والسلام والإكرام والعفو عن زلته والمسامحة عن هفوته. وكذلك [آت} المسكين الذي أسكنه الفقر والحاجة ما تزيل به حاجته وتدفع به ضرورته من إطعامه وسقيه وكسوته.
- {وَابْنَ السَّبِيلِ} الغريب المنقطع به في غير بلده الذي في مظنة شدة الحاجة، لأنه لا مال معه ولا كسب قد دبر نفسه به [في} سفره، بخلاف الذي في بلده، فإنه وإن لم يكن له مال ولكن لا بد في الغالب أن يكون في حرفة أو صناعة ونحوها تسد حاجته، ولهذا جعل الله في الزكاة حصة للمسكين وابن السبيل.
- ماشرط خيرية العمل؟
- ذَلِكَ} أي: إيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل {خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ} بذلك العمل {وَجْه اللَّهِ} أي: خير غزير وثواب كثير لأنه من أفضل الأعمال الصالحة والنفع المتعدي الذي وافق محله المقرون به الإخلاص.
- فإن لم يرد به وجه الله لم يكن خيرا لِلْمُعْطِي وإن كان خيرا ونفعا لِلْمُعْطي كما قال تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} مفهومها أن هذه المثبتات خير لنفعها المتعدي ولكن من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما.
- **من هم المفلحون؟**

وقوله: {وَأُولَئِكَ} الذين عملوا هذه الأعمال وغيرها لوجه الله {هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الفائزون بثواب الله الناجون من عقابه.

ولما ذكر العمل الذي يقصد به وجهه [من النفقات} ذكر العمل الذي يقصد به مقصد دنيوي فقال: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ} أي: ما أعطيتم من أموالكم الزائدة عن حوائجكم وقصدكم بذلك أن يربو أي: يزيد في أموالكم بأن تعطوها لمن تطمعون أن يعاوضكم عنها بأكثر منها، فهذا العمل لا يربو أجره عند الله لكونه معدوم الشرط الذي هو الإخلاص. ومثل ذلك العمل الذي يراد به الزيادة في الجاه والرياء عند الناس فهذا كله لا يربو عند الله.

- **ما فائدة الزكاة؟**

- {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ} أي: مال يطهركم من الأخلاق الرذيلة ويطهر أموالكم من البخل بها ويزيد في دفع حاجة الْمُعْطَى. {تُرِيدُونَ} بذلك {وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} أي: المضاعف لهم الأجر الذين تربو نفقاتهم عند الله ويربيها الله لهم حتى تكون شيئًا كثيرًا.
- ودل قوله: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ} أن الصدقة مع اضطرار من يتعلق بالمنفق أو مع دَيْنٍ عليه لم يقضه ويقدم عليه الصدقة أن ذلك ليس بزكاة يؤجر عليه العبد ويرد تصرفه شرعا كما قال تعالى في الذي يمدح: {الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} فليس مجرد إيتاء المال خيرا حتى يكون بهذه الصفة وهو: أن يكون على وجه يتزكى به المؤتي.
- [٤٠] {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}
- يخبر تعالى أنه وحده المنفرد بخلقكم ورزقكم وإماتتكم وإحيائكم، وأنه ليس أحد من الشركاء التي يدعوهم المشركون من يشارك الله في شيء من هذه الأشياء.
- فكيف يشركون بمن انفرد بهذه الأمور من ليس له تصرف فيها بوجه من الوجوه؟!
- فسبحانه وتعالى وتقدس وتنزه وعلا عن شركهم، فلا يضره ذلك وإنما وبالهم عليهم.
- ما المقصود بالفساد؟
- [٤١] {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}
- أي: استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها.
- هذه المذكورة {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال فعجل لهم نموذجا من جزاء أعمالهم في الدنيا {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} عن أعمالهم التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم ويستقيم أمرهم.
- **ما الحكمة ؟**

فسبحان من أنعم ببلائه وتفضل بعقوبته وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة.

- **كيف يكون السير في الأرض؟**
- والأمر بالسير في الأرض يدخل فيه السير بالأبدان والسير في القلوب للنظر والتأمل بعواقب المتقدمين.
- {كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ} تجدون عاقبتهم شر العواقب ومآلهم شر مآل، عذاب استأصلهم وذم ولعن من خلق الله يتبعهم وخزي متواصل، فاحذروا أن تفعلوا فعالهم يُحْذَى بكم حذوهم فإن عدل الله وحكمته في كل زمان ومكان.
- [٤٣ ـ ٤٥] {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ * مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}
- أي: أقبل بقلبك وتوجه بوجهك واسع ببدنك لإقامة الدين القيم المستقيم، فنفذ أوامره ونواهيه بجد واجتهاد وقم بوظائفه الظاهرة والباطنة. وبادر زمانك وحياتك وشبابك، {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} وهو يوم القيامة الذي إذا جاء لا يمكن رده ولا يرجأ العاملون أن يستأنفوا العمل

بل فرغ من الأعمال لم يبق إلا جزاء العمال. {يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} أي: يتفرقون عن ذلك اليوم ويصدرون أشتاتا متفاوتين لِيُرَوْا أعمالهم.

- **على من يعود مردود العمل سواء كان صالحا أو غير صالح ؟**

مَنْ كَفَرَ} منهم {فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} ويعاقب هو بنفسه لا تزر وازرة وزر أخرى، {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا} من الحقوق التي لله أو التي للعباد الواجبة والمستحبة، {فَلِأَنْفُسِهِمْ} لا لغيرهم {يَمْهَدُونَ} أي: يهيئون ولأنفسهم يعمرون آخرتهم ويستعدون للفوز بمنازلها وغرفاتها، ومع ذلك جزاؤهم ليس مقصورا على أعمالهم بل يجزيهم الله من فضله الممدود وكرمه غير المحدود ما لا تبلغه أعمالهم. وذلك لأنه أحبهم وإذا أحب الله عبدا صب عليه الإحسان صبا، وأجزل له العطايا الفاخرة وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة.

- **ما حال الكافرين؟**
- وهذا بخلاف الكافرين فإن الله لما أبغضهم ومقتهم عاقبهم وعذبهم ولم يزدهم كما زاد من قبلهم فلهذا قال: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}
- **ما هي الأدلة على عظمة الله سبحانه؟**
- {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}
- أي: ومن الأدلة الدالة على رحمته وبعثه الموتى وأنه الإله المعبود والملك المحمود، {أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ} أمام المطر {مُبَشِّرَاتٍ} بإثارتها للسحاب ثم جمعها فتبشر بذلك النفوس قبل نزوله.
- **ما فائدة الرياح؟**
- {وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ} فينزل عليكم من رحمته مطرا تحيا به البلاد والعباد، وتذوقون من رحمته ما تعرفون أن رحمته هي المنقذة للعباد والجالبة لأرزاقهم، فتشتاقون إلى الإكثار من الأعمال الصالحة الفاتحة لخزائن الرحمة.
- {وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ} في البحر {بِأَمْرِهِ} القدري {وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} بالتصرف في معايشكم ومصالحكم.
- {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} من سخر لكم الأسباب وسير لكم الأمور. فهذا المقصود من النعم أن تقابل بشكر الله تعالى ليزيدكم الله منها ويبقيها عليكم.
- وأما مقابلة النعم بالكفر والمعاصي فهذه حال من بدَّل نعمة الله كفرا ونعمته محنة وهو معرض لها للزوال والانتقال منه إلى غيره.
- **ما الفائدة من ذكر قصص الأمم السابقة المكذبة؟**
- [٤٧] {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} أي: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ} في الأمم السابقين {رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ} حين جحدوا توحيد الله وكذبوا بالحق فجاءتهم رسلهم يدعونهم إلى التوحيد والإخلاص والتصديق بالحق وبطلان ما هم عليه من الكفر والضلال، وجاءوهم بالبينات والأدلة على ذلك فلم يؤمنوا ولم يزولوا عن غيهم، {فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل. {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} أي: أوجبنا ذلك على أنفسنا وجعلناه من جملة الحقوق المتعينة ووعدناه به فلا بد من وقوعه.
- فأنتم أيها المكذبون لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن بقيتم على تكذيبكم حلَّت بكم العقوبة ونصرناه عليكم.

- **ماهي أنواع الرياح ؟**
- يخبر تعالى عن كمال قدرته وتمام نعمته أنه {يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} من الأرض، {فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ} أي: يمده ويوسعه {كَيْفَ يَشَاءُ} أي: على أي حالة أرادها من ذلك ثم {يَجْعَلُهُ} أي: ذلك السحاب الواسع {كِسَفًا} أي: سحابا ثخينا قد طبق بعضه فوق بعض.
- {فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} أي: السحاب نقطا صغارا متفرقة، لا تنزل جميعا فتفسد ما أتت عليه.
- {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ} بذلك المطر {مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} يبشر بعضهم بعضا بنزوله وذلك لشدة حاجتهم وضرورتهم إليه فلهذا قال: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} أي: آيسين قانطين لتأخر وقت مجيئه، أي: فلما نزل في تلك الحال صار له موقع عظيم [عندهم} وفرح واستبشار.
- {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج كريم.
- {إِنَّ ذَلِكَ} الذي أحيا الأرض بعد موتها {لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فقدرته تعالى لا يتعاصى عليها شيء وإن تعاصى على قدر خلقه ودق عن أفهامهم وحارت فيه عقولهم.
- **ما هي حالة الخلق أمام هذه النعم؟**
- يخبر تعالى عن حالة الخلق وأنهم مع هذه النعم عليهم بإحياء الأرض بعد موتها ونشر رحمة الله تعالى لو أرسلنا على هذا النبات الناشئ عن المطر وعلى زروعهم ريحا مضرة متلفة أو منقصة، {فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا} قد تداعى إلى التلف {لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} فينسون النعم الماضية ويبادرون إلى الكفر.
- وهؤلاء لا ينفع فيهم وعظ ولا زجر {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ} وبالأولى {إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} فإن الموانع قد توفرت فيهم عن الانقياد والسماع النافع كتوفر هذه الموانع المذكورة عن سماع الصوت الحسي.
- {وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ} لأنهم لا يقبلون الإبصار بسبب عماهم فليس منهم قابلية له.
- {إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} فهؤلاء الذين ينفع فيهم إسماع الهدى المؤمنون بآياتنا بقلوبهم المنقادون لأوامرنا المسلمون لنا، لأن معهم الداعي القوي لقبول النصائح والمواعظ وهو استعدادهم للإيمان بكل آية من آيات الله واستعدادهم لتنفيذ ما يقدرون عليه من أوامر الله ونواهيه.
- **ما هي أطوار حياة الإنسان؟**
- يخبر تعالى عن سعة علمه وعظيم اقتداره وكمال حكمته، ابتدأ خلق الآدميين من ضعف وهو الأطوار الأول من خلقه من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى أن صار حيوانا في الأرحام إلى أن ولد، وهو في سن الطفولية وهو إذ ذاك في غاية الضعف وعدم القوة والقدرة. ثم ما زال الله يزيد في قوته شيئا فشيئا حتى بلغ سن الشباب واستوت قوته وكملت قواه الظاهرة والباطنة، ثم انتقل من هذا الطور ورجع إلى الضعف والشيبة والهرم.
- {يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} بحسب حكمته. ومن حكمته أن يري العبد ضعفه وأن قوته محفوفة بضعفين وأنه ليس له من نفسه إلا النقص، ولولا تقوية الله له لما وصل إلى قوة وقدرة ولو استمرت قوته في الزيادة لطغى وبغى وعتا.
- وليعلم العباد كمال قدرة الله التي لا تزال مستمرة يخلق بها الأشياء، ويدبر بها الأمور ولا يلحقها إعياء ولا ضعف ولا نقص بوجه من الوجوه.

- **ما حال المجرمين يوم القيامة؟**
- يخبر تعالى عن يوم القيامة وسرعة مجيئه وأنه إذا قامت الساعة {يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ} باللّه أنهم {مَا لَبِثُوا} في الدنيا إِلَّا {سَاعَةً} وذلك اعتذار منهم لعله ينفعهم العذر واستقصار لمدة الدنيا.
- ولما كان قولهم كذبا لا حقيقة له قال تعالى: {كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} أي: ما زالوا ـ وهم في الدنيا ـ يؤفكون عن الحقائق ويأتفكون الكذب، ففي الدنيا كذَّبوا الحق الذي جاءتهم به المرسلون، وفي الآخرة أنكروا الأمر المحسوس وهو اللبث الطويل في الدنيا، فهذا خلقهم القبيح والعبد يبعث على ما مات عليه.
- {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ} أي: مَنَّ اللّه عليهم بهما وصارا وصفا لهم العلم بالحق والإيمان المستلزم إيثار الحق، وإذا كانوا عالمين بالحق مؤثرين له لزم أن يكون قولهم مطابقا للواقع مناسبا لأحوالهم.
- فلهذا قالوا الحق: {لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ} أي: في قضائه وقدره، الذي كتبه اللّه عليكم وفي حكمه {إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} أي: عمرتم عُمْرًا يتذكر فيه المتذكر ويتدبر فيه المتدبر ويعتبر فيه المعتبر حتى صار البعث ووصلتم إلى هذه الحال.
- {فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} فلذلك أنكرتموه في الدنيا وأنكرتم إقامتكم في الدنيا وقتا تتمكنون فيه من الإنابة والتوبة، فلم يزل الجهل شعاركم وآثاره من التكذيب والخسار دثاركم.
- **هل يقبل اعتذارهم؟ ولماذا؟**
- {فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ} فإن كذبوا وزعموا أنهم ما قامت عليهم الحجة أو ما تمكنوا من الإيمان ظهر كذبهم بشهادة أهل العلم والإيمان، وشهادة جلودهم وأيديهم وأرجلهم، وإن طلبوا الإعذار وأنهم يردون ولا يعودون لما نُهوا عنه لم يُمَكَّنُوا فإنه فات وقت الإعذار فلا تقبل معذرتهم، {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} أي: يزال عتبهم والعتاب عنهم.
- **ما الحكمة من القرآن؟**
- وَلَقَدْ ضَرَبْنَا} لأجل عنايتنا ورحمتنا ولطفنا وحسن تعليمنا {لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} تتضح به الحقائق وتعرف به الأمور وتنقطع به الحجة. وهذا عام في الأمثال التي يضربها اللّه في تقريب الأمور المعقولة بالمحسوسة. وفي الإخبار بما سيكون وجلاء حقيقته [حتى} كأنه وقع.
- ومنه في هذا الموضع ذكر اللّه تعالى ما يكون يوم القيامة وحالة المجرمين فيه وشدة أسفهم وأنه لا يقبل منهم عذر ولا عتاب.
- **ما موقف الكافرين من القرآن؟**

ولكن أبى الظالمون الكافرون إلا معاندة الحق الواضح ولهذا قال: {وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ} أي: أي آية تدل على صحة ما جئت به {لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ} أي: قالوا للحق: إنه باطل.

- **ما سبب عدم قبولهم؟**

وهذا من كفرهم وجراءتهم وطَبْعِ اللّه على قلوبهم وجهلهم المفرط ولهذا قال: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} فلا يدخلها خير ولا تدرك الأشياء على حقيقتها بل ترى الحق باطلا والباطل حقا.

- **بماذا أمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعن ماذا نهاه؟**
- فَاصْبِرْ} على ما أمرت به وعلى دعوتهم إلى اللّه، ولو رأيت منهم إعراضا فلا يصدنك ذلك.

- {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} أي: لا شك فيه وهذا مما يعين على الصبر فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع بل سيجده كاملا هان عليه ما يلقاه من المكاره ويسر عليه كل عسير واستقل من عمله كل كثير.
- {وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} أي: قد ضعف إيمانهم وقل يقينهم فخفت لذلك أحلامهم وقل صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء فإنك إن لم تجعلهم منك على بال وتحذر منهم وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدهم على هذا وتطلب التشبه والموافقة وهذا مما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف [العقل} خفيفه.
- فالأول بمنزلة اللب والآخر بمنزلة القشور فالله المستعان.

لمسات بيانية:

آية (٣٦):

*ما الفرق بين بما قدمت أيديكم وبما كسبت أيديكم ؟(د. فاضل السامرائى)

التقديم أن تعطي وتقدم مما عندك أما الكسب فأن تجمع وتأخذ بنفسك. ننظر كيف يستعمل القرآن قدمت وكسبت: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) الروم) قبلها ذكر كسباً غير مشروع (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩) الروم) هذا كسب فقال بما كسبت أيديكم كسب وليس تقديم. آية الشورى (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠)) قبلها ذكر كسب وسوء تصرف (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)) هذا كسب فقال كسبت. آيات التقديم ليست في سياق الكسب مثال (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) الروم) قبلها قال (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣)) ليس فيها كسب.

* متى يكون استخدام صيغة صبّار شكور ومتى يأتي الشكر فقط ؟(د. فاضل السامرائى)

أولاً كلمة صبّار الصبر إما أن يكون على طاعة الله أو على ما يصيب الإنسان من الشدائد. فالصلاة تحتاج إلى صبر وكذلك سائر العبادات كالجهاد والصوم. والشدائد تحتاج للصبر.

أما كلمة شكور: فالشكر إما أن يكون على النعم (واشكروا نعمة الله) أو على النجاة من الشّدّة (لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) فالشكر إذن يكون على ما يصيب الإنسان من النِّعَم أو فيما يُنجيه الله تعالى من الشِّدّة والكرب.

آية (٥٣):

*لماذا وردت كلمة يهتدي بالياء في سورة النمل وبدون ياء في سورة الروم ؟(د . فاضل السامرائي)

قال تعالى في سورة النمل (وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ {٨١}) بذكر الياء وقال في سورة الروم (وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ {٥٣}) بحذف الياء، أولاً نقول أن خط المصحف لا يُقاس عليه لكن مع هذا فهناك أمور أُخرى هنا فلو لاحظنا لفظ الهداية في سورة النمل لوجدنا أنها تكررت ٩ مرات بينما وردت في سورة الروم مرتين فقط فلما زاد ذكر كلمة الهداية في سورة النمل زاد في مبنى الكلمة للدلالة على زيادة السمة التعبيرية والتكرار، وهناك أمر آخر أنه في سورة النمل ذكر قسماً من المهتدين (وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ {٧٧}) ثم حثّ تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم على المضي في سبيله (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ {٧٩}) أما في سورة الروم فالسياق ليس في الهداية أصلاً ولم يذكر قسم من المهتدين بل الكلام عن المطر والأرض والرياح وغيرها، فعندما ذكر قسماً من المهتدين زاد الياء وعندما لم يكن هناك شيء في السياق يدل على الهداية حذف الياء.

الوصايا العملية:

- من أعظم الإفساد في الأرض تقطيع الأرحام ، فصلة الرحم من أوجب الواجبات على الإنسان ، فعليه أن يصل رحمه الأقرب فالأقرب وأن لا يستهين برسالة أو مكالمة ، ومن أوجه الصلة الإنفاق وتفقد أحوالهم ونفعهم والسعي في حاجاتهم.
- استغلال مرحلة الشباب في العمل والعطاء ،فلإنسان يكون في هذه المرحلة أنشط وأقدر وأقوى للعمل ، وألا يضيع زهرة عمره في الملهيات وإن كانت من المباحات ، بل عليه أن يعمل ويستغل هذه المرحلة العمرية.
- الإكثار من الأعمال الصالحة والتقرب من الله في حال الرخاء يستوجب الثبات في حالة الشدة ، فمن عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة .
- أول إصلاح في الأرض صلاح النفس ، فبدأ بنفسك أولا ، فالبناء يصلح بصلاح لبناته .
- من أحسن وجوه الإنفاق الإنفاق على أولي القربى ، ففيها صدقة وصلة .
- احرصي على كثرة الإنفاق ففيها تزكية للنفس وتدريب لها على العطاء والبذل ، ومن أفضل الأعمال وأحبها إلى الله .

تناسب فواتح سورة الروم مع خواتيمها:

بدأت بوعد الله تعالى بغلبة الروم (غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦)) وفي خاتمتها قال (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)) في البداية (وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦)) وفي الختام (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ).

سؤال: إذا لم تأت خاتمة السورة بهذا الشكل هل يكون هناك ملاحظة على هذا السياق؟ ليس بالضرورة وإنما تكون في سياقها، ما يعنينا أن الآيات تأتي في سياقها وفي مكانها وهي مرتبطة بأوائلها ارتباطاً دقيقاً وعجيباً هذا مما يزيد الأمر غرابة وعجباً أنها مرتبطة في سياقها آية آية ثم مرتبطة مع مفتتح السورة.

| • | نهاية سورة الروم | • |

مدارسة سور القرآن

:: ســورة لقــمان ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســورة لقـمان

بين يدي السورة:

- تسمى سورة لقمان، لذكر قصة لقمان عليه السلام وحكمته، ووصاياه لابنه، حيث لم يرد له ذكر في غيرها من السور.
- فضلها: ما ورد من قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم لها في صلاته.
- سورة لقمان سورة مكية.
- محور السورة: بيان الآيات والنعم، والدعوة إلى الإيمان والشكر.

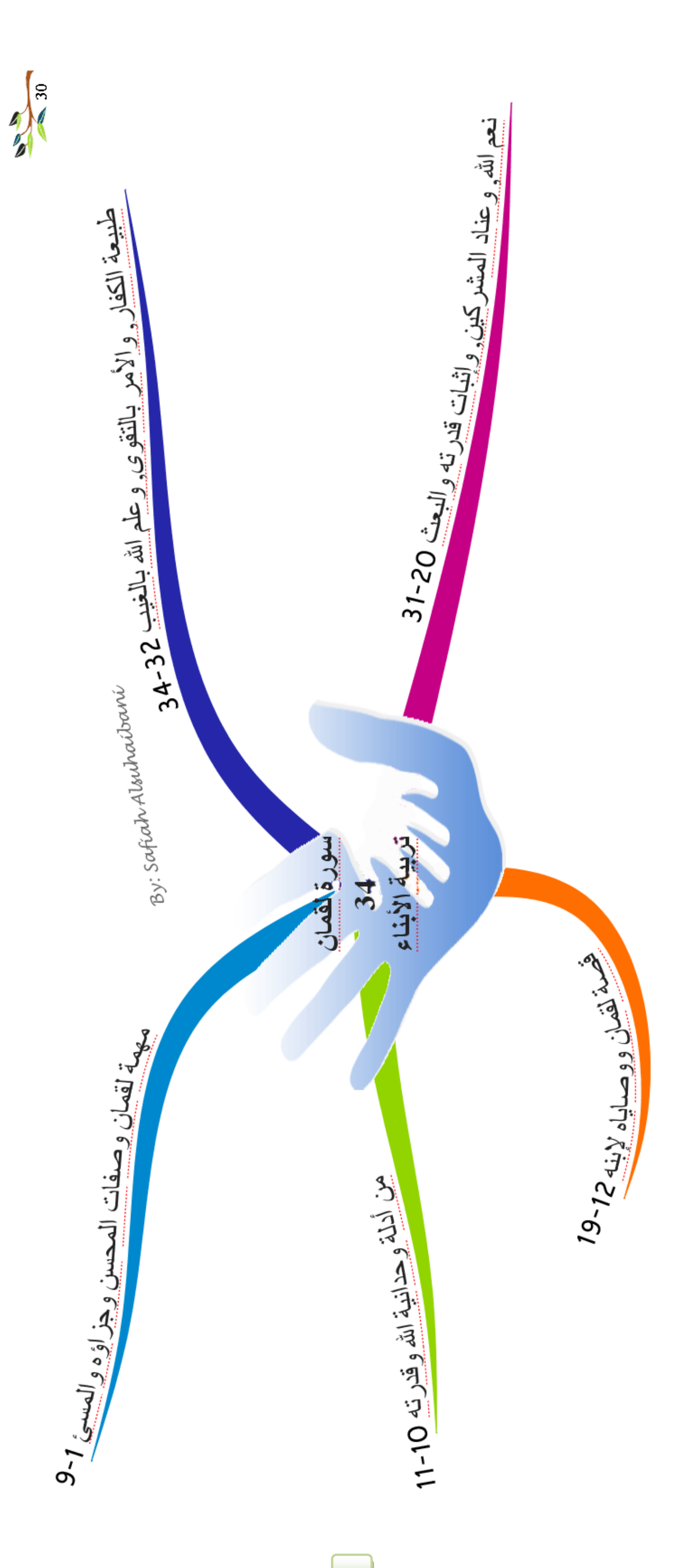
المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

في خاتمة سورة الروم حديث عن المجرمين المكذبين بالبعث، وبآيات الله، وفي فاتحة سورة لقمان حديث عن المحسنين بذكر أوصافهم وجزائهم فكان في ذلك تقابل أدى إلى التكامل في الكلام على أصناف البشر من مؤمن وكافر.

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

تتلخص هذه المناسبة بالتكامل والتقابل. فالتقابل في حديث سورة الروم عن صراع ملوك الروم والفرس. وفي سورة لقمان عن حكمة الفرد المؤمن. والتكامل في تنوع الآيات، وتفصيل المواقف والعظات في باقي السورتين.

محاور السورة:



من الآية (١) إلى الآية (٣٤)

التفسير الموضوعي:

- الآيات (١ – ٥) المحسنون: تعريف وجزاء.
- الآيات (٦ – ٧) فريق اللهو من الناس. بعد ذكر صنف الهداة السعداء من المحسنين، ذكر الله في هذا المطلع صنف اللهاة المستكبرين.
- الآيات (٨ – ١١) آية الحكمة والقدرة. تستكمل الآيات الحديث عن جزاء الإيمان المقترن بالعمل الصالح؛ وفق شرع الله وأمره.
- الآيات (١٢ – ١٩) بيان نعمة الحكمة والدعوة إل شكر النعمة. بعد أن ذكر الله جل وعلا عن ذاته بعض صفاته من العزة والحكمة، ذكر سبحانه مثالاً لنعمته على عبده لقمان بالحكمة. وهذا المقطع من السورة هو المحور الرئيس فيها بما فيه من بيان نعمة الحكمة على لقمان.
- الآيات (٢٠ – ٢١) إسباغ النعم. في هذا المقطع تذكير بنعم الله الكاملة الظاهرة والباطنة: نعم الدين ونعم الدنيا.
- الآيات (٢٢ – ٢٦) الإنسان بين الكفر والإيمان. تستكمل الآيات هنا الصنف الآخر من البشر، وتقرر الحقيقة في هذا الشأن حيث ينقسم الناس إلى مسلم يعيش نعمة الإسلام، وكافر يتيه بنقمة الكفر.
- الآيات (٢٧ – ٢٨) كلمات الله التي لا تنفد. عظمة متناهية في الخلق والقدرة لا تحد، وعلم محيط لا ينفد، يجسده ويجسمه هذا المقطع من السورة.
- الآيات (٢٩ – ٣٢) نعمة التسخير. يتوالى تذكير البشر بالنعم التي يسرها الله جل وعلا وسخرها لهم حيث يزخر هذا الكون بآيات القدرة الموحية بعظمة الخلق، والدالة على وجود الخالق وعظيم قدرته ووجوب شكره وطاعته.
- الآيات (٣٣ – ٣٤) المغيبات وغرور الحياة. بعد أن ذكر الله جل وعلا نعمه على عبده لقمان، وعلى الناس أجمعين؛ بما خلقه ويسره وسخره، وما يستوجبه ذلك من الشكر؛ دعاهم إلى تقواه بامتثال طاعته واجتناب معصيته وخوفهم يوم القيامة.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

من هو لقمان؟

يقال أن لقمان كان من سودان مصر ، كان من النوبة وكان أسودا حبشيا ، كان رجلا صالحا مرهف الحس ،دقيق الإدراك والإحساس.

حادثة تحريره من الرق:

جاء سيده يوما بشاة وقال له اذبح هذه الشاة وائتني بأطيب مضغتين فيها، فذبحها وأتى سيده بالقلب واللسان .

وفي اليوم الثاني قال له يالقمان اذبح شاة وائتني بأخبث مضغتين فيها ، فأتاه بالقلب واللسان أيضا ..

فقال له: كيف ذلك يالقمان ؟! طلبت منك أطيب مافيها فأتيتني بالقلب واللسان ، ثم طلبتك بأخبث مافيها فأتيتني بالقلب واللسان!!

فقال لقمان : ليس شئ أطيب منهما إذا طابا ، ولاشئ أخبث منها إذا خبثا .

قال صلى الله عليه وسلم : (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)

بعد هذه الحادثة أعتقه سيده .

لقد كان لقمان موجودا قبل بعث داوود عليه السلام وكان يستفتيه الناس قبل بعثت داوود عليه السلام ، فلما بعث داوود كف عن الفتيا ،فسأله الناس ،فقال : ألا اكتفيتي إذا كفيتي.

بعد عتقه ذهب إلى فلسطين في وقت بعث داوود عليه السلام وعمل أجيرا عند داوود عليه السلام فعينه حكيم بني اسرائيل ثم جعل قاضيا ثم أصبح قاضي القضاه ، والمشهور عند الجمهور أنه كان حكيما وليا ولم يكن نبيا وقد ذكره الله تعالى في القرآن ، وأثنى عليه ، وحكى لنا من كلامه لما وعظ ولده الذي هو واجب الخلق ، وسمى سورة كاملة باسمه .. واليوم بإذن الله سنتدارس سورة لقمان .

فوائد وأسئلة تدبرية:

- المحسنون جمعوا بين العلم التام والعمل فما هما ؟
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)

ثم وصف المحسنين بالعلم التام، وهو اليقين الموجب للعمل والخوف من عقاب اللّه، فيتركون معاصيه، ووصفهم بالعمل، وخص من العمل، عملين فاضلين: الصلاة المشتملة على الإخلاص، ومناجاة اللّه تعالى، والتعبد العام للقلب واللسان، والجوارح المعينة، على سائر الأعمال، والزكاة التي تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة، وتنفع أخاه المسلم، وتسد حاجته، ويبين بها أن العبد يؤثر محبة اللّه على محبته للمال، فيخرجه محبوبه من المال، لما هو أحب إليه، وهو طلب مرضاة اللّه.

- لما سمي بلهو الحديث ؟ وما الذي يدخل فيه ؟

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦)

{ لَهْوَ الْحَدِيثِ } أي: الأحاديث الملهية للقلوب، الصادَّة لها عن أجلِّ مطلوب. فدخل في هذا كل كلام محرم، وكل لغو، وباطل، وهذيان من الأقوال المرغبة في الكفر، والفسوق، والعصيان، ومن

أقوال الرادين على الحق، المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق، ومن غيبة، ونميمة، وكذب، وشتم، وسب، ومن غناء ومزامير شيطان، ومن الماجريات الملهية، التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا.

- ما الحكمة من خلق الجبال ؟

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)

{ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ } أي: جبالا عظيمة، ركزها في أرجائها وأنحائها، لئلا { تَمِيدَ بِكُمْ } فلولا الجبال الراسيات لمادت الأرض، ولما استقرت بساكنيها.

- بم فسرت الحكمة ؟

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢)

فسرت الحكمة بالعلم النافع، والعمل الصالح.

- لم سمي الشرك ظلم عظيم ؟

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)

{ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } ووجه كونه عظيما، أنه لا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئا، بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوَّى من لم ينعم بمثقال ذرة [من النعم] (٣) بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟؟! وهل أعظم ظلما ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، [فجعلها في أخس المراتب] (٤) جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئا، فظلم نفسه ظلما كبيرا.

- ما معنى وهن على وهن ؟

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)

{ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ } أي: مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشاق، من حين يكون نطفة، من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد.

- هل طاعة الوالدين في الشرك ومعصية الله من الإحسان إليهما ؟

وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)

"وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فعقهما" بل قال: { فَلا تُطِعْهُمَا } أي: بالشرك، وأما برهما، فاستمر عليه .

- من هم المنيبون إلى الله وما هو مسلكهم ؟

{ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ } وهم المؤمنون بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، المستسلمون لربهم، المنيبون إليه. واتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعي البدن، فيما يرضي الله، ويقرب منه.

- ماذا يستلزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)

{ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ } وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه. والأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلا به، من الرفق، والصبر، وقد صرح به في قوله: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ } ومن كونه فاعلا لما يأمر به، كافًّا لما ينهى عنه، فتضمن هذا، تكميل نفسه بفعل الخير وترك الشر، وتكميل غيره بذلك، بأمره ونهيه. ولما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر ونهى وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك فقال: { وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ } الذي وعظ به لقمان ابنه { مِنْ عَزْمِ الأمُورِ } أي: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم.

- كيف يكون تصعير الخد ؟

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨)

{ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ } أي: لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك الناس، تكبُّرًا عليهم، وتعاظما.

- ما هو المرح ؟

{ وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحًا } أي: بطرا، فخرا بالنعم، ناسيا المنعم، معجبا بنفسك.

- كيف يمشي المؤمن ؟

{ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ } أي: امش متواضعا مستكينا، لا مَشْيَ البطر والتكبر، ولا مشي التماوت.

- كيفية تسليم الوجه إلى الله ؟

وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢)

ومن يسلم وجهه إلى الله، بفعل جميع العبادات، وهو محسن فيها، بأن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإنه يراه.أو ومن يسلم وجهه إلى الله، بالقيام بحقوقه، وهو محسن إلى عباد الله، قائم بحقوقهم.

- أشرحي قوله تعالى ؟

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)

{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ } يكتب بها { وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ } مدادا يستمد بها، لتكسرت تلك الأقلام ولفني ذلك المداد، و لم تنفد { كَلِمَاتُ اللَّهِ } تعالى، وهذا ليس مبالغة لا حقيقة له، بل لما علم تبارك وتعالى، أن العقول تتقاصر عن الإحاطة ببعض صفاته، وعلم تعالى أن معرفته لعباده، أفضل نعمة، أنعم بها عليهم، وأجل منقبة حصلوها، وهي لا تمكن على وجهها، ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك كله وهذا التمثيل من باب تقريب المعنى، الذي لا يطاق الوصول إليه إلى الأفهام والأذهان، وإلا فالأشجار، وإن تضاعفت على ما ذكر، أضعافا كثيرة، والبحور لو امتدت (١) بأضعاف مضاعفة، فإنه يتصور نفادها وانقضاؤها، لكونها مخلوقة. وأما كلام الله تعالى، فلا يتصور نفاده، بل دلنا الدليل الشرعي والعقلي، على أنه لا نفاد له ولا منتهى، وكل شيء ينتهي إلا الباري وصفاته { وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى } .

- ما الحكمة من ذكر الله للآيات ؟

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آَيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١)

تر من آثار قدرته ورحمته، وعنايته بعباده، أن سخر البحر، تجري فيه الفلك، بأمره القدري [ولطفه وإحسانه، { لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ } ففيها الانتفاع والاعتبار] .

- ما معنى صبار ، شكور ؟

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } صبار على الضراء، شكور على السراء، صبار على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقداره، شكور لله، على نعمه الدينية والدنيوية.

- من هو الختار ولم وصف بهذا الوصف ؟

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)

{ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ } (٤) أي غدار، ومن غدره، أنه عاهد ربه، لئن أنجيتنا من البحر وشدته، لنكونن من الشاكرين، فغدر .

- من هو عدو الإنسان اللدود ؟

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣)

{ وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ } الذي هو الشيطان، الذي ما زال يخدع الإنسان ولا يغفل عنه في جميع الأوقات، فإن لله على عباده حقا، وقد وعدهم موعدا يجازيهم فيه بأعمالهم، وهل وفوا حقه أم قصروا فيه. وهذا أمر يجب الاهتمام به، وأن يجعله العبد نصب عينيه، ورأس مال تجارته، التي يسعى إليها. ومن أعظم العوائق عنه والقواطع دونه، الدنيا الفتانة، والشيطان [ص ٦٥٣] الموسوس الْمُسَوِّل، فنهى تعالى عباده، أن تغرهم الدنيا، أو يغرهم بالله الغرور { يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا }

- عددي الأمور الخمسة التي طوي علمها عن جميع الخلق ؟

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)

وهذه [الأمور] (١) الخمسة، من الأمور التي طوى علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، فضلا عن غيرهما، فقال: { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ } أي: يعلم متى مرساها، كما قال تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً } الآية. { وَيُنزلُ الْغَيْثَ } أي: هو المنفرد بإنزاله، وعلم وقت نزوله. { وَيَعْلَمُ مَا فِي الأرْحَامِ } فهو الذي أنشأ ما فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى، ولهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما يشاء. { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا } من كسب دينها ودنياها، { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ } بل الله تعالى، هو المختص بعلم ذلك جميعه.

لمسات بيانية:

- ما الفرق بين قوله تعالى (هدى للمتقين) (هدى ورحمة للمحسنين) ؟

قال تعالى في سورة البقرة (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)) وقال في سورة لقمان (هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣)) .

زاد تعالى في سورة لقمان الرحمة واختلف بيت المتقين والمحسنين. المتّقي هو الذي يحفظ نفسه فمتقي النار هو الذي يحمي نفسه منها أما المحسن فيُحسن إلى نفسه وإلى الآخرين كما جاء في قوله تعالى (وأحسن كما أحسن الله إليك) و(بالوالدين إحسانا) فالإحسان فيه جانب شخصي وجانب للآخرين. إذن هناك فرق بين المتقي والمحسن ثم إن الإحسان إلى الآخرين من الرحمة فزاد تعالى في سورة لقمان الرحمة للمحسنين فكما أن المحسن أحسن للآخرين ورحمهم زاد الله تعالى له الرحمة فقال (هدى ورحمة للمحسنين).

- آية (٦) : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦))

اللهو كل باطل يلهي عن الخير. لهو الحديث هو السمر بالأساطير والأحاديث وما لا خير فيه من الحديث قول الخنا (الفحش) وما إلى ذلك. كل ما لا خير فيه من الكلام وساقط القول والكلام في الأساطير والخرافات هو من لهو الحديث. مما ذُكِر في سبب نزول الآية قيل أنها نزلت في النضر بن الحارث كان تاجراً يخرج إلى فارس فيشتري من قصص الأعاجم ويأتي ويحدِّث بها قريش ويقول محمد يحدثكم بأخبار عاد وثمود وأنا أحدثكم بأخبار رستم والأكاسرة فيقص عليهم قصصاً فيستمعون له. يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وهي عامة يدخل فيها كل هؤلاء وكل من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله. ولهو الحديث هو كل ما لا خير فيه من ساقط القول يدخل في اللهو.

  - بدأ الآية بالمفرد (من يشتري) وانتهى بالجمع (أولئك) فهل هنالك رابط؟

  قال تعالى في آية سورة لقمان (كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) وفي الجاثية تحدث عن هذا المعنى بصورة مختلفة (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨)) لم يقل كأن في أذنيه وقراً فلم فذ آية لقمان بالتحديد وردت (كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا)؟

  نقرأ الآيات في سورة لقمان (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)) وفي الجاثية (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨)) كيف يكون في أذنيه وقر وهو يسمع كلام الله؟ في لقمان لم يقل يسمع آيات الله، قال تتلى عليه لكنه لم يقل يسمعها. أما في الجاثية قال يسمع آيات الله تتلى عليه فكيف يقول في أذنيه وقراً؟ لما لم يقل يسمع ناسب أن يقول (كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) في لقمان. السماع يأتي من التلاوة هناك من يتلو حتى يسمع. الوقر المانع يمنعه من السماع هنالك شيء في أذنه لا يسمع جيداً.

  - الملاحظ بقوله تعالى (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) فبشره بضمير الإفراد ولم يجمع الضمير مع أنه سبق الخطاب بالجمع (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) فلماذا؟

قال سبحانه (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) نلاحظ هنا ذكره وحده لم يذكر معه أحداً آخر ونلاحظ سياق الآية كلها تتكلم عن شخص واحد (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) إفراد، بينما الآية قبلها التي جمع فيها يتكلم عليه وعلى من أضله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦)) هناك أصبح جماعة تهديد له ولمن يضله فقال (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) بالجمع وليس له وحده، فإذن هناك كان التهديد للجمع (أولئك لهم عذاب مهين) له ولمن يضله وهنا لما كان الكلام هنا عليه وحده أفرد قال (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) وقال بشره مع أن البشرى لا تكون إلا في الخير استهزاء به وسخرية منه فقال (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

- ختمت الآية بقوله تعالى (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) وفي آية قبلها قال (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) فما الفرق بين العذاب المهين والعذاب الأليم؟

هذا ليس تعرضاً وإنما وصف آخر، الإهانة تكون إذا وقعت أمام الآخرين. يكون العذاب مهيناً إذا كان هناك من يشهد العذاب إذا لم يكن هنالك من يشهد فالإهانة ليست ظاهرة وكلما كان المشاهدين والحاضرين أكثر كانت الإهانة أكثر. هذا ذكر هنالك من يُضلهم (عذاب مهين) لأنه يشهد بعضهم هذا الذي أضلهم سيعذب أمامهم فهي إذن هذه إهانة له هذا الذي كان يفعل هكذا ويضل هو الآن يعذّب وله عذاب مهين يهينه أمام هؤلاء الذين أضلهم وهؤلاء أيضاً كلهم سيعذبون وكل منهم يشهد عذاب الآخر فهم في عذاب مهين. أما في الآية الثانية فهو وحده له عذاب أليم لا ينطبق عليه مهين. العذاب المهين قد يكون أليماً وهو أولاً كونه مستهزئ جمع أمرين لأن الذين يستهزئ بهم هو أهانهم وآلمهم. الإهانة بحد ذاتها قد يكون فيها إيلام للآخريم فجمع الله تعالى له بين الإهانة والألم.

- آية (٨-٩) : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩))

تقديم الجار والمجرور (لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) وهذا من باب الاختصاص أي لهم لا لغيرهم، للذين آمنوا وعملوا الصالحات لا ينعم أحد في الجنة غير هؤلاء حصراً.

- آية (١٠) : (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠))
  - على من يعود الضمير في (ترونها)؟

هذا بحثه القدامى في الناحية اللغوية وبحثه الفراء في كتابه معاني القرآن هذه تسمى التعبيرات الاحتمالية يعني تحتمل أكثر من دلالة ولذلك هم قالوا يحتمل هذا التعبير أنه خلق السموات بغير عمد وهاأنتم ترونها بغير عمد فتكون ترونها جملة استئنافية فيكون السماء مرفوعة بغير عمد وهاأنتم ترونها بغير عمد فيكون المعنى خارج القرآن خلق السموات ترونها بغير عمد. الإحتمال الآخر ترونها صفة لعمد يعني بغير عمد مرئية يعني خلقها بعمد غير مرئية لها أعمدة لكن لا تُرى هذه الأعمدة غير مرئية.

- قال تعالى في سورة لقمان (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) وفي سورة الرعد قال (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) فما الفرق بين رفع وخلق؟

كل تعبير مناسب لمكانه لو نظرنا في الرعد قال (المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ (١) اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)) لما قال (وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ) الإنزال إنما يكون من فوق أي من مكان مرتفع فناسبها رفع السموات. ثم استوى على العرش (اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) العرش فوق السموات إذن رفع السموات حتى تكون مرتفعة. ثم قال (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) وهي من الأجرام السماوية وهي مرتفعة إذن يناسب رفع السموات. أما في لقمان فليس فيها شيء من ذلك بعد هذه الآية في لقمان قال (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ (١١)) خلق الله مناسب لخلق السموات (خلق السموات) (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ). إذن السياق في الرعد يناسبه رفع السموات والسياق في لقمان يناسبه خلق السموات وبعدها (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ) فكل تعبير في مكانه.

- مرة يقول تعالى أن تميد بكم ومرة لا يقولها فما اللمسة البيانية فيها؟

والسبب أنه إذا أراد بيان نعمة الله على الإنسان يقول أن تميد بكم وإذا أراد فقط أن يبين قدرة الله فيما صنع وليس له علاقة بالإنسان يعني إذا اراد بيان النعمة على الإنسان لهذا الأمر قال أن تميد بكم لماذا خلقها؟ فيها نعمة لئلا تميد بهم وإذا أراد مجرد بيان القدرة في الصنع وليس له علاقة بالإنسان لا يقول هذا لأن الكلام لا يتعلق بالإنسان وإنما يتعلق بصنع الجبال والرواسي. أن تميد بكم هنا لبيان نعمة الله على الإنسان هنا قال (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ) هنا الغرض بيان نعمة الله على الإنسان في هذه الرواسي.

- لمحات قرآنية تربوية (نظرات بيانية في وصية لقمان لابنه)
  - الحكمة:

والحكمة هي وضع الشيء في محله قولا وعملا، أو هي توفيق العلم بالعمل، فلا بد من الأمرين معا: القول والعمل، فمن أحسن القول ولم يحسن العمل فليس بحكيم، ومن أحسن العمل ولم يحسن القول فليس بحكيم.فالحكمة لها جانبان: جانب يتعلق بالقول، وجانب يتعلق بالعمل. والحكمة خير كثير كما قال الله تعالى: "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" البقرة ٢٦٩.

  - مقام الشكر (أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ)

لها دلالتان:

- الأولى ـ أن الحكمة لما كانت تفضلا ونعمة فعليه أن يشكر النعم، كما تقول: لقد آتاك الله نعمة فاشكره عليها. والله آتاه الحكمة فعليه أن يشكره لأن النعم ينبغي أن تقابل بالشكر لموليها. (آتاك نعمة الحكمة فاشكره عليها)
- الثانية ـ أن من الحكمة أن تشكر ربك، فإذا شكرت ربك زادك من نعمه "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧)" إبراهيم ولو قال غير هذا ، مثلا (فاشكر لله) لكان فيه ضعف، ولم يؤد هذين المعنيين. وضعف المعنى يكون لأن الله تعالى آتاه النعمة "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ" فإن قال بعدها: (فاشكرلله)

فهذا أمر موجه لشخص آخر وهو الرسول، فيصير المعنى : آتى الله لقمان الحكمة فاشكر أنت!! كيف يكون؟ المفروض أن من أوتي الحكمة يشكر ولذلك قال: "أن اشكر لله" فجاء بأن التفسيرية ولو قال أي تعبير آخر لم يؤد هذا المعنى.

- الشكر والكفر (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ(١٢))

"يشكر" قال الشكر بلفظ المضارع ، والكفران قاله بالفعل الماضي "ومن كفر" من الناحية النحوية الشرط يجعل الماضي استقبالا ، مثال (إذا جاء نصر الله)، فكلاهما استقبال. ويبقى السؤال : لماذا اختلف زمن الفعلين فكان الشكر بالمضارع والكفر بالمشي على أن الدلالة هي للاستقبال؟

من تتبعنا للتعبير القرآني وجدنا أنه إذا جاء بعد أداة الشرط بالفعل الماضي فذلك الفعل يُفعل مرة واحدة أو قليلا، وما جاء بالفعل المضارع يتكرر فعله

- أهمية الحكمة في الوعظ (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ(١٣))

من هنا بدأت الوصية، فلماذا صدر بقوله: "ولقد آتينا.." وكان يمكن مثلا أن يحذفها؟

الحكمة لها جانبان : جانب قولي وجانب عملي، وحكمة لقمان ليست فيما ذكره من أحاديث وأقوال وما قاله لابنه من الوصية، وإنما أيضا في العمل الذي فعله وهو تعهده لابنه وعدم تركه بلا وعظ أو إرشاد، وفي هذا توجيه للآباء أن يتعهدوا أبناءهم ولا يتركوهم لمعلمي سوء ولا للطرقات.

وصدّر بالحكمة وهي ذات جانبين قولي وعملي لأمر آخر مهم، فعندما وصى ابنه فهل من الحكمة أن يوصي ابنه بشيء ويخالفه؟ هذا ليس من الحكمة ولو فعله فلن تنفع وصيته، لو خالف الوعظ عمل الواعظ والموجه لم تنفع الوصية بل لا بد أن يطبق ذلك على نفسه، فعندما قال آتينا لقمان الحكمة علمنا من هذا أن كل ما قاله لقمان لابنه فقد طبقه على نفسه أولا حتى يكون كلامه مؤثرا لذلك كان لهذا التصدير دور مهم في التربية والتوجيه.

- ففي هذا القول ولقد آتينا لقمان الحكمة عدة دروس مهمة:
  - الأول فيما قاله من الحكمة،
  - الثاني في تعهده لابنه وتربيته وتعليمه وعدم تركه لأهل السوء والجهالة يفعلون في نفسه وعقله ما يشاء،
  - الثالث قبل أن يعظ ابنه طبق ذلك على نفسه فرأى الابن في أبيه كل ما يقوله وينصحه به من خير ، لذلك كان لهذا التصدير ملمح تربوي مهم وهو توجيه الوعاظ والمرشدين والناصحين والآباء أن يبدؤوا بأنفسهم فإن ذلك من الحكمة وإلا سقطت جميع أقوالهم.
- التعهد بالنصح مع حسن اختيار الوقت (وَهُوَ يَعِظُهُ)

نحن نعرف أنه يعظه ويتضح أنه وعظ من خلال الآيات والأوامر وسياق الكلام، فلماذا قال (وَهُوَ يَعِظُهُ)

فيها دلالتان:

١. من حيث اللغة: الحال والاستئناس للدلالة على الاستمرار. وهو يعظه اختار الوقت المناسب للوعظ ، ليس كلاما طارئا يفعله هكذا، أو في وقت لا يكون الابن فيه مهيأ للتلقي، ولا يلقيه بغير اهتمام فلا تبلغ الوصية عند ذلك مبلغا لكنه جاء به في وقت مناسب للوعظ فيلقي ونفسه مهيأة لقبول الكلام فهو إذن اختار الوقت المناسب للوعظ والتوجيه

٢. والأمر الثاني (وَهُوَ يَعِظُهُ). فهذا من شأن لقمان أن يعظ ابنه، هو لا يتركه، وليست هذه هي المرة الأولى، هو من شأنه ألا يترك ابنه بل يتعاهده دائما، وهكذا ينبغي أن يكون المربي.

- فكل كلمة فيها توجيه تربوي للمربين والواعظين والناصحين والآباء. (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(١٤))

(ووصينا) من قائلها؟ هذه ليست وصية لقمان، هذا كلام الله ، لقمان لم ينه وصيته، هذه مداخلة، وستتواصل الوصية فيما بعد .قبل أن يتم الوصية قال الله (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) ، ولم يدع لقمان يتم الوصية، بل تدخل سبحانه بهذا الكلام ، وذلك لأسباب:

أولا: أمر الوالدين أمر عظيم، والوصية بهما كذلك، فالله تعالى هو الذي تولى هذا الأمر، ولم يترك لقمان يوصي ابنه به، فلما كان شأن الوالدين عظيما تولى ربنا تعالى أمرهما، لعظم منزلتهما عند الله تعالى.

ثانيا: لو ترك لقمان يوصي ابنه يا بني أطع والديك لكان الأمر مختلفا. لأننا عادة في النصح والتوجيه ننظر للشخص الناصح هل له في هذا النصح نفع؟ فإن نصحك شخص ما فأنت تنظر هل في هذا النصح نفع يعود على الناصح؟ فإن كان فيه نفع يعود على الناصح فأنت تتريث وتفكر وتقول: قد يكون نصحني لأمر في نفسه، قد ينفعه، لو لم ينفعه لم ينصحني هذه النصيحة. لو ترك الله تعالى لقمان يوصي ابنه لكان ممكنا أن يظن الولد أن الوالد ينصحه بهذا لينتفع به، ولكن انتفت المنفعة هنا فالموصي هو الله وليست له فيه مصلحة.

- وقال: (ووصينا) ، ولم يقل: وأوصينا.

والله تعالى يقول (وصّى) بالتشديد إذا كان أمر الوصية شديدا ومهماً، لذلك يستعمل وصى في أمور الدين، وفي الأمور المعنوية: ("وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ١٣٢" البقرة) ("وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ١٣١" النساء).

أما (أوصى) فيستعملها الله تعالى في الأمور المادية : "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ" النساء.

- *آية (١٤) : (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤))
  - هذا كلام الله تعالى مع أن لقمان لم ينتهي بعد من الوصية فلماذا هذه المداخلة؟

أراد الله سبحانه تعالى أن يتولى الأمر بالمصاحبة بالمعروف لعظيم منزلة الأبوين عند الله. ربنا هو الذي أراد أن يأمر ويوصي بالإحسان إلى الوالدين ومصاحبتهما بالمعروف وليس

لقمان وهذه فيها أكثر من حالة: أولاً لو قال لقمان لو أوصى ابنه أنه أطع أبويك لتصور الإبن أن الأب أراد أن يستغله ويستفيد منه ويجعله تابعاً له كما الآن عندما يقدم أحد لك نصيحة تنظر هل يستفيد هو منها أو لا؟ الذي وصى هو الله وهذا الأمر لا ينفعه ولا يفيده فإذن ربنا أراد أنه هو الذي يأمر بالإحسان إلى الوالدين ومصاحبتهما بالمعروف لا لقمان لعظيم منزلة الأبوين عند الله فهو الذي تولى هذا الأمر، هذا أمر والأمر الآخر حتى لا يظن إبن لقمان أن أباه هو المنتفع.

- آية (١٦) : (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦))
    - قال (إن تك) ثم قال (فتكن) ما الفرق في حذف النون وإثباتها في الفعل المضارع؟

لماذا الصخرة؟ الصخرة لا بد أن تكون في السموات والأرض هناك صخور في السموات في المشتري وزحل. (في صخرة) يعني استخلاص الشيء من باطن الصخرة أمر عسير. إذا أردت أن تحفظ شيئاً لا ترميه في ساحة الدار وإنما تضعه في صندوق وإذا أردت المبالغة في حفظه تضعه في حقيبة ثم في خزانة وإذا أردت المبالغة أكثر تضعه في حقيبة داخل حقيبة في خزانة وإذا أردت أن لا يصل إليه أحد قد تأتي بقفل يصعب فتحه وقد تضعها في مكان ليس له مفتاح أصلاً. الصخرة عبارة عن محفظة ليس فيها مفتاح، ما قال على صخرة وإنما قال (في صخرة) مثلها مثل محفظة ليس لها مفتاح وبداخلها مثقال حبة من خردل، كيف يخرجها ربنا تعالى من دون تحطيم للصخرة؟! بلطفه وخبرته يأتي بها الله لم يقل يعلمها لأنك قد تعلم المكان لكن لا تقدر أن تأتي بها. إذن يأتي بها الله أدل على العلم والقدرة، وإن كانت صغيرة في مكان صغير عميق شديد وصلب وليس فيها مفتاح يأتي بها الله تعالى من دون تكسير للصخرة يستخرجها بلطفه وقدرته.

- قال تعالى (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) لم يقل على الأرض؟

مختال أولاً هو اسم فاعل يصلح أن يكون اسم فاعل واسم مفعول. مختال فعله الثلاثي خالَ (خالَ بناتك الضرر) إختال زيادة في الاختيال في التكبر فيها مبالغة، إذن المختال هو المبالغ الأصل هو خال خائل، إختال أبلغ في هذا الوصف ومختال أبلغ في هذا الوصف. فخور صفة مبالغة (فعول) إذن مختال مبالغة وفخور مبالغة.

قال لا تمش في الأرض ولم يقل على الأرض مع أنه قال في موطن آخر قال (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا (٦٣) الفرقان). (في) تفيد الظرفية و(على) للإستعلاء كأن هذا المختال يريد أن يخرق الأرض وهو يمشي كما قال تعالى (وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ (٣٧) الإسراء) فالمختال يمشي في الأرض هكذا. أما عباد الرحمن يمشون على الأرض هوناً بوقار وسكينة وليس في الأرض كما يفعل أولئك. (على) تفيد الإستعلاء و(في) تفيد الظرفية

- قال تعالى (إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) استخدم الحمير في الآية مع أنه في مكان آخر استخدم (حُمُر) فما دلالة استخدام (الحمير)؟

كلاهما جمع حمار، لكن القرآن استعمل كلمة الحمير للحُمُر الأهلية والحُمُر للوحشية هكذا خصصها. قال (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٨) النحل)

خصص هذا الجمع بالحُمُر الأهلية والحُمُر خصصها بالوحشية (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) المدثر) هذه الوحشية التي في الغابة.

- قال تعالى في سورة النحل (شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١)) وفي سورة لقمان (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً (٢٠)) فما الفرق بين أنعُم ونِعَم؟ نِعمه هل هي نِعَم واحدة؟

أنعم جمع قِلّة على وزن أفعُل، نِعم جمع كثرة. ونعم الله تعالى لا تحصى ولا يمكن أن تُشكر ولا نستطيع شكرها فالله تعالى مدح إبراهيم عليه السلام على أنه شكر الأنعم أي القليل من النِعم فمدحه على ذلك لأنه لا يمكن لأحد أن يشكر نِعَم الله تعالى التي لا تُحصى فأثنى على إبراهيم عليه السلام لأنه كان شاكراً لأنعم الله تعالى. والله تعالى لم يسبغ علينا أنعماً ولكنه أسبغ نعماً ظاهرة وباطنة لا تُحصى.

والاسباغ هو الإفاضة في ذكر النِعم. قال تعالى في سورة الإنسان (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)) شاكراً اسم فاعل والكفور مبالغ في الكفر. وتوجد نِعم مستديمة منها ما نعلم وما لا نعلم والله تعالى أفاض علينا بالنعم الكثيرة ولو شكرنا نشكر باللسان وهو بحد ذاته نعمة.

- في لقمان قال تعالى (وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ محسن) أخّر لفظ الجلالة بعد يُسلم مع أن الملاحظ أنه في آيات كثيرة يقدّم (فله أسلموا)؟ فلم؟

السياق والمقام هو الذي يحدد. في سورة الحج (فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)) وفي الزمر (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤)) إذا كان المقام في مقام التوحيد يُقدِّم وإذا لم يكن في مقام التوحيد لا يقدم إلا إذا اقتضى المقام. قال تعالى في سورة الحج (فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا) في مقام التوحيد والنهي عن الشرك فخصص وجاء التقديم للقصر حصراً.

- ما دلالة تقديم السمع على البصر.؟

الأكثر في القرآن تقديم السمع على البصر (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) غافر) (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) الإنسان) (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) الفرقان) القدامى يقولون أن السمع أفضل واستدلوا على أنه تعالى لم يبعث نبياً أصمّ (يعقوب عليه السلام عميَ لكنه لم يفقد السمع)، الظاهر أن السمع بالنسبة لتلقي الرسالة أفضل من البصر لأن فاقد البصر يسمع الرسالة، القرآن يسمعه الأعمى ويفهم مقاصده أما الأصم فلا يفهم. إذن بالنسبة إلى تلقي الرسالة السمع أفضل وفاقد البصر يسمع. وقد يكون سبب آخر أن مدى السمع أقل من مدى الرؤية أنت ترى أشياء من بعيد لكن لا تسمعها تسمع الصوت أقرب فإذا اقتضى هذا الشيء قدم السمع (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦) طه) يشير إلى معنى قريب منكم، مدى السمع أقرب فمعناها أنه قريب. وقد يقدّم البصر لكن في المواطن التي تقتضي، على سبيل المثال (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) السجدة) قدّم البصر لأكثر من سبب أولاً قال (وَلَوْ تَرَى) والرؤية تحتاج إلى بصر، هم قالوا (أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا) كانوا في الدنيا يسمعون عن جهنم والآخرة

ولكن لا يبصروها والآن أبصروها وسمعوا، قدّم البصر لأولويته في هذا المقام والإبصار هنا أهم من السمع لأن السمع يدخل في باب الظن الشك أما الابصار فهو يقين قال (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) يقين. إذن التقديم والتأخير هو السمع على البصر على العموم لكن إذا اقتضى الأمر تقديم البصر على السمع يقدِّم، وفي الخِلقة يخلق الله تعالى السمع قبل البصر.

- قال تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يولج جاءت بالفعل المضارع ومع الشمس والقمر جاء بالماضي فما دلالة تغير الزمن؟

الفعل المضارع مع يولج لأنه يتجدد، الإيلاج يتجدد في كل لحظة والتسخير ربنا منذ خلقها سخّرها وليست هي كل لحظة مسخرة ابتداءً، بينما يولج في كل لحظة وفي كل يوم هو يولج فالمضارع يفيد التجدد والاستمرار أما سخرها فمنذ خلقها سخرها الله تعالى وهذا أنسب تعبير ولو قال يسخر الشمس والقمر لفهم أنه كل يوم يسخِّرها.

- قال تعالى (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) ولم يقل سخر لكم كما جاء في آية قبلها (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ (٢٠))؟

تلك في مقام تعداد النعم (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)) أما هذه الآية ففي سياق إظهار الآيات (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ (٣١)) فلما كان السياق في تعداد النعم على الإنسان قال (سخر لكم) ولما كان الكلام لمطلق القدرة وليست لها علاقة بالنعم قال (سخر). لما يقول (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) عامة وليست في باب تعداد النعم.

- ما دلالة اقتران صبار مع شكور في الآية؟

هل يقترن الصبار مع الشكور دائماً؟ الصبار لم يرد في القرآن كله إلا مع الشكور بينما الشكور قد تأتي منفردة (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) الإسراء) (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) فاطر) الشكور تأتي منفردة وغير منفردة أما الصبار فلم تأتي في جميع القرآن وحدها وإنما مقترنة بالشكور. لماذا اقترن الصبار بالشكور في هذه الآية طكالما أن الشكر ينفرد؟ لما قال تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ) هذا اقتضى شكر بعدها مباشرة (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)) هذا اختبار الصبر، ذكر اختبار الصبر وليس الشكر إذن لما ذكر أمرين ذكر النعم وذكر التهديد (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) قرن الصبر بالشكر وجاء بالوصفين على صيغة مبالغة لأن الإنسان يحتاج الصبر على وجه الدوام ويحتاج الشكر على وجه الدوام. هناك ملاحظة عامة في القرآن إذا ذكر تهديداً في البحر أو خوفاً فيه قرن الصبر والشكر وإن لم يذكر التهديد والتخويف ذكر الشكر وحده.

- في سورة العنكبوت قال (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)) وفي لقمان قال مقتصد فما الفرق بينهما؟

لو قرأنا الآيتين، آية لقمان الخطر فيها أكبر والهول فيها أعظم (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)) هنا لم يذكر (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ) لم يذكر خطراً أصابهم وإنما هذا خوف يعتري راكب البحر عموماً فإذن الهول أكبر وأعظم في آية لقمان (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ) قال فمنهم مقتصد خفف من غلوائه، هناك لما نجاهم من البر (فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ) آية لقمان تصور نوعاً من الهول ولهذا ناسب معه مقتصد وفي آية العنكبوت فيها فقط ركوب، في عدم وجود الأهوال لن يرى شيئاً يزجره، ركب في البحر ولم ير آية وكأنه شيء طبيعي ركب في الفلك، هذا أمر وهناك أمر آخر والسياق في العنكبوت يختلف والسياق يتكلم في المشركين (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١)) هو يعتقد بالله لكن ينصرف إلى غير الله (يؤفكون يعني يصرفون) (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)) (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦)) إذن هذا السياق في العنكبوت في سياق المشركين أما في لقمان فليس في سياق المجرمين .

- (لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ (٢٣٣) البقرة) وفي سورة لقمان (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا (٣٣)) فما دلالة هذه الصيغة؟

الولد يقع على الولد وولد الولد أي الأحفاد أما المولود لا يقع إلا على من ولِد منك. فقول عندي ولد غير قول عندي مولود والولد تستعمله العرب لمن ولِد منك ولمن بعده. الولد يعني ابني أو ابن ابني أما المولود فهو ابني. في الآية الولد لو شفع للأب الأدنى أي لأبيه الذي ولِد منه لن تقبل شفاعته فكيف بالآخرين؟!، (وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا) هذه خاصة، الأب الأقرب. (لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ) هذه عامة سواء كان ابنه أو حفيده ويقولون أحياناً الحفيد أعز من الولد. لكن المولود خاصة فجاءت (وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا) يعني لا يشفع لأبيه الأقرب فكيف بغيره؟! فإن كان لا يشفع للأقرب فلن يشفع لغيره.

- (وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ) وفي البقرة قال (وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً (٤٨) البقرة) فما الفرق بين الوالد والولد والنفس؟

لا ننسى أنه في هذه السورة نفسها في لقمان ذكر الوالدين والوصية بهما (وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) والسورة تحمل اسم لقمان (والد) وهي مأخوذة من موقف وموعظة لقمان لابنه وكيف أوصاه ووصية ربنا بالوالدين وهي داخل وصية لقمان لابنه، إذن هذه أنسب أولاً مع اسم السورة ومع ما ورد في السورة من الإحسان إلى الوالدين والبر بهما ومصاحبتهما في الدنيا معروفاً، في البقرة لم يذكر هذا. فإذن ذكر الوالد والولد في آية لقمان مناسب لما ورد في السورة من الإحسان إلى الوالدين والبر ومع أنه قال (وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) ذكّر هنا أن هذا لا يمتد إلى الآخرة وإنما خاص بالدنيا. في هذه الآية (لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ) هذا في الآخرة إذن المصاحبة بالمعروف والإحسان إليهما وما وصى به في السورة لا يمتد إلى الآخرة (وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ) إذن الإحسان مرتبط بالدنيا فقط (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ

سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) إذن لا يتوقع الأب أن ولده سيجزي عنه في الآخرة، عليه أن لا يتوقع ذلك وأن هذه المصاحبة ستنقطع في الدنيا وهي في أمور الدنيا وليست في أمور الآخرة فإذن هذه مناسبة لقطع أطماع الوالدين المشركين أنه إذا كان ولدهما مؤمناً فلا ينفع عنهما ولا يدفع ولا يجزي عنهما شيئاً في الآخرة فإذن هي مناسبة لما ورد في السورة من ذكر الوالدين والأمر بالمصاحبة لهما ونحوه.

- في الآية (وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا) قدم الوالد على الولد فلماذا؟

لأن الوالد أكثر شفقة على الولد فالوالد يتمنى أن ينقذ ابنه بأي سبيل من السبل، أية وسيلة بدافع الشفقة وليس بدافع التكليف، أي أب يتمنى أن يدفع عن ابنه الضر إذا رأى أنه سيصيبه فقدم الوالد بدافع الشفقة لأن الأب أحرص على ابنه وأحرص على نفعه وأحرص على دفع الضر عنه.

- ما الفرق بين الغَرور والغُرور؟

الغَرور هو الشيطان والغُرور هو المصدر (وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) لقمان) الغَرور صيغة مبالغة وإسم للشيطان أما الغرور فهو المصدر.

- آية (٣٤) :

- (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤))

يقولون إن هذه الآية الكريمة ذكرت مفاتح الغيب فبدأت بعلم الساعة وهذا أمر اختص الله تعالى به بنفسه لم يطلع عليه أحد قال تعالى (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) الأحزاب) في أكثر من موطن (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (١٨٧) الأعراف) (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) النازعات) فإذن الساعة ربنا اختص بها حتى تركيب الآية (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) قدّم الخبر (عنده) على المبتدأ (علم الساعة) والجملة كلها خبر (إنّ) أصلها علم الساعة عنده، هذا التقديم يفيد الاختصاص أي عند الله فقط حصراً تقديم الخبر على المبتدأ إذا كان النبتدأ معرفة يفيد الحصر في الغالب، قدم الخبر على المبتدأ أفادت الإختصاص أي لا يعلمه إلا هو، و(إنما) أداة حصر وأكد الجملة بـ (إنّ) وهو يفيد تأكيد القصر، إذن التقديم والتأكيد يفيد القصر والحصر بأن علم الساعة منتهاه إلى الله تعالى حصراً.

- حكمة الترتيب في الآية: هو أولاً بدأ بالساعة وهي رأس المغيبات وجعلها بعد قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا) هذه الساعة فناسب ذكر ما تقدّم قبلها (وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ) هذه الساعة فلما قال عنده علم الساعة ناسب ما قبلها هذا اليوم الذي طلب منا أن نخشاه. هذا أمر ثم ذكر بعد ذكر الساعة تنزيل الغيث (وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ) وهو أسبق المذكورات بعده وجوداً،

بعده ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب أسبقها نزول الغيث، المطر أسبق لأن الإنسان لا يعيش من دون زرع. المطر أسبق المذكورات بعده وجوداً فإذن بدأ بالأسبق هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ربنا تعالى كثيراً ما يستدل في القرآن بنزول الغيث على الساعة (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١) ق) إذن صارت مرتبطة بما قبلها، إذن تنزيل الغيث ارتبط بما قبلها وهي الساعة وارتبط بما بعده وهو ما في الأرحام لأن ما في الأرحام يعيشون على الزروع إذن ينزل الغيث له ارتباط بما قبله وما بعده، ارتبط بعلم الساعة أنه تعالى يستدل به على علم الساعة ويستدل به على اليوم الآخر ومرتبط بما بعدها (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) لأن ما في الأرحام كثيراً ما يعيشون على الزروع وما تنبت الأرض سواء كان إنسان أو حيوان ثم ذكر ماذا تكسب غداً هذا بعد الولادة وبعد ما في الأرحام ثم ذكر الموت في الآخر، فإذن رتبها ترتيب أسبقية الوجود والارتباط، فيها إثبات لعلم الله ونفي لما عداه، إثبات لعلم الله (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) ونفي ما عداه (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ). ثم ختمها ختمها بقوله (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) فأثبت له العلم والخبرة على صفة المبالغة وهذا من اجتماع العلم والخبرة، عليم بالأمور خبير ببواطنها. خبير تضيف إلى عليم.

- لماذا حُدد المكان ولم يُحدد الزمان في الآية الأخيرة من سورة لقمان؟

قال تعالى في آخر سورة لقمان (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ {٣٤}) وإذا نظرنا إلى سياق الآيات نجد أن الانتقال من أرض إلى أرض والانتقال في الفلك هو السياق ثم بعدها قال تعالى ماذا غشيهم (موج) في قوله (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ {٣٢}) فلما نجاهم إلى البر أي أن كل سياق الآيات تفيد الانتقال من مكان إلى مكان لذا ناسب ذكر المكان في الآية وجاءت بأي أرض تموت هل في البحر أم في الأرض.

الوصايا العملية:

- أحسني في عبادة الله وإلى الخلق لتنالي الفلاح في الدنيا والآخرة .
- أقيمي الصلاة على أركانها وشروطها .
- أكثري من الصدقة فهي زكاة للنفس والمال .
- أجمعي بين العلم والعمل لتكوني من المحسنين .
- ابتعدي عن كل ما يلهي القلب ويبعده عن الله من لغو وباطل .
- اعلمي أن الغيبة والنميمة والكذب والسب والشتم من لهو الحديث .
- جنبي سمعك وقلبك الغناء ومزامير الشيطان فلا يجتمع قرآن وغناء في قلب واحد .
- انتبهي لنغمات الجوال لئلا تكون موسيقى تحملي إثمك وإثم سامعها .

- ربي أولادك ومن تعلمين على عدم التساهل بالموسيقى .
- اسألي الله أن يؤتيك الحكمة فمن أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا .
- إذا أعطيتي الحكمة فاشكري الله عليها .
- جاهدي نفسك وأمري بالمعروف وانهي عن المنكر ولا يغرك كثرة الفساد، ومن الحكمة في النصيحة اختيار الوقت المناسب لها .
- اسأل الله أن يرزقك بر والديك وأنتي في عافية وأن يرزقك البركة والإخلاص .
- انتبهي أن تطيعي والديك في معصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .
- انصحي أولادك ومن تعلمين بلطف ولين كما فعل لقمان (يا بني) .
- احذري من أعمالك صغيرها وكبيرها فكلها محصاة .
- اصبري على ما تواجهين من أذى الخلق عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- احذري من المرح والكبر مشية التبختر .
- تواضعي لله في مشيتك .
- اخفضي صوتك عند مخاطبة الناس تأدبا مع الله ثم معهم .
- أسلمي وجهك لله بالخضوع لأمره ونهيه .
- اصبري على طاعة الله وترك معصيته وعلى أقداره .
- كلما خف يقينك بالله قل صبرك وكلما زاد يقينك بالله قوي صبرك .
- اعلمي أن اليقين هو العلم التام الذي يوصلك للعمل .
- اسأل الله الثبات والإعانة على الأعمال الصالحة .
- بالصبر تتغلبين على الشهوات وباليقين تتغلبين على الشبهات .
- استعدي ليوم القيامة بالأعمال الصالحة .
- استعيذي بالله من الشيطان الرجيم عند تزيين المعاصي .

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

- هذه الآية الأخيرة تكون لها ارتباطات بأوائل السورة (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) مرتبطة بقوله تعالى في أوائل السورة (وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)) الآخرة هي الساعة (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦)) (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)) هذا في الآخرة. (وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ) مرتبطة في أوائل السورة (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء (١٠))، (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) مرتبطة بأوائل السورة (وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ (١٠))، (ومَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا) مرتبطة بقوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا (٦)) الذي يشتري ماذا يريد؟ يريد أن يكسب، إذن لا يعلم ماذا يكسب غداً ثم (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) هذا سيكسبه، (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) مرتبط بقوله (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)) الذي يفعل هذا أليس هو العليم الخبير؟ بلى، إذن هي مرتبطة وهذا خط عام في القرآن ارتباط خواتيم السور بأوائلها. العرب كانت تعي هذا الأمر ربما لم ينظروا في أوائل السور وخواتيمها ولكنهم كانوا يعلمون أكثر مما نعلم في ترتيب الآيات في القرآن وإعجازه.
- الاستمرار بالتذكير بالنعم، وتأكيد التحذير من الاغترار بلهو الحياة وزخرفها.

.:نهاية سورة لقمان:.

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة الســـجدة ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســورة الســجدة

بين يدي السورة:

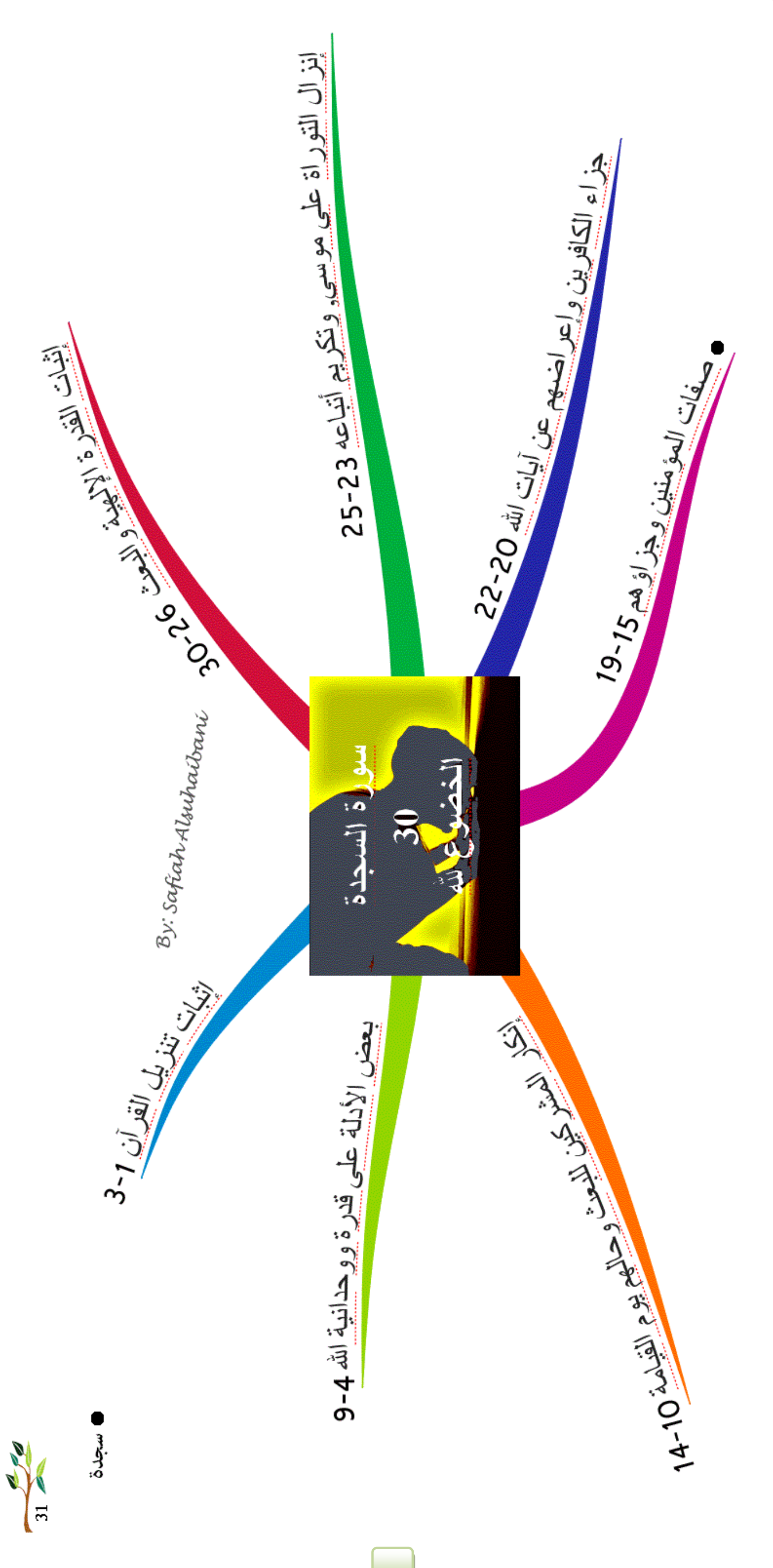
- سورة السجدة هو أشهر أسماء السورة، وأخصرها. سميت بذلك لشهرة سجدتها حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقرؤها في صلاة فجر يوم الجمعة، ومضى المسلمون على ذلك إلى اليوم.
وتسمى سورة "ألم * تزيل" سميت بذلك تسمية لها بمطلعها. وعنون لها البخاري في صحيحه بسورة (تنزيل السجدة). وجاءت تسميتها في بعض المصاحف المخطوطة بــ (سورة التنزيل). وتسمى بسورة المضاجع، وسميت بذلك أخذاً من قوله تعالى في هذه السورة (تتجافى جنوبهم عن المضاجع). وتمسى سورة سجدة لقمان وذلك لوقوعها بعد سورة لقمان، وتمييزاً لها عن سورة (حم السجدة) حيث تسمى هناك: سورة سجدة (المؤمن) لوقوعها بعد سورة (المؤمن). وتسمى سورة المنجية، وقد وردت هذه التسمية في خبر مرسل عن خالد بن معدان.
- فضائلها:
  - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ (ألم * تزيل) و (تبارك الذي بيده الملك).
  - عن أبي هريرة رضي الله عنه يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر (ألم * تزيل) (هل أتى على الإنسان)
  - ومن فضائلها أنها تسمى المنجية.
- سورة مكية
- محور السورة: بيان عظمة الله تعالى في صفاته، وكمال قدرته في الخلق والأمر، والبعث والجزاء.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

قال السيوطي (إنها شرحت مفاتيح الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمة لقمان، فقوله هنا (ثم يعرج إليه في ويم كان مقداره ألف سنة) شرح لقوله هناك (إن الله عنده علم الساعة). وقوله (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز) شرح لقوله (وينزل الغيث). قوله (الذي أحسن كل شيء خلقه) شرح لقوله (ويعلم ما في الأرحام). وقوله (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) و (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) شرح لقوله (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا). وقوله (أئذا ضللنا في الأرض) إلى قوله (قل يتوفاكم ملك الموت) شرح لقوله (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا))

وجعل الآلوسي المناسبة بين السورتين (اشتمال الكل على دلائل التوحيد).

محاور السورة:



من الآية (١) إلى الآية (٣٠)

التفسير الموضوعي:

- الآيات (١ – ٣) القرآن حق المنزل. بين الآيات الكريمات مصدر القرآن الكريم، ووصفه، وغرضه، فهو كلام الله المنزل دون شك أو ارتياب. وافتتاحية السورة بهذا المطلع والمقطع شديد الارتباط بمحور السورة من حيث إنه بيان لمصدر الخبر عن الله تعالى في عظيم صفاته وكمال قدرته في خلقه.
- الآيات (٤ – ٩) الخلق مدة وحُسنا. تعرض الآيات الكريمة لصفات القدرة والعظمة لرب العالمين؛ الذي أنزل القرآن الكريم.
- الآيات (١٠ – ١١) إثبات البعث. بعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السابقة بداية خلق الإنسان وسلالته، ذكر هنا نهايته حيث يموت الإنسان ويعود للأرض التي بدأ منها خلقه، فيفنى ويصير تراباً.
- الآيات (١٢ – ١٤) ذل المجرمين يوم الدين. حينما قررت الآيات السابقة حقيقة البعث والمصير إلى الله، صورت هذه الآيات مشهد وقوف المجرمين أمام رب العالمين.
- الآيات (١٥ – ١٧) علامات الإيمان. لما ذكر الله تعالى جزاء المجرمين، وهم المكذبون بآيات الله.. ذكر هنا المؤمنين بصفاتهم وجزائهم، فتكامل بذلك الحديث عن أصناف الناس.
- الآيات (١٨ – ٢٢) الجزاء العادل واختلاف الجزاء باختلاف العمل. بعد عرض أوصاف المؤمنين والمجرمين في الآيات السابقة؛ تقرر الآيات الكريمة هنا مبدأ الجزاء العادل، واختلاف الجزاء باختلاف العمل، وأنه لا يستوي مؤمن وكافر، مطيع وعاص.
- الآيات (٢٣ – ٢٥) الإمامة في الدين. لما بين الله تعالى في المقطع السابق عدله بين الناس مؤمنهم وفاسقهم وأنهم لا يستوون، أكد هذا المعنى في بني إسرائيل وأن منهم هداة دعاة كانوا مؤمنين موقنين، وأنه سبحانه سوف يفصل بين المختلفين منهم ومن غيرهم بالعدل يوم القيامة، فالعدل مع كل أحد، وفي كل زمن، وفي كل شيء.
- الآيات (٢٦ – ٣٠) آيات وعظات. ذكر الله تعالى في المقطع السابق من الأمم السابقة بني إسرائيل على وجه الخصوص، ثم عمم هنا للتذكير بمصير المكذبين من عموم السابقين وما فيه من عظة للآخرين.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

الحمدلله الذي جعل الصلاة راحة للمؤمنين ومفزعا للخائفين ونورا للمستوحشين.

فقيام الليل دأب الصالحين وتجارة المؤمنين وعمل الفائزين ، ففي الليل يخلو المؤمن بربه ويشكو إليه أحواله ويسأله من فضله ، فنفوسهم قائمة بين يدي خالقها عاكفة على مناجاته ، قال تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال مجاهد والحسن يعني قيام الليل ، وقال ابن كثير في تفسيرها " يعني قيام الليل وترك النوم والإضطجاع على الفرش الوثيرة" ، وقال عبدالحق " أي تترك جنوبهم عن الفرش فلا تستقر عليها ولا تثبت فيها لخوف الوعيد ورجاء الموعود"

كابدوا الليل ومدوا الصلاة إلى السحر ثم جلسوا في الدعاء والاستكانة والاستغفار ، هل يستوي من هذه صفته مع قيام الليل مع من نام ليله وضيع نفسه، قال صلى الله عليه وسلم : " عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة لداء الحسد " صححه الألباني.

وقال صلى الله عليه وسلم في شأن عبدالله بن عمر (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل) قال سالم بن عبدالله : فكان عبدالله بعد ذلك لاينام من الليل إلا قليلا .

وقيل : من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين ، والمقنطرين الذين لهم قنطار من الأجر .

وذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى أصبح فقال " ذاك رجل بال الشيطان في أذنه"

وقال أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل .

سنتدارس اليوم بإذن الله قوله تعالى : " تتجافى جنوبهم عن المضاجع ...."

فوائد وأسئلة تدبرية:

- بما ربا الله الخلق ؟

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)

ومن أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم، ويتمم أخلاقهم، وأنه لا ريب فيه، ولا شك، ولا امتراء .

- بم اتهم الكفار محمد صلى الله عليه وسلم ؟

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)

قال المكذبون للرسول الظالمون في ذلك: افتراه محمد، واختلقه من عند نفسه، وهذا من أكبر الجراءة على إنكار كلام اللّه، ورمي محمد صلى اللّه عليه وسلم، بأعظم الكذب، وقدرة الخلق على كلام مثل كلام الخالق.

وكل واحد من هذه من الأمور العظائم، قال اللّه - رادًا على من قال: افتراه: { بَلْ هُوَ الْحَقُّ } الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. { مِنْ رَبِّكَ} أنزله رحمة للعباد .

- ما أول يوم خلق الله فيه السماوات والأرض وما آخر يوم ؟

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤)

يخبر تعالى عن كمال قدرته بخلق { السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } أولها، يوم الأحد، وآخرها الجمعة، مع قدرته على خلقها بلحظة، ولكنه تعالى رفيق حكيم.

- ما أنواع التدبير ؟

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥)

{ يُدَبِّرُ الأمْرَ } القدري والأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره، نازلة تلك التدابير من عند المليك القدير { مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأرْضِ } فَيُسْعِدُ بها ويُشْقِي، ويُغْنِي ويُفْقِرُ، ويُعِزُّ، ويُذِلُّ، ويُكرِمُ، ويُهِينُ، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، ويُنزل الأرزاق.

- ما هو الماء المهين ؟

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨)

{ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ } وهو النطفة المستقذرة الضعيفة.

- كيف خلق الله الإنسان ؟

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٩)

{ ثُمَّ سَوَّاهُ } بلحمه، وأعضائه، وأعصابه، وعروقه، وأحسن خلقته، ووضع كل عضو منه، بالمحل الذي لا يليق به غيره، { وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ } بأن أرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، فيعود بإذن اللّه، حيوانا، بعد أن كان جمادًا.

- هل تكذيب الكفار للبعث طلبا للحقيقة ؟

وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠)

أي: قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد: { أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ } أي: بَلِينَا وتمزقنا، وتفرقنا في المواضع التي لا تُعْلَمُ.

{ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ } أي: لمبعوثون بعثًا جديدًا بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء، وذلك لقياسهم قدرة الخالق، بقدرهم. وكلامهم هذا، ليس لطلب الحقيقة، وإنما هو ظلم، وعناد، وكفر بلقاء ربهم وجحد، ولهذا قال: { بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُون } فكلامهم علم (١) مصدره وغايته، وإلا فلو كان قصدهم بيان الحق، لَبَيَّنَ لهم من الأدلة القاطعة على ذلك، ما يجعله مشاهداً للبصيرة، بمنزلة الشمس للبصر. ويكفيهم، أنهم معهم علم أنهم قد ابتدئوا من العدم، فالإعادة أسهل من الابتداء، وكذلك الأرض الميتة، ينزل اللّه عليها المطر، فتحيا بعد موتها، وينبت به متفرق بذورها.

- لمن وجه هذا السؤال ؟

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)

{ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا } أي: يقال للمجرمين، الذين ملكهم الذل، وسألوا الرجعة إلى الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم، قد فات وقت الرجوع ولم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم، بما نسيتم لقاء يومكم هذا، وهذا النسيان نسيان ترك، أي: بما أعرضتم عنه، وتركتم العمل له، وكأنكم غير قادمين عليه، ولا ملاقيه.{ إِنَّا نَسِينَاكُمْ } أي: تركناكم بالعذاب، جزاء من جنس عملكم، فكما نَسِيتُمْ نُسِيتُمْ، { وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ } أي: العذاب غير المنقطع، فإن العذاب إذا كان له أجل وغاية، كان فيه بعض التنفيس والتخفيف، وأما عذاب جهنم – أعاذنا اللّه منه – فليس فيه روح راحة، ولا انقطاع لعذابهم فيها. { بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } من الكفر والفسوق والمعاصي.

- ما هي العبادة المفضلة لدى عباد الرحمن على النوم ؟

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦)

{ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة اللّه تعالى. ولهذا قال: { يَدْعُونَ رَبَّهُمْ } أي: في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهما. { خَوْفًا وَطَمَعًا } أي: جامعين بين الوصفين، خوفًا أن ترد أعمالهم، وطمعًا في قبولها، خوفًا من عذاب اللّه، وطمعًا في ثوابه.

- وكم عدد أنواع النفقات ؟

{ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ } من الرزق، قليلا كان أو كثيرًا { يُنْفِقُونَ } ولم يذكر قيد النفقة، ولا المنفق عليه، ليدل على العموم، فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة، كالزكوات، والكفارات، ونفقة الزوجات والأقارب، والنفقة المستحبة في وجوه الخير، والنفقة والإحسان المالي، خير مطلقًا، سواء وافق غنيًا أو فقيرًا، قريبًا أو بعيدًا .

- وهل الأجر واحد ؟

الأجر يتفاوت، بتفاوت النفع، فهذا عملهم.

- ما سبب تسمية جنات المأوى بهذا الاسم ؟

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩)

{ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى } أي: الجنات التي هي مأوى اللذات، ومعدن الخيرات، ومحل الأفراح، ونعيم القلوب، والنفوس، والأرواح، ومحل الخلود، وجوار الملك المعبود، والتمتع بقربه، والنظر إلى وجهه، وسماع خطابه.

- و ما هو النزل ؟

{ نزلا } لهم أي: ضيافة، وقِرًى .

- ما الآية الدالة على إثبات عذاب القبر ؟

هذه الآية (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١)

- وما المراد بالعذاب الأدنى ؟

العذاب الأدنى، وهو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفًا منه، قبل أن يموتوا، إما بعذاب بالقتل ونحوه، كما جرى لأهل بدر من المشركين، وإما عند الموت، كما في قوله تعالى { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ } ثم يكمل لهم العذاب الأدنى في برزخهم. { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأدْنَى } أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثَمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار. ولما كانت الإذاقة من العذاب الأدنى في الدنيا، قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم

- ما أنواع الصبر الذي امتدح الله به أئمته ؟

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)

وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى اللّه، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات.

- عرفي اليقين ؟

وهو العلم التام، الموجب للعمل .

- وما فائدة العلم الصحيح ؟

وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين. فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذاك .

- بم تنال الإمامة في الدين ؟

بالصبر واليقين، تُنَالُ الإمامة في الدين.

- وضحي هذه الآية ؟

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧)

{ أَوَلَمْ يَرَوْا } بأبصارهم نعمتنا، وكمال حكمتنا { أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرْضِ الْجُرُزِ } التي لا نبات فيها، فيسوق اللّه المطر، الذي لم يكن قبل موجودًا فيها، فيفرغه فيها، من السحاب، أو من الأنهار. { فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا } أي: نباتًا، مختلف الأنواع { تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ } وهو نبات البهائم { وَأَنْفُسهمْ } وهو طعام الآدميين. { أَفَلا يُبْصِرُونَ } تلك المنة، التي أحيا اللّه بها البلاد والعباد، فيستبصرون فيهتدون بذلك البصر، وتلك البصيرة، إلى الصراط المستقيم، ولكن غلب عليهم العمى، واستولت عليهم الغفلة، فلم يبصروا في ذلك، بصر الرجال، وإنما نظروا إلى ذلك، نظر الغفلة، ومجرد العادة، فلم يوفقوا للخير.

- ما هي عاقبة الكفار يوم القيامة ؟

قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (٣٠)

{ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ } الذي يحصل به عقابكم، لا تستفيدون به شيئًا، فلو كان إذا حصل، حصل إمهالكم، لتستدركوا ما فاتكم، حين صار الأمر عندكم يقينًا، لكان لذلك وجه، ولكن إذا جاء يوم الفتح، انقضى الأمر، ولم يبق للمحنة محل فـ { لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ } لأنه صار إيمان ضرورة، { وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ } أي: يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فيستدركون أمرهم. { فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ } لما وصل خطابهم إلى حالة الجهل، واستعجال العذاب. { وَانْتَظِرْ } الأمر الذي يحل بهم، فإنه لا بد منه، ولكن له أجل، إذا جاء لا يتقدم ولا يتأخر. { إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ } بك ريب المنون، ومتربصون بكم دوائر السوء، والعاقبة للتقوى.

تم تفسير سورة السجدة – بحول اللّه ومنه فله تعالى كمال الحمد والثناء والمجد.

لمسات بيانية:

- (وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) الأنعام) و (مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) السجدة) و (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) غافر)، (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (٢٤) هود) فما الفرق بين تذكرون وتتذكرون؟ (د.فاضل السامرائى)
  ذكرنا في أكثر من مناسبة في القرآن ضابط ليس فقط في هذين الفعلين وإنما تعبير عام وذكرنا في حينها أنه يحذف من الفعل مثل استطاعوا واسطاعوا للدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه، إذا حذف معناه أن الزمن المحذوف منه أقصر يقتطع للدلالة على الاقتطاع من الحدث. وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز وإذا كان المقام تفصيل يقول تتذكرون.
- آية (٥) :
  - ما الفرق بين اليوم في كلا الآيتين (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٥) السجدة) (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) المعارج)؟ (د.فاضل السامرائى)

    هذان اليومان مختلفان: خمسين ألف سنة هو يوم القيامة كما في الحديث الصحيح وكما هو في سياق الآية (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩)) هذا يوم القيامة وكل الكلام في يوم القيامة إذن ليس هو نفس اليوم، في سورة السجدة هذا الكلام في الحياة الدنيا (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٥)) الزمن الذي تأخذه الملائكة للصعود بأعمال العباد

إلى السماء. يوم القيامة مقداره خمسين ألف سنة ويُخفّف على المؤمن كالصلاة المكتوبة كما في الحديث وعلى غير المؤمن خمسين ألف سنة والرسول بيّنه في حديث في صحيح مسلم. هو هكذا كما ذكر ربنا لكنه يُخفف على المؤمنين أما في آية السجدة هذا في الدنيا وهو ليس نفس اليوم.

- آية (١٢) :
  - لماذا قدّم البصر على السمع في آية سورة الكهف وآية سورة سورة السجدة؟ (د.فاضل السامرائى)

آية سورة السجدة، الكلام عن المجرمون الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصرون لكن ما يسمعوه كان يدخل في مجال الشك والظنّ ولو تيقنوا لآمنوا أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه لأنهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر (عين اليقين) والآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة. فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعونه ويشكون فيه تغير الحال ولذا اقتضى تقديم البصر على السمع.

- آية (١٣) :
  - (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) الذاريات) وفي السجدة (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) السجدة) الجنة مقصود بهم الجن فما الفرق بين الجن والجِنّة؟ وما دلالة البدء بالجن والجِنّة؟ (د.فاضل السامرائى)

الجن القرآن يستعمله بما يقابل الإنس (الجنّ – الإنس) هما الأصلان لهذين الجنسين، أصلان للمخلوقات (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) الذاريات) (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) الإسراء) أما الجنة فيستعملها بمقابل الناس (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) السجدة) (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ (٦) الناس). الجنّ والإنس هما الأصلان أما الناس فتكون مجموعة قليلة أو كثيرة من هؤلاء أو أفراد منهم.

- آية (١٤) :
  - (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)السجدة) كيف ينساهم الله تعالى؟ (د.حسام النعيمى)

أحياناً نحن نأخذ الكلمة على معنى واحد من معانيها ونتحيّر فيها بمعنى أنه نحن نفهم النسيان نسيت هذا الأمر بمعنى غاب عن ذاكرتي وهذا ليس معنى النسيان في لغة العرب دائماً وله دلالة أخرى وهي الترك والإهمال. لما تقول نسيت هذا الأمر بمعنى أهملته. (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) هم لم يكونوا متذكرين للقاء هذا اليوم حتى ينسوه وإنما كانوا منكرين له مهملين له. هل نسوا يوم القيامة؟ أم كانوا غير مكترثين به؟ فالنسيان هنا جاء بمعنى عدم الإكتراث والعبء بالشيء.

- آية (٢٠) :

- ما اللمسة البيانية في استخدام (الذي) مرة ومرة (التي) مع عذاب النار؟(د.فاضل السامرائى)

في سورة السجدة (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ {٢٠}) الخطاب في السورة موجّه للفاسقين و(الذي) يشير إلى العذاب نفسه. أما في سورة سبأ (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ {٤٢} فالخطاب في هذه السورة موجّه إلى الكافرين و(التي) مقصود بها النار نفسها. فالفاسق يمكن أن يكون مؤمناً ويمكن أن يكون كافراً فهو لا يُكذّب بالنار إنما يُكذّب بالعذاب أما الكافرون فهم يُكذّبون بالنار أصلاً ولا ينكرون العذاب فقط وإنما يُنكرون النار أصلاً.

- آية (٢١) :

- يأتي الضر مع فعل مسّ ومع الرحمة يأتي الفعل أذقنا فى القرآن الكريم ، فما الفرق بين المسّ والإذاقة في القرآن؟ (د.فاضل السامرائى)

أولاً هذا التفريق غير دقيق فالذوق والمس يأتي للضر وغير الضر، الذوق هو إدراك الطعم والمسّ هو أي اتصال. أما كون المس يأتي مع الشر فغير صحيح لأن المس يأتي مع الرحمة أيضاً (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) المعارج) (إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ (١٢٠) آل عمران) (وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ (١٧) الأنعام) وكذلك الإذاقة تأتي مع العذاب ومع الرحمة (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) السجدة) (وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا (٤٨) الشورى) (وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (١٩) الفرقان) ليس هنالك تقييد في الاستعمال.

- آية (٢٢) :

- ما الفرق بين الآيتين (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا (٥٧) الكهف) (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا (٢٢) السجدة)؟(د.فاضل السامرائى)

نقرأ الآيتين حتى يتبين لنا سبب الاختلاف: آية الكهف (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧))، آية السجدة (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)) بعدها (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣)) نحن نعرف من القواعد النحوية اللغوية أن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب لا تراخي في الزمن و(ثم) تفيد الترتيب والتراخي (يعني مهلة من الزمن). معنى هذا أن وقوع الإعراض في آية الكهف أسرع منه في آية السجدة لأنه قال ذُكّر فأعرض وهناك قال ذُكّر ثم أعرض، إذن معنى ذلك أن الإعراض في آية سورة الكهف وقوعه أسرع هذا من حيث اللغة.

- آية (٢٥) :

  - كلمة يختلفون وتختلفون وردت في القرآن في مواضع كثيرة (١١٣) البقرة، (١٩) يونس، (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) السجدة)، (٤٨) المائدة ، ما كُنه الاختلاف؟ (د.فاضل السامرائى)

الآية توضح (إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) المائدة) أنبئه بالأمر فقال (بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) والثانية في القضاء والفصل فصل في القضية (فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) البقرة) هذا حكم، قال (فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أي في الذي كانوا فيه يختلفون. إما يقول قضي بينهم أو يحكم بينهم ولما يقول يحكم بينهم وقضي بينهم يستعمل فيه. أما كانوا وكنتم فالأكثر لما يقول (كانوا) الكلام عن يوم القيامة والاختلاف كان في الدنيا (فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) البقرة) الاختلاف في الدنيا (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) الجاثية). (وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩) يونس) هذه الآن وليس في يوم القيامة (فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) لأنها تقصد الدنيا.

  - ما الفرق بين الحكم والفصل في القرآن الكريم؟ (د.فاضل السامرائى)

الفرق بين الحكم والفصل، الحكم القضاء والفصل أشد لأنه يكون بَوْن أحدهما، أن يكون بينهما فاصل حاجز إذن الفصل أشد فإذن لما يقول في القرآن يفصل بينهم تكون المسافة أبعد كأن يذهب أحدهم إلى الجنة والآخر إلى النار أما الحكم فلا وقد يكون في ملة واحدة،

  - ما دلالة اختلاف الفاصلة القرآنية بين قوله تعالى (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦) السجدة) وبعدها مباشرة (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) السجدة)؟ (د.فاضل السامرائى)

آيتان متتاليتان في سورة السجدة. قال في الأولى (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ) هذا يأتي عن طريق السماع قرون ماضية يسمعون الأخبار فقال (أَفَلَا يَسْمَعُونَ)، في الثانية (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ) هذا يُنقل مشاهدة وليس سماعاً فقال (أَفَلَا يُبْصِرُونَ)، لما كان الأمر يأتي عن طريق السماع قال (أَفَلَا يَسْمَعُونَ) ولما كان الأمر مشاهداً يأتي عن طريق المشاهدة قال أفلا يبصرون.

الوصايا العملية:

- أكبر نعمة أنعمها الله علينا أنزل علينا القرآن .
- أعظم ما ربانا الله به هذا الكتاب الذي فيه كل ما يصلح أحوالنا ويتمم أخلاقنا وأنه لا ريب فيه ولا شك.
- خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام ولا يعجزه أن يخلقها في يوم واحد وهذا دليل على رفقه سبحانه .

- التصديق بيوم القيامة يبعث على العمل .
- اعلمي أن الملائكة التي معك تدعي لك عند قبض روحك أو تدعي عليك ، الأولى تقول هذا أكرمني يذهب بي إلى مجالس الذكر والصلاة ... و الأخرى تقول لم يكرمني بل يذهب بي إلى مجالس اللغو و المجون والمعاصي .
- أكثري من الدعاء ب (اللهم أعني على سكرات الموت).
- احذري من المعاصي و الاستمرار عليها لئلا يطبع على القلب .
- من نسي الله ينساه الله فلا يوفقه للطاعات وإلى سبل الخير ثم ينساه يوم القيامة بالمكث الطويل في العذاب.
- جاهدي نفسك على قيام الليل فهو شرف المؤمن .
- من درر قيام الليل وضاءة الوجه والهيبة والتقدير والاحترام .
- أكثري من الصدقة والتمسي المحتاجين .
- إن هذا الكتاب أشرف وأعظم وأرفع من الكتب السابقة فاحرصي عليه تلاوة وحفظا وتدبرا.
- اصبري على التعلم والتعليم فيوصلك العلم غلى اليقين الذي يحملك على الأعمال الصالحة .
- كلما زاد يقينك بالله زاد صبرك والعكس صحيح .
- البصيرة هي التي تحرك القلوب .
- باليقين تقوي على الشبهات وبالصبر تقوي على الشهوات .

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

(الم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)) في الخواتيم قال (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣)) المرية يعني الشك أي لا تكن في شك وهذا متعلق بقولهم أنه مفترى فلا تشكّ. قال في أوائل السورة (وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠)) وفي آخرها يقول (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨)) كأن هذه الآية تالية للآية الأولى.

.: نهاية سورة السجدة :.

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة الأحزاب ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســــورة الأحزاب

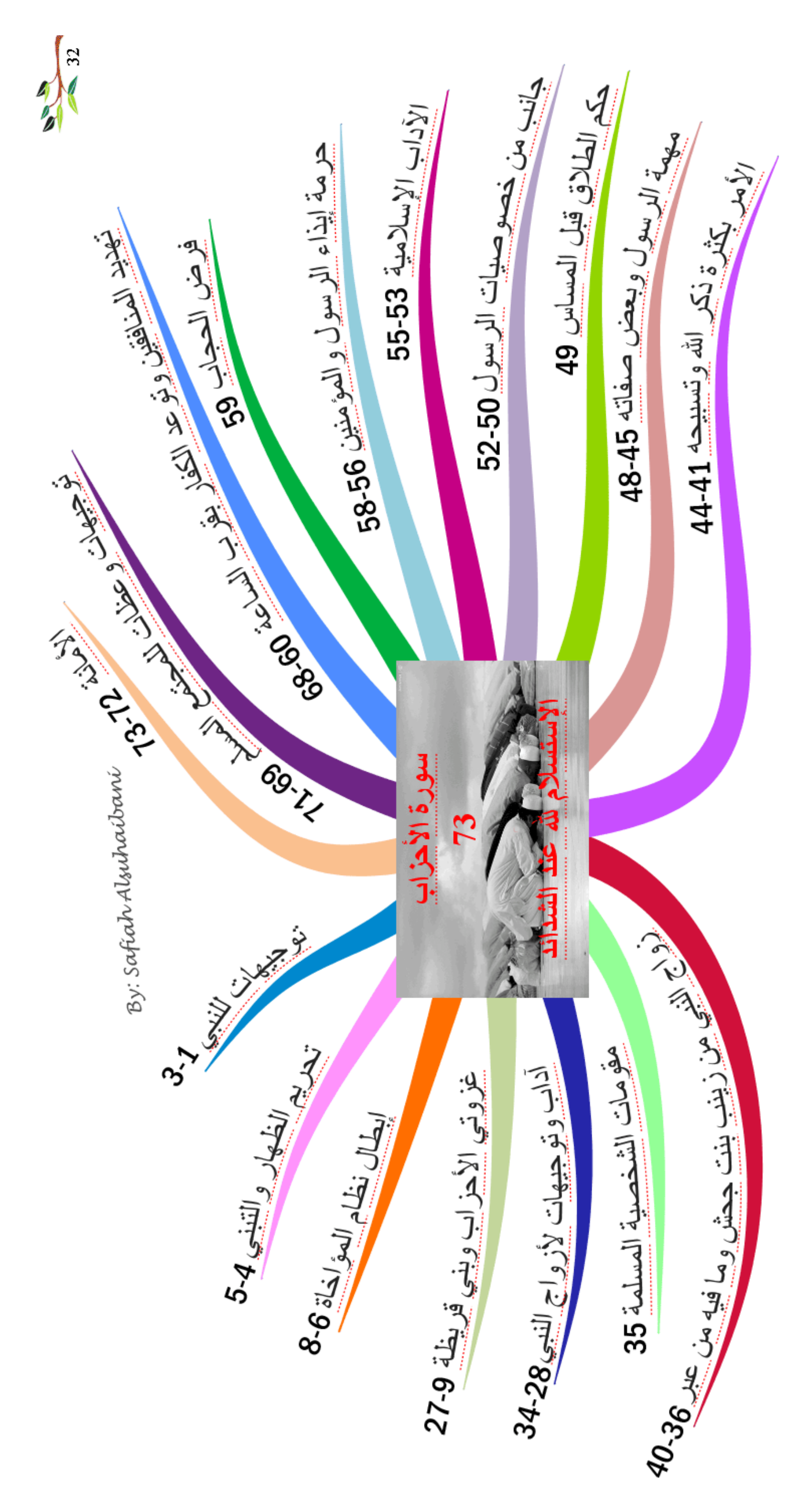
بين يدي السورة:

- اسم السورة التوقيفي هو سورة الأحزاب ولا يعرف لها اسم آخر غير هذا. وقد ورد هذا الاسم في حديث أبي بن كعب.
- سورة مدنية.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

يقول ابن حبان (ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة وهو أنه حكى أنهم يستعجلون الفتح وهو الفصل بينهم، وأخبر تعالى أنه يوم الفتح لا ينفعهم إيمانهم، فأمره في أول هذه السورة بتقوى الله ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما أرادوا به (إن الله كان عليماً حكيماً) عليماً بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة، حكيماً لا يضع الأشياء إلا مواضعها منوطة بالحكمة). ووجه اتصالها بما قبلها على ما قاله الجلال السيوطي هو تشابه مطلع هذه ومقطع تلك (فإن تلك ختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن الكافرين وانتظار عذابهم، وهذه بدأت بأمره عليه الصلاة والسلام بالتقوى وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع ما أوحى إليه والتوكل عليه عز وجل).

محاور السورة:



المقطع الأول : من الآية (١) إلى الآية (٢٢)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (١ – ٣) افتتاحية سورة الأحزاب. ينادي الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأجمل نداء وألطفه آمراً له أن يتقي الله تعالى بالالتزام بطاعته وآداء فرائضه والانتهاء عن محارمه والابتعاد عن حدوده، ونهاه أن يطيع الكافرين.
- الآيات (٤ – ٥) تصحيح مفاهيم اجتماعية وأسرية خاطئة. لما كان موضوع المقطع الأول الحث على التقوى وعدم طاعة الكافرين والمنافقين بدأ هنا يبطل بعض معتقدات الكافرين وعاداتهم كالاعتقاد الباطل بوجود قلبين لدى الأذكياء من البشر، ويبين أن تشبيه الرجل لزوجه في الحرمة كظهر الأم غير صحيح ومحرم، ويمهد بذلك لتحريم التبني بنفي كون الولد المتبنى ابناً حقيقياً، وكان لهذا علاقة بزيد بن حارثة الذي كان للمنافقين فيه نصيب، وما كل تلك العادات والتقاليد الجاهلية إلا دعاوى لا أساس لها من الصحة بحيث لا تتجاوز الأفواه.
- الآيات (٦ – ٨) الولاية العامة للنبي صلى الله عليه وسلم على المؤمنين وأخذ الله الميثاق من النبي صلى الله عليه وسلم ومن النبيين عليهم السلام لتبليغ الدعوة. فبعد أن منع الإسلام التبني وأوضح أن العلاقة الحقيقية تكون بالنسب فقط، ناسب أن يبين القرآن أن قرابة الأخوة الإيمانية بين المؤمنين التي كان المهاجرون والأنصار يتوارثون بناء عليها، والتي اقتضتها مرحلة صعبة تأسيسية في حياة المسلمين، ناسب أن ينسخ هذا الحكم لتعود الأمور إلى أصلها وهو التوارث بناء على صلة النسب مع بقاء الأخوة الإيمانية. وكذلك لما منع الإسلام التبني ناسب أن يبين ماهية ولاية النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة لزيد بن حارثة خاصة والمؤمنين عامة، في القرآن أن هذه الولاية هي ولاية عامة على كل المؤمنين وأنه صلى الله عليه وسلم أولى بهم من أنفسهم وعليهم أن يقدموه على أنفسهم لأنه السبب في إخراجهم من الظلمات إلى النور، فعلاقته صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين أعظم من أي علاقة فهو أب لهم ورحيم ورؤوف بهم، وكذلك قررت الآية الأمة الروحية لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم وذلك حرمة له صلى الله عليه وسلم وتشريفاً لقدره.
- الآيات (٩ – ١١) قصة غزوة الأحزاب، التذكير بنعمة النصر على الأحزاب وابتلاء المؤمنين. قال سيد قطب (يجمل في الآية الأولى طبيعة ذلك الحادث وبدأه ونهايته، قبل تفصيله وعرض مواقفه، لتبرز نعمة الله التي يذكرهم بها، ويطلب إليهم أن يتذكروها؛ وليظهر أن الله الذي يأمر المؤمنين باتباع وحيه، والتوكل عليه وحده). وفي نصر المسلمين في هذه العزوة نعمة عظيمة للعباد المخلصين في تقواهم التي أمر الله بها في أول السورة فكان النصر الإلهي نتيجة لتلك التقوى والتوكل الحقيقي على الله تعالى.
- الآيات (١٢ – ٢٠) فضح موقف المنافقين في هذه المعركة وبيان صفاتهم القبيحة. فبعد أن بين الله تعالى نعمته على عباده المؤمنين في هذه المعركة وما حدث لهم من الابتلاء العظيم، أوضح أنواع الظنون التي كانت تختلج في نفوس المنافقين وفضح أعمالهم وأقوالهم الشنيعة وصفاتهم القبيحة التي ظهرت في هذه المعركة.

- الآيات (٢١ – ٢٤) الرسول هو الأسوة الحسنة وأصحابه الكرام هم نجوم يهتدى بهم. وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسكره بالمدينة من المؤمنين به ومن غير المؤمنين، المؤمن عليه أن يكون مع رسول الله حيثما كان وألا يتخلف عنه لأن النبي صلى الله عليه وسلم قدوة له حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق، وأما المنافق فتقوم عليه الحجة. ومقابل هذه الصورة القاتمة للمتخلفين عن القتال وللمثبطين عنه من المنافقين كان هناك صورة رائعة يرسمها الرسول الأسوة الحسنة وأصحابه الكرام، صورة مطمئنة وسط الزلازل واثقة بالله راضية بقضائه.

التمهيد:

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا هدى وتقى ونور..

غزا النبي صلى الله عليه وسلم عدة غزوات ، ومن غزواته صلى الله عليه وسلم غزوة الخندق وتسمى " الأحزاب"

حدثت غزوة الأحزاب في شوال في العام الخامس للهجرة، في المدينة المنورة ، بين المسلمين وقريش وغطفان وكنانة وتهامة وبنو النظر .

كان القادة هم : رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة بلواء المهاجرين وسعد بن عبادة بلواء الأنصار .

أسبابها: بعد أن أجلى الرسول صلى الله عليه وسلم بني النضير وهم قسم من يهود المدينة وساروا إلى خيبر أخذوا على تأليب قريش وغطفان على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج رئيسهم حيي بن أخطب إلى قريش بمكة وعاهدهم على حرب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال لهم إنه قد بقي من قومه سبعمائة نفر في المدينة وهم بنو قريظة وبينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق وأنه كان يحملهم على نقض الميثاق ، وسار معه أبو سفيان وغيره من رؤساء قريش حتى اجتمع على قتال النبي صلى الله عليه وسلم قدر عشرة آلاف مقاتل يقودهم أبو سفيان بن حرب .

لما علم النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر استشار أصحابه وقادته في الحرب وأشار الصحابة بالبقاء في المدينة وأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق في مشاريف المدينة فاستحسن الرسول صلى الله عليه وسلم رأيه وعملوا به ، واستطاع المسلمون بإنهاء حفر الخندق بعد مدة وجيزة بعد ١٥ يوما بعون الله لهم.

بدت جيوش المشركين مقبلة على المدينة من جهة جبل أحد ولكنهم فوجئوا بالخندق وأقاموا إزاء المدينة شهرا

لم يجد المشركون سبيلا للدخول إلى المدينة وبقوا ينتظرون أياما وليالي يقابلون المسلمون حتى جاء حيي بن أخطب وأقنع بنو قريظة بنقض عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم .

لما طال المقام بقريش تفككت روابط الجيش وانعدمت الثقة بين أطراف القبائل ، كما أرسل الله ريحا شديدة اقتلعت خيامهم وجرفت مؤنهم فرجعوا إلى مكة ورجعت غطفان إلى بواديها ، وحين أشرق الصبح لم يجد المسلمين أحدا منهم فازدادوا إيمانا وتوكلا على الله.

معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة:

صخرة الخندق:

عند حفر الخندق وجدوا صخرة كبيرة كانت عائقا أمام سلمان حيث كسرت المعاول الحديدية ، فتقدم رسول الله من الصخرة وقال بسم الله فضربها فتصدعت وبرقت منها برقة مضيئة فقال : الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة، ثم ضرب ضربة أخرى فبرقت ثانية فقال الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة ..

وحقق المسلمون انتصارا معجزا في هذه الغزوة والحمدلله ، وسميت سورة كاملة باسمها ، واليوم بإذن الله سنتدارس هذه السورة .

فوائد وأسئلة تدبرية:

س ـ بماذا أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وبما نهاه ؟

أي: يا أيها الذي منَّ اللّه عليه بالنبوة، واختصه بوحيه، وفضله على سائر الخلق،- اشكر نعمة ربك عليك، باستعمال تقواه، التي أنت أولى بها من غيرك، والتي يجب عليك منها، أعظم من سواك، فامتثل أوامره ونواهيه، وبلغ رسالاته، وأدِّ إلى عباده وحيه، وابذل النصيحة للخلق.

- ولا يصدنك عن هذا المقصود صاد، ولا يردك عنه راد، فلا تطع كل كافر، قد أظهر العداوة للّه ورسوله، ولا منافق، قد استبطن التكذيب والكفر، وأظهر ضده.

فهؤلاء هم الأعداء على الحقيقة، فلا تطعهم في بعض الأمور، التي تنقض التقوى، وتناقضها، ولا تتبع أهواءهم، فيضلوك عن الصواب.

- لكن (اتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) فإنه هو الهدى والرحمة، وَارْجُ بذلك ثواب ربك، فإنه بما تعملون خبير، يجازيكم بحسب ما يعلمه منكم، من الخير والشر.

فإن وقع في قلبك، أنك إن لم تطعهم في أهوائهم المضلة، حصل عليك منهم ضرر، أو حصل نقص في هداية الخلق، فادفع ذلك عن نفسك، واستعمل ما يقاومه ويقاوم غيره،- وهو التوكل على اللّه، بأن تعتمد على ربك، اعتماد من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة، ولا نشورًا، في سلامتك من شرهم، وفي إقامة الدين، الذي أمرت به، وثق باللّه في حصول ذلك الأمر على أي: حال كان.

(وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا) توكل إليه الأمور، فيقوم بها، وبما هو أصلح للعبد، وذلك لعلمه بمصالح عبده، من حيث لا يعلم العبد، وقدرته على إيصالها إليه، من حيث لا يقدر عليها العبد، وأنه أرحم بعبده من نفسه، ومن والديه، وأرأف به من كل أحد، خصوصًا خواص عبيده، الذين لم يزل يربيهم ببره، ويُدِرُّ عليهم بركاته الظاهرة والباطنة، خصوصًا وقد أمره بإلقاء أموره إليه، ووعده، فهناك لا تسأل عن كل أمر يتيسر، وصعب يسهل، وخطوب تهون، وكروب تزول، وأحوال وحوائج تقضى، وبركات تنزل، ونقم تدفع، وشرور ترفع.

وهناك ترى العبد الضعيف، الذي فوض أمره لسيده، قد قام بأمور لا تقوم بها أمة من الناس، وقد سهل الله [عليه] ما كان يصعب على فحول الرجال وبالله المستعان.

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥) .

يعاتب تعالى [عباده] عن التكلم بما ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورًا رحيمًا لا حقيقة له من الأقوال، ولم يجعله الله تعالى كما قالوا،فإن ذلك القول منكم كذب وزور، يترتب عليه منكرات من الشرع. وهذه قاعدة عامة في التكلم في كل شيء، والإخبار بوقوع ووجود، ما لم يجعله الله تعالى.

س – لماذا خص الله هذه الأشياء بالذكر ؟

ولكن خص هذه الأشياء المذكورة، لوقوعها، وشدة الحاجة إلى بيانها، فقال: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) هذا لا يوجد، فإياكم أن تقولوا عن أحد: إن له قلبين في جوفه، فتكونوا كاذبين على الخلقة الإلهية.

(وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ) بأن يقول أحدكم لزوجته: « أنت عَليَّ كظهر أمي أو كأمي » فما جعلهن الله (أُمَّهَاتِكُمْ) أمك من ولدتك، وصارت أعظم النساء عليك، حرمة وتحريمًا، وزوجتك أحل النساء لك، فكيف تشبه أحد المتناقضين بالآخر؟

هذا أمر لا يجوز، كما قال تعالى: الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلا اللائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا

(وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) والأدعياء، الولد الذي كان الرجل يدعيه، وهو ليس له، أو يُدْعَى إليه، بسبب تبنيه إياه، كما كان الأمر بالجاهلية، وأول الإسلام.

س – لماذا أبطلها ؟

فأراد الله تعالى أن يبطله ويزيله، فقدم بين يدي ذلك بيان قبحه، وأنه باطل وكذب، وكل باطل وكذب، لا يوجد في شرع الله، ولا يتصف به عباد الله.

يقول تعالى: فالله لم يجعل الأدعياء الذين تدعونهم، أو يدعون إليكم، أبناءكم، فإن أبناءكم في الحقيقة، من ولدتموهم، وكانوا منكم، وأما هؤلاء الأدعياء من غيركم، فلا جعل الله هذا كهذا.

س – ما حقيقة الأمر؟

(ذَلِكُمْ) القول، الذي تقولون في الدعي: إنه ابن فلان، الذي ادعاه، أو والده فلان (قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ) أي: قول لا حقيقة له ولا معنى له.

س – ماهو القول الحق ؟
(وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ) أي: اليقين والصدق، فلذلك أمركم باتباعه، على قوله وشرعه، فقوله، حق، وشرعه حق، والأقوال والأفعال الباطلة، لا تنسب إليه بوجه من الوجوه، وليست من هدايته، لأنه لا يهدي إلا إلى السبيل المستقيمة، والطرق الصادقة.
وإن كان ذلك واقعًا بمشيئته، فمشيئته عامة، لكل ما وجد من خير وشر.

س – بعدما نهاهم الله عن هذه الأمور أمرهم بماذا ؟
ثم صرح لهم بترك الحالة الأولى، المتضمنة للقول الباطل فقال: (ادْعُوهُمْ) أي: الأدعياء (لآبَائِهِمْ) الذين ولدوهم (هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) أي: أعدل، وأقوم، وأهدى.
(فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ) الحقيقيين (فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) أي: إخوتكم في دين الله، ومواليكم في ذلك، فادعوهم بالأخوة الإيمانية الصادقة، والموالاة على ذلك، فترك الدعوة إلى من تبناهم حتم، لا يجوز فعلها.
وأما دعاؤهم لآبائهم، فإن علموا، دعوا إليهم، وإن لم يعلموا، اقتصر على ما يعلم منهم، وهو أخوة [الدين] والموالاة، فلا تظنوا أن حالة عدم علمكم بآبائهم، عذر في دعوتهم إلى من تبناهم، لأن المحذور لا يزول بذلك.
(وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ) بأن سبق على لسان أحدكم، دعوته إلى من تبناه، فهذا غير مؤاخذ به، أو علم أبوه ظاهرًا، [فدعوتموه إليه] وهو في الباطن، غير أبيه، فليس عليكم في ذلك حرج، إذا كان خطأ، (وَلَكِنْ) يؤاخذكم بـ (مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) من الكلام، بما لا يجوز. (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) غفر لكم ورحمكم، حيث لم يعاقبكم بما سلف، وسمح لكم بما أخطأتم به، ورحمكم حيث بيَّن لكم أحكامه التي تصلح دينكم ودنياكم، فله الحمد تعالى.
النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) .

س- لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟
يخبر تعالى المؤمنين، خبرًا يعرفون به حالة الرسول صلى الله عليه وسلم ومرتبته، فيعاملونه بمقتضى تلك الحالة فقال: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) أقرب ما للإنسان، وأولى ما له نفسه، فالرسول أولى به من نفسه، لأنه عليه الصلاة والسلام، بذل لهم من النصح، والشفقة، والرأفة، ما كان به أرحم الخلق، وأرأفهم، فرسول الله، أعظم الخلق مِنَّةً عليهم، من كل أحد، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديه وبسببه.

س – أذا تعارض مراد النفس مع مراد الرسول صلى الله عليه وسلم فماذا يقدم ؟
فلذلك، وجب عليهم إذا تعارض مراد النفس، أو مراد أحد من الناس، مع مراد الرسول، أن يقدم مراد الرسول، وأن لا يعارض قول الرسول، بقول أحد، كائنًا من كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلهم، وألا يقولوا حتى يقول، ولا يتقدموا بين يديه.
س - ماذا ترتب على أبوة النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ؟
وهو صلى الله عليه وسلم، أب للمؤمنين، كما في قراءة بعض الصحابة، يربيهم كما يربي الوالد أولاده.

فترتب على هذه الأبوة، أن كان نساؤه أمهاتهم، أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام، لا في الخلوة والمحرمية، وكأن هذا مقدمة، لما سيأتي في قصة زيد بن حارثة، الذي كان قبل يُدْعَى: « زيد بن محمد » حتى أنزل الله مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ فقطع نسبه، وانتسابه منه، فأخبر في هذه الآية، أن المؤمنين كلهم، أولاد للرسول، فلا مزية لأحد عن أحد وإن انقطع عن أحدهم انتساب الدعوة، فإن النسب الإيماني لم ينقطع عنه، فلا يحزن ولا يأسف.

وترتب على أن زوجات الرسول أمهات المؤمنين، أنهن لا يحللن لأحد من بعده، كما الله صرح بذلك: وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا

س ـ في أي شئ تكون ولاية الأقارب ؟

(وَأُولُو الأرْحَامِ) أي: الأقارب، قربوا أو بعدوا (بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) [أي] : في حكمه، فيرث بعضهم بعضًا، ويبر بعضهم بعضًا، فهم أولى من الحلف والنصرة.

والأدعياء الذين كانوا من قبل، يرثون بهذه الأسباب، دون ذوي الأرحام، فقطع تعالى، التوارث بذلك، وجعله للأقارب، لطفًا منه وحكمة، فإن الأمر لو استمر على العادة السابقة، لحصل من الفساد والشر، والتحيل لحرمان الأقارب من الميراث، شيء كثير.

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) أي: سواء كان الأقارب مؤمنين مهاجرين وغير مهاجرين، فإن ذوي الأرحام مقدمون في ذلك، وهذه الآية حجة على ولاية ذوي الأرحام، في جميع الولايات، كولاية النكاح، والمال، وغير ذلك.

(إلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا) أي: ليس لهم حق مفروض، وإنما هو بإرادتكم، إن شئتم أن تتبرعوا لهم تبرعًا، وتعطوهم معروفًا منكم، (كَانَ) ذلك الحكم المذكور (فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) أي: قد سطر، وكتب، وقدره الله، فلا بد من نفوذه.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨) .

يخبر تعالى أنه أخذ من النبيين عمومًا، ومن أولي العزم - وهم، هؤلاء الخمسة المذكورون- خصوصًا، ميثاقهم الغليظ وعهدهم الثقيل المؤكد، على القيام بدين الله والجهاد في سبيله، وأن هذا سبيل، قد مشى الأنبياء المتقدمون، حتى ختموا بسيدهم وأفضلهم، محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر الناس بالاقتداء بهم.

وسيسأل الله الأنبياء وأتباعهم، عن هذا العهد الغليظ هل وفوا فيه، وصدقوا؟ فيثيبهم جنات النعيم؟ أم كفروا، فيعذبهم العذاب الأليم؟ قال تعالى: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا (١١) .

س ـ ما هي النعمة التي ذكر الله به عباده في هذه الآيه ؟

يذكر تعالى عباده المؤمنين، نعمته عليهم، ويحثهم على شكرها، حين جاءتهم جنود أهل مكة والحجاز، من فوقهم، وأهل نجد، من أسفل منهم، وتعاقدوا وتعاهدوا على استئصال الرسول والصحابة، وذلك في وقعة الخندق.

ومالأتهم [طوائف] اليهود، الذين حوالي المدينة، فجاءوا بجنود عظيمة وأمم كثيرة.
وخندق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، على المدينة، فحصروا المدينة، واشتد الأمر، وبلغت القلوب الحناجر، حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ، لما رأوا من الأسباب المستحكمة، والشدائد الشديدة، فلم يزل الحصار على المدينة، مدة طويلة، والأمر كما وصف الله: (وَإِذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) أي: الظنون السيئة، أن الله لا ينصر دينه، ولا يتم كلمته.
(هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) بهذه الفتنة العظيمة

س - (وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا) بماذا كانت الزلزلة ؟

بالخوف والقلق، والجوع، ليتبين إيمانهم، ويزيد إيقانهم، فظهر - وللّه الحمد- من إيمانهم، وشدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين والآخرين.
وعندما اشتد الكرب، وتفاقمت الشدائد، صار إيمانهم عين اليقين، وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا
وهنالك تبين نفاق المنافقين، وظهر ما كانوا يضمرون قال تعالى:
وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إلا غُرُورًا (١٢) .
وهذه عادة المنافق عند الشدة والمحنة، لا يثبت إيمانه، وينظر بعقله القاصر، إلى الحالة القاصرة ويصدق ظنه.

س- إلى ماذا يشير إليه في النداء بأهل يثرب ؟

وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ من المنافقين، بعد ما جزعوا وقلّ صبرهم، وصاروا أيضًا من المخذولين، فلا صبروا بأنفسهم، ولا تركوا الناس من شرهم، فقالت هذه الطائفة: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ يريدون « يا أهل المدينة » فنادوهم باسم الوطن المنبئ [عن التسمية] فيه إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية، ليس له في قلوبهم قدر.

س- ما الذي حملهم على ذلك ؟

وأن الذي حملهم على ذلك، مجرد الخور الطبيعي.
يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ أي: في موضعكم الذي خرجتم إليه خارج المدينة، وكانوا عسكروا دون الخندق، وخارج المدينة، فَارْجِعُوا إلى المدينة، فهذه الطائفة تخذل عن الجهاد، وتبين أنهم لا قوة لهم بقتال عدوهم، ويأمرونهم بترك القتال، فهذه الطائفة، شر الطوائف وأضرها، وطائفة أخرى دونهم، أصابهم الجبن والجزع، وأحبوا أن ينخزلوا عن الصفوف، فجعلوا يعتذرون بالأعذار الباطلة، وهم الذين قال الله فيهم: وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ أي: عليها الخطر، ونخاف عليها أن يهجم عليها الأعداء، ونحن غُيَّبٌ عنها، فَأْذَنْ لنا نرجع إليها، فنحرسها، وهم كذبة في ذلك.
وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ أي: ما قصدهم إلا فِرَارًا ولكن جعلوا هذا الكلام، وسيلة وعذرًا. [لهم] فهؤلاء قل إيمانهم، وليس له ثبوت عند اشتداد المحن.
وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ المدينة مِنْ أَقْطَارِهَا أي: لو دخل الكفار إليها من نواحيها، واستولوا عليها - لا كان ذلك- ثُمَّ سئل هؤلاء الْفِتْنَةَ أي: الانقلاب عن دينهم، والرجوع إلى دين المستولين المتغلبين لآتَوْهَا أي: لأعطوها مبادرين.

وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إلا يَسِيرًا أي: ليس لهم منعة ولا تَصلُّبٌ على الدين، بل بمجرد ما تكون الدولة للأعداء، يعطونهم ما طلبوا، ويوافقونهم على كفرهم، هذه حالهم.
والحال أنهم قد عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولا سيسألهم عن ذلك العهد، فيجدهم قد نقضوه، س ـ فما ظنهم إذًا بربهم؟
قُلْ (١٦) .

(قُلْ) لهم، لائمًا على فرارهم، ومخبرًا أنهم لا يفيدهم ذلك شيئًا لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ فلو كنتم في بيوتكم، لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعكم.
س ـ متى تنفع الأسباب ؟
والأسباب تنفع، إذا لم يعارضها القضاء والقدر، فإذا جاء القضاء والقدر، تلاشى كل سبب، وبطلت كل وسيلة، ظنها الإنسان تنجيه.
وَإِذًا حين فررتم لتسلموا من الموت والقتل، ولتنعموا في الدنيا فإنكم لا تُمَتَّعُونَ إلا قَلِيلا متاعًا، لا يسوى فراركم، وترككم أمر الله، وتفويتكم على أنفسكم، التمتع الأبدي، في النعيم السرمدي.

س ـ هل تغني الأسباب عن العبد إذا أراد الله به سوء ؟ وهل لهم من نصير من دون الله؟
ثم بين أن الأسباب كلها لا تغني عن العبد شيئًا إذا أراده الله بسوء، فقال: قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ أي: يمنعكم مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أي: شرًا، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً فإنه هو المعطي المانع، الضار النافع، الذي لا يأتي بالخير إلا هو، ولا يدفع السوء إلا هو.
وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا يتولاهم، فيجلب لهم النفع وَلا نَصِيرًا أي ينصرهم، فيدفع عنهم المضار.
فَلْيَمْتَثِلُوا طاعة المنفرد بالأمور كلها، الذي نفذت مشيئته، ومضى قدره، ولم ينفع مع ترك ولايته ونصرته، وَلِيٌّ ولا ناصر.

س ـ بماذا توعد الله المخذلين ؟
ثم توَّعد تعالى المخذلين المعوقين، وتهددهم فقال: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ عن الخروج، لمن [لم] يخرجوا وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ الذين خرجوا: هَلُمَّ إِلَيْنَا أي: ارجعوا، كما تقدم من قولهم: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا

س ـ ماحالهم مع الجهاد ؟
وهم مع تعويقهم وتخذيلهم وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ أي: القتال والجهاد بأنفسهم إلا قَلِيلا فهم أشد الناس حرصًا على التخلف، لعدم الداعي لذلك، من الإيمان والصبر، ووجود المقتضى للجبن، من النفاق، وعدم الإيمان.
أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ بأبدانهم عند القتال، وبأموالهم عند النفقة فيه، فلا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم. فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نظر المغشى عليه مِنَ الْمَوْتِ من شدة الجبن، الذي خلع قلوبهم، والقلق الذي أذهلهم، وخوفًا من إجبارهم على ما يكرهون، من القتال.

س ـ وما حالهم في حال الأمن والطمأنينة ؟

فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ وصاروا في حال الأمن والطمأنينة، سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ أي: خاطبوكم، وتكلموا معكم، بكلام حديد، ودعاوى غير صحيحة.

وحين تسمعهم، تظنهم أهل الشجاعة والإقدام، أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ الذي يراد منهم، وهذا شر ما في الإنسان، أن يكون شحيحًا بما أمر به، شحيحًا بماله أن ينفقه في وجهه، شحيحًا في بدنه أن يجاهد أعداء اللّه، أو يدعو إلى سبيل اللّه، شحيحًا بجاهه، شحيحًا بعلمه، ونصيحته ورأيه.

س- ما مصيرهم ؟

أُولَئِكَ الذين بتلك الحالة لَمْ يُؤْمِنُوا بسبب عدم إيمانهم، أحبط الله أعمالهم، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

وأما المؤمنون، فقد وقاهم اللّه، شح أنفسهم، ووفقهم لبذل ما أمروا به، من بذل لأبدانهم في القتال في سبيله، وإعلاء كلمته، وأموالهم، للنفقة في طرق الخير، وجاههم وعلمهم.

س- ماهو ظن المنافقين الذي دفعهم لذلك ؟

يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا أي: يظنون أن هؤلاء الأحزاب، الذين تحزبوا على حرب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وأصحابه، لم يذهبوا حتى يستأصلوهم، فخاب ظنهم، وبطل حسبانهم.

وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ مرة أخرى يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ أي: لو أتى الأحزاب مرة ثانية مثل هذه المرة.

س- ما هو الشيء الذي كان المنافقين يودونه ؟

ودَّ هؤلاء المنافقون، أنهم ليسوا في المدينة، ولا في القرب منها، وأنهم مع الأعراب في البادية، يستخبرون عن أخباركم، ويسألون عن أنبائكم، ماذا حصل عليكم؟

فتبًا لهم، وبعدًا، فليسوا ممن يبالى بحضورهم وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلا قَلِيلا فلا تبالوهم، ولا تأسوا عليهم.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ حيث حضر الهيجاء بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، بنفسه فيه؟ «

» فَتَأَسَّوْا به في هذا الأمر وغيره.

س- بماذا استدل الأصوليين من هذه الآيه ؟

واستدل الأصوليون في هذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول صلى اللّه عليه وسلم، وأن الأصل، أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به.

س- ما أنواع الأسوة ؟

فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة، في الرسول صلى اللّه عليه وسلم، فإن المتأسِّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة اللّه، وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسِّي [بهم] إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ.

س- من الذي يسلك الأسوة الحسنة؟

وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو الله، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم.

لما ذكر حالة المنافقين عند الخوف، ذكر حال المؤمنين فقال: وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ الذين تحزبوا، ونزلوا منازلهم، وانتهى الخوف، قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ في قوله: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ

وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فإنا رأينا، ما أخبرنا به وَمَا زَادَهُمْ ذلك الأمر إِلا إِيمَانًا في قلوبهم وَتَسْلِيمًا في جوارحهم، وانقيادًا لأمر الله.

لمسات بيانية:

آية (٤):

***وردت كلمة السبيل مرة وست مرات سبيلاً فى القرآن الكريم ما دلالة اختلاف الفاصلة؟(د.حسام النعيمى)**

يقول تعالى: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧)).

(انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩)).

(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧)).

(الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤)).

(إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢)).

(أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)).

(قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧)).

نلاحظ أن الآيات الأخرى :

١. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) النساء.
٢. وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) الفرقان.
٣. مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) الاحزاب.

آية سورة النساء كلمة السبيل في نهاية الآية تعني الاسلام وكل ما قبلها وبعدها جاءت مطلقة إلا هذه. وعندما نقول السبيل فهي تعني المستقر الثابت وكذلك السبيل في آية ١٧ في سورة الفرقان وآية ٤ في سورة الأحزاب . وذكرنا أنه وردت كلمة السبيل مرة بالاطلاق في سورة الأحزاب (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧)) (سبيلا) بالألف واللام والاطلاق بخلاف الآيات الثلاث وقلنا في وقتها أنهم في وضع اصطراخ فهم يصطرخون في النار فحتى كلامهم عن السبيل جاء فيه صريخ وامتداد صوت. هذه هي الأماكن فقط أما الأماكن الأخرى فجاءت كلمة السبيل بدون اطلاق ولن نجدها إلا عند الوقف مستقرة لأنه يراد بها الاسلام.

آية (٥):

* ما الفرق بين قوله تعالى (لا جُناح عليكم) وقوله تعالى (ليس عليكم جناح)؟ (د.فاضل السامرائى)

أولاً: لا جناح عليكم جملة إسمية، و (لا) هنا هي لا النافية للجنس على تضمن من الاستغراقية والمؤكّدة دخلت على المبتدأ والخبر، والنحاة يقولون أن (لا) في النفي هي بمثابة (إنّ) في الاثبات . ومن المسلمات الأولية في المعاني أن الجملة الإسمية أقوى وأثبت وأدلّ على الثبوت من الجملة الفعلية ، وعليه يكون (لا جناح عليكم) مؤكّدة كونها جملة إسمية وكونها منفية بـ (لا) هذا من الناحية النحوية. أما الجملة (ليس عليكم جناح جملة) فهي جملة فعلية ولا يمنع كون ليس ناسخاً لأن المهم أصل الجملة قبل دخول الناسخ عليها. هذا من حيث الحكم النحوي أن الجملة الإسمية أقوى وأثبت وأدلّ على الثبوت من الجملة الفعلية.

أما من حيث الاستعمال القرآني فإذا استعرضنا الآيات التي وردت فيها ليس عليكم جناح ولا جناح عليكم في القرآن نجد أن لا جناح عليكم تستعمل فيما يتعلق بالعبادات وتنظيم الأسرة وشؤونها والحقوق والواجبات الزوجية والأمور المهمة، أما ليس عليكم جناح تستعمل فيما دون ذلك من أمور المعيشة اليومية كالبيع والشراء والتجارة وغيرها مما هو دون العبادات في الأهمية.

آية (١٦):

*ما الفرق بين الموت والقتل في الآية (قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) الأحزاب)؟(د.فاضل السامرائى)

الموت نقيض الحياة لما نقول قتله يعني أماته بضرب أو حجر أو سُمّ يعني يفعل فيه فعل يضر به بأي آلة تؤدي إلى أن يموت. الموت أن يموت وحده وتخرج روحه هكذا أما القتل فبفعل فاعل. قال تعالى (يميتكم) هذا فعل الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء.

الوصايا العملية:

- احذري من أخذ ثقافة الغرب والإعجاب بها فهو يناقض الولاء والبراء .
- لا تتخذي صديقه غير مسلمة ولو بقصد إن تدعيها للإسلام .
- لا تليني الجانب لغير المسلمات ولا تطيعيهم .
- انتبهي عند المصيبة من قول افعل ينقص إيمانك .
- لا تخذلي الناس عن أمور الخير : محاضرة ، درس علمي ،حضور دار .
- لا تكونين شحيحة على نفسك في الخير : مال ،بدن ،قضاء حوائج الناس ،العلم ،النصح .
- أكثري من قول (اللهم قني شح نفسي) النفاق والريا والعجب والكبر إذا دخل على العمل أحبطه اقتدي. بالرسول صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأقواله إلا ما دل دليل على أنه يختص بالرسول صلى الله عليه وسلم .
- من سلك طريق الرسول صلى الله عليه وسلم سلك الطريق الموصل إلى الله تعالى .
- أحرصي على الصدق مع الله والآخرين وفي عملك من يصدق يصدق الله معه .

المقطع الثاني : من الآية (٢٣) إلى الآية (٤٣)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (٢٥ – ٢٧) نتيجة المعركة ونتيجة خيانة اليهود. فبعد أن ذكر الله تعالى المؤمنين بنعمه عليهم بأن أرسل على أعدائهم جنوداً لم يروها، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، بين أحوال المنافقين والصادقين وجزاءهم، بعد كل هذا أوضح هنا تمام النعمة بأنه صرف الأعداء على كثرتهم وقوتهم بطريقة معجزة بقدرته وعزته فصدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحدهم.
- الآيات (٢٨ – ٢٩) النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته رضوان الله عليهن أجمعين تخيير النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته أن يطلقهن أو يبقيهن معه. لما نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وفرق عنه الأحزاب، وفتح عليه قريظة، ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وطلبن منه أمراً لا يقدر عليه في كل وقت.
- الآيات (٣٠ – ٣٤) بيان فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم على سائر نساء العالمين ومستلزمات ذلك. نتيجة للعهد الذي عاهدن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اختيار الله تعالى واختيار الرسول صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل كرم نساء النبي فخاطبهم مباشرة، متوعداً من اقترفت ذنباً أو فاحشة بمضاعفة العذاب، ووعد المحسنات منهن أجراً عظيماً.
- الآية (٣٥) المساواة بين الرجال والنساء في التكليف والجزاء. بعد أن أمر الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونهاهن عن الأمور السابقة، وبين ما يكون لهن من ثواب، أبان الله تعالى ما أعد للمسلمين والمسلمات من المغفرة والثواب العظيم في الآخرة.
- الآيات (٣٦ – ٣٩) قصة زيد وزينب رضي الله عنهما. قال البقاعي (لما كان الله سبحانه قد قدم قوله (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) الآية، فعلم قطعاً أنه تسبب عنها ما تقديره (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) لأن يكون له ولي غير النبي، فطوى ذلك للعلم به، واستدل على مضمون الآية وما قبلها بقصة الأحزاب، وأتبعها نتيجة ذلك مما ذكر تأديب الأزواج له صلى الله عليه وسلم وتهذيبهن لأجله وتطهير أهل بيته وتكريمهم حتى ختم سبحانه بالصفات العشر التي بدأ بالإسلام الذي ليس معه شيء من الإباء، وختمها بأن ذكر الله يكون ملء القلب والفم وهو داع إلى مثل ذلك لأنه سبب الإسلام، عطف على مسبب آية الولاية ما يقتضيه كثرة الذكر من قوله (وما كان).
- الآيات (٤٠ – ٤٤) محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والرسل. لما بين سبحانه الفوائد الجليلة في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب، وأن ذلك الزواج كان خالياً من المفاسد وخصوصاً خلوه مما كان يعتقد خطأ أنه زواج بزوجة الابن، أكد الله تعالى ذلك بنفي أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أبا لأحد من الرجال وأولهم زيد، بل مقامه عليه الصلاة والسلام أعلى من ذلك.

التمهيد ٢ :

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا هدى وتقى ونور..

جاء الإسلام في تشريعاته المتعلقة بالمرأة بما يصونها ويحفظ عليها كرامتها في كل شأنها ،وليس التحقير لها والحجر عليها.

فإن الله تعالى خلق المرأة على صفة وطبيعة معينة وشرع لها من الأحكام مايناسب ذلك.

فأمرهن بالقرار في البيت ومنعها من الاختلاط بالرجال عند الخروج إذا احتاجت ، ومنع الدخول عليهن والإختلاء بهن، والقرار بمعنى الاستقرار والإقامة الدائمة من غير تحول أو انتقال ، ويتبع ذلك الاستقرار من الطمأنينة وعدم الاضطراب والقلق ، قال تعالى : " وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى " عبر بالقرار الذي فيه الراحة والطمأنينة والسكينة.

ونسب البيوت لهن للدلالة على الارتباط الوثيق بين المرأة والبيت ، ونهاها عن التبرج الذي غالبا مايكون الخروج من البيت سببا له أو مدعاة إليه .فكأن عدم القرار في البيت وسيلة من وسائل التبرج.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : " خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب ، فقال : يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين ، قالت : فانكفأت راجعة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وإنه ليتعشى وفي عرق ، فدخلت فقالت : يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت : فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال : إنه أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن " يدل على أن الخروج مقيد بالحاجة ، والقرار في البيت له فوائد عظيمة أولها وأعظمها وأجلها طاعة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، الجالبة لرضوان الله وتوفيقه وتسديده.

فوقت المرأة الذي تقضيه في البيت تقضيه في عبادة لربها تجري لها الحسنات ويكتب لها الأجر والثواب .

ومنها أيضا التفرغ لرعاية زوجها والقيام بواجباته ، والتفرغ لأولادها وتربيتهم والإحسان إليهم ، ومنها تفقد بيتها والإشراف عليه ، ومنها حفظ الوقت وهو العمر ومن حافظ عليه حافظ على عمره ومن ضيعه ضيع عمره ، فتوفر وقتها وتنتفع فيه بما هو مفيد من قراءة الكتب وحفظ القرآن وكل ماهو مفيد.

ومنها إعطاء الجسد راحة ، وفي القرار حفظ لدينها ويحفظها من شر الناس وأذاهم .

هذا ما سنتدارسه اليوم في نصابنا .

فوائد وأسئلة تدبرية:

س- ولما ذكر أن المنافقين، عاهدوا الله، لا يولون الأدبار، ونقضوا ذلك العهد، ذكر وفاء المؤمنين بهم بماذا وصفهم ؟

فقال: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ أي: وفوا به، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبَّلوا أنفسهم في طاعته.

س - ما المقصود بقضى نحبه ؟

فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحق، فقتل في سبيل الله، أو مات مؤديًا لحقه، لم ينقصه شيئًا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نحبه ولما يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك، مجد.

س- هل هم ثابتين على العهد ؟

وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا كما بدل غيرهم، بل لم يزالوا على العهد، لا يلوون، ولا يتغيرون، فهؤلاء، الرجال على الحقيقة، ومن عداهم فصورهم صور رجال، وأما الصفات فقد قصرت عن صفات الرجال.

س - كيف يكون الصدق ؟

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ أي: بسبب صدقهم، في أقوالهم، وأحوالهم، ومعاملتهم مع الله، واستواء ظاهرهم وباطنهم، قال الله تعالى: هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا الآية.

س - ما الحكمة من الفتن ؟

أي: قدرنا ما قدرنا، من هذه الفتن والمحن، والزلازل، ليتبين الصادق من الكاذب، فيجزي الصادقين بصدقهم وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ الذين تغيرت قلوبهم وأعمالهم، عند حلول الفتن، ولم يفوا بما عاهدوا الله عليه.

إِنْ شَاءَ تعذيبهم، بأن لم يشأ هدايتهم، بل علم أنهم لا خير فيهم، فلم يوفقهم.

س - كيف يتوب الله عليهم ؟

أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ بأن يوفقهم للتوبة والإنابة، وهذا هو الغالب، على كرم الكريم، ولهذا ختم الآية باسمين دالين على المغفرة، والفضل، والإحسان فقال: إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا

س – ما دلالة قوله إن الله غفور رحيم ؟

غفورًا لذنوب المسرفين على أنفسهم، ولو أكثروا من العصيان، إذا أتوا بالمتاب. (رَحِيمًا) بهم،

س- كيف تكون رحمته ؟

حيث وفقهم للتوبة، ثم قبلها منهم، وستر عليهم ما اجترحوه.

س – ما نهاية المعركة ؟
وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا أي: ردهم خائبين، لم يحصل لهم الأمر الذي كانوا حنقين عليه، مغتاظين قادرين [عليه] جازمين، بأن لهم الدائرة، قد غرتهم جموعهم، وأعجبوا بتحزبهم، وفرحوا بِعَدَدِهِمْ وعُدَدِهِمْ.
س - ماهي عقوبتهم ؟
فأرسل الله عليهم، ريحًا عظيمة، وهي ريح الصبا، فزعزعت مراكزهم، وقوّضت خيامهم، وكفأت قدورهم وأزعجتهم، وضربهم الله بالرعب، فانصرفوا بغيظهم، وهذا من نصر الله لعباده المؤمنين.

س - بماذا كفاهم ؟
وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بما صنع لهم من الأسباب العادية والقدرية، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا لا يغالبه أحد إلا غُلِبَ، ولا يستنصره أحد إلا غَلَبَ، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل القوة والعزة، قوتهم وعزتهم، إن لم يعنهم بقوته وعزته.

س - ما حال اليهود والذين عاونوهم ؟
وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ أي عاونوهم مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أي: اليهود مِنْ صَيَاصِيهِمْ أي: أنزلهم من حصونهم، نزولا مظفورًا بهم، مجعولين تحت حكم الإسلام.

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فلم يقووا على القتال، بل استسلموا وخضعوا وذلوا. فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وهم الرجال المقاتلون وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا مَنْ عداهم من النساء والصبيان.

س - ما هي الأمور التي ظفر بها المسلمون بعد هذه المعركة ؟
وَأَوْرَثَكُمْ أي: غنَّمكم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا أي: أرضا كانت من قبل، من شرفها وعزتها عند أهلها، لا تتمكنون من وطئها، فمكنكم الله وخذلهم، وغنمتم أموالهم، وقتلتموهم، وأسرتموهم.
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا لا يعجزه شيء، ومن قدرته، قدَّر لكم ما قدر.

س - من هم أهل الكتاب ؟
وكانت هذه الطائفة من أهل الكتاب، هم بنو قريظة من اليهود، في قرية خارج المدينة، غير بعيدة.

س – كيف كانت حالهم قبل الخندق ؟
وكان النبي صلى الله عليه وسلم، [حين] هاجر إلى المدينة، وادعهم، وهادنهم، فلم يقاتلهم ولم يقاتلوه، وهم باقون على دينهم، لم يغير عليهم شيئًا.

فلما رأوا يوم الخندق، الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله وكثرتهم، وقلة المسلمين، وظنوا أنهم سيستأصلون الرسول والمؤمنين، وساعد على ذلك، [تدجيل] بعض رؤسائهم عليهم، فنقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومالؤوا المشركين على قتاله.

س ـ ما الذي حكم فيهم ؟

فلما خذل الله المشركين، تفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقتالهم، فحاصرهم في حصنهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فحكم فيهم، أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتغنم أموالهم.

فأتم الله لرسوله والمؤمنين، المنة، وأسبغ عليهم النعمة، وأَقَرَّ أعينهم، بخذلان من انخذل من أعدائهم، وقتل من قتلوا، وأسر من أسروا، ولم يزل لطف الله بعباده المؤمنين مستمرًا.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) .

س ـ ما سبب نزولها ؟

لما اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغيرة، وطلبن منه النفقة والكسوة، طلبن منه أمرًا لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفقات، في مرادهن متعنتات، شَقَّ ذلك على الرسول، حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهرًا

س ـ ما الحكمة من تخيير زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ؟ .

فأراد الله أن يسهل الأمر على رسوله، وأن يرفع درجة زوجاته، ويُذْهِبَ عنهن كل أمر ينقص أجرهن، فأمر رسوله أن يخيرهن فقال: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أي: ليس لكن في غيرها مطلب، وصرتن ترضين لوجودها، وتغضبن لفقدها، فليس لي فيكن أرب وحاجة، وأنتن بهذه الحال.

(فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ) شيئا مما عندي، من الدنيا (وَأُسَرِّحْكُنَّ) أي: أفارقكن (سَرَاحًا جَمِيلا) من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة صدر، وانشراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي.

(وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ) أي: هذه الأشياء مرادكن، وغاية مقصودكن، وإذا حصل لَكُنَّ الله ورسوله والجنة، لم تبالين بسعة الدنيا وضيقها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله بما تيسر، ولم تطلبن منه ما يشق عليه، (فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا)

س ـ لماذا رتب الأجر على وصفهن بالإحسان؟

لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات للرسول فإن مجرد ذلك، لا يكفي، بل لا يفيد شيئًا، مع عدم الإحسان، فخيَّرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فاخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، كلهن، ولم يتخلف منهن واحدة، رضي الله عنهن.

س ـ ما فوائد التخيير ؟

في هذا التخيير فوائد عديدة:

منها: الاعتناء برسوله، وغيرته عليه، أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.

ومنها: سلامته صلى الله عليه وسلم، بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، وأنه يبقى في حرية نفسه، إن شاء أعطى، وإن شاء منع مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ
ومنها: تنزيهه عما لو كان فيهن، من تؤثر الدنيا على الله ورسوله، والدار الآخرة، وعن مقارنتها.
ومنها: سلامة زوجاته، رضي الله عنهن، عن الإثم، والتعرض لسخط الله ورسوله.
فحسم الله بهذا التخيير عنهن، التسخط على الرسول، الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه.
ومنها: إظهار رفعتهن، وعلو درجتهن، وبيان علو هممهن، أن كان الله ورسوله والدار الآخرة، مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها.
ومنها: استعدادهن بهذا الاختيار، للأمر الخيار للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يَكُنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة.
ومنها: ظهور المناسبة بينه وبينهن، فإنه أكمل الخلق، وأراد الله أن تكون نساؤه كاملات مكملات، طيبات مطيبات وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ
ومنها: أن هذا التخيير داع، وموجب للقناعة، التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويزول عنهن جشع الحرص، وعدم الرضا الموجب لقلق القلب واضطرابه، وهمه وغمه.
ومنها: أن يكون اختيارهن هذا، سببًا لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يَكُنَّ بمرتبة، ليس فيها أحد من النساء، ولهذا قال:
يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) .
لما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ذكر مضاعفة أجرهن، ومضاعفة وزرهن وإثمهن، لو جرى منهن، ليزداد حذرهن، وشكرهن الله تعالى، فجعل من أتى منهن بفاحشة ظاهرة، لها العذاب ضعفين.

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) .
(وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ) أي: تطيع (لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا) قليلا أو كثيرًا، (نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) أي: مثل ما نعطي غيرها مرتين.

س ـ قال تعالى : (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا)ما المقصود به ؟
وهي الجنة، فقنتن لله ورسوله وعملن صالحًا، فعلم بذلك أجرهن.
يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) .
يقول تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ) خطاب لهن كلهن (لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ) الله، فإنكن بذلك، تفقن النساء، ولا يلحقكن أحد من النساء، فكملن التقوى بجميع وسائلها ومقاصدها.
فلهذا أرشدهن إلى قطع وسائل المحرم، فقال: (فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ)

س – كيف يكون الخضوع في القول ؟

أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون فَتَلِنَّ في ذلك، وتتكلمن بكلام رقيق يدعو ويطمع (الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) أي: مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح [فإن القلب الصحيح] ليس فيه شهوة لما حرم الله، فإن ذلك لا تكاد تُمِيلُه ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه، وسلامته من المرض.

س ـ ما حال مريض القلب ؟

مريض القلب، الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، يدعوه إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه،

س ـ على ماذا يدل ذلك ؟

فهذا دليل على أن الوسائل، لها أحكام المقاصد. فإن الخضوع بالقول، واللين فيه، في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم، منع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال، أن لا تلِينَ لهم القول.

س ـ بم أمر الله نساء النبي صلى الله عليه وسلم ؟

ولما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: (وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا) أي: غير غليظ، ولا جاف كما أنه ليس بِلَيِّنٍ خاضع.

س ـ ما دلالة قوله (فلا تخضعن بالقول) ؟

وتأمل كيف قال: (فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) ولم يقل: (فلا تَلِنَّ بالقول) وذلك لأن المنهي عنه، القول اللين، الذي فيه خضوع المرأة للرجل، وانكسارها عنده، والخاضع، هو الذي يطمع فيه، بخلاف من تكلم كلامًا لينًا، ليس فيه خضوع، بل ربما صار فيه ترفع وقهر للخصم، فإن هذا، لا يطمع فيه خصمه، ولهذا مدح الله رسوله باللين، فقال: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وقال لموسى وهارون: اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى.

س ـ ما دلالة قوله : (فيطمع الذي في قلبه مرض) ؟

ودل قوله: (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) مع أمره بحفظ الفرج وثنائه على الحافظين لفروجهم، والحافظات، ونهيه عن قربان الزنا، أنه ينبغي للعبد، إذا رأى من نفسه هذه الحالة، وأنه يهش لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه، ويجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام، فَلْيَعْرِفْ أن ذلك مرض.
فَلْيَجْتَهِدْ في إضعاف هذا المرض وحسم الخواطر الردية، ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، وسؤال الله العصمة والتوفيق، وأن ذلك من حفظ الفرج المأمور به.

س ـ بماذا أمرهن الله ؟ وماذا شرط عليهن ؟

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) أي: اقررن فيها، لأنه أسلم وأحفظ لَكُنَّ، (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى) أي: لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين، فكل هذا دفع للشر وأسبابه.

س ـ لماذا أمرهن بالصلاة والزكاة ؟
ولما أمرهن بالتقوى عمومًا، وبجزئيات من التقوى، نص عليها [لحاجة] النساء إليها، كذلك أمرهن بالطاعة، خصوصًا الصلاة والزكاة، اللتان يحتاجهما، ويضطر إليهما كل أحد، وهما أكبر العبادات، وأجل الطاعات، وفي الصلاة، الإخلاص للمعبود، وفي الزكاة، الإحسان إلى العبيد.
ثم أمرهن بالطاعة عمومًا، فقال: ماذا يدخل في قوله (وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) ؟
يدخل في طاعة الله ورسوله، كل أمر، أمرًا به أمر إيجاب أو استحباب.

س ـ ما الحكمة من ذلك ؟
(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ) بأمركن بما أَمَرَكُنَّ به، ونهيكن بما نهاكُنَّ عنه، (لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) أي: الأذى، والشر، والخبث، يا (أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) حتى تكونوا طاهرين مطهرين.
أي: فاحمدوا ربكم، واشكروه على هذه الأوامر والنواهي، التي أخبركم بمصلحتها، وأنها محض مصلحتكم، لم يرد الله أن يجعل عليكم بذلك حرجًا ولا مشقة، بل لتتزكى نفوسكم، ولتتطهر أخلاقكم، وتحسن أعمالكم، ويعظم بذلك أجركم.

س ـ أمرهم بالعلم ما هو طريقه ؟
ولما أمرهن بالعمل، الذي هو فعل وترك، أمرهن بالعلم، وبين لهن طريقه، فقال: (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ) والمراد بآيات الله، القرآن. والحكمة، أسراره. وسنة رسوله. وأمرهن بذكره، يشمل ذكر لفظه، بتلاوته، وذكر معناه، بتدبره والتفكر فيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وذكر العمل به وتأويله.
س ـ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) ما هي المعاني التي يشتملها هذا الاسم ؟
يدرك أسرار الأمور، وخفايا الصدور، وخبايا السماوات والأرض، والأعمال التي تبين وتسر.
فلطفه وخبرته، يقتضي حثهن على الإخلاص وإسرار الأعمال، ومجازاة الله على تلك الأعمال.
ومن معاني (اللطيف) الذي يسوق عبده إلى الخير، ويعصمه من الشر، بطرق خفية لا يشعر بها، ويسوق إليه من الرزق، ما لا يدريه، ويريه من الأسباب، التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقا [له] إلى أعلى الدرجات، وأرفع المنازل.
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) .
لما ذكر تعالى ثواب زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، وعقابهن [لو قدر عدم الامتثال] وأنه ليس مثلهن أحد من النساء، ذكر بقية النساء غيرهن.
ولما كان حكمهن والرجال واحدًا، جعل الحكم مشتركًا، فقال: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) وهذا في الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائمين بها. (وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) وهذا في الأمور الباطنة، من عقائد القلب وأعماله.
(وَالْقَانِتِينَ) أي: المطيعين لله ولرسوله (وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ) في مقالهم وفعالهم (وَالصَّادِقَاتِ) (وَالصَّابِرِينَ) على الشدائد والمصائب (وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ) في جميع أحوالهم،خصوصًا في عباداتهم، خصوصًا في صلواتهم، (وَالْخَاشِعَاتِ) (وَالْمُتَصَدِّقِينَ) فرضًا ونفلا (وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ

وَالصَّائِمَاتِ) شمل ذلك، الفرض والنفل. (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ) عن الزنا ومقدماته، (وَالْحَافِظَاتِ) (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ [كَثِيرًا)

س ـ ما هي أوقات الذكر المخصصة ؟

أي:] في أكثر الأوقات، خصوصًا أوقات الأوراد المقيدة، كالصباح والمساء، وأدبار الصلوات المكتوبات (وَالذَّاكِرَاتِ).

س ـ ما جزاؤهن ؟

(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ) أي: لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة، التي هي، ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد وقاصر، وما بين أفعال الخير، وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه، بالإسلام والإيمان والإحسان.
فجازاهم على عملهم « بِالْمَغْفِرَةِ » لذنوبهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات.

س ـ (وَأَجْرًا عَظِيمًا) هل له قدر ؟

لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا (٣٦) .
أي: لا ينبغي ولا يليق، ممن اتصف بالإيمان، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما،

س ـ ما حال المؤمن من أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟

فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة (إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا) من الأمور، وحتَّما به وألزما به (أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) أي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة، أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا بينه وبين أمر الله ورسوله.
(وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا) أي: بَيِّنًا، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة الله، إلى غيرها، من الطرق الموصلة للعذاب الأليم، فذكر أولا السبب الموجب لعدم معارضته أمر الله ورسوله، وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك، وهو التخويف بالضلال، الدال على العقوبة والنكال.
وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا (٣٧) .

س ـ ماسبب نزول الايات ؟

وكان سبب نزول هذه الآيات، أن الله تعالى أراد أن يشرع شرعًا عامًا للمؤمنين، أن الأدعياء ليسوا في حكم الأبناء حقيقة، من جميع الوجوه وأن أزواجهم، لا جناح على من تبناهم، في نكاحهن.

وكان هذا من الأمور المعتادة، التي لا تكاد تزول إلا بحادث كبير، فأراد أن يكون هذا الشرع قولا من رسوله وفعلا ، وإذا أراد الله أمرًا، جعل له سببًا، وكان زيد بن حارثة يدعى « زيد بن محمد » قد تبناه النبي صلى الله عليه وسلم، فصار يدعى إليه حتى نزل ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ فقيل له: « زيد بن حارثة » .

وكانت تحته، زينب بنت جحش، ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قد وقع في قلب الرسول، لو طلقها زيد، لتزوَّجها، فقدر الله أن يكون بينها وبين زيد، ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في فراقها.

س ـ ماذا أنعم الله عليه ؟ وأنعم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

قال الله: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) أي: بالإسلام (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالعتق حين جاءك مشاورًا في فراقها: فقلت له ناصحًا له ومخبرًا بمصلحته مع وقوعها في قلبك: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) أي: لا تفارقها، واصبر على ما جاءك منها، (وَاتَّقِ اللَّهَ) تعالى في أمورك عامة، وفي أمر زوجك خاصة، فإن التقوى، تحث على الصبر، وتأمر به.

س ـ ماذا يخفي في نفسه ؟

(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) والذي أخفاه، أنه لو طلقها زيد، لتزوجها صلى الله عليه وسلم.

(وَتَخْشَى النَّاسَ) في عدم إبداء ما في نفسك (وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) وأن لا تباليهم شيئًا.

س ـ ما الحكمة من تزويج الرسول صلى الله عليه وسلم لطليقة زيد بن الحارث ؟

(فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا) أي: طابت نفسه، ورغب عنها، وفارقها. (زَوَّجْنَاكَهَا) وإنما فعلنا ذلك، لفائدة عظيمة، وهي: (لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ) حيث رأوك تزوجت، زوج زيد بن حارثة، الذي كان من قبل، ينتسب إليك.

ولما كان قوله: (لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ) عامًا في جميع الأحوال، وكان من الأحوال، ما لا يجوز ذلك، وهي قبل انقضاء وطره منها.

س ـ بماذا قيد ذلك ؟

قيد ذلك بقوله: (إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا) أي: لا بد من فعله، ولا عائق له ولا مانع.

س ـ ماهي الفوائد من قصة زيد بن الحارث ؟

وفي هذه الآيات المشتملات على هذه القصة، فوائد، منها: الثناء على زيد بن حارثة، وذلك من وجهين:

أحدهما: أن الله سماه في القرآن، ولم يسم من الصحابة باسمه غيره.

والثاني: أن الله أخبر أنه أنعم عليه، أي: بنعمة الإسلام والإيمان. وهذه شهادة من الله له أنه مسلم مؤمن، ظاهرًا وباطنًا، وإلا فلا وجه لتخصيصه بالنعمة، لولا أن المراد بها، النعمة الخاصة.

ومنها: أن المُعْتَق في نعمة الْمُعْتِق.

ومنها: جواز تزوج زوجة الدَّعِيّ، كما صرح به.
ومنها: أن التعليم الفعلي، أبلغ من القولي، خصوصا، إذا اقترن بالقول، فإن ذلك، نور على نور.
ومنها: أن المحبة التي في قلب العبد، لغير زوجته ومملوكته، ومحارمه، إذا لم يقترن بها محذور، لا يأثم عليها العبد، ولو اقترن بذلك أمنيته، أن لو طلقها زوجها، لتزوجها من غير أن يسعى في فرقة بينهما، أو يتسبب بأي سبب كان، لأن الله أخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم، أخفى ذلك في نفسه.
ومنها: أن الرسول صلى الله عليه وسلم، قد بلغ البلاغ المبين، فلم يدع شيئًا مما أوحي إليه، إلا وبلغه، حتى هذا الأمر، الذي فيه عتابه.
وهذا يدل، على أنه رسول الله، ولا يقول إلا ما أوحي إليه، ولا يريد تعظيم نفسه.
ومنها: أن المستشار مؤتمن، يجب عليه - إذا استشير في أمر من الأمور- أن يشير بما يعلمه أصلح للمستشير ولو كان له حظ نفس، فتقدم مصلحة المستشير على هوى نفسه وغرضه.
ومنها: أن من الرأي الحسن لمن استشار في فراق زوجته أن يؤمر بإمساكها مهما أمكن صلاح الحال، فهو أحسن من الفرقة.
ومنها: [أنه يتعين] أن يقدم العبد خشية الله، على خشية الناس، وأنها أحق منها وأولى.
ومنها: فضيلة زينب رضي الله عنها أم المؤمنين، حيث تولى الله تزويجها، من رسوله صلى الله عليه وسلم، من دون خطبة ولا شهود، ولهذا كانت تفتخر بذلك على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.
ومنها: أن المرأة، إذا كانت ذات زوج، لا يجوز نكاحها، ولا السعي فيه وفي أسبابه، حتى يقضي زوجها وطره منها، ولا يقضي وطره، حتى تنقضي عدتها، لأنها قبل انقضاء عدتها، هي في عصمته، أو في حقه الذي له وطر إليها، ولو من بعض الوجوه.

س ـ كيف دافع الله عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟
مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) .
هذا دفع لطعن من طعن في الرسول صلى الله عليه وسلم، في كثرة أزواجه، وأنه طعن، بما لا مطعن فيه، فقال: (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ) أي: إثم وذنب. (فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ) أي: قدر له من الزوجات، فإن هذا، قد أباحه الله للأنبياء قبله، ولهذا قال: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) أي: لا بد من وقوعه.

س-هل هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ؟
ثم ذكر من هم الذين من قبل قد خلوا، وهذه سنتهم وعادتهم، وأنهم (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ) فيتلون على العباد آيات الله، وحججه وبراهينه، ويدعونهم إلى الله (وَيَخْشَوْنَهُ) وحده لا شريك له (وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا) إلا الله.
فإذا كان هذا، سنة في الأنبياء المعصومين، الذين وظيفتهم قد أدوها وقاموا بها، أتم القيام، وهو: دعوة الخلق إلى الله، والخشية منه وحده التي تقتضي فعل كل مأمور، وترك كل محظور، دل ذلك على أنه لا نقص فيه بوجه.

(وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) محاسبًا عباده، مراقبًا أعمالهم. وعلم من هذا، أن النكاح، من سنن المرسلين.
مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠) .
أي: لم يكن الرسول (مُحَمَّدٌ) صلى الله عليه وسلم (أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) أيها الأمة فقطع انتساب زيد بن حارثة منه، من هذا الباب.
ولما كان هذا النفي عامًّا في جميع الأحوال، إن حمل ظاهر اللفظ على ظاهره، أي: لا أبوة نسب، ولا أبوة ادعاء، وقد كان تقرر فيما تقدم أن الرسول صلى الله عليه وسلم، أب للمؤمنين كلهم، وأزواجه أمهاتهم، فاحترز أن يدخل في هذا النوع، بعموم النهي المذكور، فقال: (وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) أي: هذه مرتبته مرتبة المطاع المتبوع، المهتدى به، المؤمن له الذي يجب تقديم محبته، على محبة كل أحد، الناصح الذي لهم، أي: للمؤمنين، من بره [ونصحه] كأنه أب لهم.
(وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) أي: قد أحاط علمه بجميع الأشياء، ويعلم حيث يجعل رسالاته، ومن يصلح لفضله، ومن لا يصلح.
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤٠) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) .

س ـ بماذا أمر الله المؤمنين ؟
يأمر تعالى المؤمنين، بذكره ذكرا كثيرًا، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله، وأقل ذلك، أن يلازم الإنسان، أوراد الصباح، والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب.
وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات، على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح.
(وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا) أي: أول النهار وآخره، لفضلها، وشرفها، وسهولة العمل فيها.
(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)

س- كيف تكون رحمة الله؟
أي: من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم، أن جعل من صلاته عليهم، وثنائه، وصلاة ملائكته ودعائهم، ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل، إلى نور الإيمان، والتوفيق، والعلم، والعمل، فهذه أعظم نعمة، أنعم بها على العباد الطائعين، تستدعي منهم شكرها، والإكثار من ذكر الله، الذي لطف بهم ورحمهم، وجعل حملة عرشه، أفضل الملائكة، ومن حوله، يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا فيقولون: رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
فهذه رحمته ونعمته عليهم في الدنيا.

لمسات بيانية:

آية (٢٦):

*** ما دلالة تقديم وتأخير كلمة فريقاً في قوله تعالى (فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) في سورة الأحزاب؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة الأحزاب (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦)) حالة القتل التي وردت في هذه الآية هي أغرب حالات القتل وأندرهاز والإنسان يدافع عادة عن نفسه، عن ماله، عن عرضه، عن ماله، عن داره، عن أهله، عن أرضه فإذا اجتمعت كلها يدافع عن كل شيء. فكيف إذا جاء أحدهم وقال لك أعطني سيفك لأقتلك وآخذ مالك وأرضك وأموالك وكل ما تملك ؟ هذه تعتبر من أغرب حالات القتل وأندرها. فما بالك إذا كان هذا الشخص في حصن فاقيل له انزل حتى أقتلك ؟ هذه حالة أعجب! والحالة في الآية المذكورة تقول أنه أنزلهم من الحصن وألقوا أسلحتهم وأخذ أراضيهم وديارهم وأموالهم وأولادهم فهل هناك أعجب وأغرب من هذه الحالة؟ كانوا ٦٠٠ رجل في الحصن ألقوا اسلحتهم من غير قتال وكانوا في حالة رعب عجيبة فسلّموا كل ما عندهم سيوفهم ونزلوا من حصونهم وأخذ أرضهم وديارهم وأموالهم وأسر نساءهم وذريتهم فقدّم فريقاً في حالة القتل لأنها حالة عجيبة من الرعب والذعر (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) وصياصيهم بمعنى حصونهم. أما مع الأسر فلا داعي هنا لتقديم فريقاً على تأسرون لأنه ليس هناك مقاتلة وإنما أسروا النساء والأطفال فهذا الفريق الثاني ليس بينهم مقاتل أصلاً وهذه الحالة لا تستدعي التقديم. أما الأولى فهي أعجب وأندر وأغرب حالات القتل.

*** ما دلالة استخدام صيغة المضارع في فعل (تقتلون وتأسرون) بينما استخدمت باقي الأفعال في الآية بصيغة الماضي (أنزل، قذف)؟ (د.فاضل السامرائى)**

هذا يُسمّى حكاية الحال بمعنى إذا كان الحدث ماضياً وكان مهماً فإن العرب تأتي بصيغة المضارع حتى تجعل الحدث وكأنه شاخص ومُشاهد أمامك. والمضارع يدل على الحال والاستقبال والإنسان يتفاعل عادة مع الحدث الذي يشاهده أكثر من الحدث الذي لم يره أو الذي وقع منذ زمن بعيد فالعرب تحول صيغة الأحداث إلى صيغة مضارع وإن كانت ماضية،

آية (٢٨):

***ما الفرق بين يا أيها النبي ويا أيها الرسول؟(د.فاضل السامرائى)**

الرسول من الرسالة التبليغ حتى لو لم يكن نبياً (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) مريم) الرسول معه رسالة تبيلغ والنبي أعم قد يكون رسولاً وقد يكون لنفسه ليس مكلفاً بتبليغ دعوة إلى الآخرين. كلمة النبي أعم وكل رسول نبي وليس كل نبي رسول. قد يكون ليس مكلفاً بالتبليغ مثل يعقوب عليه السلام غير مكلف بالتبليغ هو نبي وإسحق نبي، المكلف بالرسالة والتبليغ هو رسول وغير المكلف هو نبي والنبي قد

يكون رسولاً وقد يكون غير رسول. لما في القرآن يقول يا أيها الرسول ينظر فيها إلى جانب التبليغ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ (٦٧) المائدة) فالنبي أعم وقد يكون رسولاً فقد يستعمل في جانب الرسالة والدعوة والتبليغ وقد يستعمل في جانب آخر في الجانب الشخصي في غير التبليغ مثال: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ (٦٧) المائدة) (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ (٤١) المائدة) النبي عامة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ (٦٥) الأنفال) (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى (٧٠) الأنبياء) (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ (٧٣) التوبة) (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ (٢٨) الأحزاب) (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ (١) التحريم) هذا شيء شخصي بينه وبين أزواجه. إذن النبي عامة. القرآن يستخدم يا أيها الرسول إذا كان يتكلم في أمر الرسالة والتبليغ والنبي عامة.

***في الأحزاب قال (وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)) وفي القصص (أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا (٥٤)) وفى سورة الحديد قال كفلين لماذا الاختلاف وما الفرق بين الكفل والأجر؟ (د.فاضل السامرائى)**

الكفل هو النصيب وأحياناً بمعنى المِثل. الأجر في اللغة هو الجزاء على العمل ، أصل الأجر الجزاء على العمل تقول أعطه أجراً، استأجره أي يعمل عملاً مقابل مال. الكِفل ليس له علاقة بالعمل وإنما نصيب. الكفل هو المِثل وقد يكون في الخير أو في الشر.

<u>**آية (٣٣):**</u>

***ما المقصود بكلمة أهل في قوله تعالى (إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجز أهل البيت)؟ (د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة الأحزاب (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ <u>أَهْلَ</u> الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً {٣٣}) يستعمل القرآن الكريم كلمة أهل للأزواج وهذه الآية ليست الوحيدة في القرآن التي وردت فيها كلمة أهل. فقد جاء في قوله تعالى (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) في قصة ابراهيم عليه السلام، وفي قصة امرأة العزيز (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) وفي قصة موسى عليه السلام (وسار بأهله). إذن أهل هي الأزواج كما وصفها القرآن وفي اللغة أيضاً.

***تسليط الضوء على لفظ الأولى في الآية (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٣٣) الأحزاب) وهل هناك ما يسمى بجاهلية أخرى غير هذه الأولى؟ وكيف كانت تتبرج النساء في الجاهلية الأولى؟(د.فاضل السامرائى)**

المفسرون ذكروا أيضاً عدة جاهليات هي ليست واحدة والمقصود بالجاهلية الأولى هناك أكثر من رأي قسم قالوا في زمن ما بين نوح وادريس وقالوا كان لهم عيد كان الرجال يتبرجون للنساء والنساء تتبرج للرجال وهذا كان يوم عيد فظهرت فيهم الفاحشة وقسم قالوا في زمن سليمان وداوود كان النساء كانت تلبس قميصاً لا جوانب فيه غير مخيط الجانبين فيظهر ما يظهر وهذه قديمة من زمن داوود سليمان وقسم قال الجاهلية الأولى هي جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى هي جاهلية الفسوق في الإسلام يعني ما يحدث الآن هو

جاهلية جديدة – هذا رأي الزمخشري - مستحدثة وما نشاهده الآن ليس إسلاماً لكن هذه جاهلية مستحدثة حصلت في العصر الحديث وفي عصر الإسلام وفي مختلف العصور لو حصلت فهي جاهلية. الفسوق والفجور في الإسلام هي جاهلية مستحدثة والجاهلية الأولى قبل الإسلام. الخطاب في الآية لنساء النبي، والتبرج للنساء. إذن الجاهلية الأولى قبل الإسلام وكل ما يحدث في الإسلام من أمور مخالفة هي جاهلية جديدة.

*** ما الحكمة من ذكر المسلمات والمؤمنات في الآية (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ (٣٥) الأحزاب) رغم أن المسلمين والمسلمين تشمل الجميع ؟(د.فاضل السامرائى)**

في أسباب نزول هذه الآية يُذكر أن أم سلمة رضي الله عنها قالت للرسول عليه الصلاة والسلام ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت فلم يرعني منه عليه الصلاة والسلام ذات يوم إلا نداؤه على المنبر بهذه الآية. هذا أمر كما في السائلين: في السؤال (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ (٢١٩) البقرة) (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ (٢١٥) البقرة) ورب العالمين سبحانه وتعالى يجيب وهذا السؤال أيضاً سألته أم سلمة فأجابها الله تعالى بقوله تعالى (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ). هذا أمر والأمر الآخر لو لاحظنا السياق ذكر قبل ذلك نساء النبي صلى الله عليه وسلم (وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ (٣١) الأحزاب) وذكر بعدها (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) بعض النساء قد يقول هذه خاصة بنساء النبي ونحن ماذا لنا إذا عملنا؟ ففي السياق بعدما ذكر نساء النبي ذكر المسلمين والمسلمات حتى لا يُظن أن هذا خاص بنساء النبي صلى الله عليه وسلم حتى بعد ذلك يستمر (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ (٣٦) البقرة) (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ (٣٧)) السياق في ذكر الإناث والنساء نساء النبي ونساء المؤمنين.

<u>آية (٣٧):</u>

***يذكر عقد الزواج بالنكاح في القرآن فما الفرق بين النكاح والزواج؟(د.فاضل السامرائى)**

موجود زوجناكها في القرآن الكريم .الزواج هو زوّجه أي قرنه به، قلنا زوج الرجل هو قرينه أما النكاح فأصله العقد عقد الزواج ثم استعير للجماع بدليل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ (٤٩) الأحزاب) العقد قبل الدخول هذا الأصل لكنه استعير للدخول لعملية الجماع نفسها. العقد في الزواج هو النكاح نقول عقد النكاح، من حيث اللغة جائز أن يقال تزوجت (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا (٣٧) الأحزاب) يعني أصبحت زوجة له. كلمة الزواج تدل على الاقتران والنكاح العقد

***(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) الأحزاب) ما اللمسة البيانية في هذه الآية مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم من ضمن من قال تعالى فيهم (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ**

وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) الأحزاب)؟ وما المقصود بالخشية؟ (د.فاضل السامرائى)

تخشى الناس أي تستحي من اعتراضهم وليس الخوف فقد كان في المجتمع الجاهلي أمر كبير أن يتزوج الرجل ممن كانت زوجة إبنه بالتبني. زيد كان ابن الرسول صلى الله عليه وسلم بالتبني ثم أنزل تعالى (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ (٤٠) الأحزاب) وقال (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ (٥) الأحزاب) فكيف يتزوج المرء زوجة ابنه؟! هذا عندهم في المجتمع الجاهلي كبيرة، إمرأة المتبنى لا يمكن أن تتزوجها. إلغاء التبني وإلغاء ما يتبعه يجب أن يصير حكماً شرعياً.

الأمر من زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بعدما يطلقها زيد دلالة على القضاء التام على التبين وعلى ما يتبعه من أمور وهذا أمر هو يقوم به فلذلك قال (وَتَخْشَى النَّاسَ) يستحي لأنه كيف يفعل هذا الفعل والناس أطبقوا على أن هذا أمر مستنكر في عقولهم (والله أحق أن تخشاه) هذا أمر وحكم شرعي ينبغي أن يقوم به هو.

الوصايا العملية:

- اصدقي مع الله والآخرين وعملك وأحوالك حتى يستوي ظاهرك بباطنك ، فمن صدق مع الله صدق الله معه.
- الصدق يبرئ من النفاق.
- قدر الله الفتن والمحن ليختبر من الصادق ومن المنافق.
- أكثري من دعاء (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك).
- من رحمة الله بعاده أن يوفقهم للتوبة ثم يتوب عليهم ويستر ما اجترحوا من الذنوب .
- استنتج العلماء :الوسيلة حكمها حكم المقصد..
- الكلام اللين مباح فإذا كان وسيلة للمحرم فهو محرم .
- من لطف الله بعباده ييسر لهم الخير ويبعدهم عن الشر.
- اسم الله (اللطيف) من معاني هذا الاسم إن الله يعرف دقائق الأمور والأسرار فبمعرفة هذا الاسم يدعو المسلم للإخلاص .
- لا يجتمع الذكر والنفاق.
- قال القرطبي –أساس الإسلام الإيمان وهو دعامة .
- الإسلام شامل وعام والإيمان التصديق بالقلب والعمل بالجوارح بعد ذلك يصدقه بالعمل الصالح إكثارك من ذكر الله دليل على محبتك لله أسرعي على امتثال لأوامر الله وهو دليل على صحة الإيمان .
- اصدقي في النصيحة حتى لو كان لك حظ كلما زاد إيمانك زاد استسلامك لله وكلما نقص إيمانك نقص استسلامك لله .

المقطع الثالث : من الآية (٤٤) إلى الآية (٧٣)

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (٤٥ – ٤٨) بعض أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته. قال الرازي (قد ذكرنا أن السورة فيها تأديب للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه فقوله في ابتدائها (يا أيها النبي اتق الله) إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه مع ربه، وقوله (يا أيها النبي قل لأزواجك) إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه مع أهله وقوله (يا أيها النبي إنا أرسلناك) إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه مع عامة الخلق.
- الآيات (٤٩ – ٥٢) خصائص النبي صلى الله عليه وسلم في أحكام الزواج. لما ذكر الله سبحانه قصة زيد وطلاقه لزينب وكان قد دخل بها وخطبها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها، خاطب المؤمنين مبيناً لهم حكم الزوجة إذا طلقها زوجها قبل الدخول.
- الآيات (٥٣ – ٥٥) آداب دخول بيت النبي والأمر بالحجاب. يتتابع الكلام عن خصائص الرسول فبعد أن انتهى الكلام عن خصائصه المتعلقة بالزيجات بدأ الكلام عن خصوصية دخول بيته المبارك، ومخاطبة نسائه من وراء حجاب، وكما أكدت الآيات السابقة على مراقبة الله؛ عادت هذه الآيات لتؤكد على هذه المراقبة الذاتية. ويلاحظ في هذا المقطع والذي سبقه التركيز على القلوب واطلاع الله تعالى عليها كي يطهرها المرء من الأدناس الحسنة والمعنوية. لذلك أمر الله تعالى المؤمنين بمخاطبة النساء من وراء حجاب.
- الآيات (٥٦ – ٥٨) بيان مكانة النبي عند الله وفي الملأ الأعلى وعند الخلق إنساً وجناً وحرمة إيذائه وإيذاء المؤمنين.شرف الله تعالى في هذه الآية رسوله عليه السلام وذكر منزلته منه وطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سور في أمر أزواجه ونحو ذلك.
- الآية (٥٩) حجاب المرأة المسلمة؟ لما نهى سبحانه عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات، ناسب أن يتبع ذلك أمر المؤمنات باجتناب أسباب الأذى ومواطن النعم بفرض الحجاب عليهم عند الخروج كي لا يتعرض لهن الفساق من الناس.
- الآيات (٦٠ – ٦٨) جزاء المنافقين والكفار. لما كان المؤذون بما مضى وغيره أهل النفاق ومن داناهم، حذرهم الله تعالى من استمرار الأذى كي لا يظنوا أن حلم الله عنهم سيستمر، وتشير هذه الآية إلى أن إيذاء الرسول بالقول أو الفعل والتعرض بالسوء لنسائه وآل بيته، وعدم امتثال أمر الله مطلقاً وخاصة في ستر عورات النساء، كل هذا من لوازم النفاق العملي الذي يأباه الله ويتنافى مع حقيقة الإسلام.
- الآيات (٦٩ – ٧١) توجيهات وعظات للمؤمنين. لما ذكر الله تعالى المنافقين والكفار الذي آذوا الرسول والمؤمنين بأنواع عديدة من الأذى وتوعدهم بأصناف من العذاب، حذر المؤمنين من التعرض للإيذاء، ونهاهم عن التشبه ببني إسرائيل في أذيتهم سيدنا موسى عليه السلام حتى لا ينالهم ما نال أولئك.
- الآيات (٧٢ – ٧٣) عظمة تكليف الإنسان وحمله الأمانة. بعد أن ذكر الله تعالى أهمية التقوى ونتائجها الحميدة وأمر بطاعة الله ورسوله وبين أن نتيجتها الفوز بالجنة، عقب ذلك عظيم شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها بطريق التمثيل مع إيذان بأن ما صدر عنهم من الطاعة

وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام من غير جب هناك ولا إبرام وعبر عنها بالأمانة، فالطاعة هي الأمانة التي هي التكليف.

التمهيد ٣:

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا هدى وتقى ونور..

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا"

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من صلى علي واحدة صلى عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات"

عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عميرة رضي الله عنهم ، قيل يارسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف الصلاة؟ قال : "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد"

وهذه الصيغة أفضل صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : " إن الله وملائتكه يصلون على النبي ..."ففي الآية تنبيه على كمال الرسول صلى الله عليه وسلم ورفعة لدرجته وعلو منزلته عند الله وعند خلقه ، ورفع ذكره بأن الله يثني عليه بين الملائكة وفي الملأ الأعلى ، لمحبته تعالى له ، وتثني عليه الملائكة المقربون ويدعون له ، فأمرنا الله بالصلاة عليه اقتداء بالله وملائكته وجزاء له على ماقام به من دعوة وامتثال لربه .

للصلاة على النبي فوائد كثيرة منها :

- امتثال لأمر الله .
- موافقته سبحانه في الصلاة على النبي .
- موافقة الملائكة في الصلاة على النبي .
- حصول عشر صلوات من الله على المصلي.
- يرفع له عشر درجات ويكتب له عشر حسنات.
- يمحى عنه عشر سيئات.
- يرجى إجابة الدعاء إذا قدمت بين يديه.
- سبب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.
- سبب مغفرة الذنوب .

- سبب لكفاية العبد ما أهمه .
- سبب لقرب العبد منه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .
- سبب لقضاء الحوائج.
- متضمنه لشكر الله وذكره..

ويكفي من الصلاة على النبي أنها امتثال لأمر الله "إن الله وملائتكه يصلون على النبي يا أيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما "
اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية.

فوائد وأسئلة تدبرية:

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) .

س- كيف تكون رحمته في الآخرة ؟

وأما رحمته بهم في الآخرة، فأجل رحمة، وأفضل ثواب، وهو الفوز برضا ربهم، وتحيته، واستماع كلامه الجليل، ورؤية وجهه الجميل، وحصول الأجر الكبير، الذي لا يدري ولا يعرف كنهه، إلا من أعطاهم إياه، ولهذا قال: (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلا كَبِيرًا (٤٧) وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا (٤٨) .

هذه الأشياء، التي وصف الله بها رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، هي المقصود من رسالته، وزبدتها وأصولها، التي اختص بها، وهي خمسة أشياء: أحدها: كونه (شَاهِدًا) أي: شاهدًا على أمته بما عملوه، من خير وشر، كما قال تعالى: لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا فهو صلى الله عليه وسلم شاهد عدل مقبول.

س- لمن تكون النذارة و البشارة ؟

الثاني، والثالث: كونه (مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وهذا يستلزم ذكر المبشر والمنذر، وما يبشر به وينذر، والأعمال الموجبة لذلك.

فالمبشَّر هم: المؤمنون المتقون، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وترك المعاصي، لهم البشرى في الحياة الدنيا، بكل ثواب دنيوي وديني، رتب على الإيمان والتقوى، وفي الأخرى بالنعيم المقيم.
وذلك كله يستلزم، ذكر تفصيل المذكور، من تفاصيل الأعمال، وخصال التقوى، وأنواع الثواب.

س- لمن تكون النذاره؟

والْمنْذَر هم: المجرمون الظالمون، أهل الظلم والجهل، لهم النذارة في الدنيا، من العقوبات الدنيوية والدينية، المترتبة على الجهل والظلم، وفي الأخرى، بالعقاب الوبيل، والعذاب الطويل.
وهذه الجملة تفصيلها، ما جاء به صلى الله عليه وسلم، من الكتاب والسنة، المشتمل على ذلك.

الرابع: كونه (دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ) أي: أرسله الله، يدعو الخلق إلى ربهم، ويسوقهم لكرامته، ويأمرهم بعبادته، التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته، على ما يدعو إليه، وذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والدعوة إلى الله بأقرب طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإخلاص الدعوة إلى الله، لا إلى نفسه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام، وذلك كله بِإِذْنِ الله تعالى له في الدعوة وأمره وإرادته وقدره.
الخامس: كونه (سِرَاجًا مُنِيرًا) وذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة، لا نور، يهتدى به في ظلماتها، ولا علم، يستدل به في جهالاتها حتى جاء الله بهذا النبي الكريم، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضُلالا إلى الصراط المستقيم.

س- من المبشرين و ماهو المبشر به ؟
فأصبح أهل الاستقامة، قد وضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام وعرفوا به الخير والشر، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به، لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأفعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة.
وقوله: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلا كَبِيرًا) ذكر في هذه الجملة، المبشَّر، وهم المؤمنون، وعند ذكر الإيمان بمفرده، تدخل فيه الأعمال الصالحة.
وذكر المبشَّر به، وهو الفضل الكبير، أي: العظيم الجليل، الذي لا يقادر قدره، من النصر في الدنيا، وهداية القلوب، وغفران الذنوب، وكشف الكروب، وكثرة الأرزاق الدَّارَّة، وحصول النعم السارة، والفوز برضا ربهم وثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه.
وهذا مما ينشط العاملين، أن يذكر لهم، من ثواب الله على أعمالهم، ما به يستعينون على سلوك الصراط المستقيم، وهذا من جملة حكم الشرع، كما أن من حكمه، أن يذكر في مقام الترهيب، العقوبات المترتبة على ما يرهب منه، ليكون عونًا على الكف عما حرم الله.
ولما كان ثَمَّ طائفة من الناس، مستعدة للقيام بصد الداعين إلى الله، من الرسل وأتباعهم، وهم المنافقون، الذين أظهروا الموافقة في الإيمان، وهم كفرة فجرة في الباطن، والكفار ظاهرًا وباطنًا، نهى الله رسوله عن طاعتهم، وحذره ذلك فقال: (وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) أي: في كل أمر يصد عن سبيل الله، ولكن لا يقتضي هذا أذاهم، [بل لا تطعهم (وَدَعْ أَذَاهُمْ)] فإن ذلك، جالب لهم، وداع إلى قبول الإسلام، وإلى كف كثير من أذيتهم له، ولأهله.
(وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) في إتمام أمرك، وخذلان عدوك، (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا) تُوكَلُ إليه الأمور المهمة، فيقوم بها، ويسهلها على عبده.
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا (٤٩) .
يخبر تعالى المؤمنين، أنهم إذا نكحوا المؤمنات، ثم طلقوهن من قبل أن يمسوهن، فليس عليهن في ذلك، عدة يعتدها أزواجهن عليهن، وأمرهم بتمتيعهن بهذه الحالة، بشيء من متاع الدنيا، الذي يكون فيه جبر لخواطرهن، لأجل فراقهن، وأن يفارقوهن فراقًا جميلا من غير مخاصمة، ولا مشاتمة، ولا مطالبة، ولا غير ذلك.

س- ما استدلال هذه الآية ؟
ويستدل بهذه الآية، على أن الطلاق، لا يكون إلا بعد النكاح. فلو طلقها قبل أن ينكحها، أو علق طلاقها على نكاحها، لم يقع، لقوله: (إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ) فجعل الطلاق بعد النكاح، فدل على أنه قبل ذلك، لا محل له.

س- ماذا يدل عليه ؟
وإذا كان الطلاق الذي هو فرقة تامة، وتحريم تام، لا يقع قبل النكاح، فالتحريم الناقص، لظهار، أو إيلاء ونحوه، من باب أولى وأحرى، أن لا يقع قبل النكاح، كما هو أصح قَوْلي العلماء.

س- ماحكم الطلاق ؟
ويدل على جواز الطلاق، لأن الله أخبر به عن المؤمنين، على وجه لم يلمهم عليه، ولم يؤنبهم، مع تصدير الآية بخطاب المؤمنين.
وعلى جوازه قبل المسيس، كما قال في الآية الأخرى لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ
وعلى أن المطلقة قبل الدخول، لا عدة عليها، بل بمجرد طلاقها، يجوز لها التزوج، حيث لا مانع، وعلى أن عليها العدة، بعد الدخول.

س- ما أحكام الطلاق ؟
وهل المراد بالدخول والمسيس، الوطء كما هو مجمع عليه؟ أو وكذلك الخلوة، ولو لم يحصل معها وطء، كما أفتى بذلك الخلفاء الراشدون، وهو الصحيح. فمن دخل عليها، وطئها، أم لا إذا خلا بها، وجب عليها العدة.
وعلى أن المطلقة قبل المسيس، تمتع على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره، ولكن هذا، إذا لم يفرض لها مهر، فإن كان لها مهر مفروض، فإنه إذا طلق قبل الدخول، تَنَصَّف المهر، وكفى عن المتعة، وعلى أنه ينبغي لمن فارق زوجته قبل الدخول أو بعده، أن يكون الفراق جميلا يحمد فيه كل منهما الآخر.
ولا يكون غير جميل، فإن في ذلك، من الشر المرتب عليه، من قدح كل منهما بالآخر، شيء كثير.
وعلى أن العدة حق للزوج، لقوله: (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ) دل مفهومه، أنه لو طلقها بعد المسيس، كان له عليها عدة [وعلى أن المفارقة بالوفاة، تعتد مطلقًا، لقوله: (ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ) الآية] .
وعلى أن من عدا غير المدخول بها، من المفارقات من الزوجات، بموت أو حياة، عليهن العدة.
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠) .

س- ماذا أحل الله لرسوله ؟
يقول تعالى، ممتنًا على رسوله بإحلاله له ما أحل مما يشترك فيه، هو والمؤمنون، وما ينفرد به، ويختص: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ)

س- ما هي الأمور المشتركة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المؤمنين؟
أي: أعطيتهن مهورهن، من الزوجات، وهذا من الأمور المشتركة بينه وبين المؤمنين، [فإن المؤمنين] كذلك يباح لهم ما آتوهن أجورهن، من الأزواج.

س- من هم المحللات للنبي صلى الله عليه وسلم؟
(و) كذلك أحللنا لك (مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) أي: الإماء التي ملكت (مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) من غنيمة الكفار من عبيدهم، والأحرار من لهن زوج منهم، ومن لا زوج لهن، وهذا أيضا مشترك.
وكذلك من المشترك، قوله (وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ)
شمل العم والعمة، والخال والخالة، القريبين والبعيدين، وهذا حصر المحللات.
س- ماذا يدل عليه حصر المحللات ؟
يؤخذ من مفهومه، أن ما عداهن من الأقارب، غير محلل، كما تقدم في سورة النساء، فإنه لا يباح من الأقارب من النساء، غير هؤلاء الأربع، وما عداهن من الفروع مطلقًا، والأصول مطلقًا، وفروع الأب والأم، وإن نزلوا، وفروع من فوقهم لصلبه، فإنه لا يباح.

س- ما هي الأمور الخاصة برسول الله صلى الله عليه و سلم ؟
وقوله (اللاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) قيد لحل هؤلاء للرسول، كما هو الصواب من القولين، في تفسير هذه الآية، وأما غيره عليه الصلاة والسلام، فقد علم أن هذا قيد لغير الصحة.
(و) أحللنا لك (امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) بمجرد هبتها نفسها.
(إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا) أي: هذا تحت الإرادة والرغبة، (خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) يعني: إباحة الموهبة وأما المؤمنون، فلا يحل لهم أن يتزوجوا امرأة، بمجرد هبتها نفسها لهم.
(قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أي: قد علمنا ما على المؤمنين، وما يحل لهم، وما لا يحل، من الزوجات وملك اليمين. وقد علمناهم بذلك، وبينا فرائضه.
فما في هذه الآية، مما يخالف ذلك، فإنه خاص لك، لكون الله جعله خطابًا للرسول وحده بقوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ) إلى آخر الآية.

س- ما ذا يدل على تخصيص ذلك للرسول ؟
وقوله: (خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) وأبحنا لك يا أيها النبي ما لم نبح لهم، ووسعنا لك ما لم نوسع على غيرك، (لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ) وهذا من زيادة اعتناء الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم.
(وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) أي: لم يزل متصفًا بالمغفرة والرحمة، وينزل على عباده من مغفرته ورحمته، وجوده وإحسانه، ما اقتضته حكمته، ووجدت منهم أسبابه.
تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) .

س- ماذا أوسع الله على نبيه في معاشرته لزوجاته ؟

وهذا أيضًا من توسعة الله على رسوله ورحمته به، أن أباح له ترك القسم بين زوجاته، على وجه الوجوب، وأنه إن فعل ذلك، فهو تبرع منه، ومع ذلك، فقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في القسم بينهن في كل شيء، ويقول « اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملك » .

فقال هنا: (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) [أي: تؤخر من أردت من زوجاتك فلا تؤويها إليك، ولا تبيت عندها] (وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) أي: تضمها وتبيت عندها.

(و) مع ذلك لا يتعين هذا الأمر (مَنِ ابْتَغَيْتَ) أي: أن تؤويها (فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ) والمعنى أن الخيرة بيدك في ذلك كله [وقال كثير من المفسرين: إن هذا خاص بالواهبات، له أن يرجي من يشاء، ويؤوي من يشاء، أي: إن شاء قبل من وهبت نفسها له، وإن شاء لم يقبلها، والله أعلم] .

ثم بين الحكمة في ذلك

س ـ ما الحكمة من ذلك التوسيع للنبي صلى الله عليه وسلم؟

فقال: (ذَلِكَ) أي: التوسعة عليك، وكون الأمر راجعًا إليك وبيدك، وكون ما جاء منك إليهن تبرعًا منك (أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ) لعلمهن أنك لم تترك واجبًا، ولم تفرط في حق لازم.

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) أي: ما يعرض لها عند أداء الحقوق الواجبة والمستحبة، وعند المزاحمة في الحقوق، فلذلك شرع لك التوسعة يا رسول الله، لتطمئن قلوب زوجاتك.

(وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا) أي: واسع العلم، كثير الحلم. ومن علمه، أن شرع لكم ما هو أصلح لأموركم، وأكثر لأجوركم. ومن حلمه، أن لم يعاقبكم بما صدر منكم، وما أصرت عليه قلوبكم من الشر.

لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢) .

س ـ هذا شكر من الله لمن ؟

وهذا شكر من الله، الذي لم يزل شكورًا، لزوجات رسوله، رضي الله عنهن، حيث اخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، أن رحمهن، وقصر رسوله عليهن

س ـ ما الحكمة من ذلك ؟

فقال: (لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) زوجاتك الموجودات (وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ) أي: ولا تطلق بعضهن، فتأخذ بدلها.

فحصل بهذا، أمنهن من الضرائر، ومن الطلاق، لأن الله قضى أنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، لا يكون بينه وبينهن فرقة.

س ـ هل يجوز له غيرهن ؟
(وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) أي: حسن غيرهن، فلا يحللن لك (إلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) أي: السراري، فذلك جائز لك، لأن المملوكات، في كراهة الزوجات، لسن بمنزلة الزوجات، في الإضرار للزوجات. (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) أي: مراقبًا للأمور، وعالمًا بما إليه تؤول، وقائمًا بتدبيرها على أكمل نظام، وأحسن إحكام.
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) .
س ـ ما الآداب التي فرضها الله على الصحابة عند زيارتهم لبيت النبي صلى الله عليه وسلم؟
يأمر تعالى عباده المؤمنين، بالتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في دخول بيوته فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ) أي: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها، لأجل الطعام. وأيضًا لا تكونوا (نَاظِرِينَ إِنَاهُ) أي: منتظرين ومتأنين لانتظار نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه. والمعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين:
الإذن لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، ولهذا قال: (وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) أي: قبل الطعام وبعده.

س ـ ما الحكمة من ذلك ؟
ثم بين حكمة النهي وفائدته فقال: (إِنَّ ذَلِكُمْ) أي: انتظاركم الزائد على الحاجة، (كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ) أي: يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته، واشتغاله فيه (فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ) أن يقول لكم: « اخرجوا » كما هو جاري العادة، أن الناس ـ وخصوصًا أهل الكرم منهم- يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، (و) لكن (اللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ)
فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدبا وحياء، فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه، ليس من الأدب في شيء. والله تعالى لا يستحي أن يأمركم، بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كائنًا ما كان.
س ـ كيف وجه الله تعالى الصحابة عند مخاطبتهم لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم؟
فهذا أدبهم في الدخول في بيوته، وأما أدبهم معه في خطاب زوجاته، فإنه، إما أن يحتاج إلى ذلك، أو لا يحتاج إليه، فإن لم يحتج إليه، فلا حاجة إليه، والأدب تركه، وإن احتيج إليه، كأن يسألن متاعًا، أو غيره من أواني البيت أو نحوها، فإنهن يسألن (مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) أي: يكون بينكم وبينهن ستر، يستر عن النظر، لعدم الحاجة إليه.
فصار النظر إليهن ممنوعًا بكل حال، وكلامهن فيه التفصيل، الذي ذكره الله.

س ـ ما الحكمة من ذلك ؟
قال تعالى : (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) لأنه أبعد عن الريبة، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر، فإنه أسلم له، وأطهر لقلبه.

س ـ ما القاعدة المذكورة ؟

فلهذا، من الأمور الشرعية التي بين الله كثيرًا من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته، ممنوعة، وأنه مشروع، البعد عنها، بكل طريق.

ثم قال كلمة جامعة وقاعدة عامة: (وَمَا كَانَ لَكُمْ) يا معشر المؤمنين، أي: غير لائق ولا مستحسن منكم، بل هو أقبح شيء (أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ) أي: أذية قولية أو فعلية، بجميع ما يتعلق به، (وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) هذا من جملة ما يؤذيه، فإنه صلى الله عليه وسلم، له مقام التعظيم، والرفعة والإكرام، وتزوج زوجاته [بعده] مخل بهذا المقام.

ما الحكمة منه ؟

وأيضا، فإنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، والزوجية باقية بعد موته، فلذلك لا يحل نكاح زوجاته بعده، لأحد من أمته. (إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا) وقد امتثلت هذه الأمة، هذا الأمر، واجتنبت ما نهى الله عنه منه، ولله الحمد والشكر.

ثم قال تعالى: (إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا) أي تظهروه (أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) يعلم ما في قلوبكم، وما أظهرتموه، فيجازيكم عليه.

لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥) .

س ـ من هم المحارم المذكورين في الآيه ؟

لما ذكر أنهن لا يسألن متاعًا إلا من وراء حجاب، وكان اللفظ عامًا [لكل أحد] احتيج أن يستثنى منه هؤلاء المذكورون، من المحارم، وأنه (لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ) في عدم الاحتجاب عنهم.

ولم يذكر فيها الأعمام، والأخوال، لأنهن إذا لم يحتجبن عمن هن عماته ولا خالاته، من أبناء الإخوة والأخوات، مع رفعتهن عليهم، فعدم احتجابهن عن عمهن وخالهن، من باب أولى، ولأن منطوق الآية الأخرى، المصرحة بذكر العم والخال، مقدمة، على ما يفهم من هذه الآية.

وقوله (وَلا نِسَائِهِنَّ) أي: لا جناح عليهن ألا يحتجبن عن نسائهن، أي: اللاتي من جنسهن في الدين، فيكون ذلك مخرجًا لنساء الكفار، ويحتمل أن المراد جنس النساء، فإن المرأة لا تحتجب عن المرأة. (وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) ما دام العبد في ملكها جميعه.

س- ما هو الشرط ؟

ولما رفع الجناح عن هؤلاء، شرط فيه وفي غيره، لزوم تقوى الله، وأن لا يكون في محذور شرعي فقال: (وَاتَّقِينَ اللَّهَ) أي: استعملن تقواه في جميع الأحوال (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) يشهد أعمال العباد، ظاهرها وباطنها، ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم، ثم يجازيهم على ذلك، أتم الجزاء وأوفاه.

إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) .

س ـ ماذا تدل عليه صلاة الله وملائكته على النبي صلى الله عليه وسلم؟

وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره.

س ـ ما كيفية صلاة الله ؟
و (إِنَّ اللَّهَ) تعالى (وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ) عليه، أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى له، وتثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون.
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيمًا له صلى الله عليه وسلم، ومحبة وإكرامًا، وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم

س ـ ما هي أفضل هيئات الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؟
وأفضل هيئات الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام، ما علم به أصحابه: « اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة

س ـ بعد ما أمر الله بتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ماذا ؟
إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨) .
لما أمر تعالى بتعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم، والصلاة والسلام عليه، نهى عن أذيته، وتوعد عليها فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) وهذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية، من سب وشتم، أو تنقص له، أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى.

س ـ ما جزاءهم في الدنيا والآخرة؟
(لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا) أي: أبعدهم وطردهم، ومن لعنهم [في الدنيا] أنه يحتم قتل من شتم الرسول، وآذاه.
(وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) جزاء له على أذاه، أن يؤذى بالعذاب الأليم، فأذية الرسول، ليست كأذية غيره، لأنه ـ صلى الله عليه وسلم- لا يؤمن العبد بالله، حتى يؤمن برسوله صلى الله عليه وسلم. وله من التعظيم، الذي هو من لوازم الإيمان، ما يقتضي ذلك، أن لا يكون مثل غيره.
وإن كانت أذية المؤمنين عظيمة، وإثمها عظيمًا، ولهذا قال فيها: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا) أي: بغير جناية منهم موجبة للأذى (فَقَدِ احْتَمَلُوا) على ظهورهم (بُهْتَانًا) حيث آذوهم بغير سبب (وَإِثْمًا مُبِينًا) حيث تعدوا عليهم، وانتهكوا حرمة أمر الله باحترامها.
ولهذا كان سب آحاد المؤمنين، موجبًا للتعزير، بحسب حالته وعلو مرتبته، فتعزير من سب الصحابة أبلغ، وتعزير من سب العلماء، وأهل الدين، أعظم من غيرهم.
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا (٦٢) .

س ـ ماذا تسمى هذه الآيه ؟

هذه الآية، التي تسمى آية الحجاب، فأمر الله نبيه، أن يأمر النساء عمومًا، ويبدأ بزوجاته وبناته، لأنهن آكد من غيرهن، ولأن الآمر [لغيره] ينبغي أن يبدأ بأهله، قبل غيرهم كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

أن (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ) وهن اللاتي يكن فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي: يغطين بها، وجوههن وصدورهن.

س ـ ما الحكمة من أمرهن بذلك ؟

ثم ذكر حكمة ذلك، فقال: (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ) دل على وجود أذية، إن لم يحتجبن، وذلك، لأنهن إذا لم يحتجبن، ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، وظن أنهن إماء، فتهاون بهن من يريد الشر. فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن.

(وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم، بأن بين لكم الأحكام، وأوضح الحلال والحرام، فهذا سد للباب من جهتهن.

وأما من جهة أهل الشر فقد توعدهم بقوله: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أي: مرض شك أو شهوة (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) أي: المخوفون المرهبون الأعداء، المحدثون بكثرتهم وقوتهم، وضعف المسلمين.

ولم يذكر المعمول الذي ينتهون عنه، ليعم ذلك، كل ما توحي به أنفسهم إليهم، وتوسوس به، وتدعو إليه من الشر، من التعريض بسب الإسلام وأهله، والإرجاف بالمسلمين، وتوهين قواهم، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة، وغير ذلك من المعاصي الصادرة، من أمثال هؤلاء.

(لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) أي: نأمرك بعقوبتهم وقتالهم، ونسلطك عليهم، ثم إذا فعلنا ذلك، لا طاقة لهم بك، وليس لهم قوة ولا امتناع، ولهذا قال: (ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلا) أي: لا يجاورونك في المدينة إلا قليلا بأن تقتلهم أو تنفيهم.

وهذا فيه دليل، لنفي أهل الشر، الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين، فإن ذلك أحسم للشر، وأبعد منه، ويكونون (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا)

أي: مبعدين، أين وجدوا، لا يحصل لهم أمن، ولا يقر لهم قرار، يخشون أن يقتلوا، أو يحبسوا، أو يعاقبوا.

(سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) أن من تمادى في العصيان، وتجرأ على الأذى، ولم ينته منه، فإنه يعاقب عقوبة بليغة. (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا) أي تغييرًا، بل سنته تعالى وعادته، جارية مع الأسباب المقتضية لأسبابها .

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) .

س ـ لماذا يسأل الناس عن الساعة ؟
أي: يستخبرك الناس عن الساعة، استعجالا لها، وبعضهم، تكذيبًا لوقوعها، وتعجيزًا للذي أخبر بها. (قُلْ) لهم: (إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ) أي: لا يعلمها إلا الله، فليس لي، ولا لغيري بها علم، ومع هذا، فلا تستبطؤوها.
(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) ومجرد مجيء الساعة، قرباً وبعدًا، ليس تحته نتيجة ولا فائدة، وإنما النتيجة والخسار، والربح، والشقا والسعادة، هل يستحق العبد العذاب، أو يستحق الثواب؟ فهذه سأخبركم بها، وأصف لكم مستحقها.
س ـ هل هناك فائدة من السؤال عن الساعة ؟
فوصف مستحق العذاب، ووصف العذاب، لأن الوصف المذكور، منطبق على هؤلاء المكذبين بالساعة فقال: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ) [أي:] الذين صار الكفر دأبهم وطريقتهم الكفر بالله وبرسله، وبما جاءوا به من عند الله، فأبعدهم في الدنيا والآخرة من رحمته، وكفى بذلك عقابًا.

س ـ ما جزاؤهم ؟
(وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) أي: نارًا موقدة، تسعر في أجسامهم، ويبلغ العذاب إلى أفئدتهم، ويخلدون في ذلك العذاب الشديد، فلا يخرجون منه، ولا يُفَتَّر عنهم ساعة.
و (لا يَجِدُونَ وَلِيًّا) فيعطيهم ما طلبوه (وَلا نَصِيرًا) يدفع عنهم العذاب، بل قد تخلى عنهم الولي النصير، وأحاط بهم عذاب السعير، وبلغ منهم مبلغًا عظيمًا،
ولهذا قال: (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) فيذوقون حرها، ويشتد عليهم أمرها، ويتحسرون على ما أسلفوا.

س ـ ماذا يتمنى الكفار ؟
(يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا) فسلمنا من هذا العذاب، واستحققنا، كالمطيعين، جزيل الثواب.
ولكن أمنية فات وقتها، فلم تفدهم إلا حسرة وندمًا، وهمًا، وغمًا، وألمًا.
(وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا) وقلدناهم على ضلالهم، (فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا)
كقوله تعالى وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي الآية.

س ـ ماذا طلبوا عندما علموا ؟
ولما علموا أنهم هم وكبراءهم مستحقون للعقاب، أرادوا أن يشتفوا ممن أضلوهم، فقالوا: (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا)

س ـ بما حذر الله المؤمنين ؟
فيقول الله لكل ضعف، فكلكم اشتركتم في الكفر والمعاصي، فتشتركون في العقاب، وإن تفاوت عذاب بعضكم على بعض بحسب تفاوت الجرم.
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) .

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن أذية رسولهم، محمد صلى الله عليه وسلم، النبي الكريم، الرءوف الرحيم، فيقابلوه بضد ما يجب له من الإكرام والاحترام، وأن لا يتشبهوا بحال الذين آذوا موسى بن عمران، كليم الرحمن، فبرأه الله مما قالوا من الأذية، أي: أظهر الله لهم براءته.

س ـ ما دلالة (كان عند الله وجيها) ؟

والحال أنه عليه الصلاة والسلام، ليس محل التهمة والأذية، فإنه كان وجيها عند الله، مقربًا لديه، من خواص المرسلين، ومن عباده المخلصين، فلم يزجرهم ما له، من الفضائل عن أذيته والتعرض له بما يكره، فاحذروا أيها المؤمنون، أن تتشبهوا بهم في ذلك

س ـ ما هي الأذية التى أذوا موسى عليه وسلم بها؟

والأذية المشار إليها هي قول بني إسرائيل لموسى لما رأوا شدة حيائه وتستره عنهم: « إنه ما يمنعه من ذلك إلا أنه آدر » أي: كبير الخصيتين، واشتهر ذلك عندهم، فأراد الله أن يبرئه منهم، فاغتسل يومًا، ووضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فأهوى موسى عليه السلام في طلبه، فمر به على مجالس بني إسرائيل، فرأوه أحسن خلق الله، فزال عنه ما رموه به.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) .

س ـ بماذا أمر الله المؤمنين ؟

يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد،

س ـ ما هو القول السديد ؟

وهو القول الموافق للصواب، أو المقارب له، عند تعذر اليقين، من قراءة، وذكر، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتعلم علم وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب، في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه.

ومن القول السديد، لين الكلام ولطفه، في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة، بما هو الأصلح.

س ـ ما الذى يترتب عل القول السديد والتقوى ؟

ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) أي: يكون ذلك سببًا لصلاحها، وطريقًا لقبولها، لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال كما قال تعالى: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ

ويوفق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح الله الأعمال [أيضًا] بحفظها عما يفسدها، وحفظ ثوابها ومضاعفته، كما أن الإخلال بالتقوى، والقول السديد سبب لفساد الأعمال، وعدم قبولها، وعدم تَرَتُّبِ آثارها عليها.

(وَيَغْفِرْ لَكُمْ) أيضًا (ذُنُوبَكُمْ) التي هي السبب في هلاككم، فالتقوى تستقيم بها الأمور، ويندفع بها كل محذور ولهذا قال: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)

إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣) .

س ـ ماذا يدل عليه عرض الأمانة ؟

يعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن الله عليها المكلفين،

س – ما هي الأمانة ؟

التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السر والخفية، كحال العلانية، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال

س ـ ما نوع العرض ؟

عرض تخيير لا تحتيم، وأنك إن قمت بها وأدَّيتِهَا على وجهها، فلك الثواب، وإن لم تقومي بها، [ولم تؤديها] فعليك العقاب.

س ـ لماذا أبين المخلوقات أن يحملنها ؟

(فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) أي: خوفًا أن لا يقمن بما حُمِّلْنَ، لا عصيانًا لربهن، ولا زهدًا في ثوابه.

س ـ من الذي قبلها ؟

وعرضها الله على الإنسان، على ذلك الشرط المذكور، فقبلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل. فانقسم الناس - بحسب قيامهم بها وعدمه- إلى ثلاثة أقسام:

منافقون، أظهروا أنهم قاموا بها ظاهرًا لا باطنًا، ومشركون، تركوها ظاهرًا وباطنًا، ومؤمنون، قائمون بها ظاهرًا وباطنًا.

س ـ ما هي أحوال الناس من الأمانة ؟

فذكر الله تعالى أعمال هؤلاء الأقسام الثلاثة، وما لهم من الثواب والعقاب فقال: (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) .

س ـ ما دلالة ختام الآية بالغفور الرحيم ؟

فله الحمد تعالى، حيث ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين، الدالين على تمام مغفرة الله، وسعة رحمته، وعموم جوده، مع أن المحكوم عليهم، كثير منهم، لم يستحق المغفرة والرحمة، لنفاقه وشركه.

لمسات بيانية:

***ما دلالة استخدام المفرد ثم الجمع في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ (٥٠) الأحزاب)؟ (د.فاضل السامرائى)**

الرسول عليه الصلاة والسلام له خالات وله خال واحد هو عبد يغوث. يذكرون من خالاته فريعة بنت وهب وذكروا هالة بنت وهب ويذكر خالة اسمها فاختة وله خال واحد.

وهناك سؤال آخر عن العم والعمات في قوله تعالى (وبنات عمك وبنات عماتك) الرسول عليه الصلاة والسلام له عمّات وبناتهم متزوجات وله أعمام كثيرون بناتهم متزوجات لكنه قال (وبنات عمك). ذكروا من أعمام الرسول عليه الصلاة والسلام العباس وحمزة وعندهم بنات غير متزوجات لكن هؤلاء (العباس وحمزة) إخوان الرسول عليه السلام من الرضاعة فإذن لا تحلّ للرسول عليه السلام بناتهم وذكروا أبو طالب عنده أم هانئ لم تكن مهاجرة وفي الآية قال (اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) فيكون له عمّ واحد فقط له ابنة والباقي متزوجات فقال (وَبَنَاتِ عَمِّكَ). هذا هو الواقع وهذا أمر تاريخي.

آية (٥٢):

***ما الفرق بين تبدّل وتتبدل؟ (د.فاضل السامرائى)**

في سورة الأحزاب قال تعالى(لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢)) وقوله تعالى (وَآَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) النساء) في آية سورة الأحزاب هي مقصورة على الرسول عليه السلام والحكم مقصور عليه □. أما الآية الثانية فهي آية عامة لكل المسلمين وهذا التبدّل هو لعموم المسلمين وليس مقصوراً على أحد معين وإنما هو مستمر إلى يوم القيامة. لذا أعطى الحدث الصغير الصيغة القصيرة (تبدّل) وأعطى الحدث الممتد الصيغة الممتدة (تتبدلوا).

آية (٥٤):

***(إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩) النساء) - (إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤)الأحزاب)ما دلالة الاختلاف بين الآيتين؟(د.أحمد الكبيسى)**

في سورة الأحزاب (إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ) هذا ليس عن موضوع الغضب والزعل والظلم بل في التعامل مع نساء النبي (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ(٦) الأحزاب) (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ (٣٢) الأحزاب) (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) الحجرات) حرمة آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيت النبي أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته وآل بيت النبي علي والحسن والحسين وفاطمة أولادهم حينئذٍ لهم حرمة هائلة وبالتالي إذا دققت الباب أو مثلاً طلبت منهم شيئاً أو سمعت منهم كلاماً وقد ضمرت في قلبك أي شيء انتقاد أو شيء لم يعجبك ليس بالضرورة ظلم، شيء ما ليس هناك احترام أو أنت في خاطرك شيء عليهم (إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا) أيّ شيء أيّ موقف سلبي (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) إعلم أن

تعاملك في محيط النبي صلى الله عليه وسلم في أسرته الكريمة الطاهرة بأيّ شيء ترفع صوتك (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ (٢) الحجرات) وإلى كل الأدب والاحترام غضوا أصواتكم غضوا أبصاركم أي شيء تخفيه في قلبك لأمرٍ ما قلة عقل منك، ضعف إيمان مشكلة لم تفهمها وقلبك صار فيه شيء سلبي أيّ شيء كان (إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ) هناك خيراً وهنا شيئاً (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) لاحظ أن تبديل كلمة خير بكلمة شيء له معنى آخر موضوع ثاني لو قال هنا في الأحزاب إن تبدوا خيراً ليس لها معنى وهناك إن قال إن تبدوا شيئاً ليس لها معنى كل واحدة في مكانها (إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ) هذا للمظلوم (إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا) في معاملة الأسرة الطاهرة الكريمة التي نتقرب إلى الله بحبها والتي ستتشفع لنا يوم القيامة إن شاء الله، هذا الفرق بين الاثنين.

وإلا ما معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله إذا كان الشخص والعياذ بالله يبدي شيئاً أو يخفيه تجاههم؟ لا معنى له.

***ما الفرق بين بني وأبناء في الآيات (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ (٣١) النور) و (لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥) الأحزاب)؟ (د.فاضل السامرائى)**

استعمال بني وأبناء: بني (بنو بالرفع) أكثر من أبناء من حيث العدد. بنو آدم ليست مثل أبناء آدم، بني إسرائيل كثير، أبناء يعقوب أقل. بني أكثر من أبناء. أبناء هي من صيغ جموع القِلّة: أفعُل، أفعال، أفعلة، فُعلة. الفرق بين الآيتين لو لاحظنا آية النور التي فيها (بني) هذه في عموم المؤمنين، الخطاب لعموم المؤمنين والمؤمنات. بينما في آية الأحزاب الخطاب لنساء النبي . في آية النور قال تعالى (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ) نساء المؤمنين كثير بني أخواتهن وبني إخوانهن فقال بني أخواتهن. أما في الأحزاب فالخطاب لنساء النبي وهن قليلات بالنسبة لنساء المؤمنين فقال أبناء لأن أبناء أقل من بني وفي الكثير قال (بني) لأنها في عموم نساء المؤمنين وهذه طبيعة اللغة.

(بنو) ملحقة بجمع المذكر السالم (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) الشعراء). بنين حذفت النون للإضافة (بني آدم). فإذا أضيف المذكر السالم والمثنى تحذف النون فتصير بنو آدم وبني آدم.

آية (٥٩):

***ما معنى الدنو في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) الأحزاب)؟ (د.فاضل السامرائى)**

نحن نتكلم في اللغة وليس في الفقه. الإدناء هو التقريب. الجلباب في اللغة هو ما يستر من الملابس سواء فوق الثوب أو الثوب. لغوياً هو الساتر من اللباس يسمى جلباباً. (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ) أي يرخين عليهن. الإدناء هو الإرخاء والإسدال، ما ستر الجسم كله. عند اللغويين من فوق إلى أسفل، هذا في اللغة. الجلباب

الذي يستر من فوق إلى أسفل وقسم يقول هو كل ثوب تلبسه المرأة فوق الثياب. يدنين أن يقرّبن عليهن، يسدلن عليهن لأن الإدناء فيه الإرخاء والإسدال. الإدناء ستر الجسد من فوق إلى أسفل.

في سورة النور (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ (٣١)) الخمار هو غطاء الرأس، والجيب هو فتحة الصدر. هذا في حدود اللغة وليس من الناحية الفقهية.

***ما المقصود بآيات الحجاب في القرآن (ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ (٥٩) الأحزاب) فهل الستر أوجب أو الكشف أوجب؟(د.فاضل السامرائى)**

ليس المقصود أن يعرفها فلان بن فلان هي لا يمكن أن تُعرَف. الآية نزلت أنه في الليل تخرج المرأة لقضاء حاجتها فلا تُعرف فأمرها بالتستر بلبس الجلباب فيعرفون أنها حرّة وليست أمة فلا يتعرضون لها إذا رأوا المرأة تلبس جلباباً يعرفون أنها حرة والنساء الباقيات كن يلبسن القميص. (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) الأحزاب) فوق القميص تُعرَف أن هذه حرة وليست أَمَة فلا يتعرض إليها لا أن تعرفها أنها فلانة بنت فلان. نحن الآن من اللباس نعرف الشخص من أين هو؟ في المدينة جُعل الجلباب علامة لمعرفة أن هؤلاء من الحرائر ولسن من الإماء فلا يُتعرض لهن. ذلك أدنى أن يعرفن أن هؤلاء حرائر أقرب أن يعرفن أقرب إلى المعرفة وليس المقصود معرفة الوجه أو كشفه هذا لا يُعرف وإنما الغرض تمييز النساء الحرائر بالجلباب فلا يعتدى عليها، ليس هو الكشف وإنما هو إدناء الجلباب حتى تُعرف أن هذه حُرّة إذا خرجت في الليل والنهار. يكون اللباس علامة أنها حُرّة وفيها معنى الستر.

***هل يمكن شرح آيات الحجاب، وما معنى الخمار والجلباب والجيوب؟ وكذلك في الحديث النبوي "فشققن مروطهن".(د.فاضل السامرائى)**

نتكلم فقط من حيث اللغة. نذكر ثلاث كلمات كلمتين في القرآن وواحدة في الحديث فقط لكن من حيث الأحكام الشرعية فليس من اختصاصنا. أولاً (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ (٣١) النور) الخمار عند العرب وفي اللغة هو غطاء الرأس تحديداً والجيب هو فتحة الصدر، إذن تضع الخمار على رأسها وتداري صدرها هذا هو الخمار. والجلباب هو ثوب واسع تغطي به المرأة ثيابها، فوق الثياب (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ (٥٩) الأحزاب) الجلباب هو يسترها من فوق إلى أسفل فوق الثياب، الجلباب تحته ثياب وهو يستر الثياب التي تحته فكل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها هو جلباب يسترها من فوق إلى أسفل سوءا كان بصورة عباءة أو بصورة آخرى. وعندنا المِرْط كما في الحديث (عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلِّي الصبح فينصرف النساء متلفِّعاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ ما يعرفن من الغلس) الغلس يعني الظلام، ظلمة الليل. المِرط ثوب يشتملون به غير مخيط مثل الملحفة، كل ثوب غير مخيط يؤتزر به يسمونه مرطاً (فما يعرفن من الغلس) معناه أنه لو كان الدنيا نهار كن يعرفنّ، لأنه في قوله تعالى (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ (٣٠) النور) رأي الجمهور أن يظهر الوجه والكفين. يغضوا من أبصارهم على ماذا؟ لو كان ليس هناك شيء ظاهر فعن ماذا يغض بصره؟ يغض بصره عما يظهر من الوجه والكفين. وقال للمرأة (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ (٣١) النور) فهل يجب أن يكون الرجل مختمر أو يلبس حجاباً ولا أدري حقيقة إن كان هناك حديث صحيح حول هذا الأمر لكن هذا من حيث اللغة وهذه ليست فُتية. عندما قال تعالى

يغضوا ويغضضن عن أي شيء يغضضن؟ لو وارى وجهه لما قال يغضضن، هذا من حيث اللغة وهو موافق لرأي الجمهور أما الحكم الشرعي فيُسأل به أهل الفقه.

آية (٦٥):

*لماذا اقترن لفظ (أبداً) في خلود الكافرين في النار وأحياناً لاترد؟(د.فاضل السامرائى)

(أبداً) ترد أحياناً مه أهل النار وأحياناً مع أخل الجنة وأحياناً يذكر الخلود من دون (ابداً). والقاعدة هو أنه إذا كان المقام مقام تفصيل وبسط للموضوع يذكر (أبداً) أو إذا كان المقام مقام تهديد كثير أو وعيد كثير أو وعد كثير كما جاء في الوعد الكثير للمؤمنين في سورة البينة وتفصيل جزائهم (جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ {٨}) وكذلك في سورة الجنّ الآيات فيها تهديد ووعيد شديد للكافرين فجاءت (أبداً) (إِلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً {٢٣}) وكذلك في سورة الأحزاب في مقام التفصيل والتوعّد الشديد ذكر أبداً (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً {٦٤} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً {٦٥}). وإذا لم يكن كذلك أي كان مقام إيجاز لا يذكر (أبداً) مثل قوله تعالى في سورة البيّنة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ {٦}) .

*(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) الأحزاب) لِمَ خصّ الإنسان تحديداً والجن أيضاً مكلّف؟(د.فاضل السامرائى)

هذه الآية من سورة الأحزاب ولو نظرنا في السورة هي في الإنسان من أولها لآخرها (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ (١)) (يَا نِسَاء النَّبِيِّ (٣٠)) (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ (٣٧)) (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ (٤٠)) (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠)) (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ (٦٣)) قال الناس ولم يقل الجن، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا (٧٠)) إلى آخرها (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ (٧٣)) إذن السياق في الإنسان يتكلم عن الإنسان لكن لم يحصره فيه مع أن الجن مكلّف، لم يقل لم يحملها إلا الإنسان،

سؤال: مع أن الجن مكلّف، هو يتحدث عن الأمانة بمعنى التكليف الشرعي والجن مكلف شرعياً؟ أليس في (وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ) قصر على أن الإنسان حملها وحده؟

(وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ) من الناحية البيانية ليس فيها قصر على الإنسان فقط، ربما الإنسان وغيره، لكن الآن ذكر الإنسان وقد يكون الجن لم يحملوها، أيضاً أبوا أن يحملوها لكن السياق في الإنسان والإنسان هو الذي حملها، القرآن لا يخرج عن السياق.

الوصايا العملية:

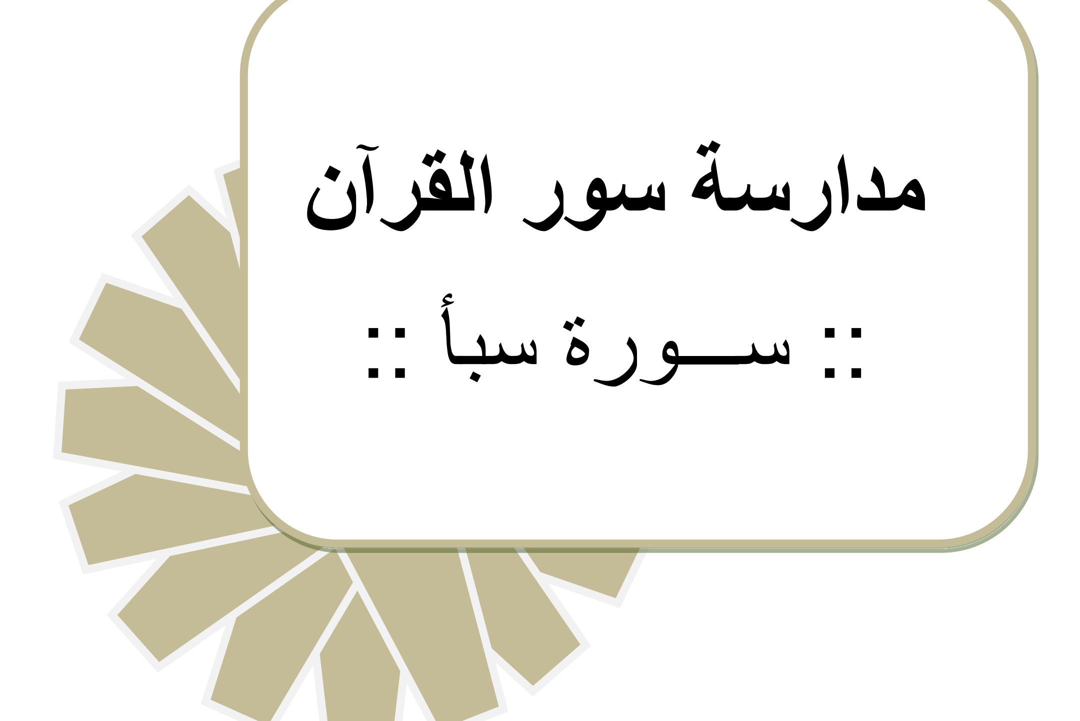
- جواز الطلاق إذا استدعى الأمر .
- إذا طلقها بعد العقد مباشرة ليس لها عدة تستطيع الزواج .
- إذا عقد عليها وخلا بها ثم طلقها وجب عليها العدة.
- إذا طلقها قبل المسيس تمتع إذا لم يفرض المهر وان كان لها مهر فلها النصف .
- احذري من نشر الرسائل التي تخوف المسلمين وكذلك الرسائل التي ليس فيها رفعة للمسلمين وكذلك فيلا سب للإسلام والمسلمين ،تثبيت المسلمين ، نشر الفساد والفواحش .
- حافظ على حجابك والتزمي به .
- لا تلبسي الحجاب الملفت للنظر فتفتني وتقعين في الإثم .
- استعدي ليوم القيامة بالأعمال الصالحة .
- أكثري من دعاء (اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك واحمني انك أنت الغفور الرحيم).
- احرصي على لين الكلام .
- حددي لك وقت للأعمال مثل ذكر ،قراءة قران كتب فاصلة وكتب نافعة .
- أفضل صيغة للصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة الإبراهيمية .
- تذكري أنك إذا صليت على الرسول صلاة واحدة صلى عليك الله بها عشرا وحط عنه عشر خطيئات .
- من أذكار الصباح والمساء الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم .
- الذي يصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم يغفر همه ويغفر ذنبه فأكثري من ذلك .
- من آداب الدعاء بعد حمد الله والثناء عليه الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وتختتمين بها .
- البخيل من ذكر عنده الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يصلي عليه .
- لا تؤذي المؤمنين ولو بكلمة .
- احذري الغيبة فإنها من أذية المسلمين وهي من أربا الربا .
- راعي ظروف الناس في الزيارة فلا تطيلي المكوث .
- استأذني عند زيارتك لأحد ولا تذهبي فجأة .
- بعد السراح الجميل ذكر الجميل عدم ذكر المساوئ وإحداث بلبلة يحصل منها غيبة وأذية للأسرتين
- احرصي على هذا الدعاء (اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فغفر لي مغفرة من عندك أنك أنت الغفور الرحيم .
- احرصي على إصابة السؤال في المسائل العلمية ولين الكلام واللطف عند مخاطبة الناس كل هذا يدخل في الصدق اتقي الله وقولي قولا سديدا يصلح لك أعمالك فالله لا يقبل إلا من المتقين .

- يوفق الإنسان للعمل الصالح إذا كان من المتقين .
- اصدقي مع الله واجتهدي يصدق الله معك ويسر لك .
- الله يحفظ أولياءه من الفساد ويوفقهم الأعمال الخير .
- الإخلال بتقوى وعدم القول السديد يفسد الأعمال .
- بتقوى تستقيم الأمور ويغفر الله الذنوب .
- تذكري أن التكاليف الشرعية أمانة فأديها على أكمل وجهة .
- كل نعمة أمانة فحافظي عليها .
- إذا أوكل لك عمل فأديه على أكمل وجهة فستسألين عن ذلك .
- لا تفشي سر من أتمنك .
- من أعظم الأمانة نشر الأسرار الزوجية .
- أولادك أمانة في عنقك فاهتمي بتربيتهم تربية صالحة .
- إذا ائتمنت على مال فحفظيه حتى يأخذه صاحبة .
- أحوال الناس في الأمانة : منافقين – كافرين –مؤمنين ١ – المنافقين أدوها ظاهرا وخانوها باطنا ٢ - الكافرين خانوها ظاهرا وباطنا ٣ – المؤمنين أدوها ظاهرا وباطنا.
- لا تكوني إمعة أن أحسن الناس أحسنتي وأن أساءوا أسئت .

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

- كما افتتحت السورة بنداء خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بالتقوى التي هي الأمانة التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وختمت السورة بأمر المؤمنين بتقوى الله تعالى وبالحث على الالتزام بالأمانة وبيان عقوبة من خانها وجزاء من التزم بآدائها.
- وكما اختتمت الآية الأولى من السورة باسمي الحكيم والعليم اختتمت السورة باسمي الغفور والرحيم ليستدل بذلك على حكمة الله وعلمه فيما أمر ونهى وقضاه وقدره مما ذكر في هذه السورة، وكيف وفق الله المؤمنين وخذل الكافرين والمنافقين.

| ● | نهاية سورة الأحزاب | ● |



.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســــورة سبأ

بين يدي السورة:

- سميت هذه السورة الكريمة بسورة سبأ، حيث وردت فيها قصةُ قوم سبأ، حين كفروا بأنعمِ الله، وأعرضوا عن الحق، فجزاهم الله بكفرهم وجحودهم وجعلهم آية وعبرة.
- من فضائلها: أن هذه السورة من السور المثاني. ومن فضائلها ما رواه الإمام أحمد وغيره عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أُعطيت مكان التوراة السبع، وأُعطيت مكان الزبور المئين، وأُعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضلتُ بالمُفصل)
- هذه السورة مكية، نزلت بمكة قبل الهجرة.
- نزلت لتكون حجة ساطعة تشهد بصدق النبي صلى الله عليه وسلم.
- نزلت لتقرر الإيمان بالبعث وتبين الحكمة منه.
- كان نزولها تسلية وتسرية وتثبيتاً لقلب النبي صلى الله عليه وسلم.
- جاءت بتقرير معنى الشكر لله تعالى وجزاء الشاكرين، مع التحذير من عاقبة الكافرين بأنعم الله.
- محور السورة: تدور آيات السورة حول قضية أساسية وحقيقة إيمانية: إنها قضية البعث، الذي قرَّره القرآن، وأثبته بالحجة والبرهان المادي والعقلي. والتركيز الأكبر في السورة على قضية البعث والجزاء؛ وعلى إحاطة علم الله وشموله ولطفه.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

اختتمت سورة الأحزاب بقوله تعالى "ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيما". وافتتحت سورة سبأ بقوله تعالى " الحمد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير" ، فتعذيب العصاة وإثابة الطائعين نعمةٌ عظيمةٌ تستوجب الحمد.

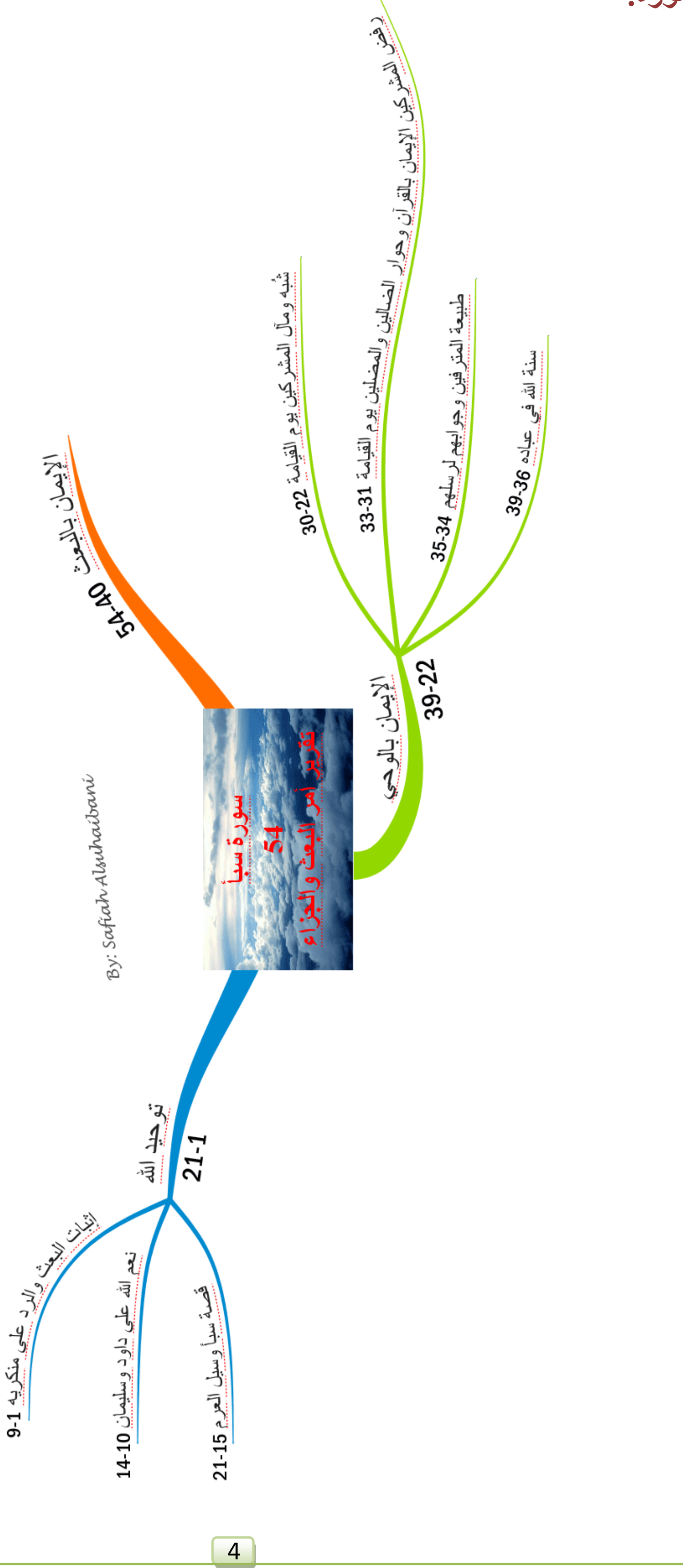
قال السيوطي (ظهر لي في وجه اتصالها بما قبلها أن تلك لما ختمت بـ "ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيما" افتُتِحت هذه بأن له ما في السموات وما في الأرض، وهذا الوصف لائق بذلك الحكم، فإن الملك العام والقدرة التامة يقتضيان ذلك).

في السورتين الكريمتين دفاع ونصرة للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، أما الأحزاب: ففيها دفاع عنه من أراجيف المنافقين، وأما سبأ: ففيها دفاع عنه من دعاوى وافتراءات المشركين.

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

- حديث السورتين عن الريح، فهي جند من جنود الله تعالى ونعمة من نعمه: ففي سورة الأحزاب بين تعالى أنها حسمت غزوة الأحزاب لصالح المسلمين حين سلطها الله على المشركين فكانت شديدة عاتية باردة قلعت خيامهم وأطفأت نارهم وأكفأت آنيتهم دون أن تجاوز عسكرهم إلى أن تبدد شملهم ولاذوا بالفرار، وبيّن تعالى في سورة سبأ أنها كانت من جنود سليمان عليه السلام تحمله وجنده بسرعة فائقة وتهبط بسلام حيث شاء. كما سلط الله الماء على قوم سبأ، فانفتق السدُّ وفاض الماءُ، فسلط الله الريح على الأحزاب وعاقب سبأ بالماء.
- في سورة الأحزاب تذكير بنعم الله، ومنها نصرُ المؤمنين على الأحزاب، وجملة من نعم الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم، وفي سورة سبأ تذكير بنعمه تعالى العاجلة والآجلة، نعمة الخلق والرزق والهداية والرعاية ونعمة البعث والجزاء، فضلاً عن نعمه تعالى التي أسداها على داود وسليمان عليهما السلام.
- في سورة سبأ دعوة لآل داود عليهم السلام أن يشكروا الله تعالى شكراً تاماً بالقلب واللسان والجوارح، وفي سورة الأحزاب توجيهات عديدة لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.
- في السورتين الكريمتين بيانٌ لمهمة النبي صلى الله عليه وسلم الجليلة ورسالته السامية ودعوته العامة. الآيات [٤٥ – ٤٨] سورة الأحزاب، والآيات [٢٨] و [٤٦].
- في السورتين الكريمتين بيان لعاقبة المستضعفين والمستكبرين وتخاصمهم يوم الدين. الآيات [٦٤ – ٦٨] سورة الأحزاب، والآيات [٣١ – ٣٣] سورة سبأ.

محاور السورة:



المقطع الأول من الآية (١) إلى الآية (٢٢) :

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (١ – ٢) الاستفتاح بالحمد. قال النيسابوري (واعلم أنه تعالى وصف نفسه في أول هذه السورة بأن له ما في السموات وما في الأرض؛ إيذاناً بأنّ كونه مالكاً لكل الأشياء يُوجب كونَه محموداً على كل لسان، لأن الكل إذا كان له فكل من ينتفع بشيء من ذلك كان مستنفعاً بنعمه، ثم صرح بأن له الحمد في الآخرة: تفضيلاً لنعم الآخرة على نعم الدنيا وإيذاناً بأنها هي النعمة الحقيقية التي يحقّ أن يحمد عليها ويثنى عليه من أجلها.
- الآيات (٣ – ٩) قضية البعث والجزاء. دارت مقدمة السورة حول تفرده تعالى بالحمد واستحقاقه له، فهو المالك المتصرف ، وهو الحكيم الخبير، وهو الرحيم الغفور، وهذا تمهيد وتوطئة للحديث عن قضية البعث والجزاء؛ لذا أتبع هذه المقدمة ببيان موقف المشركين من هذه القضية، وتجلية الحكمة من البعث وإبراز موقف أهل العلم منه.
- الآيات (١٠ – ١٤) مع داود وسليمان عليهما السلام مثالٌ عمليٌّ للأوابين الشاكرين. ولهذه الآيات صلة جلية بمحور السورة الكريمة وسياقها العام والذي يدور حول قضية البعث، فالجب الأشمّ ينبض بالروح وتسري فيه الحياة ويخشع ويتصدع من خشية الله ويتجاوب مع نبي الله داود فيردد معه. والطير مع وحشتها ونفورها تترنم في ألفة ووئام وأنس وانسجام.. وغير ذلك من الآيات في هذا المقطع.

  قال أبو حيان (مناسبة قصة داود وسليمان عليهما السلام لما قبلها هي أن أولئك الكفار أنكروا البعث لاستحالته عندهم فأخبروا بوقوع ما هو مستحيل في العادة مما لا يمكنهم إنكاره، إذ طفحت ببعضه أخبارهم وشعراؤهم ... من تأويب الجبال والطير مع داود وإلانة الحديد وهو الجرمُ المستعصي وتسخير الريح لسليمان وإسالة النحاس له، وتسخير الجن فيما شاء من الأعمال الشاقة).
- الآيات (١٥ – ٢١) مع قوم سبأ مثال واقعي لعاقبة من كفر بأنعم الله. لما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقَّبه بحال بعض الجاحدين لها.

  وكذلك لما بين تعالى أن الحكمة من قيام الساعة جزاء المؤمنين ومجازاة الكافرين، ذكر مثالاً لمجازاة الكافرين في الدنيا بقوم سبأ "ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور".

  وكذلك جاءت هذه القصة مفصلة ومقررة لقوله تعالى "أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض" الآية. فهي عبرة وعظة لكفار قريش الذين أنكروا البعث وما يستتبعه من جزاء، وكذبوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأعرضوا عما بين أيديهم وما خلفهم من الآيات، وهذه القصة التي يعرفونها من أجل العبر وأبلغ النذر.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

ذكر عن رجل من بني اسرائيل أنه سأل رجلا من بني اسرائيل أن يسلفه ألف دينار ، فقال ائتني بالشهداء أشهدهم فقال : كفى بالله شهيدا ، قال : ائتني بالكفيل ، قال : كفى بالله كفيلا ، قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله ،فلم يجد مركبا فأخذ خشبة ونقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ، ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر فقال : اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألني كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضي بك وسألني شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضي بك وإني جهدت ولم أجد مركبا أبعث إليه الذي له ، فلم أقدر وإني استودعتكها ، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف وهو يلتمس مركبا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبا ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بألف دينار ، فقال والله مازلت جاهدا في طلب المركب لآتيك بمالك ،قال : هل كنت بعثت إلي بشي ؟ قال : فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف دينار راشدا .

نستخرج من هذة القصة أي خلق ؟

خلق الأمانة.

قال صلى الله عليه وسلم :" أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك" وقال صلى الله عليه وسلم :" آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أوتمن خان"

والأمانة ضد الخيانة وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ، وهي التعفف عما يتصرف فيه من مال وغيره وما يوثق به عليه من الأعراض والحرم على القدرة عليه ورد ما يستودع إلى مودعه .

فكل ما أعطانا الله من نعمة فهي أمانة يجب حفظها واستعمالها وفق ما أراد منا المؤتمن، فالبصر والسمع واللسان والجوارح أمانة .

العرض أمانة فيجب علينا أن نحفظ عرضنا ولا نضيعه.

الولد أمانة فحفظه أمانة ورعايته وتربيته ، العمل الذي توكل به أمانة وتضييعه خيانة ، قال صلى الله عليه وسلم :" إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة " قال : كيف اضاعتها يارسول الله ؟ قال : إذا وسد اظلمر إلى غير أهله فانتظر الساعة .

السر أمانة " إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة " قال صلى الله عليه وسلم :" إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه فينشر سرها "

والأمانة والرحم تكونان على جانبي الصراط فمن أداها سلم .

وقد عظم الله شأن الأمانة التي ائتمن الله عليها المكلفين أنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة السماوات والأرض والجبال عرض تخيير ، وأنك إن قمت بها و أديتها على وجهها فلك الثواب ، وإن لم تؤدها فعليك العقاب ، " فأبين أن يحملنها " لا عصيانا لربهم ولكن خوفا من أن لا يقمن بها .

فعرضها الله على الإنسان فقبلها وحملها مع ظلمه وجهله وحمل هذا الحمل الثقيل ، قال تعالى :" إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ...." اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية .

فوائد وأسئلة تدبرية:

- [١ - ٢] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ}

الحمد: الثناء بالصفات الحميدة، والأفعال الحسنة، فللّه تعالى الحمد، لأن جميع صفاته، يحمد عليها، لكونها صفات كمال، وأفعاله، يحمد عليها، لأنها دائرة بين الفضل الذي يحمد عليه ويشكر، والعدل الذي يحمد عليه ويعترف بحكمته فيه.

- س - بماذا حمد الله نفسه ؟

حمد نفسه هنا، على أن {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} ملكا وعبيدا، يتصرف فيهم بحمده. {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ} لأن في الآخرة، يظهر من حمده، والثناء عليه، ما لا يكون في الدنيا، فإذا قضى اللّه تعالى بين الخلائق كلهم، ورأى الناس والخلق كلهم، ما حكم به، وكمال عدله وقسطه، وحكمته فيه، حمدوه كلهم على ذلك، حتى أهل العقاب ما دخلوا النار، إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، وأن هذا من جراء أعمالهم، وأنه عادل في حكمه بعقابهم.

- س - هل يحمد الله في الآخرة ؟

وأما ظهور حمده في دار النعيم والثواب، فذلك شيء قد تواردت به الأخبار، وتوافق عليه الدليل السمعي والعقلي، فإنهم في الجنة، يرون من توالي نعم اللّه، وإدرار خيره، وكثرة بركاته، وسعة عطاياه، التي لم يبق في قلوب أهل الجنة أمنية، ولا إرادة، إلا وقد أعطي فوق ما تمنى وأراد، بل يعطون من الخير ما لم تتعلق به أمانيهم، ولم يخطر بقلوبهم.

فما ظنك بحمدهم لربهم في هذه الحال، مع أن في الجنة تضمحل العوارض والقواطع، التي تقطع عن معرفة اللّه ومحبته والثناء عليه، ويكون ذلك أحب إلى أهلها من كل نعيم، وألذ عليهم من كل لذة، ولهذا إذا رأوا اللّه تعالى، وسمعوا كلامه عند خطابه لهم، أذهلهم ذلك عن كل نعيم، ويكون الذكر لهم في الجنة، كالنَّفس، متواصلا في جميع الأوقات، هذا إذا أضفت ذلك إلى أنه يظهر لأهل الجنة في

الجنة كل وقت من عظمة ربهم، وجلاله، وجماله، وسعة كماله، ما يوجب لهم كمال الحمد، والثناء عليه.

- س – ما دلالة اسمي الله تعالى (الحكيم الخبير) ؟

{وَهُوَ الْحَكِيمُ} في ملكه وتدبيره، الحكيم في أمره ونهيه. {الْخَبِيرُ} المطلع على سرائر الأمور وخفاياها ولهذا فصل علمه بقوله: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ} أي: من مطر، وبذر، وحيوان {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} من أنواع النباتات، وأصناف الحيوانات {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ} من الأملاك والأرزاق والأقدار {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} من الملائكة والأرواح وغير ذلك.

- س - ما دلالة القيوم الرحيم ؟

ولما ذكر مخلوقاته وحكمته فيها، وعلمه بأحوالها، ذكر مغفرته ورحمته لها، فقال: {وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ} أي: الذي الرحمة والمغفرة وصفه، ولم تزل آثارهما تنزل على عباده كل وقت بحسب ما قاموا به من مقتضياتهما.

- [٣ ـ ٥] {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ}
- س – ما هي أوصاف الناس ؟

لما بين تعالى، عظمته، بما وصف به نفسه، وكان هذا موجبا لتعظيمه وتقديسه، والإيمان به، ذكر أن من أصناف الناس، طائفة لم تقدر ربها حق قدره، ولم تعظمه حق عظمته، بل كفروا به، وأنكروا قدرته على إعادة الأموات، وقيام الساعة، وعارضوا بذلك رسله فقال: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} أي بالله وبرسله، وبما جاءوا به، فقالوا بسبب كفرهم: {لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ} أي: ما هي، إلا هذه الحياة الدنيا، نموت ونحيا. فأمر الله رسوله أن يرد قولهم ويبطله، ويقسم على البعث، وأنه سيأتيهم، واستدل على ذلك بدليل من أقرَّ به، لزمه أن يصدق بالبعث ضرورة، وهو علمه تعالى الواسع العام فقال: {عَالِمِ الْغَيْبِ} أي: الأمور الغائبة عن أبصارنا، وعن علمنا، فكيف بالشهادة؟".

- ثم أكد علمه فقال: {لَا يَعْزُبُ} أي: لا يغيب عن علمه {مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} أي: جميع الأشياء بذواتها وأجزائها، حتى أصغر ما يكون من الأجزاء، وهو المثاقيل منها.
- {وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} أي: قد أحاط به علمه، وجرى به قلمه، س - ما المقصود بالكتاب المبين ؟

تضمنه الكتاب المبين، الذي هو اللوح المحفوظ، فالذي لا يخفى عن علمه مثقال الذرة فما دونه، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من الأموات، وما يبقى من أجسادهم، قادر على بعثهم من باب أولى، وليس بعثهم بأعجب من هذا العلم المحيط.

- ثم ذكر المقصود من البعث فقال: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا} بقلوبهم، صدقوا الله، وصدقوا رسله تصديقا جازما، {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} تصديقا لإيمانهم. {أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} لذنوبهم، بسبب إيمانهم وعملهم، يندفع بها كل شر وعقاب. {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} بإحسانهم، يحصل لهم به كل مطلوب ومرغوب، وأمنية.
- {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} أي: سعوا فيها كفرا بها، وتعجيزا لمن جاء بها، وتعجيزا لمن أنزلها، كما عجزوه في الإعادة بعد الموت. {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ} أي: مؤلم لأبدانهم وقلوبهم.
- [٦] {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث، وأنهم يرون ما أنزل على رسوله ليس بحق..

س ـ ما حالة الموفقين من العباد ؟

ذكر حالة الموفقين من العباد، وهم أهل العلم، وأنهم يرون ما أنزل الله على رسوله من الكتاب، وما اشتمل عليه من الأخبار، هو الحق، أي: الحق منحصر فيه، وما خالفه وناقضه، فإنه باطل، لأنهم وصلوا من العلم إلى درجة اليقين.

- ويرون أيضا أنه في أوامره ونواهيه {يَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} وذلك أنهم جزموا بصدق ما أخبر به من وجوه كثيرة: من جهة علمهم بصدق من أخبر به، ومن جهة موافقته للأمور الواقعة، والكتب السابقة، ومن جهة ما يشاهدون من أخبارها، التي تقع عيانا، ومن جهة ما يشاهدون من الآيات العظيمة الدالة عليها في الآفاق وفي أنفسهم ومن جهة موافقتها، لما دلت عليه أسماؤه تعالى وأوصافه.

ويرون في الأوامر والنواهي، أنها تهدي إلى الصراط المستقيم، المتضمن للأمر بكل صفة تزكي النفس، وتنمي الأجر، وتفيد العامل وغيره، كالصدق والإخلاص وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى عموم الخلق، ونحو ذلك. وتنهى عن كل صفة قبيحة، تدنس النفس، وتحبط الأجر، وتوجب الإثم والوزر، من الشرك، والزنا، والربا، والظلم في الدماء والأموال، والأعراض.

وهذه منقبة لأهل العلم وفضيلة، وعلامة لهم، وأنه كلما كان العبد أعظم علما وتصديقا بأخبار ما جاء به الرسول، وأعظم معرفة بحكم أوامره ونواهيه، كان من أهل العلم الذين جعلهم الله حجة على ما جاء به الرسول، احتج الله بهم على المكذبين المعاندين، كما في هذه الآية وغيرها.

- [٧ ـ ٩] {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ * أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ * أَفَلَمْ يَرَوْا

إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}

أي: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} على وجه التكذيب والاستهزاء والاستبعاد، وذكر وجه الاستبعاد.

أي: قال بعضهم لبعض: {هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} يعنون بذلك الرجل، رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه رجل أتى بما يستغرب منه، حتى صار ـ بزعمهم ـ فرجة يتفرجون عليه، وأعجوبة يسخرون منه، وأنه كيف يقول {إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ} بعدما مزقكم البلى، وتفرقت أوصالكم، واضمحلت أعضاؤكم؟!.

فهذا الرجل الذي يأتي بذلك، هل {أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} فتجرأ عليه وقال ما قال، {أَمْ بِهِ جِنَّةٌ} ؟ فلا يستغرب منه، فإن الجنون فنون، وكل هذا منهم، على وجه العناد والظلم، ولقد علموا، أنه أصدق خلق الله وأعقلهم، ومن علمهم، أنهم أبدوا وأعادوا في معاداتهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم، في صد الناس عنه، فلو كان كاذبا مجنونا لم ينبغ لكم ـ يا أهل العقول غير الزاكية ـ أن تصغوا لما قال، ولا أن تحتفلوا بدعوته، فإن المجنون، لا ينبغي للعاقل أن يلفت إليه نظره، أو يبلغ قوله منه كل مبلغ.

ولولا عنادكم وظلمكم، لبادرتم لإجابته، ولبيتم دعوته، ولكن {مَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} ولهذا قال تعالى: {بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} ومنهم الذين قالوا تلك المقالة، {فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ} أي: في الشقاء العظيم، والضلال البعيد، الذي ليس بقريب من الصواب، وأي شقاء وضلال، أبلغ من إنكارهم لقدرة الله على البعث وتكذيبهم لرسوله الذي جاء به، واستهزائهم به، وجزمهم بأن ما جاءوا به هو الحق، فرأوا الحق باطلا، والباطل والضلال حقا وهدى.

ثم نبههم على الدليل العقلي، الدال على عدم استبعاد البعث، الذي استبعدوه، وأنهم لو نظروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم، من السماء والأرض فرأوا من قدرة الله فيهما، ما يبهر العقول، ومن عظمته ما يذهل العلماء الفحول، وأن خلقهما وعظمتهما وما فيهما من المخلوقات، أعظم من إعادة الناس ـ بعد موتهم ـ من قبورهم، فما الحامل لهم، على ذلك التكذيب مع التصديق، بما هو أكبر منه؟ نعم ذاك خبر غيبي إلى الآن، ما شاهدوه، فلذلك كذبوا به.

- قال الله: {إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ} أي: من العذاب، لأن الأرض والسماء تحت تدبيرنا، فإن أمرناهما لم يستعصيا، فاحذروا إصراركم على تكذيبكم، فنعاقبكم أشد العقوبة. {إِنَّ فِي ذَلِكَ} أي: خلق السماوات والأرض، وما فيهما من المخلوقات {لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}

فكلما كان العبد أعظم إنابة إلى الله، كان انتفاعه بالآيات أعظم، لأن المنيب مقبل إلى ربه، قد توجهت إراداته وهماته لربه، ورجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريبا من ربه، ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته، فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة وعبرة، لا نظر غفلة غير نافعة.

- [١٠ ـ ١١] {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}

- س ـ أنعم الله على آل دواد بنعم كثيرة ما هي النعم ؟

أي: ولقد مننا على عبدنا ورسولنا، داود عليه الصلاة والسلام، وآتيناه فضلا من العلم النافع، والعمل الصالح، والنعم الدينية والدنيوية، ومن نعمه عليه، ما خصه به من أمره تعالى الجمادات، كالجبال والحيوانات، من الطيور، أن تُؤَوِّب معه، وتُرَجِّع التسبيح بحمد ربها، مجاوبة له، وفي هذا من النعمة عليه، أن كان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده،

- س – ما الحكمة من عرض هذه النعم التي أنعم الله بها على نبيه داوود عليه السلام ؟

وأن ذلك يكون منهضا له ولغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات، تتجاوب بتسبيح ربها، وتمجيده، وتكبيره، وتحميده، كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى.

ومنها: أن ذلك ـ كما قال كثير من العلماء، أنه طرب لصوت داود، فإن الله تعالى، س ـ ماذا أعطاه الله ؟ قد أعطاه من حسن الصوت، ما فاق به غيره، وكان إذا رجَّع التسبيح والتهليل والتحميد بذلك الصوت الرخيم الشجيِّ المطرب، طرب كل من سمعه، من الإنس، والجن، حتى الطيور والجبال، وسبحت بحمد ربها.

ومنها: أنه لعله ليحصل له أجر تسبيحها، لأنه سبب ذلك، وتسبح تبعا له.

ومن فضله عليه، أن ألان له الحديد، ليعمل الدروع السابغات، وعلمه تعالى كيفية صنعته، بأن يقدره في السرد، أي: يقدره حلقا، ويصنعه كذلك، ثم يدخل بعضها ببعض.

- قال تعالى: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ}
- س ـ ماذا أمره الله به ؟

ولما ذكر ما امتن به عليه وعلى آله، أمره بشكره، وأن يعملوا صالحا، ويراقبوا الله تعالى فيه، بإصلاحه وحفظه من المفسدات، فإنه بصير بأعمالهم، مطلع عليهم، لا يخفى عليه منها شيء.

- [١٢ ـ ١٤] {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ *

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ}

- س ـ ما هو فضله على سليمان ؟

لما ذكر فضله على داود عليه السلام، ذكر فضله على ابنه سليمان، عليه الصلاة والسلام، وأن الله سخر له الريح تجري بأمره، وتحمله، وتحمل جميع ما معه، وتقطع المسافة البعيدة جدا، في مدة يسيرة، فتسير في اليوم، مسيرة شهرين. {غُدُوُّهَا شَهْرٌ} أي: أول النهار إلى الزوال {وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} من الزوال، إلى آخر النهار {وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ} أي: سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب، في استخراج ما يستخرج منها من الأواني وغيرها.

- وسخر الله له أيضا، الشياطين والجن، لا يقدرون أن يستعصوا عن أمره، {وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ} وأعمالهم كل ما شاء سليمان، عملوه.
- {مِنْ مَحَارِيبَ} وهو كل بناء يعقد، وتحكم به الأبنية، فهذا فيه ذكر الأبنية الفخمة، {وَتَمَاثِيلَ} أي: صور الحيوانات والجمادات، من إتقان صنعتهم، وقدرتهم على ذلك وعملهم لسليمان {وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ} أي: كالبرك الكبار، يعملونها لسليمان للطعام، لأنه يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيره ، " و " يعملون له قدورا راسيات لا تزول عن أماكنها، من عظمها.
- فلما ذكر منته عليهم، أمرهم بشكرها فقال: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ} وهم داود، وأولاده، وأهله، لأن المنة على الجميع، وكثير من هذه المصالح عائد لكلهم. {شُكْرًا} لله على ما أعطاهم، ومقابلة لما أولاهم. {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} فأكثرهم، لم يشكروا الله تعالى على ما أولاهم من نعمه، ودفع عنهم من النقم.

والشكر: اعتراف القلب بمنة الله تعالى، وتلقيها افتقارا إليها، وصرفها في طاعة الله تعالى، وصونها عن صرفها في المعصية.

- س – كيف ثبت بالدليل على أن الجن لا يعلمون الغيب ؟

فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان، عليه الصلاة والسلام، كل بناء، وكانوا قد موهوا على الإنس، وأخبروهم أنهم يعلمون الغيب، ويطلعون على المكنونات، فأراد الله تعالى أن يُرِيَ العباد كذبهم في هذه الدعوى، فمكثوا يعملون على عملهم، وقضى الله الموت على سليمان عليه السلام، واتَّكأ على عصاه، وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكئ عليها، ظنوه حيا، وهابوه.

- فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل، حتى سلطت دابة الأرض على عصاه، فلم تزل ترعاها، حتى باد وسقط فسقط سليمان عليه السلام وتفرقت الشياطين وتبينت الإنس أن الجن {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} وهو العمل الشاق عليهم، فلو علموا الغيب، لعلموا موت سليمان، الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلموا مما هم فيه.

- [١٥ ـ ٢١] {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}
- س- من هم سبأ ؟

سبأ قبيلة معروفة في أداني اليمن، ومسكنهم بلدة يقال لها "مأرب" ومن نعم الله ولطفه بالناس عموما، وبالعرب خصوصا، أنه قص في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين، ممن كان يجاور العرب، ويشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره،

- س ـ ما فائدة قص أخبار المكذبين ؟

ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة

- س – ما هي الآية التي جعلها الله لسبأ ؟

فقال: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ} أي: محلهم الذي يسكنون فيه {آيَةٌ} والآية هنا: ما أدرَّ الله عليهم من النعم، وصرف عنهم من النقم، الذي يقتضي ذلك منهم، أن يعبدوا الله ويشكروه. ثم فسر الآية بقوله {جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} وكان لهم واد عظيم، تأتيه سيول كثيرة، وكانوا بنوا سدا محكما، يكون مجمعا للماء، فكانت السيول تأتيه، فيجتمع هناك ماء عظيم، فيفرقونه على بساتينهم، التي عن يمين ذلك الوادي وشماله. وتُغِلُّ لهم تلك الجنتان العظيمتان، من الثمار ما يكفيهم، ويحصل لهم به الغبطة والسرور،

- س ـ بماذا أمرهم الله ؟

فأمرهم الله بشكر نعمه التي أدرَّها عليهم من وجوه كثيرة، منها: هاتان الجنتان اللتان غالب أقواتهم منهما.

- س – ما هي النعم التي أسداها الله عليهم ؟

ومنها: أن الله جعل بلدهم، بلدة طيبة، لحسن هوائها، وقلة وخمها، وحصول الرزق الرغد فيها.

ومنها: أن الله تعالى وعدهم ـ إن شكروه ـ أن يغفر لهم وَيرحمهم، ولهذا قال: {بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ}

ومنها: أن الله لما علم احتياجهم في تجارتهم ومكاسبهم إلى الأرض المباركة، ـ الظاهر أنها: [قرى صنعاء قاله غير واحد من السلف، وقيل: إنها} الشام ـ هيأ لهم من الأسباب ما به يتيسر وصولهم إليها، بغاية السهولة، من الأمن، وعدم الخوف، وتواصل القرى بينهم وبينها، بحيث لا يكون عليهم مشقة، بحمل الزاد والمزاد.

ولهذا قال: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ} أي: [سيرا} مقدرا يعرفونه، ويحكمون عليه، بحيث لا يتيهون عنه {لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ} أي: مطمئنين في السير، في تلك الليالي والأيام، غير خائفين. وهذا من تمام نعمة الله عليهم، أن أمنهم من الخوف.

- س – ما هي حالهم مع الفتن ؟

فأعرضوا عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا، أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى، التي كان السير فيها متيسر ا.

- {وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} بكفرهم بالله وبنعمته، فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة، التي أطغتهم، فأبادها عليهم، فأرسل عليها سيل العرم.
- س – ما هو سيل العرم ؟

أي: السيل المتوعر، الذي خرب سدهم، وأتلف جناتهم، وخرب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنات ذات الحدائق المعجبة، والأشجار المثمرة، وصار بدلها أشجار لا نفع فيها، ولهذا قال: {وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ} أي: شيء قليل من الأكل الذي لا يقع منهم موقعا {خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ} وهذا كله شجر معروف، وهذا من جنس عملهم. فكما بدلوا الشكر الحسن، بالكفر القبيح، بدلوا تلك النعمة بما ذكر.

- س ـ بماذا جازاهم الله ؟

ولهذا قال: {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} أي: وهل نجازي جزاء العقوبة ـ بدليل السياق ـ إلا من كفر بالله وبطر النعمة؟

- س ـ ما هو حالهم بعد ما عاقبهم الله ؟

فلما أصابهم ما أصابهم، تفرقوا وتمزقوا، بعدما كانوا مجتمعين، وجعلهم الله أحاديث يتحدث بهم، وأسمارًا للناس، وكان يضرب بهم المثل فيقال: "تفرقوا أيدي سبأ" فكل أحد يتحدث بما جرى لهم، ولكن لا ينتفع بالعبرة فيهم إلا من قال الله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} صبار على المكاره والشدائد، يتحملها لوجه الله، ولا يتسخطها بل يصبر عليها. شكور لنعمة الله تعالى يُقِرُّ بها، ويعترف، ويثني على من أولاها، ويصرفها في طاعته. فهذا إذا سمع بقصتهم، وما جرى منهم وعليهم، عرف بذلك أن تلك العقوبة، جزاء لكفرهم نعمة الله، وأن من فعل مثلهم، فُعِلَ به كما فعل بهم، وأن شكر الله

تعالى، حافظ للنعمة، دافع للنقمة، وأن رسل الله، صادقون فيما أخبروا به، وأن الجزاء حق، كما رأى أنموذجه في دار الدنيا.

- ثم ذكر أن قوم سبأ من الذين صدَّق عليهم إبليس ظنه، حيث قال لربه: {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} وهذا ظن من إبليس، لا يقين، لأنه لا يعلم الغيب، ولم يأته خبر من الله، أنه سيغويهم أجمعين، إلا من استثنى، فهؤلاء وأمثالهم، ممن صدق عليه إبليس ظنه، ودعاهم وأغواهم، {فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ممن لم يكفر بنعمة الله، فإنه لم يدخل تحت ظن إبليس.
- ويحتمل أن قصة سبأ، انتهت عند قوله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}
- ثم ابتدأ فقال: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ} أي: على جنس الناس، فتكون الآية عامة في كل من اتبعه.
- ثم قال تعالى: {وَمَا كَانَ لَهُ} أي: لإبليس {عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ} أي: تسلط وقهر، وقسر على ما يريده منهم، ولكن حكمة الله تعالى اقتضت تسليطه وتسويله لبني آدم
- س – ما الحكمة من الابتلاء ؟

{لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ} أي: ليقوم سوق الامتحان، ويعلم به الصادق من الكاذب، ويعرف من كان إيمانه صحيحا، يثبت عند الامتحان والاختبار، وإلقاء الشبه الشيطانية، ممن إيمانه غير ثابت، يتزلزل بأدنى شبهة، ويزول بأقل داع يدعوه إلى ضده، فالله تعالى جعله امتحانا، يمتحن به عباده، ويظهر الخبيث من الطيب.

- {وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} يحفظ العباد، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويحفظ تعالى جزاءها، فيوفيهم إياها، كاملة موفرة.

لمسات بيانية:

<u>آية (٢):</u>

***ما اللمسة البيانية في تقديم الرحيم على الغفور في سورة سبأ وقد وردت في باقي القرآن الغفور الرحيم؟(د.فاضل السامرائى)**

في آية واحدة وردت تقديم الرحيم على الغفور وفي بقية الآيات تقديم الغفور على الرحيم. لو لاحظنا آية سبأ التي تقدم فيها الرحيم على الغفور. أولاً المغفرة تكون للمكلّفين والرحمة عامة حتى الحيوانات تشملها الرحمة لكن المغفرة للمكلفين. سورة سبأ لم يتقدم الآية ما يتعلق بالمكلّفين وإنما تقدّمها أمر عام قال (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)) ليس فيها ذكر للمكلفين. ذِكر المكلفين جاء بعدها (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣)) إذن تأخر ذكر المكلفين فتأخر ما يتعلق بهم (الغفور). الأولى عامة (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) تقدمت العامة

ولهذا قدّم الرحمة لما كان ما تقدم أمراً عاماً ليس خاصاً بالمكلفين قدم الرحمة ولما ذكر المكلفين فيما بعد قدم الغفور فيما بعد. ولذلك في جميع المواطن في القرآن بلا استثناء إذا قال غفور رحيم يتقدم ذكر المكلفين (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣) البقرة)

***قال تعالى في سورة الحديد (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)) وقال في سورة سبأ (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)) اختلف ختام الآيتين وفي آية سورة سبأ لم يذكر (وهو معكم أينما كنتم) فما هي اللمسة البيانية في الآيتين؟(د.فاضل السامرائى)**

- في الدراسات القرآنية السياق يوضح كثيراً من الإجابات عن الأسئلة. عندما نرى آيتين تختلفان في كلمة أو في ذِكر أو عدم ذِكر فالرجوع إلى السياق يوضح هذا الأمر كثيراً. لو لاحظنا هذه الآية في سورة الحديد (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) قال تعالى قبلها (وهو بكل شيء عليم) هذا يدل على علمه وإحاطته بكل شيء، (وهو معكم أينما كنتم) هذا مناسب للعلم ويترابط معه. وبعدها قال تعالى (وهو عليم بذات الصدور) فهذه الآية متناسبة مع السياق التي وردت فيه وهو العِلم قبلها وبعدها (وهو معكم أينما كنتم) (والله بما تعلمون بصير) <u>متناسب مع ما قبله</u> (وهو بكل شيء عليم) <u>ومتناسب مع ما بعده</u> (وهو عليم بذات الصدور). هذا الموقع غير موجود في سورة سبأ، هذا أمر.
- الأمر الآخر قال تعالى (وهو معكم أينما كنتم) في سورة الحديد وهذا يدل على المراقبة ولذا جاء بعدها بما يدل على معرفته بعَمَلنا قال (والله بما تعملون بصير). وفي سورة سبأ قال في ختام الآية (وهو الرحيم الغفور) وفي الحديد قال (والله بما تعملون بصير) هذا متناسب مع المراقبة (وهو معكم أينما كنتم). إذن في سبأ ختمها (وهو الرحيم الغفور) فأراد تعالى أن يرحم الناس بالرحمة والمغفرة فرفع ذِكر المراقبة، أليس من رحمته أن يرفع ذكر المراقبة؟ <u>عدم ذكر المراقبة أنسب مع الرحمة والمغفرة</u>،
- الأمر الآخر في آية سبأ ذكر الآخرة قبل الآية وبعدها، أما آية الحديد في بداية خلق السموات والأرض وهو زمان بداية الأعمال واستمرارها، وفي سورة سبأ زمان طيّ صفحة الأعمال، الآخرة هي طيّ صفحة الأعمال، فما قال (وهو معكم أينما كنتم) في آية سبأ لأنه ليس وقتها وانطوت صفحة الأعمال في الآخرة وانتهت فلذلك لم يذكرها بينما في سورة الحديد فهو زمان بداية الأعمال وزمان المراقبة (هو الذي خلق السموات والأرض) فإذن <u>السياق مختلف: في سبأ في الآخرة وهو في طيّ صفحة الأعمال وفي الحديد في بداية صفحة الأعمال ولذلك وضع المراقبة مع السياق الذي يقتضي وضعها فيه</u> ورفعها من السياق الذي لا يقتضي سواء كان في الآخرة أو في وقوعها ما يتعلق بالآخرة.
- الأمر الآخر جو السورة أحياناً يظهر إختيار العبارات أو ذِكر أو عدم الذِكر: في سورة الحديد تردد فيها ذكر العلم والمراقبة (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ <u>عَلِيمٌ</u> (٣)) (وَهُوَ <u>مَعَكُمْ</u> أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا <u>تَعْمَلُونَ</u> بَصِيرٌ (٤)) (وَهُوَ <u>عَلِيمٌ</u> بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)) (وَاللَّهُ بِمَا <u>تَعْمَلُونَ</u> خَبِيرٌ (١٠)) (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ <u>إِلَّا فِي كِتَابٍ</u> مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)) (<u>وَلِيَعْلَمَ</u> اللَّهُ مَن

يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ (٢٥)) كلها عِلم، جو السورة يتردد فيه العلم. في سورة سبأ الذي شاع في جو السورة ذِكر الآخرة (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ (١)) (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ (٣)) إلى آخر السورة سورة سبأ شاع فيها ذِكر الآخرة، وفتحت بذكر الآخرة وختمت بذكر الآخرة وهذا لا يتناسب مع جو المراقبة. ذاك جو العِلم يتناسب مع (وهو معكم أينما كنتم). إذن في كل الأمور: ما قبل الآية وما بعدها، ختام كل آية من الآيات يتناسب، السياق، بداية الأعمال وطيّ صفحة الأعمال، كل هذا يتناسب مع وضع كل تعبير في مكانه. ثم ختمها بقوله (والله بما تعملون بصير) قدّم العمل على البصر لأنه ورد بعدها (وهو معكم أينما كنتم) قدّم عملهم لأن الكلام عليهم أنفسهم (وهو معكم أينما كنتم) ما قال بصير بما تعملون.

آية (٣):

***ما الفرق بين قوله تعالى (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ) وقوله (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ)؟(د.فاضل السامرائى)**

بداية الآية مختلفة ، التذييل متشابه، آية سبأ جاءت تذييلا وتعقيبا للحديث عن الساعة، آية يونس جاءت لبيان مقدار إحاطة علم الله بكل شيء، وسعة ذلك العلم.

آية (١١):

***يقول تعالى (بما تعملون بصير) وفي آية أخرى يقول (بصير بما تعملون) فهل للتقديم والتأخير لمسة بيانية؟(د.فاضل السامرائى)**

التقديم والتأخير يأتي لسبب والسياق قد يكون الحاكم والموضح للأمور. إذا كان سياق الكلام أو الآية في العمل يقدّم العمل وإذا لم يكن السياق في العمل أو إذا كان الكلام على الله سبحانه وتعالى وصفاته يقدّم صفته. من باب تقديم العمل على البصر: (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) البقرة) بهذا العمل بصير، إذا كان السياق عن العمل يقدم العمل على البصر وإذا كان الكلام ليس في السياق عن العمل أو الكلام على الله تعالى وصفاته يقدم صفته. (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) البقرة) هذا إنفاق، (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) هود) الكلام على العمل فقدم العمل (أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) سبأ) قدم العمل، (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) فصلت) هذا في القرآن كله إذا كان الكلام ليس على العمل أو على الله تعالى (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) البقرة) ليس فيها عمل،(إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) الحجرات) يتكلم عن الله تعالى فيقدم صفة من صفات الله تعالى.

آية (١٢):

***ما دلالة كلمة (الريح)فى قوله تعالى(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ {١٢}) ولماذا جاءت على صيغة الإفراد؟(د.فاضل السامرائى)**

كلمة ريح في القرآن الكريم تستعمل للشّر كما في قوله تعالى في سورة القمر (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ {١٩}) وسورة الحجّ (حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ {٣١}) وسورة الإسراء (أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً {٦٩}).
أما كلمة الرياح فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات كما في قوله تعالى في سورة الحجر (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ {٢٢}) وسورة النمل (أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {٦٣}).
وفي سورة سبأ (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ {١٢}) استعملت كلمة ريح مع سليمان لكنها لم تُخصص لشيء فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر لأن الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.

آية (١٣):

***في سورة سبأ (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣)) لماذا ورد فعل اعملوا مع أن الأقرب إلى العقل أن يقول اشكروا آل داوود شكراً باعتبار الشكر مصدر؟ ولماذا ورد الفعل اعملوا ولم يقل افعلوا؟(د.فاضل السامرائى)**

(اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا) الشكر ليس لساناً فقط وإنما هو عمل ولذلك أعربها قسم مفعول به اعملوا الشكر، مثلاً لو أعطاك الله مالاً فشكره ليس أن تقول الحمد لله فقط وإنما أن تؤدي حقّه فإن لم تؤدي حقه فأنت لست بشاكر ولو بقيت تشكر ربك كلاماً طوال عمرك يعني شكر النعم القيام بحقها فالشكر عمل مع القول وليس قولاً فقط. اعملوا الشكر (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا). وقسم يجعل شكراً حال أي اعملوا كونكم شاكرين وقسم يجعلها مفعول لأجله وهي ليس كما قيل شاكروا آل داوود شكراً وإنما هذا واحد من المعاني وإنما الشكر هو عمل أن تؤدي الحقوق التي عليك فيما آتاك الله من النعم، أن تقوم به عملاً. أعطاك الله جاهاً فتنفع الناس بجاهك في الخير، أعطاك الله علماً وكتمته أنت آثم حتى لو قلت الحمد لله على ما أعطاني من النعمة، إذا كنت كاتماً للعلم فأنت لست بشاكر. (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) الشكور مبالغة فالذي يشكر ربه دائماً لأن هذا متعلق بالأعمال ومتعلق باللسان.

***ما الفرق بين استعمال كلمة (شكورا) و (شكرا)؟(د.فاضل السامرائى)**

الشكور تحتمل الجمع والإفراد في اللغة وهي تعني تعدد الشكر والشكر في اللغة يُجمع على الشكور ويحتمل أن يكون مفرداً مثل القعود والجلوس، وفى آية الإنسان الجمع يدل على الكثرة أي لا نريد الشكر وإن تعدد وتكرر الإطعام باعتبار الجمع.

آية (١٤):

***ما دلالة كلمة منسأته في آية سورة سبأ ؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة سبأ (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ {١٤})، والمنسأة هي العصى. نسأ في اللغة لها دلالتين نسأ البعير إذا جرّه وساقه والمنسأة هي عصى عظيمة تُزجر بها الإبل لتسوقها ونسأ بمعنى أخّر الشيء (النسيء). فلماذا اذن استعمل كلمة منسأة ولم يستعمل كلمة عصى؟ قلنا أن المنسأة لها معنيين وهما سوق الإبل والتأخير وفي قصة سليملن هذه العصى كانت تسوق الجنّ إلى العمل مع أن سليمان كان ميتاً إلى أن سقطت العصى وسقط سليمان (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) فكما أن الراعي يسوق الإبل لتسير فهذه المنسأة كانت تسوق الجنّ. والمنسأة كأنها مدّت حكم سليمان فهي أخّرت حكمه إلى أن سقط. فاستعمالها في قصة سليمان أفاد المعنيين واستعمالها من الجهتين اللغويتين في غاية البيان من جهة السوق ومن جهة التأخير.

أما في قصة موسى فاستعمل كلمة العصى (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى {١٨}) ليهشّ بها على غنمه وبها رحمة بالحيوان وعكس الأولى ولا يناسب استخدام كلمة منسأة.

الوصايا العملية:

- اجتهدي في طلب العلم حتى يوصلك إلى درجة اليقين .
- كلما زاد يقينك زاد صبرك وهانت عليك المصائب .
- من تعظيم القلب للرب التفكر في مخلوقات الله فهو يزيد الإيمان .
- كل ما تعرفت على أسماء الله الحسنى زاد إيمانك ويزيد حبك لله .
- التزامك بالأوامر والنواهي يهديك إلى الصراط المستقيم .
- كلما كان العبد عالما بالله كان بالله عارفا .
- الحذر من الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو كفر .
- كلما كنت رحيمة سواء كنت مربية أو معلمة فهو أدعى إلى قبول ما تنصحين به .

- احذري من الكبر والعناد فإنهما يمنعان من قبول الحق .
- الحذر من التكذيب فإنه يصد عن الحق .
- كلما كان العبد أكثر إنابة ورجوع إلى الله كان إلى الله أقرب .
- اجهري بالذكر ليكون لك أجر من سمعه .
- ذكري الناس بالخير .
- احرصي على التعوذ من الشيطان فهو يذكرك بالنقائص وينسيك الشكر .
- احرصي على أذكار الصباح والمساء ومنها قول (اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد والشكر) .
- احذري التشكي فهو آفة الشكر .
- انسبي جميع النعم الموجودة عندك من علم وحكمة وحسن قول ومنطق ومال وجمال وبنين إلى المنعم سبحانه .
- احذري من المنة على الخلق وخاصة على الزوج فإنها من كبائر الذنوب .
- أكثري من دعاء (اللهم إني أعوذ بك من تحول عافيتك وزوال نعمتك وفجاءة نقمتك).
- استعملي جوارحك في طاعة الله فهو من الشكر .
- اشكري الله على نعمة الأمن فانظري إلى البلدان من حولنا وما حل بها من مصائب .

المقطع الثاني من الآية (٢٣) إلى الآية (٥٤) :

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (٢٢ – ٢٨) حوار مع المشركين. هذه جولات حوارية مع المشركين لتقرير القضية الأساسية في هذه السورة، قضية البعث والجزاء، بعد قيام الحجة عليهم بقصة داود وسليمان عليهما السلام، ثم بقصة سبأ وتحذيرهم من اتباع الشيطان. وفي هذه الآيات تقرير لوحدانية الله تعالى وبيان لعظمة سلطانه، وإشعار بهيبته تعالى وجلاله، ودحض لمزاعم أهل الشرك، وتمهيد للحديث عن مشاهد القيامة.
- الآيات (٢٩ – ٣٣) من مشاهد القيامة، حوارات صريحة. صلة هذه الآيات بمحور السورة الكريمة واضحة حيث تنتقل بنا إلى مشاهد القيامة وحال الكفار في هذا اليوم. وصلتها بالآيات السابقة واضحة حيث إنها تتصل بمهمة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي البشارة والنذارة حيث أنكر الكفار ما أُنذروا به واستعجلوه استعباداً له وتهكماً به.
- الآيات (٣٤ – ٣٩) الترف والمترفون. يخبر تعالى عن أحوال الأمم الماضية المكذبة للرسل، أها كحال هؤلاء المكذبين، وأن الترف من أسباب الصدود والاستكبار عن الحق، وأنه سبحانه ما أرسل رسولاً في قرية من القرى إلا كفر به مترفوها، وأبطرتهم نعمتهم وفخروا بها، وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت له وبيان لما للترف من آثار سلبية، من أخطرها أنه سبب للصدود عن الحق وإنكار البعث والجزاء مع جلاء الآيات والبراهين.
- الآيات (٤٠ – ٤٢) عودٌ إلى مشاهد القيامة مواجهة حاسمة ... وعاقبة الظالمين، يعود بنا السياق للحديث عن مشاهد يوم القيامة فيوقفنا أمام موقف مهيب وماوجة صريحة مباشرة بين المشركين والملائكة الذين يتبرؤون من الشرك ونزهون الله تعالى عن ذلك ويشهدون على ضلال المشركين واتباعهم لشياطين الجن.
- الآيات (٤٣ – ٤٥) عودٌ إلى حال المشركين في الدنيا. بعد التذكير بهذا المشهد المهيب والموقف العصيب بين يدي علام الغيوب، تذكر هذه الآيات بسجلّ المشركين بالصفحات المظلمة والجرائم المنكرة، فتبين ما كانوا عليه في الدنيا من تكذيب وإعراض وجحود وعناد وصدود وافتراء، وعداء لدعوة الحق التي جاءتهم وتشكيك في الكتاب الذي جاءهم.
- الآيات (٤٦ – ٥٤) دعوة للتفكر والنظر. بعدما أقام عليهم الحجة وحذرهم من سوء العاقبة، دعاهم إلى التجرد للحق والصدق في طلبه، والتخلي عن الأهواء والمطامع التي تحول دون التفكير الصحيح والنظر الثاقب والقرار الصائب في أمر هذه الدعوة، وأحوال إمامها، والنظر في مصيرهم المحتوم ومراجعة حالهم قبل فوات الأوان.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

قص الله علينا من أخبار السابقين للعلم والعظة والإعتبار قصة سبأ ، سميت السورة باسمهم لعظم مافي القصة من العلم والعظة .

وتشترك قصة سبأ مع قصة داوود وسليمان عليهما السلام كلا القصتين أنعم الله عليهم بالخيرات ورزقهم من الطيبات ، والفرق بين القصتين أن آل داوود آمنوا وشكروا آل سبأ بطروا وكفروا فكانت القصتين مثلين لأمتين إحداهما شكورة والأخرى كفورة ، وصف الله سبأ بأنها بلدة طيبة فكل شئ فيها طيب ، كان من عظيم ما أنعم الله به عليهم أنهمة كفوا مؤونة السفر ومشقته ورفع عنهم عنت الطريق ، كانوا كما كانت بنو اسرائيل حيث استبدلوا في مطامعهم الذي هو أدنى بالذي هو خير .

فمن الآيات في قصة سبأ :

إن حالة مساكنهم ورغدها كانت آية على قدرة الله ورحمته وإنعامه .

وفي إرسال السيل عليهم آية أخرى على شدة انتقامه وسرعة عذابه .

وفي تحول حالهم من النعمة إلى النقمة آية على أن الله سبحانه وتعالى هو الملك المدبر المتصرف في عباده بما شاء يعز من يشاء ويذل من يشاء ويرفع ويخفض ويعطي ويمنع ويرحم ويعذب .

وفي انعكاس حالهم من الرفاهية إلى الشقاء الشظف آية على تقلب أحوالهم .

ويستفيد العباد من ذلك عدم اغترارهم بدوام الخير والنفع ولا يأسهم من ارتفاع الشر والضر فإن الله تعالى يغير من حال إلى حال .

كما أن فيها آية على أن الأمن أساس العمران لابد من تحصيل أسبابه ورأس ذلك توحيد الله وطاعته واجتناب نواهيه .

وهذه القصة دليل على أن من سنة الله تعالى في عباده أنه سبحانه يجري على الشاكرين زيادة ونماء ويجازي الكافرين خذلانا وعذابا .

فمن فهم هذه السنة الربانية وعمل بموجبها كان له الأمن والنعيم في الدنيا والآخرة ومن حاد عنها كان من الهالكين .

اليوم بإذن الله سنتناول قصة سبأ في تدارسنا ..

فوائد وأسئلة تدبرية:

- [٢٢ ـ ٢٣] {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}
- س – ماهي الحجج التي يحتج بها المشركين ؟

أي: {قُلْ} يا أيها الرسول، للمشركين باللّه غيره من المخلوقات، التي لا تنفع ولا تضر، ملزما لهم بعجزها، ومبينا لهم بطلان عبادتها: {ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي: زعمتموهم شركاء للّه، إن كان دعاؤكم ينفع، فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز، وعدم إجابة الدعاء من كل وجه، فإنهم ليس لهم أدنى ملك فـ {لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، ولهذا قال: {وَمَا لَهُمْ} أي: لتلك الآلهة الذين زعمتم {فِيهِمَا} أي: في السماوات والأرض، {مِنْ شِرْكٍ} أي: لا شرك قليل ولا كثير، فليس لهم ملك، ولا شركة ملك.

- س – ما معنى قوله " وماله منهم من ظهير" ؟

بقي أن يقال: ومع ذلك، فقد يكونون أعوانا للمالك، ووزراء له، فدعاؤهم يكون نافعا، لأنهم ـ بسبب حاجة الملك إليهم ـ يقضون حوائج من تعلق بهم، فنفى تعالى هذه المرتبة فقال: {وَمَا لَهُ} أي: للّه تعالى الواحد القهار {مِنْهُمْ} أي: من هؤلاء المعبودين {مِنْ ظَهِيرٍ} أي: معاون ووزير يساعده على الملك والتدبير.

فلم يبق إلا الشفاعة، فنفاها بقوله: {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}

- س – كيف بين الله بطلان حجج المشركين ؟

فهذه أنواع التعلقات، التي يتعلق بها المشركون بأندادهم، وأوثانهم، من البشر، والشجر، وغيرهم، قطعها اللّه وبيَّن بطلانها، تبيينا حاسما لمواد الشرك، قاطعا لأصوله، لأن المشرك إنما يدعو ويعبد غير اللّه، لما يرجو منه من النفع، فهذا الرجاء، هو الذي أوجب له الشرك، فإذا كان من يدعوه [غير اللّه}، لا مالكا للنفع والضر، ولا شريكا للمالك، ولا عونا وظهيرا للمالك، ولا يقدر أن يشفع بدون إذن المالك، كان هذا الدعاء، وهذه العبادة، ضلالا في العقل، باطلة في الشرع.

بل ينعكس على المشرك مطلوبه ومقصوده، فإنه يريد منها النفع، فبيَّن اللّه بطلانه وعدمه، وبيَّن في آيات أخر، ضرره على عابديه وأنه يوم القيامة، يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضا، ومأواهم النار {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}

- س – هل يوفق من يزيغ عن طريق الحق ؟

والعجب، أن المشرك استكبر عن الانقياد للرسل، بزعمه أنهم بشر، ورضي أن يعبد ويدعو الشجر، والحجر، استكبر عن الإخلاص للملك الرحمن الديان، ورضي بعبادة من ضره أقرب من نفعه، طاعة لأعدى عدو له وهو الشيطان.

- وقوله: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}
- س – من الذين يفزع عن قلوبهم ؟

يحتمل أن الضمير في هذا الموضع، يعود إلى المشركين، لأنهم مذكورون في اللفظ، والقاعدة في الضمائر، أن تعود إلى أقرب مذكور، ويكون المعنى: إذا كان يوم القيامة، وفزع عن قلوب

المشركين، أي: زال الفزع، وسئلوا حين رجعت إليهم عقولهم، عن حالهم في الدنيا، وتكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل، أنهم يقرون، أن ما هم عليه من الكفر والشرك، باطل، وأن ما قال الله، وأخبرت به عنه رسله، هو الحق فبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وعلموا أن الحق للّٰه، واعترفوا بذنوبهم.

- س – ما دلالة اسم الله تعالى "العلي" وماهي أنواع العلو ؟

{وَهُوَ الْعَلِيُّ} بذاته، فوق جميع مخلوقاته وقهره لهم، وعلو قدره، بما له من الصفات العظيمة، جليلة المقدار {الْكَبِيرُ} في ذاته وصفاته.

ومن علوه، أن حكمه تعالى، يعلو، وتذعن له النفوس، حتى نفوس المتكبرين والمشركين. وهذا المعنى أظهر، وهو الذي يدل عليه السياق، ويحتمل أن الضمير يعود إلى الملائكة، وذلك أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي، سمعته الملائكة، فصعقوا، وخروا للّٰه سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، وإذا زال الصعق عن قلوب الملائكة، وزال الفزع، فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك الكلام الذي صعقوا منه: ماذا قال ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: قال الحق، إما إجمالا، لعلمهم أنه لا يقول إلا حقا، وإما أن يقولوا: قال كذا وكذا، للكلام الذي سمعوه منه، وذلك من الحق.

فيكون المعنى على هذا: أن المشركين الذين عبدوا مع الله تلك الآلهة، التي وصفنا لكم عجزها ونقصها، وعدم نفعها بوجه من الوجوه، كيف صدفوا وصرفوا عن إخلاص العبادة للرب العظيم، العلي الكبير، الذي ـ من عظمته وجلاله ـ أن الملائكة الكرام، والمقربين من الخلق، يبلغ بهم الخضوع والصعق، عند سماع كلامه هذا المبلغ، ويقرون كلهم للّٰه، أنه لا يقول إلا الحق.

فما بال هؤلاء المشركين، استكبروا عن عبادة من هذا شأنه، وعظمة ملكه وسلطانه. فتعالى العلي الكبير، عن شرك المشركين، وإفكهم، وكذبهم.

- [٢٤ ـ ٢٧] {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

يأمر تعالى، نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول لمن أشرك بالله ويسأله عن حجة شركه: {مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} فإنهم لا بد أن يقروا أنه الله، ولئن لم يقروا فـ {قُلِ اللَّهُ} فإنك لا تجد من يدفع هذا القول، فإذا تبين أن الله وحده الذي يرزقكم من السماوات والأرض، وينزل [لكم} المطر، وينبت لكم النبات، ويفجر لكم الأنهار، ويطلع لكم من ثمار الأشجار، وجعل لكم الحيوانات جميعها، لنفعكم ورزقكم، فلم تعبدون معه من لا يرزقكم شيئا، ولا يفيدكم نفعا؟.

- س – ما دلالة (في وعلى) ؟

وقوله: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} أي: إحدى الطائفتين منا ومنكم، على الهدى، مستعلية عليه، أو في ضلال مبين، منغمرة فيه، وهذا الكلام يقوله من تبين له الحق، واتضح له الصواب، وجزم بالحق الذي هو عليه، وبطلان ما عليه خصمه.

أي: قد شرحنا من الأدلة الواضحة عندنا وعندكم، ما به يعلم علما يقينا لا شك فيه، من المحق منا، ومن المبطل، ومن المهتدي ومن الضال؟ حتى إنه يصير التعيين بعد ذلك، لا فائدة فيه، فإنك إذا

وازنت بين من يدعو إلى عبادة الخالق، لسائر المخلوقات المتصرف فيها، بجميع أنواع التصرفات، المسدي جميع النعم، الذي رزقهم وأوصل إليهم كل نعمة، ودفع عنهم كل نقمة، الذي له الحمد كله، والملك كله، وكل أحد من الملائكة فما دونهم، خاضعون لهيبته، متذللون لعظمته، وكل الشفعاء تخافه، لا يشفع أحد منهم عنده إلا بإذنه العلي الكبير، في ذاته، وأوصافه، وأفعاله، الذي له كل كمال، وكل جلال، وكل جمال، وكل حمد وثناء ومجد، يدعو إلى التقرب لمن هذا شأنه، وإخلاص العمل له، وينهى عن عبادة من سواه، وبين من يتقرب إلى أوثان، وأصنام، وقبور، لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك لأنفسها، ولا لمن عبدها، نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا، بل هي جمادات، لا تعقل، ولا تسمع دعاء عابديها، ولو سمعته ما استجابت لهم، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ويتبرأون منهم، ويتلاعنون بينهم، ليس لهم قسط من الملك، ولا شركة فيه، ولا إعانة فيه، ولا لهم شفاعة يستقلون بها دون الله، فهو يدعو مَنْ هذا وصفه، ويتقرب إليه مهما أمكنه، ويعادي من أخلص الدين لله، ويحاربه، ويكذب رسل الله، الذين جاءوا بالإخلاص لله وحده، تبين لك أي الفريقين، المهتدي من الضال، والشقي من السعيد؟ ولم يحتج إلى أن يعين لك ذلك، لأن وصف الحال، أوضح من لسان المقال.

- س – ما واجب الداعية إذا قوبل بالتكذيب ؟

{قُلْ} لهم [{لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ} أي: كل منا ومنكم، له عمله أنتم} {لا تسألون} عن إجرامنا وذنوبنا لو أذنبنا، ونحن لا نسأل عن أعمالكم، فليكن المقصود منا ومنكم طلب الحقائق وسلوك طريق الإنصاف، ودعوا ما كنا نعمل، ولا يكن مانعا لكم من اتباع الحق، فإن أحكام الدنيا تجري على الظواهر، ويتبع فيها الحق، ويجتنب الباطل، وأما الأعمال فلها دار أخرى، يحكم فيها أحكم الحاكمين، ويفصل بين المختصمين، أعدل العادلين.

ولهذا قال: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا} أي: يحكم بيننا حكما، يتبين به الصادق من الكاذب، والمستحق للثواب، من المستحق للعقاب، وهو خير الفاتحين.

{قُلْ} لهم يا أيها الرسول، ومن ناب منابك: {أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ} أي: أين هم؟ وأين السبيل إلى معرفتهم؟ وهل هم في الأرض، أم في السماء؟ فإن عالم الغيب والشهادة قد أخبرنا أنه ليس في الوجود له شريك.

- {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ} الآية {وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}

وكذلك خواص خلقه من الأنبياء والمرسلين، لا يعلمون له شريكا، فيا أيها المشركون أروني الذين ألحقتم بزعمكم الباطل بالله {شُرَكَاءُ}

- ما الحكمة من قول الله تعالى في رده عليهم " كلا"؟

وهذا السؤال لا يمكنهم الإجابة عنه، ولهذا قال: {كَلَّا} أي: ليس لله شريك، ولا ند، ولا ضد. {بَلْ هُوَ اللَّهُ} الذي لا يستحق التأله والتعبد، إلا هو {الْعَزِيزُ} الذي قهر كل شيء فكل ما سواه، فهو مقهور مسخر مدبر. {الْحَكِيمُ} الذي أتقن ما خلقه، وأحسن ما شرعه، ولو لم يكن في حكمته في شرعه إلا أنه أمر بتوحيده، وإخلاص الدين له، وأحب ذلك، وجعله طريقا للنجاة، ونهى عن الشرك به، واتخاذ

الأنداد من دونه، وجعل ذلك طريقا للشقاء والهلاك، لكفى بذلك برهانا على كمال حكمته، فكيف وجميع ما أمر به ونهى عنه، مشتمل على الحكمة؟"

- [٢٨ ـ ٣٠] {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ}
- س – ما الحكمة من إرسال الرسل ؟

يخبر تعالى أنه ما أرسل رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا ليبشر جميع الناس بثواب الله، ويخبرهم بالأعمال الموجبة لذلك، وينذرهم عقاب الله، ويخبرهم بالأعمال الموجبة له، فليس لك من الأمر شيء، وكل ما اقترح عليك أهل التكذيب والعناد، فليس من وظيفتك، إنما ذلك بيد الله تعالى، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} أي: ليس لهم علم صحيح، بل إما جهال، أو معاندون لم يعملوا بعلمهم، فكأنهم لا علم لهم. ومن عدم علمهم، جعلهم عدم الإجابة لما اقترحوه على الرسول، مجبا لرد دعوته.

فمما اقترحوه، استعجالهم العذاب، الذي أنذرهم به فقال: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} وهذا ظلم منهم. فأي ملازمة بين صدقه، وبين الإخبار بوقت وقوعه؟ وهل هذا إلا رد للحق، وسفه في العقل؟ أليس النذير [في أمر} في أحوال الدنيا، لو جاء قوما، يعلمون صدقه ونصحه، ولهم عدو ينتهز الفرصة منهم ويُعِدُّ لهم فقال لهم: تركت عدوكم قد سار، يريد اجتياحكم واستئصالكم. فلو قال بعضهم: إن كنت صادقا، فأخبرنا بأية ساعة يصل إلينا، وأين مكانه الآن؟ فهل يعد هذا القائل عاقلا، أم يحكم بسفهه وجنونه؟

هذا، والمخبر يمكن صدقه وكذبه، والعدو قد يبدو له غيرهم، وقد تنحل عزيمته، وهم قد يكون بهم منعة يدافعون بها عن أنفسهم، فكيف بمن كذب أصدق الخلق، المعصوم في خبره، الذي لا ينطق عن الهوى، بالعذاب اليقين، الذي لا مدفع له، ولا ناصر منه؟! أليس رد خبره بحجة عدم بيانه وقت وقوعه من أسفه السفه؟"

- س – متى يأتى ميعاد المستعجلين بالعذاب ؟

{قُلْ} لهم ـ مخبرا بوقت وقوعه الذي لا شك فيه ـ: {لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ} فاحذروا ذلك اليوم، وأعدوا له عدته.

- [٣١ ـ ٣٣] {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

لما ذكر تعالى أن ميعاد المستعجلين بالعذاب، لا بد من وقوعه عند حلول أجله، ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم، وأنك لو رأيت حالهم إذا وقفوا عند ربهم، واجتمع الرؤساء والأتباع في الكفر والضلال، لرأيت أمرا عظيما وهولا جسيما، ورأيت كيف يتراجع، ويرجع بعضهم إلى بعض القول، فـ {يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا} وهم الأتباع {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} وهم القادة: {لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} ولكنكم حُلْتُم

بيننا وبين الإيمان، وزينتم لنا الكفر[ان}، فتبعناكم على ذلك، ومقصودهم بذلك أن يكون العذاب على الرؤساء دونهم.

{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا} مستفهمين لهم ومخبرين أن الجميع مشتركون في الجرم: {أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ} أي: بقوتنا وقهرنا لكم. {بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ} أي: مختارين للإجرام، لستم مقهورين عليه، وإن كنا قد زينا لكم، فما كان لنا عليكم من سلطان.

- س – ما معنى مكر الليل والنهار ؟

{وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا} أي: بل الذي دهانا منكم، ووصل إلينا من إضلالكم، ما دبرتموه من المكر، في الليل والنهار، إذ تُحَسِّنون لنا الكفر، وتدعوننا إليه، وتقولون: إنه الحق، وتقدحون في الحق وتهجنونه، وتزعمون أنه الباطل، فما زال مكركم بنا، وكيدكم إيانا، حتى أغويتمونا وفتنتمونا.

- س – هل تفيدهم المراجعه ؟

فلم تفد تلك المراجعة بينهم شيئا إلا تبري بعضهم من بعض، والندامة العظيمة.

- س – ما حالهم عندما رأوا العذاب ؟

ولهذا قال: {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ} أي: زال عنهم ذلك الاحتجاج الذي احتج به بعضهم على بعض لينجو من العذاب، وعلم أنه ظالم مستحق له، فندم كل منهم غاية الندم، وتمنى أن لو كان على الحق، [وأنه} ترك الباطل الذي أوصله إلى هذا العذاب، سرا في أنفسهم، لخوفهم من الفضيحة في إقرارهم على أنفسهم. وفي بعض مواقف القيامة، وعند دخولهم النار، يظهرون ذلك الندم جهرا.

- {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} الآيات.
- {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ}
- {وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا} يغلون كما يغل المسجون الذي سيهان في سجنه كما قال تعالى {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} الآيات.
- س – ما سبب هذا الجزاء ؟

{هَلْ يُجْزَوْنَ} في هذا العذاب والنكال، وتلك الأغلال الثقال {إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} من الكفر والفسوق والعصيان.

- [٣٤ ـ ٣٩] {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}

يخبر تعالى عن حالة الأمم الماضية المكذبة للرسل، أنها كحال هؤلاء الحاضرين المكذبين لرسولهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن الله إذا أرسل رسولا في قرية من القرى، كفر به مترفوها، وأبطرتهم نعمتهم وفخروا بها.

{وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا} أي: ممن اتبع الحق {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} أي: أولا، لسنا بمبعوثين، فإن بعثنا، فالذي أعطانا الأموال والأولاد في الدنيا، سيعطينا أكثر من ذلك في الآخرة ولا يعذبنا.

فأجابهم الله تعالى، بأن بسط الرزق وتضييقه، ليس دليلا على ما زعمتم، فإن الرزق تحت مشيئة الله، إن شاء بسطه لعبده، وإن شاء ضيقه.

- س – هل الأموال والأولاد دليل على القرب من الله ؟ وهل هي الميزان؟

وليست الأموال والأولاد بالتي تقرب إلى الله زلفى وتدني إليه، وإنما الذي يقرب منه زلفى، الإيمان بما جاء به المرسلون، والعمل الصالح الذي هو من لوازم الإيمان، فأولئك لهم الجزاء عند الله تعالى مضاعفا الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، لا يعلمها إلا الله، {وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} أي: في المنازل العاليات المرتفعات جدا، ساكنين فيها مطمئنين، آمنون من المكدرات والمنغصات، لما هم فيه من اللذات، وأنواع المشتهيات، وآمنون من الخروج منها والحزن فيها.

وأما الذين سعوا في آياتنا على وجه التعجيز لنا ولرسلنا والتكذيب فـ {أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}

- ثم أعاد تعالى أنه {يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} ليرتب عليه قوله: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ} نفقة واجبة، أو مستحبة، على قريب، أو جار، أو مسكين، أو يتيم، أو غير ذلك، {فَهُوَ} تعالى {يُخْلِفُهُ} فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر {وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} فاطلبوا الرزق منه، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها.
- [٤٠ ـ ٤٢] {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ}
- من هم المحشورين ؟

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} أي: العابدين لغير الله والمعبودين من دونه، من الملائكة.

- س – ما الحكمة من سؤال الملائكه ؟ {ثُمَّ يَقُولُ} الله {لِلْمَلَائِكَةِ} على وجه التوبيخ لمن عبدهم {أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} فتبرأوا من عبادتهم.

و{قَالُوا سُبْحَانَكَ} أي: تنزيها لك وتقديسا، أن يكون لك شريك، أو ند {أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ} فنحن مفتقرون إلى ولايتك، مضطرون إليها، فكيف ندعو غيرنا إلى عبادتنا؟ أم كيف نصلح لأن نتخذ من دونك أولياء وشركاء؟"

- س – ماهي حقيقتهم ؟

ولكن هؤلاء المشركون {كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ} أي: الشياطين، يأمرون بعبادتنا أو عبادة غيرنا، فيطيعونهم بذلك. وطاعتهم هي عبادتهم، لأن العبادة الطاعة، كما قال تعالى مخاطبا لكل من اتخذ معه آلهة {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}

- س – كي يؤمنون بالجن ؟

{أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} أي: مصدقون للجن، منقادون لهم، لأن الإيمان هو: التصديق الموجب للانقياد.

فلما تبرأوا منهم، قال تعالى [مخاطبا] لهم: {فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا} تقطعت بينكم الأسباب، وانقطع بعضكم من بعض. {وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا}

- س- بماذا ظلموا ؟

بالكفر والمعاصي ـ بعد ما ندخلهم النار ـ {ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} فاليوم عاينتموها، ودخلتموها، جزاء لتكذيبكم، وعقوبة لما أحدثه ذلك التكذيب، من عدم الهرب من أسبابها.

- [٤٣ ـ ٤٥] {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ * وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}

- س – ما موقفهم من آيات الله ؟

يخبر تعالى عن حالة المشركين، عندما تتلى عليهم آيات الله البينات، وحججه الظاهرات، وبراهينه القاطعات، الدالة على كل خير، الناهية عن كل شر، التي هي أعظم نعمة جاءتهم، ومِنَّةٍ وصلت إليهم، الموجبة لمقابلتها بالإيمان والتصديق، والانقياد، والتسليم، أنهم يقابلونها بضد ما ينبغي، ويكذبون من جاءهم بها ويقولون: {مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ} أي: هذا قصده، حين يأمركم بالإخلاص لله، لتتركوا عوائد آبائكم، الذين تعظمون وتمشون خلفهم، فردوا الحق، بقول الضالين، ولم يوردوا برهانا، ولا شبهة.

فأي شبهة إذا أمرت الرسل بعض الضالين، باتباع الحق، فادَّعوا أن إخوانهم، الذين على طريقتهم، لم يزالوا عليه؟ وهذه السفاهة، ورد الحق، بأقوال الضالين، إذا تأملت كل حق رد، فإذا هذا مآله لا يرد إلا بأقوال الضالين من المشركين، والدهريين، والفلاسفة، والصابئين، والملحدين في دين الله، المارقين، فهم أسوة كل من رد الحق إلى يوم القيامة.

- س – بماذا طعنوا في الحق ؟

ولما احتجوا بفعل آبائهم، وجعلوها دافعة لما جاءت به الرسل، طعنوا بعد هذا بالحق، {وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى} أي: كذب افتراه هذا الرجل، الذي جاء به. {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} أي: سحر ظاهر بيِّن لكل أحد، تكذيبا بالحق، وترويجا على السفهاء.

ولما بيَّن ما ردوا به الحق، وأنها أقوال دون مرتبة الشبهة، فضلا أن تكون حجة، ذكر أنهم وإن أراد أحد أن يحتج لهم، فإنهم لا مستند لهم، ولا لهم شيء يعتمدون عليه أصلا، فقال: {وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا} حتى تكون عمدة لهم {وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ} حتى يكون عندهم من أقواله وأحواله، ما يدفعون به، ما جئتهم به، فليس عندهم علم، ولا أثارة من علم.

ثم خوفهم ما فعل بالأمم المكذبين [قبلهم] فقال: {وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا} أي: ما بلغ هؤلاء المخاطبون {مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ} {فَكَذَّبُوا} أي: الأمم الذين من قبلهم {رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} أي: إنكاري عليهم، وعقوبتي إياهم. قد أعلمنا ما فعل بهم من النكال، وأن منهم من أغرقه، ومنهم من

أهلكه بالريح العقيم، وبالصيحة، وبالرجفة، وبالخسف بالأرض، وبإرسال الحاصب من السماء، فاحذروا يا هؤلاء المكذبون، أن تدوموا على التكذيب، فيأخذكم كما أخذ من قبلكم، ويصيبكم ما أصابهم.

- [٤٦ ـ ٥٠] {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ * قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ}
- س – ما هي هذه العظه الواحده في قوله " قل إنما أعظكم بواحدة"؟

أي {قُلْ} يا أيها الرسول، لهؤلاء المكذبين المعاندين، المتصدين لرد الحق وتكذيبه، والقدح بمن جاء به: {إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ} أي: بخصلة واحدة، أشير عليكم بها، وأنصح لكم في سلوكها، وهي طريق نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلى ترك قولكم، من دون موجب لذلك، وهي: {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى} أي: تنهضوا بهمة، ونشاط، وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص لله، مجتمعين، ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفرادى، كل واحد يخاطب نفسه بذلك.

فإذا قمتم لله، مثنى وفرادى، استعملتم فكركم، وأجلتموه، وتدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون، فيه صفات المجانين من كلامه، وهيئته، وصفته؟ أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟

فلو قبلوا هذه الموعظة، واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس بمجنون، لأن هيئاته ليست كهيئات المجانين، في خنقهم، واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن الهيئات، وحركاته أجل الحركات، وهو أكمل الخلق، أدبا، وسكينة، وتواضعا، ووقارا، لا يكون [إلا] لأرزن الرجال عقلا.

ثم [إذا} تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه المليح، وكلماته التي تملأ القلوب، أمنا، وإيمانا، وتزكى النفوس، وتطهر القلوب، وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحث على محاسن الشيم، وترهب عن مساوئ الأخلاق ورذائلها، إذا تكلم رمقته العيون، هيبة وإجلالا وتعظيما.

فهل هذا يشبه هذيان المجانين، وعربدتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم؟"

فكل من تدبر أحواله ومقصده استعلام هل هو رسول الله أم لا؟ سواء تفكر وحده، أو مع غيره، جزم بأنه رسول الله حقا، ونبيه صدقا، خصوصا المخاطبين، الذي هو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره.

وثَمَّ مانع للنفوس آخر عن اتباع الداعي إلى الحق، وهو أنه يأخذ أموال من يستجيب له، ويأخذ أجرة على دعوته. فبين الله تعالى نزاهة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هذا الأمر فقال: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ} أي: على اتباعكم للحق {فَهُوَ لَكُمْ} أي: فأشهدكم أن ذلك الأجر ـ على التقدير ـ أنه لكم، {إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} أي: محيط علمه بما أدعو إليه، فلو كنت كاذبا، لأخذني بعقوبته، وشهيد أيضا على أعمالكم، سيحفظها عليكم، ثم يجازيكم بها.

- س – ماهي البراهين الدالة على صحة ما جاء وبطلان الباطل ؟

ولما بين البراهين الدالة على صحة الحق، وبطلان الباطل، أخبر تعالى أن هذه سنته وعادته أن {يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} لأنه بين من الحق في هذا الموضع، ورد به أقوال المكذبين، ما كان عبرة للمعتبرين، وآية للمتأملين.

- س – مادلالة علام الغيوب ؟

فإنك كما ترى، كيف اضمحلت أقوال المكذبين، وتبين كذبهم وعنادهم، وظهر الحق وسطع، وبطل الباطل وانقمع، وذلك بسبب بيان {عَلَّامُ الْغُيُوبِ} الذي يعلم ما تنطوي عليه القلوب، من الوساوس والشبه، ويعلم ما يقابل ذلك، ويدفعه من الحجج.

- س – بماذا أظهر الحق ؟

فيعلم بها عباده، ويبينها لهم، ولهذا قال: {قُلْ جَاءَ الْحَقُّ} أي: ظهر وبان، وصار بمنزلة الشمس، وظهر سلطانه، {وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} أي: اضمحل وبطل أمره، وذهب سلطانه، فلا يبدئ ولا يعيد.

ولما تبين الحق بما دعا إليه الرسول، وكان المكذبون له، يرمونه بالضلال، أخبرهم بالحق، ووضحه لهم، وبين لهم عجزهم عن مقاومته، وأخبرهم أن رميهم له بالضلال، ليس بضائر الحق شيئا، ولا دافع ما جاء به.

وأنه إن ضل ـ وحاشاه من ذلك، لكن على سبيل التنزل في المجادلة ـ فإنما يضل على نفسه، أي: ضلاله قاصر على نفسه، غير متعد إلى غيره.

- س – ما هي مادة الهدايه ؟

{وَإِنِ اهْتَدَيْتُ} فليس ذلك من نفسي، وحولي، وقوتي، وإنما هدايتي بما {يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي} فهو مادة هدايتي، كما هو مادة هداية غيري.

- س – ما دلالة سميع قريب ؟

إن ربي {سَمِيعٌ} للأقوال والأصوات كلها {قَرِيبٌ} ممن دعاه وسأله وعبده.

- [٥١ ـ ٥٤] {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ}
- س – ما هو حال الكافرين عندما يرون العذاب ؟
- يقول تعالى {وَلَوْ تَرَى} أيها الرسول، ومن قام مقامك، حال هؤلاء المكذبين، {إِذْ فَزِعُوا} حين رأوا العذاب، وما أخبرتهم به الرسل، وما كذبوا به، لرأيت أمرا هائلا، ومنظرا مفظعا، وحالة منكرة، وشدة شديدة، وذلك حين يحق عليهم العذاب.
- س – كيف يؤخره ؟

فليس لهم عنه مهرب ولا فوت {وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ} أي: ليس بعيدا عن محل العذاب، بل يؤخذون، ثم يقذفون في النار.

- س – هل نفعهم الإيمان في ذلك الوقت ؟

{وَقَالُوا} في تلك الحال: {آمَنَّا} بالله وصدقنا ما به كذبنا {و} لكن {أَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ} أي: تناول الإيمان {مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} قد حيل بينهم وبينه، وصار من الأمور المحالة في هذه الحالة، فلو أنهم آمنوا وقت الإمكان، لكان إيمانهم مقبولا، ولكنهم {كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ} أي: يرمون {بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} بقذفهم الباطل، ليدحضوا به الحق، ولكن لا سبيل إلى ذلك، كما لا سبيل للرامي، من مكان بعيد إلى إصابة الغرض، فكذلك الباطل، من المحال أن يغلب الحق أو يدفعه، وإنما يكون له صولة، وقت غفلة الحق عنه، فإذا برز الحق، وقاوم الباطل، قمعه.

- س – عن ماذا يحالون ؟

{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} من الشهوات واللذات، والأولاد، والأموال، والخدم، والجنود، قد انفردوا بأعمالهم، وجاءوا فرادى، كما خلقوا، وتركوا ما خولوا، وراء ظهورهم، {كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ} من الأمم السابقين، حين جاءهم الهلاك، حيل بينهم وبين ما يشتهون، {إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ} أي: محدث الريبة وقلق القلب فلذلك، لم يؤمنوا، ولم يعتبوا حين استعتبوا.

لمسات بيانية:

آية (٢٥):

***ما الفرق بين الآيتين (قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) سبأ) و (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ (٣٥) هود)؟ وما دلالة نسب الإجرام للمؤمنين والعمل لغير المؤمنين؟(د.فاضل السامرائى)**

آية سبأ (قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥)) هي في سياق الدعوة والتبليغ والمحاجّة وهذا من باب الإنصاف في الكلام حتى يستميلهم يقول نحن لا نُسأل عما أجرمنا إذا كنا مجرمين كما لا تُسألون أنتم عن إجرامنا إذا كنا كذلك. أراد أن يستميل قلوبهم فقال (عما تعلمون) في حين في آية سورة هود (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ (٣٥) هود) هذه في قصة سيدنا نوح عليه السلام (قل إن افتريته فعلي إجرامي) لأن الذي يفتري على الله تعالى مجرم (قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ) إذا أنتم نسبتم إليّ الافتراء ولست كذلك أنتم مجرمون بحقي إذا نسبتم الإفتراء إليّ أني أفتري على الله وأنا لست كذلك فأنتم مجرمون بحقي إذن وإن افتريته فأنا مجرم (فعلي إجرامي) وإن لم أكن كذلك فأنتم نسبتم الافتراء إليّ وأنا بريء من ذلك فأنتم إذن مجرمون بحقي.

آية (٣٣):

***ما الفرق بين الحسرة (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ (٣٩) مريم) والندامة (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ (٣٣) سبأ)؟ (د.فاضل السامرائى)**

الحسرة هي أشد الندم حتى ينقطع الإنسان من أن يفعل شيئاً. والحسير هو المنقطع في القرآن الكريم لما يقول (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) الملك) حسير أي منقطع،

آية (٣٨):

***ما دلالة الفعل المضارع يسعون في قوله تعالى في سورة سبأ (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ {٣٨})؟(د.فاضل السامرائى)**

الفعل المضارع له أزمنة كثيرة فقد يكون للمضي (فلم تقتلون أنبياء الله) أو للحال أو الإستمرار أو الإستقبال. فهو إذن له زمن متّسع اتساعاً كبيراً. وهنا في الآية استعمل للمزاولة وليس بالضرورة ما كان في المستقبل فقط ولو قال سعوا لاحتمل أن يكون هذا الساعي تاب ولا يقام عليه هذا الأمر لكن الذي هو مستمر هو الذي يُقام عليه الأمر.

وقد ورد هذا الفعل (يسعون) بصيغة المضارع أيضاً في سورة المائدة {٣٣}) و{٦٤}.

آية (٤٢):

***متى يأتي الضر قبل النفع في القرآن؟(د.فاضل السامرائى)**

القدامى بحثوا في هذه المسألة وقالوا حيث يتقدم ما يتضمن النفع يسبق النفع وحيث يتقدم ما يتضمن الضر يقدم الضر. (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) الأعراف) قدم النفع على الضر وقال قبلها (مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨) الأعراف) فلما قدم الهداية قدم النفع (مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي). وقال بعدها في نفس السياق (وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ) قدم النفع على الضر إذن مناسب هنا تقديم النفع على الضر لأن تقدّمها. في تقديم الضر: (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩) يونس) هنا قدم الضر وقبلها قال تعالى (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ (١١) يونس) هذا ضر، (وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ (١٢) يونس) وبعدها قال (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا (٥٠) يونس) تقديم الضر أنسب.

***ما اللمسة البيانية في استخدام (الذي) مرة ومرة (التي) مع عذاب النار؟(د.فاضل السامرائى)**

في سورة السجدة (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ {٢٠}) الخطاب في السورة موجّه للفاسقين و(الذي) يشير إلى العذاب نفسه. أما في سورة سبأ (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ {٤٢}) فالخطاب في هذه السورة موجّه إلى الكافرين و(التي) مقصود بها النار نفسها.

فالفاسق يمكن أن يكون مؤمناً ويمكن أن يكون كافراً فهو لا يُكذّب بالنار إنما يُكذّب بالعذاب أما الكافرون فهم يُكذّبون بالنار أصلاً ولا ينكرون العذاب فقط وإنما يُنكرون النار أصلاً.

آية (٥٣):

***ما معنى هذه الآية (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) سبأ)؟ (د.فاضل السامرائى)**

(وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣)) هذه فيها احتمالان أو دلالتان: الأولى قال (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) هم الآن في الآخرة ((وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢)) وحتى قيل (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ (٥٤)) كفروا بالله، ليس هذا فقط وإنما ذكروا من صفات الله والشرك، قسم قال الملائكة بنات الله وقسم قال لله إبن وقسم ذكروا في صفاتخ من الأمور مثل واحد يقذف لا يعلم أين هو الشيء والمكان بعيد. أنت تريد أن ترمي شيئاً ما يجب أن تعرف أين هو حتى ترميه ويجب أن تكون المسافة معقولة حتى توصله، أنت تقذف بالغيب، لا تعلم أين هو؟ والمكان بعيد فكيف يصل إليه؟ هؤلاء حالهم في الكلام على صفات الله وما هم فيه مثل هذا. (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ) كفروا بالله، (وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) هم هكذا في الدنيا، يقذفون بالغيب أي يرجمون الكلام عن الله تعالى جزافاً فهذا هو حالهم أولاً كفروا ثم ذكروا من الصفات في الله فيذكرون من صفات الله كأنهم يقذفون بالغيب من مكان بعيد هذا تصوير عجيب لا يعلمون بما يرمون ولا أين يرمون ولا يعلمون هو في أي وجهة ومن مكان بعيد! والقذف في اللغة هو الرمي.

الوصايا العملية:

- ذكري من يردد كلمة (ملل ، طفش ....)بالنعمة التي هو فيها .
- عدم الإغترار بالنعم وعند المصائب لا تيأس من رحمة الله .
- النعمة هي التي تقربك من الله وأما مايتسبب ببعدك عنه فهي إبتلاء واستدراج نسأل الله العافية .
- الشكر حافظ للنعم دافع للنقم .
- كوني صابرة على طاعة الله وترك معاصيه شاكرة له على إعانة لك على الأعمال الصالحة .
- الشكر في السراء أشد من الصبر في الضراء .
- يتضح قوة إيمانك وصدقك عند الابتلاء .
- أولياء الله يكفيهم هم الدنيا والآخرة ويحفظ أولادهم ودينهم و يحفظ أعمالهم كافية ووافية .
- احذري من الشيطان وغوايته لابن آدم فبالإيمان تقوي عليه .

- صححي نيتك وأعمالك لتكون خالصة لله .
- أكثري من الصدقة فالله وعدك بالخلف إذا كان خالصا لوجهه.
- احذري ممن يصدك عن الصدقة (الشيطان الزوج النفس) .
- إعطاء الله الدنيا للعبد ليست دليلا على حب الله له .
- احذري من الترف فهو يطغي الإنسان إلا من رحم الله .
- أكبر نعمة بعد الإسلام والأمن القناعة بما قسمه الله لك .
- لا تطلب العزة إلا من الله ولا تنال إلا بطاعة الله .
- من الكلم الطيب أعمال الجوارح وأعمال القلوب .
- احذري من طاعة المخلوق في معصية الخالق .
- من سنن الله في عباده أن يظهر الحق على الباطل .
- تذكري أن حبل الكذب قصير فلابد من أن يظهر الحق وينكشف الكاذب .
- احذري التقاليد والعادات فهي تصرف عن طاعة الله .
- استغلي وقتك فيما ينفعك في الدارين .

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

في أوائلها قال تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)) وفي آواخرها (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢)) الكلام عن الساعة، أنى لهم التناوش به وقد كفروا به من قبل؟ هذا الكلام كله عن الساعة. ثم ذكر جزاء الذين آمنوا في أول السورة (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)) وفي الآخر (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (٥٤)) هؤلاء ربنا يرزقهم وهؤلاء حيل بينهم وبين ما يشتهون، في البداية ذكر جزاء المؤمنين وفي النهاية ذكر جزاء الكافرين.

| ● | نهاية سورة سبأ | ● |

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة فاطر ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســــورة فاطر

بين يدي السورة:

- سميت هذه السورة الكريمة بسورة فاطر، حيث جاء في مطلعها قوله تعالى "الحمد لله فاطر السماوات والأرض" الآية. فسميت بهذا الاسم لاستفتاحها بهذه الصفة العظيمة الدالة على عجيب قدرته تعالى وبديع صنعه. كما سميت بسورة الملائكة لورود ذكر الملائكة الكرام عليهم السلام في مطلعها بما يدل على عظمتهم وطاعتهم وجليل قدرهم.
- فضائلها: من فضائل هذه السورة ما يرغب في تلاوتها ويبيّن منزلتها:
  - عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صىل الله عليه وسلم قال (أعطيت مكان التوراة السبع، وأُعطيت مكان الزبور المئين، وأُعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفَضِّلت بالمفصّل)
  - هذه السورة من السور المثاني.
- سورة فاطر سورة مكية. نزلت بمكة قبل الهجرة.
- نزلت بما يشهد بعظمة الخالق جل وعلا وبديع صنعه وجليل إنعامه.
- نزلت مقررة لوحدانيته تعالى ومفندة شبه أهل الشرك.
- نزلت لتقرر الإيمان بالبعث بالأدلة والبراهين.
- كان نزولها تسلية وتسرية وتثبيتاً لقلب النبي صلى الله عليه وسلم.
- محور السورة: حديث هذه السورة حول تقرير العقيدة الإسلامية: حيث استفاضت في بيان أركان الإيمان. والمحور الرئيسي الذي تدور حوله السورة هو التذكير بنعم الله تعالى الجليلة.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

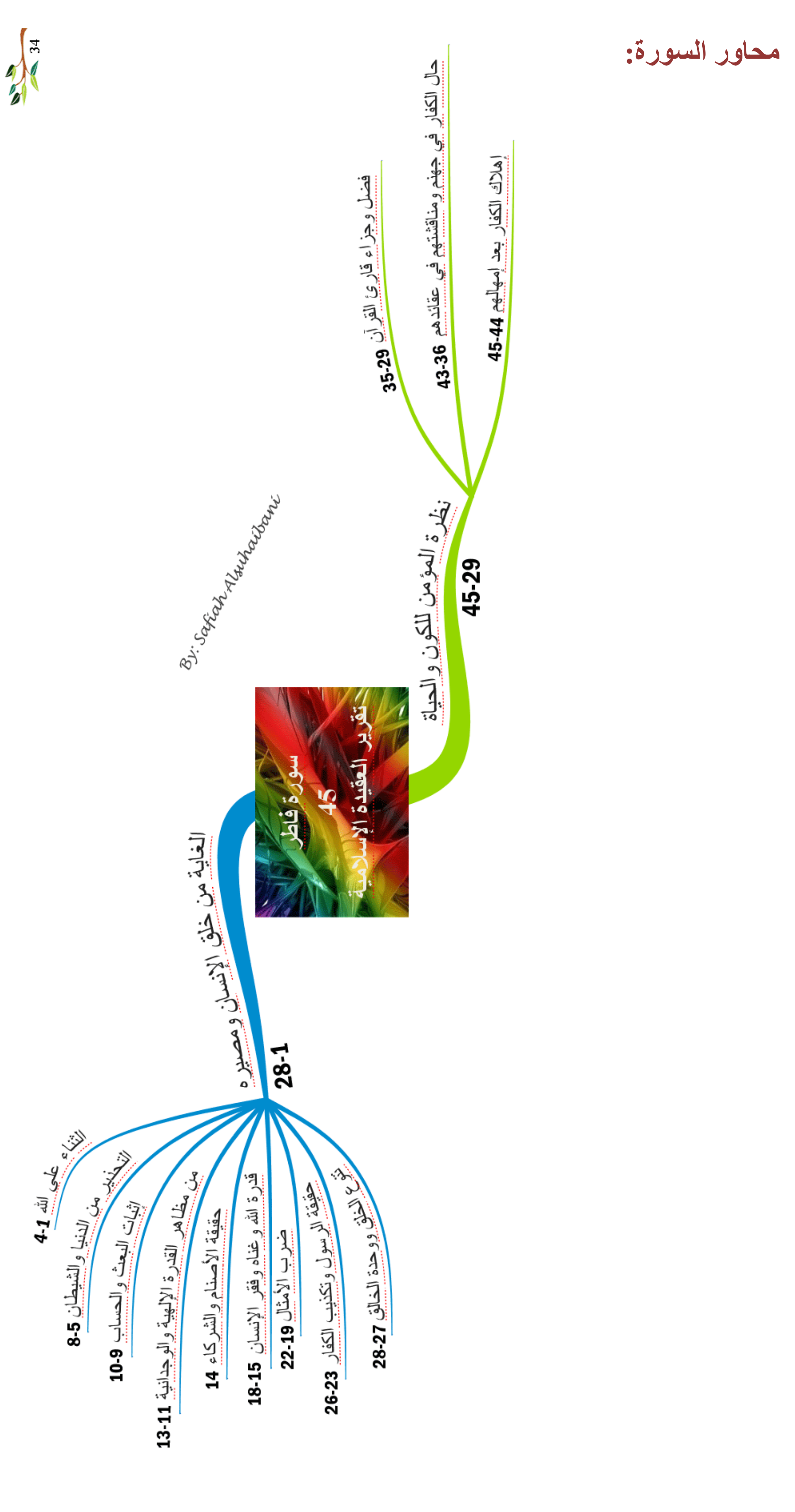
- افتتاح السورتين بالحمد على نعم الله تعالى الظاهرة والباطنة.
  - التناسب بين سور الحمد كلِّها: في القرآن خمس سور مفتتحة بالحمد وهي: فاتحة الكتاب والأنعام والكهف وسبأ وفاطر، ويقترن ذكر الحمد في مطالع هذه السور ببيان نعم الله تعالى العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة التي تضمنتها هذه السور: نعمة الحياة وما يتصل بها من نعم جليلة، ونعمة الهداية وإرسال الرسل وإنزال الكتب، ونعمة البعث والجزاء.
- ختام سورة سبأ مع مطلع سورة فاطر تشبه خاتمة الأحزاب مع مطلع سبأ وخاتمة المائدة مع افتتاح الأنعام، فالقضاء بين العباد نعمة تستوجب الحمد وإهلاك الظالمين وقطع دابرهم وحرمانهم مما يشتهون كذلك.
- بينت السورتان بطلان دعاوى المشركين وفساد اعتقادهم في تلك الألهة التي زعموها من دون الله ، فهي لا تضر ولا تنفع، ولا تملك مثقال ذرة في هذا الكون ولا تقدر على شيء.

- في سورة سبأ دعوة إلى التفكر والنظر (آية ٤٦)، وفي سورة فاطر دعوة للتأمل والإمعان في آيات الكون، وحث على السير والنظر والاعتبار في عاقبة السابقين (آية ٤٤).
- في السورتين حديث عن خطورة المكر، وانكشاف أمر الماكرين، وفضحهم وخسرانهم وسوء عاقبتهم وانقلاب مكرهم عليهم.

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

التناسب بين موضوع السورتين يتجلى في وجوه عديدة منها: تقرير أركان العقيدة وبيان أصولها، ورد شبه الكفار ودحض حججهم واستجلاء نعمه تعالى، واستعراض دلائل القدرة وشواهد العظمة، والدعوة إلى التفكر والنظر والسير والاعتبار.

محاور السورة:



المقطع الأول من الآية (١) إلى الآية (٣٠) :

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (١ – ٢) الاستفتاح بالحمد لله تعالى على نعمه الجليلة وآلائه العظيمة.
- الآيات (٣ – ٤) النداء الأول: تذكيرٌ وتسلية. استهلت السورة بحمد الله تعالى وأشارت إلى جملة من نعمه تعالى، وفي هذه الآيات نداءٌ عام يشمل الناس جميعاً، ويأمرهم بذكر نعمته تعالى واستحضارها وحمده عليها، فهو تعالى الخالق الرازق، كما يلتفت الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له وتعزية وتأسيّا بمن سبقه من الأنبياء عليهم السلام، وما سجلوه من صفحات مضيئة بالصبر والصمود في مواجهة تكذيب أقوامهم وإعراضهم، وأن مرجع الأمور جميعاً إليه تعالى.
- الآيات (٥ – ٨) النداء الثاني: أسبابُ الغرور. بعد الدعوة إلى تذكر نعمه تعالى واستحضارها، والدعوة إلى التوحيد الخالص، تأتي آيات هذا المقطع بالتحذير من الاغترار بالدنيا وزخرفها والاغترار بوساوس الشيطان، والوقوع في شِرَاكِه ومكائِدِه، والانتماء إلى حزبه وأوليائه، فإنما يدعو حزبه وأوليائه إلى السعير، وهي مصير أهل الكفر والعصيان، أما أهل الإيمان والصلاح فلهم من الله مغفرة على ما بدر منهم من ذنوب وتقصير ولهم أجر كبير على صالح أعمالهم، فضل من الله ونعمة، ومغفرة ورحمة، ثم تبين الآيات سبباً من أسباب الصدود والإعراض وهو الاغترار بالباطل وزخارفه حين تميل إليه النفس وتركن إليه، ومن هنا جمعت الآيات بين التحذير من الاغترار بالدنيا والشيطان والاغترار بالنفس وهو العُجْبُ، ودعت دعاة الحق إلى الصبر والثبات وأن لا يأسوا على من اختار طريق الضلال واستحسنه؛ فإن الهداية من الله تعالى، وهو عليم بهم مجازيهم بما يصنعون.
- الآيات (٩ – ١٤) آيات الله في الكون. في هذه الآيات بيان لطائفة من آيات الله الكونية الدالة على عظمته تعالى، الناطقة بكمال قدرته، وإنعامه على عباده بالحياة أسبابها، الحافلة بشواهد العظمة ودلائل القدرة المبثوثة في هذ الكون في تناسق بديع وانسجام تام، وفيها برهان جلي على أن وعد الله حق، وفيها لفتة إلى الانشغال بالمنعم بعد التحذير من الاغترار بالدنيا وزخارفها، وبيان لضلال أهل الشرك في عبادتهم لما لا يملك مثقال ذرة في هذا الكون الفسيح.
- الآيات (١٥ – ٢٦) غنى الله عن خلقه وعدله فيهم. هذا هو النداء الثالث في هذه السورة وهو متناسق مع النداءات السابقة التي وُجّهت للناس جميعاً، وجاءت بتوجيهات رشيدة وحِكَم بالغة، وفيه بيان لافتقار الناس الدائم لله، وأنه تعالى لو شاء أن يستبدلهم بغيرهم لاستبدلهم.
- الآيات (٢٧ – ٢٨) اختلافُ الألوانِ، من روائع الأكوان، كتاب الله المنظور. تتضمن هذه الآيات: دعوة إلى النظر في جمال الكون، ولفتة إلى هذا الإبداع العجيب والنسق الفريد والتمازج الدقيق في الألوان المختلفة والتي تحتاج إلى وقفة متأنية ودراسة عميقة وتشهد بعظمة الخالق جل وعلا وبديع صنعه وتقر افتقار الخلق إليه وغناه عنهم وإنعامه عليهم بما يستوجب حمده.
- الآيات (٢٩ – ٣٥) نعمةُ القرآن ومصير المؤمنين. بعد الحديث عن كتاب الله المنظور: جاء الحديث عن كتابه المسطور، فكما دعت السورة إلى التأمل في هذا الكون والنظر في شواهده وآياته، كذلك رغبت في تلاوة القرآن وتدبره والعمل به.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى.. قال عمر بن الخطاب " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله "

أم حبيبة رضي الله عنها مع أبي سفيان قبل إسلامه ، دخل أبو سفيان على ابنته أم حبيبة رضي الله عنها فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته دونه ، فقال يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني ! أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت امروء نجس مشرك، فقال : يا بنية لقد أصابك بعدي شر .

عن ابن عباس قال : سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأي شئ سميت الفاروق؟ قال : أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ثم قص عليه قصة إسلامه في آخره ، قلت : أي حيث أسلمت يارسول الله ألسنا على الحق إن متنا و إن حيينا ؟ قال : بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق و إن متم و إن حييتم ، قال : قلت : ففيم الاختفاء ؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن ، فأخرجنا في صفين حمزة رضي الله عنه في أحدهما وأنا في الآخر له كديد ككديد الطحين ، حتى دخلنا المسجد ، قال : فنظرت إلي قريش و إلى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها ، سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ.

*موقف محمد بن أبي ذئب مع المهدي ، لما حج المهدي دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحد إلا قام ، إلا ابن أبي ذئب ، فقال له المسبب بن زهير قم هذا أمير المؤمنين ، فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين ، فقال المهدي : دعه فلقد قامت كل شعرة في رأسي .

*موقف جعفر بن أبي طالب مع النجاشي ، قال جعفر للنجاشي في قصته الطويلة عندما هاجر الصحابة إلى الحبشة، وجاء نفر من قريش في طلبهم حتى يردهم النجاشي إليهم (لا نسجد إلا لله)

ماذا نستنتج من هذه المواقف ؟

العزة بالإسلام

وهي حالة مانعة للإنسان من أن يغلب ، وهي إحساس بملأ القلب والنفس بالإباء والشموخ والاستعلاء والارتفاع .

وهي التي ترتبط بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فيعتز المرء بدينه ويرتفع بنفسه عن مواضع المهانة ، ومصدر العزة الله تعالى ، فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء ، فإن من اعتز بالعبد أذله الله ومن اعتز بالله أعزه الله .

قال تعالى :" من كان يريد العزة فلله العزة جميعا" أي يامن يريد العزة اطلبها ممن هي بيده ، فإن العزة بيد الله ولا تنال إلا بطاعته وقد ذكرها (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه..) الكلم الطيب من قراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل وكل كلام حسن طيب ، فيرفع إلى الله ويعرض عليه ويثنى على صاحبه في الملأ الأعلى .

والعمل الصالح من أعمال القلوب و أعمال الجوارح ..

اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية ..

فوائد وأسئلة تدبرية:

- (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) .
- س – بماذا مدح الله نفسه ؟

يمدح الله تعالى نفسه الكريمة المقدسة، على خلقه السماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات، لأن ذلك دليل على كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه.

- س – ماذا يتضمن الأمر ؟

ولما ذكر الخلق، ذكر بعده ما يتضمن الأمر، وهو: أنه (جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا) في تدبير أوامره القدرية، ووسائط بينه وبين خلقه، في تبليغ أوامره الدينية.

- س – ماذا يدل عليه جعل الملائكة رسلاً ؟

وفي ذكره أنه جعل الملائكة رسلا ولم يستثن منهم أحدا، دليل على كمال طاعتهم لربهم وانقيادهم لأمره، كما قال تعالى: لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ

- س – بماذا وصف الله الملائكة ؟

ولما كانت الملائكة مدبرات بإذن الله، ما جعلهم الله موكلين فيه، ذكر قوتهم على ذلك وسرعة سيرهم، بأن جعلهم (أُولِي أَجْنِحَةٍ) تطير بها، فتسرع بتنفيذ ما أمرت به. (مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ) أي: منهم من له جناحان وثلاثة وأربعة، بحسب ما اقتضته حكمته.

- س – كيف تكون الزيادة في الخلق ؟

(يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) أي: يزيد بعض مخلوقاته على بعض، في صفة خلقها، وفي القوة، وفي الحسن، وفي زيادة الأعضاء المعهودة، وفي حسن الأصوات، ولذة النغمات.

(إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فقدرته تعالى تأتي على ما يشاؤه، ولا يستعصي عليها شيء، ومن ذلك، زيادة مخلوقاته بعضها على بعض.

- س – من بيده تدبير الأمور ؟

ثم ذكر انفراده تعالى بالتدبير والعطاء والمنع فقال: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ) من رحمته عنهم (فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) فهذا يوجب التعلق بالله تعالى، والافتقار إليه من جميع الوجوه، وأن لا يدعى إلا هو، ولا يخاف ويرجى، إلا هو. (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذي قهر الأشياء كلها (الْحَكِيمُ) الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها.

- س – كيف يكون ذكر النعمة ؟

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣) يأمر تعالى، جميع الناس أن يذكروا نعمته عليهم، وهذا شامل لذكرها بالقلب اعترافا، وباللسان ثناء، وبالجوارح انقيادا، فإن ذكر نعمه تعالى داع لشكره،

- س – ما هي أصول النعم ؟

ثم نبههم على أصول النعم، وهي الخلق والرزق، فقال: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)

- س – على ماذا تدل قدرة الله تعالى على الخلق والرزق ؟

ولما كان من المعلوم أنه ليس أحد يخلق ويرزق إلا الله، نتج من ذلك، أن كان ذلك دليلا على ألوهيته وعبوديته، ولهذا قال: (لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) أي: تصرفون عن عبادة الخالق الرازق لعبادة المخلوق المرزوق.

- س – بماذا سلى الله رسوله عند تكذيب قومه ؟

(وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٤) (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) يا أيها الرسول، فلك أسوة بمن قبلك من المرسلين، (فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) فأهلك المكذبون، ونجى الله الرسل وأتباعهم. (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ)

- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) .

- س – ما هو وعد الله ؟

يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث والجزاء على الأعمال، (حَقٌّ) أي: لا شك فيه، ولا مرية، ولا تردد.

- س – الإيمان بوعد الله إلى ماذا يدفعك ؟

قد دلت على ذلك الأدلة السمعية والبراهين العقلية، فإذا كان وعده حقا، فتهيئوا له، وبادروا أوقاتكم الشريفة بالأعمال الصالحة، ولا يقطعكم عن ذلك قاطع، (فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) بلذاتها وشهواتها ومطالبها النفسية، فتلهيكم عما خلقتم له.

- س – من هو عدو الإنسان ؟

(وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) الذي هو (الشَّيْطَانُ) الذي هو عدوكم في الحقيقة (فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) أي: لتكن منكم عداوته على بال، ولا تهملوا محاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم لا ترونه، وهو دائما لكم بالمرصاد.

- س – ما غاية الشيطان ومقصوده ؟

(إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) هذا غايته ومقصوده ممن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد.

- س – ما أقسام الناس بحسب طاعتهم للشيطان ؟

ثم ذكر أن الناس انقسموا بحسب طاعة الشيطان وعدمها إلى قسمين، وذكر جزاء كل منهما، فقال: (الَّذِينَ كَفَرُوا) أي: جحدوا ما جاءت به الرسل، ودلت عليه الكتب (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) في نار جهنم، شديد في ذاته ووصفه، وأنهم خالدون فيها أبدا.

(وَالَّذِينَ آمَنُوا) بقلوبهم، بما دعا الله إلى الإيمان به (وَعَمِلُوا) بمقتضى ذلك الإيمان، بجوارحهم، الأعمال (الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) لذنوبهم، يزول بها عنهم الشر والمكروه (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) يحصل به المطلوب.

- س – من الذي يزين للإنسان عمله السيئ ؟

(أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) .

يقول تعالى: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ) عمله السيئ، القبيح، زينه له الشيطان، وحسنه في عينه. (فَرَآهُ حَسَنًا) أي: كمن هداه الله إلى الصراط المستقيم والدين القويم، فهل يستوي هذا وهذا؟

- فالأول: عمل السيئ، ورأى الحق باطلا والباطل حقا.
- والثاني: عمل الحسن، ورأى الحق حقا، والباطل باطلا

- س – الهداية بيد من ؟

ولكن الهداية والإضلال بيد الله تعالى، (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ) أي: على الضالين الذين زين لهم سوء أعمالهم، وصدهم الشيطان عن الحق (حَسَرَاتٍ) فليس عليك إلا البلاغ، وليس عليك من هداهم شيء، والله [هو] الذي يجازيهم بأعمالهم. (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)

- س – ما هي الأدلة عل البعث وإحياء الموتى ؟

(وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩) يخبر تعالى عن كمال اقتداره، وسعة جوده، وأنه (أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) فأنزله الله عليها (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)

فحييت البلاد والعباد، وارتزقت الحيوانات، ورتعت في تلك الخيرات، (كَذَلِكَ) الذي أحيا الأرض بعد موتها، ينشر الله الأموات من قبورهم، بعدما مزقهم البلى، فيسوق إليهم مطرا، كما ساقه إلى الأرض الميتة، فينزله عليهم فتحيا الأجساد والأرواح من القبور، ويأتون للقيام بين يدي الله ليحكم بينهم، ويفصل بحكمه العدل.

- (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠) .
- س – كيف تطلب العزة ؟

أي: يا من يريد العزة، اطلبها ممن هي بيده، فإن العزة بيد الله، ولا تنال إلا بطاعته، وقد ذكرها بقوله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب، فيرفع إلى الله ويعرض عليه ويثني الله على صاحبه بين الملأ الأعلى (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ) من أعمال القلوب وأعمال الجوارح (يَرْفَعُهُ) الله تعالى إليه أيضا، كالكلم الطيب.

وقيل: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة، فهي التي ترفع كلمه الطيب، فإذا لم يكن له عمل صالح، لم يرفع له قول إلى الله تعالى، فهذه الأعمال التي ترفع إلى الله تعالى، ويرفع الله صاحبها ويعزه.

- س – ما حال من عمل السيئات ؟

وأما السيئات فإنها بالعكس، يريد صاحبها الرفعة بها، ويمكر ويكيد ويعود ذلك عليه، ولا يزداد إلا إهانة ونزولا ولهذا قال: (والعمل الصالح يرفعه وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) يهانون فيه غاية الإهانة. (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) أي: يهلك ويضمحل، ولا يفيدهم شيئا، لأنه مكر بالباطل، لأجل الباطل.

- (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إلا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١) .
- س – ماهي دلائل قدرته ووحدانيته سبحانه ؟

يذكر تعالى خلقه الآدمي، وتنقله في هذه الأطوار، من تراب إلى نطفة وما بعدها. (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) أي: لم يزل ينقلكم، طورا بعد طور، حتى أوصلكم إلى أن كنتم أزواجا، ذكرا يتزوج أنثى، ويراد بالزواج، الذرية والأولاد، فهو وإن كان النكاح من الأسباب فيه، فإنه مقترن بقضاء الله وقدره، وعلمه، (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إلا بِعِلْمِهِ) وكذلك أطوار الآدمي، كلها بعلمه وقضائه.

- س – هل هناك أسباب لطول العمر وقصره ؟

(وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ) أي: عمر الذي كان معمرا عمرا طويلا (إلا) بعلمه تعالى، أو ما ينقص من عمر الإنسان الذي هو بصدد أن يصل إليه، لولا ما سلكه من أسباب قصر العمر، كالزنا، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، ونحو ذلك مما ذكر أنها من أسباب قصر العمر.

والمعنى: أن طول العمر وقصره، بسبب وبغير سبب كله بعلمه تعالى، وقد أثبت ذلك (فِي كِتَابٍ) حوى ما يجري على العبد، في جميع أوقاته وأيام حياته.

(إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) أي: إحاطة علمه بتلك المعلومات الكثيرة، وإحاطة كتابه فيها، فهذه ثلاثة أدلة من أدلة البعث والنشور، كلها عقلية، نبه الله عليها في هذه الآيات: إحياء الأرض بعد موتها، وأن الذي أحياها سيحيي الموتى، وتنقل الآدمي في تلك الأطوار.

فالذي أوجده ونقله، طبقا بعد طبق، وحالا بعد حال، حتى بلغ ما قدر له، فهو على إعادته وإنشائه النشأة الأخرى أقدر، وهو أهون عليه، وإحاطة علمه بجميع أجزاء العالم، العلوي والسفلي، دقيقها وجليلها، الذي في القلوب، والأجنة التي في البطون، وزيادة الأعمار ونقصها، وإثبات ذلك كله في كتاب. فالذي كان هذا [نعته] يسيرا عليه، فإعادته للأموات أيسر وأيسر. فتبارك من كثر خيره، ونبه عباده على ما فيه صلاحهم، في معاشهم ومعادهم.

- (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)

هذا إخبار عن قدرته وحكمته ورحمته، أنه جعل البحرين لمصالح العالم الأرضي كلهم، وأنه لم يسوِّ بينهما، لأن المصلحة تقتضي أن تكون الأنهار عذبة فراتا، سائغا شرابها، لينتفع بها الشاربون والغارسون والزارعون، وأن يكون البحر ملحا أجاجا، لئلا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح ما يموت في البحر من الحيوانات ولأنه ساكن لا يجري، فملوحته تمنعه من التغير، ولتكون حيواناته أحسن وألذ، ماذا تدل عليه كلمة كل في الآية ؟ ولهذا قال: (وَمِنْ كُلٍ) من البحر المالح والعذب

- س – ما فوائد البحار ؟

(تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) وهو السمك المتيسر صيده في البحر، (وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) من لؤلؤ ومرجان وغيرهما، مما يوجد في البحر، فهذه مصالح عظيمة للعباد.

ومن المصالح أيضا والمنافع في البحر، أن سخره الله تعالى يحمل الفلك من السفن والمراكب، فتراها تمخر البحر وتشقه، فتسلك من إقليم إلى إقليم آخر، ومن محل إلى محل، فتحمل السائرين وأثقالهم وتجاراتهم، فيحصل بذلك من فضل الله وإحسانه شيء كثير، ولهذا قال: (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

ومن ذلك أيضا، إيلاجه تعالى الليل بالنهار والنهار بالليل، يدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، كلما أتى أحدهما ذهب الآخر، ويزيد أحدهما وينقص الآخر، ويتساويان، فيقوم بذلك ما يقوم من مصالح العباد في أبدانهم وحيواناتهم وأشجارهم وزروعهم.

وكذلك ما جعل الله في تسخير الشمس والقمر، الضياء والنور، والحركة والسكون، وانتشار العباد في طلب فضله، وما فيهما من تنضيج الثمار وتجفيف ما يجفف وغير ذلك مما هو من الضروريات، التي لو فقدت لَلَحِقَ الناس الضرر.

- س – (كل) في الآية تعود على ماذا ؟

وقوله: (كُلٌّ يَجْرِي لأجَلٍ مُسَمًّى) أي: كل من الشمس والقمر، يسيران في فلكهما ما شاء الله أن يسيرا، فإذا جاء الأجل، وقرب انقضاء الدنيا، انقطع سيرهما، وتعطل سلطانهما، وخسف القمر، وكورت الشمس، وانتثرت النجوم.

فلما بين تعالى ما بيَّن من هذه المخلوقات العظيمة، وما فيها من العبر الدالة على كماله وإحسانه،

- س – ما دلالة استعمال لفظة " قطمير" ؟

قال: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ) أي: الذي انفرد بخلق هذه المذكورات وتسخيرها، هو الرب المألوه المعبود، الذي له الملك كله. (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) من الأوثان والأصنام (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) أي: لا يملكون شيئا، لا قليلا ولا كثيرا، حتى ولا القطمير الذي هو أحقر الأشياء، وهذا من تنصيص النفي وعمومه، فكيف يُدْعَوْنَ، وهم غير مالكين لشيء من ملك السماوات والأرض؟

ومع هذا (إِنْ تَدْعُوهُمْ) لا يسمعوكم لأنهم ما بين جماد وأموات وملائكة مشغولين بطاعة ربهم. (وَلَوْ سَمِعُوا) على وجه الفرض والتقدير (مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) لأنهم لا يملكون شيئا، ولا يرضى أكثرهم بعبادة من عبده، ولهذا قال: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) أي: يتبرأون منكم، ويقولون: سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ

(وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) أي: لا أحد ينبئك، أصدق من الله العليم الخبير، فاجزم بأن هذا الأمر، الذي نبأ به كأنه رَأْيُ عين، فلا تشك فيه ولا تمتر. فتضمنت هذه الآيات، الأدلة والبراهين الساطعة، الدالة

على أنه تعالى المألوه المعبود، الذي لا يستحق شيئا من العبادة سواه، وأن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل، لا تفيد عابده شيئا.

- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨) .
- س – كيف يكون فقر العباد لله ؟

يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه:

- فقراء في إيجادهم، فلولا إيجاده إياهم، لم يوجدوا.
- فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعداده إياهم [بها] ، لما استعدوا لأي عمل كان.
- فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل [لهم] من الرزق والنعم شيء.
- فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكروب والشدائد. فلولا دفعه عنهم، وتفريجه لكرباتهم، وإزالته لعسرهم، لاستمرت عليهم المكاره والشدائد.
- فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير.
- فقراء إليه، في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يوفقهم لذلك، لهلكوا، وفسدت أرواحهم، وقلوبهم وأحوالهم.
- فقراء إليه، في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه، لم يتعلموا، ولولا توفيقه، لم يصلحوا.

- س – هل لابد من الشعور ببعض أنواع الفقر ؟

فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها.

- س – ما دلالة العزيز الحميد ؟

(وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) أي: الذي له الغنى التام من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق، وذلك لكمال صفاته، وكونها كلها، صفات كمال، ونعوت وجلال.

ومن غناه تعالى، أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة، الحميد في ذاته، وأسمائه، لأنها حسنى، وأوصافه، لكونها عليا، وأفعاله لأنها فضل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة، وفي أوامره ونواهيه، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه [الغني في حمده] .

- (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) هذه الآية لها احتمالين ما هما ؟

- يحتمل أن المراد: إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بغيركم من الناس، أطوع لله منكم، ويكون في هذا تهديد لهم بالهلاك والإبادة، وأن مشيئته غير قاصرة عن ذلك.
- ويحتمل أن المراد بذلك، إثبات البعث والنشور، وأن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء، وفي إعادتكم بعد موتكم خلقا جديدا، ولكن لذلك الوقت أجل قدره الله، لا يتقدم عنه ولا يتأخر.

(وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) أي: بممتنع، ولا معجز له.

- س – كيف يجازي العبد على عمله يوم القيامة ؟

ويدل على المعنى الأخير، ما ذكره بعده في قوله: (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) أي: في يوم القيامة كل أحد يجازى بعمله، ولا يحمل أحد ذنب أحد. (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ) أي: نفس مثقلة بالخطايا والذنوب، تستغيث بمن يحمل عنها بعض أوزارها (لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) فإنه لا يحمل عن قريب، فليست حال الآخرة بمنزلة حال الدنيا، يساعد الحميم حميمه، والصديق صديقه، بل يوم القيامة، يتمنى العبد أن يكون له حق على أحد، ولو على والديه وأقاربه.

- س – لماذا خص الله الخشية والصلاة ؟

(إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ) أي: هؤلاء الذين يقبلون النذارة وينتفعون بها، أهل الخشية لله بالغيب، أي: الذين يخشونه في حال السر والعلانية، والمشهد والمغيب، وأهل إقامة الصلاة، بحدودها وشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها،

لأن الخشية لله تستدعي من العبد العمل بما يخشى من تضييعه العقاب، والهرب مما يخشى من ارتكابه العذاب، والصلاة تدعو إلى الخير، وتنهى عن الفحشاء والمنكر.

(وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) أي: ومن زكى نفسه بالتنقِّي من العيوب، كالرياء والكبر، والكذب والغش، والمكر والخداع والنفاق، ونحو ذلك من الأخلاق الرذيلة، وتحلَّى بالأخلاق الجميلة، من الصدق، والإخلاص، والتواضع، ولين الجانب، والنصح للعباد، وسلامة الصدر من الحقد والحسد وغيرهما من مساوئ الأخلاق، فإن تزكيته يعود نفعها إليه، ويصل مقصودها إليه، ليس يضيع من عمله شيء.

(وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) فيجازي الخلائق على ما أسلفوه، ويحاسبهم على ما قدموه وعملوه، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

- (وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ (٢٠) وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) .
- س – هل يتساوى الأضداد المعروفة للعباد ؟

يخبر تعالى أنه لا يتساوى الأضداد في حكمة الله، وفيما أودعه في فطر عباده. (وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى) فاقد البصر (وَالْبَصِيرُ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ) فكما أنه من المتقرر عندكم، الذي لا يقبل الشك، أن هذه المذكورات لا تتساوى، فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوي المتضادات المعنوية أولى وأولى.

فلا يستوي المؤمن والكافر، ولا المهتدي والضال، ولا العالم والجاهل، ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولا أحياء القلوب وأمواتها، فبين هذه الأشياء من التفاوت والفرق ما لا يعلمه إلا الله

تعالى، فإذا علمت المراتب، وميزت الأشياء، وبان الذي ينبغي أن يتنافس في تحصيله من ضده، فليختر الحازم لنفسه، ما هو أولى به وأحقها بالإيثار.

(إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ) سماع فهم وقبول، لأنه تعالى هو الهادي الموفق (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) أي: أموات القلوب، أو كما أن دعاءك لا يفيد سكان القبور شيئا، كذلك لا يفيد المعرض المعاند شيئا، ولكن وظيفتك النذارة، وإبلاغ ما أرسلت به، قبل منك أم لا.

ولهذا قال: (إِنْ أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ) أي مجرد إرسالنا إياك بالحق لأن الله تعالى بعثك على حين فترة من الرسل وطموس من السبل واندراس من العلم وضرورة عظيمة إلى بعثك فبعثك الله رحمة للعالمين

وكذلك ما بعثناك به من الدين القويم والصراط المستقيم حق لا باطل وكذلك ما أرسلناك به من هذا القرآن العظيم وما اشتمل عليه من الذكر الحكيم حق وصدق (بَشِيرًا) لمن أطاعك بثواب الله العاجل والآجل (وَنَذِيرًا) لمن عصاك بعقاب الله العاجل والآجل ولست ببدع من الرسل فما (مِنْ أُمَّةٍ) من الأمم الماضية والقرون الخالية (إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ) يقيم عليهم حجة الله (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)

- تسليه الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦) .

أي: وإن يكذبك أيها الرسول، هؤلاء المشركون، فلست أول رسول كذب، (فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) الدالات على الحق، وعلى صدقهم فيما أخبروهم به، (وَبالزُّبُرِ) أي: الكتب المكتوبة، المجموع فيها كثير من الأحكام، (وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) أي: المضيء في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فلم يكن تكذيبهم إياهم ناشئا عن اشتباه، أو قصور بما جاءتهم به الرسل، بل بسبب ظلمهم وعنادهم.

(ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بأنواع العقوبات (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) عليهم؟ كان أشد النكير وأعظم التنكيل، فإياكم وتكذيب هذا الرسول الكريم، فيصيبكم كما أصاب أولئك، من العذاب الأليم والخزي الوخيم.

- (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) .
- ما فائدة ذكر هذه المتضادات ؟

يذكر تعالى خلقه للأشياء المتضادات، التي أصلها واحد، ومادتها واحدة، وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته.

- س – ما هي الآيات الدالة على قدرة الله ؟
  - فمن ذلك: أن الله تعالى أنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات المختلفات، والنباتات المتنوعات، ما هو مشاهد للناظرين، والماء واحد، والأرض واحدة.

- ومن ذلك: الجبال التي جعلها الله أوتادا للأرض، تجدها جبالا مشتبكة، بل جبلا واحدا، وفيها ألوان متعددة، فيها جدد بيض، أي: طرائق بيض، وفيها طرائق صفر وحمر، وفيها غرابيب سود، أي: شديدة السواد جدا.
- ومن ذلك: الناس والدواب، والأنعام، فيها من اختلاف الألوان والأوصاف والأصوات والهيئات، ما هو مرئي بالأبصار، مشهود للنظار، والكل من أصل واحد ومادة واحدة.

- س – ماذا يدل عليه تفاوتها ؟

فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة الله تعالى، التي خصصت ما خصصت منها، بلونه، ووصفه، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف، وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضا، ما هو معلوم.

وذلك أيضا، دليل على سعة علم الله تعالى، وأنه يبعث من في القبور، ولكن الغافل ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظر غفلة لا تحدث له التذكر،

- س – من الذي ينتفع بهذه الآيات؟

وإنما ينتفع بها من يخشى الله تعالى، ويعلم بفكره الصائب وجه الحكمة فيها. ولهذا قال: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) كامل العزة، ومن عزته خلق هذه المخلوقات المتضادات. (غَفُورٌ) لذنوب التائبين.

- (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) .
- س – كيف تكون تلاوة كتاب الله؟

(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) أي: يتبعونه في أوامره فيمتثلونها، وفي نواهيه فيتركونها، وفي أخباره، فيصدقونها ويعتقدونها، ولا يقدمون عليه ما خالفه من الأقوال، ويتلون أيضا ألفاظه، بدراسته، ومعانيه، بتتبعها واستخراجها.

ثم خص من التلاوة بعد ما عم، الصلاة التي هي عماد الدين، ونور المسلمين، وميزان الإيمان، وعلامة صدق الإسلام، والنفقة على الأقارب والمساكين واليتامى وغيرهم، من الزكاة والكفارات والنذور والصدقات. (سِرًّا وَعَلانِيَةً) في جميع الأوقات.

- س – ما هي التجارة الرابحة ؟

(يَرْجُونَ) [بذلك] (تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ) أي: لن تكسد وتفسد، بل تجارة، هي أجل التجارات وأعلاها وأفضلها، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه، وهذا فيه أنهم يخلصون بأعمالهم، وأنهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة والنيات الفاسدة شيئا.

- س – ما جزاؤهم ؟

وذكر أنهم حصل لهم ما رجوه فقال: (لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ) أي: أجور أعمالهم، على حسب قلتها وكثرتها، وحسنها وعدمه، (وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) زيادة عن أجورهم. (إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) غفر لهم السيئات، وقبل منهم القليل من الحسنات.

لمسات بيانية:

آية (٤):

***ما دلالة تكرار الباء وعدمه فى قوله تعالى (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤) آل عمران) وقوله(وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤) فاطر)؟(د.أحمد الكبيسى)**

رب العالمين سبحانه وتعالى لماذا أول مرة قال (فَإِنْ كَذَّبُوكَ) ومرة قال (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ)؟ واحدة في الماضي والأخرى في المستقبل هذا ما فيه إشكال.

(كُذِّبَ رُسُلٌ) و (كُذِّبَتْ رُسُلٌ) كُذّب رسل رب العالمين يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم إن كانوا كذبوك فأنت لست بدعاً ما قبلك كُذبوا. ولما قال كُذِّب رسل كُذبوا مرة واحدة-بدون التاء- جميع الرسل كلهم واحداً واحداً واحداً كُذبوا. لما قال في آية أخرى (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ) مجموعة رسل كُذبوا مرة واحد يعني يأتيك واحد لا يؤمن بالرسل نهائياً هناك رسل كل واحد في زمانه كذب ثم يأتي واحد في الأخير يكذب بهم جميعاً هذا (كُذِّبَتْ رُسُلٌ). ثم (جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) البينات المعجزات والزبر الكتب المكتوبة والكتاب المنير التوراة والإنجيل والفرقان هذه هي الكتب المنزلة.

آية (٧):

***في سورة الحديد قال تعالى (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)) وفي سورة فاطر أضاف المغفرة فقال (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)) وفي سورة الملك (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)) فما دلالة ذكر المغفرة مع الأجر وعدم ذكرها؟(د.فاضل السامرائى)**

كل موطن في القرآن يذكر فيه المغفرة يجب أن يذكر فيه الذنوب والكافرين في سائر القرآن. لما يضيف المغفرة للأجر الكبير لا بد أن يسبقها أو يأتي بعدها الذنوب والكافرين، يذكر في السياق أمرين: الكافرين والذنوب.. في سورة الحديد لم يذكر الكافرين ولا الذنب فلم يذكر المغفرة.

آية (٩):

*** ما دلالة اختلاف صيغة الأفعال بين الماضى والمضارع فى قوله تعالى (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩)) ؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩) فاطر) (أرسل ماضي، فتثير مضارع، فسقناه ماضي) أيها الأسبق إثارة السحاب أم سوقه إلى بلد؟ إثارة السحاب أسبق من السوق. جاء فعل (أرسل) بصيغة الماضي ثم فعل (فتثير) بصيغة المضارع ثم فعل (فسقناه) بصيغة الماضي مع أن السّوق يأتي بعد الإثارة والأحداث كلها ماضية لكن الإثارة مشهد حركة فجعلها بصيغة المضارع ليدل على الحركة والحضور.

***في سورة النحل الآية (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)) أما في سورة فاطر (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)) فما دلالة التقديم والتأخير واستخدام الواو وعدمه؟(د.فاضل السامرائى)**

بالنسبة للتقديم والتأخير:

تقدم هذه الآية في سورة النحل تقدم الكلام على وسائط النقل، ذكر الأنعام قال (وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)) (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (٧)) ثم ذكر الخيل البغال والحمير قال (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا (٨)) هذه وسائط نقل برية، ثم ذكر الفلك وهي واسطة نقل بحرية قال (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ (١٤)) فلما ذكر وسائط النقل وذكر الفلك في سياق وسائط النقل قدّم صفتها (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) على البحر، (فيه) متعلق بالبحر إذن لما كان السياق في وسائط النقل قدّم صفة وساطة النقل (مواخر) يعني ألحق الصفة بالموصوف ليس الكلام على البحر وإنما الكلام على وسائط النقل فأخّر ما يتعلق بالبحر. أما في آية فاطر فالكلام على البحر وليس على وسائط النقل (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ (١٢)) كل الكلام على البحر (وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) فقدّم (فيه)

آية (٢٥):

***ما الفرق بين قوله تعالى(فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤) آل عمران) و(وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) فاطر)؟(د.أحمد الكبيسى)**

نحن لدينا نوعين من الأنبياء أنبياء كتابه هو معجزته هذا بالبينات والزبر بدون باء وهو محمد صلى الله عليه وسلم الوحيد الذي معجزته هي كتابه النبي صلى الله عليه وسلم. سيدنا موسى معجزته العصا واليد والقمل

والضفادع والماء وغيرها يعني كثير (وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاَتٍ (١٣٣) الأعراف) لكن التوراة شيء ولهذا التوراة ليس معجز ولهذا حرف وضاع وقسموه وحرفوه الخ ليس له نفس حصانة القرآن لأن الله سبحانه وتعالى جعل معجزته غير الكتاب فالكتاب علم فقه ليس بذلك الوعد الإلهي (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) الحجر) فلهذا التوراة الآن ما بقي منها شيء والإنجيل ما بقي منها شيء، أناجيل شبيهة كل ما يأتي ملك يعمل له إنجيل لماذا؟ البينات عند موسى وعيسى غير الكتابين عندهم إعجاز خالد لا يمكن أن ينكرها إلا إنسان ظلم نفسه. سيدنا عيسى يبريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله لأن طبيعة بني إسرائيل مادية حسّية ولهذا قالوا (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) الإسراء) (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً (٥٥) البقرة). إذاً هذا الفرق بين هذه الباء لما قال (بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ) هناك معجزات وهناك كتاب لكن لما قال (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ) الكتاب هو المعجزة نفسه.

***ما الفرق بين كلمتى علماء وعالمون؟(د.أحمد الكبيسى)**

كل ما جاءت به في لغتنا وفي القرآن الكريم جمع التكسير شامل يشمل الزين والشين وبعضه يفضل بعضه، لكن لما جمع مذكر سالم لا، القمم يعني عندما تجمع أبو حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وجعفر الصادق والباقر وابن حزم الخ وتسميهم علماء! لا، هؤلاء عالمون، هناك عموم الشيء وهناك خصوصهم.

<u>آية (٢٩):</u>

***ما دلالة استخدام الفعل الماضي والمضارع في آية سورة فاطر (إِنَّ الَّذِينَ <u>يَتْلُونَ</u> كِتَابَ اللَّهِ <u>وَأَقَامُوا</u> الصَّلَاةَ <u>وَأَنفَقُوا</u> مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ {٢٩}) ؟ (د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة فاطر (إِنَّ الَّذِينَ <u>يَتْلُونَ</u> كِتَابَ اللَّهِ <u>وَأَقَامُوا</u> الصَّلَاةَ <u>وَأَنفَقُوا</u> مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ {٢٩}). يتلون فعل مضارع وأقاموا فعل ماضي والفعل المضارع يدل على الحال والتجدد والإستقبال والماضي مضى هذا هو الأصل وفي الآية ذكر تعالى أكثر ما يتجدد أولاً لأن تلاوة القرآن أكثر من الصلاة لأن إقامة الصلاة لا تكون إلا بقراءة القرآن وقراءة القرآن تكون في كل وقت وإقامة الصلاة هي أكثر من الإنفاق إذن فالأفعال مرتّبة في الآية بحسب الكثرة وبحسب الإستمرار فبدأ بما هو أكثر بالأكثر والأكثر استمراراً ثم بما دونها كثرة (الصلاة) ثم الأقل (الإنفاق).

الوصايا العملية:

- اعتمدي على الله في جميع أمورك ولا تخافين إلا الله .
- ذكر النعمة بالقلب اعترافا وباللسان ثناء وبالجوارح انقيادا .
- أكثر ما يأتي الشيطان للإنسان وقت الفرح والمصيبة .
- بحسب عملك الصالح يرفع الكلم الطيب ويكون لك الثناء الحسن في الملأ ويعزك الله .
- إذا لم يكن لك عمل صالح لم يرفع لك كلم طيب ولا يكن لك ثناء يوم القيامة ولا تأتيك العزة .
- اتقي الذنوب والمعاصي فإن السيئات تذل العبد وتزيد هوان .
- لا يقبل قول إلا بعمل .
- احذري المكر بالناس فالله يعلمه .
- كلما تقدمت في الدنيا تأخرت في الآخرة
- الخشية هي التي تحول بينك وبين المعاصي .
- أهل الخشية يعمرون أوقاتهم بطاعة الله .
- أهل الخشية يجتنبون بعض المستحبات حتى لا يقعون في الحرام .
- من خاف الله في الدنيا أمنه يوم القيامة ومن أمنه في الدنيا فإنه يخاف يوم القيامة فلا يجتمع أمنين وخوفين .
- علمك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يقربك من الله ويورثك خشيته وإنابته .
- تلاوة كتابه وتدبره والعمل به يزيد من الخشية والقربة من الله .
- ميزان العلم فالعلم النافع كلما زاد زاد تواضع العبد وخشوعه وخشيته من الله .
- أكمل الناس خشيه هم الذين أعمالهم تطابق أقوالهم .
- انسبي كل شيء إلى الله حتى العلم النافع فهو توفيق .
- من فوائد البحر المالح ينقي الهواء مم يموت في البحر .
- من فوائد البحر المالح أن حيواناته ألذ .
- أكثري من هذا الدعاء (اللهم اجعلني أفقر عبادك إليك وأغنى عبادك عن خلقك) .
- كل العباد فقراء إلى الله في تألوههم وتعبدهم فلولا الله لما وفقوا في العبادة وإخلاص العبادة أبضا توفيق من الله.
- الموفق من وفقه الله فيرى فقره إلى الله في كل حال .
- أكثري من دعاء (اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين) .
- أكثري من دعاء (الله أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) .
- المحسن لنفسه من طهر قلبه وجوارحه .
- قدمي كلام الله على كلام غيره .
- أحسني في صلاتك لتفلحي .
- استعجلي بالصدقة فيبدأ نموها من أول إخراجها .

المقطع الثاني من الآية (٣٢) إلى الآية (٤٥):

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (٣٦ – ٣٧) مصير الكافرين. بعد ذكر حال السعداء من ورثة كتاب الله تعالى التالين له العاملين به، ذكر حال أهل الشقاء من الكفرة المعاندين المعرضين.
- الآيات (٣٨ – ٤١) من دلائل العظمة وشواهد القدرة. بعد بيان مصير أهل الإيمان وعاقبة أهل الكفر والعصيان بيّن تعالى إحاطة علمه بعالم الغيب فضلاً عن عالم الشهادة، وشموله لعلم كلّ ما استكن واستتر فضلاً عما بدا وظهر، وإنعامه على بني آدم بنعمة الاستخلاف، ووعيده للكفرة بزيادة المقت والخسران بقدر زيادة الكفر، ثم نفى شُبه المشركين ودحض حججهم الواهية، وجلّى من شواهد قدرته وعظمته ووجوه لطفه وتمام نعمته: إمساكه السموات والأرض أن تزولا.
- الآيات (٤٢ – ٤٣) من أسباب الصمود. هذه الآيات متصلة بما سبقها من حوار الكافرين ودحض شبههم وبيان أسباب صدودهم ونفورهم من دعوة الحق، ووعيدهم بما أصاب من سبقهم من المكذبين، فتلك سنة الله تعالى في الأولين لا تبديل لها ولا تحويل، وهذا من تمام عدله تعالى ودلائل قدرته وشواهد عظمته، وفي إهلاك المكذبين نجاةٌ للمؤمنين ونصر لهم وتلك نعمة جليلة.
- الآيات (٤٤ – ٤٥) خاتمة السورة: دعوة للسير والنظر. لما توعدهم بسنته تعالى في الأولين دعا إلى السير للاعتبار بآثارهم والوقوف على أخبارهم، وبين سبحانه أنه يمهلهم استدراجاً لهم ومكراً بهم، فإذا حان الأجل، وحُمَّ الأمرُ فإن الله بصير بهم محيط بأعمالهم فيجزيهم عليها.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال : كيف نجدك ؟ قال والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف .

عن مطرف بن عبدالله عن أبيه قال : " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل "

الخشية والخوف بمعنى واحد ، وقيل الخشية أخص من الخوف وهي من أعمال القلوب أي من العبادات القلبية .

وقال المناوي : الخشية : تألم القلب لتوقع مكروه مستقبلا يكون تارة بكثرة الجناية من العبد وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته ، ومنه خشية الأنبياء .

وبعضهم قيد الخشية بما كان في حق الله والخوف في حق الآدميين .

فخشية الله من أجل أعمال القلوب التي تقوم عليها العبادة وتكف المؤمن عن المعاصي .

قال سعيد بن جبير :" الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل "

والعبد إذا خاف مخلوقا هرب منه وإذا خاف الخالق هرب إليه ، وكل مؤمن مستقر في قلبه خشية الله في الأصل ولا يمكن خلو قلبه من ذلك ولكن يتفاوتون في درجات الخوف .

وأصل الخشية و الإنابة لله هم من عمر وقته بالطاعات وبالغ في اجتناب المحرمات وخشي من الوقوع في الآثام ، ومن خاف الله في الدنيا أمنه الله يوم القيامة ، ومن أمن عذابه في الدنيا أخافه الله يوم القيامة ، فلا يجمع الله على عبده أمنين وخوفين .

فكلما ازداد العلم ازدادت الخشية ، وكلما نقص العلم نقصت خشيته ، وكل من كان بالله أعرف كان منه أخوف ، والعلم المورث للخشية والإنابة هو علم الكتاب والسنة وآثار السلف .

قال تعالى :" إنما يخشى الله من عباده العلماء" إن العلماء الذين يتلون كتاب الله ويتدبرونه هم الذين يخشون الله حق خشيته .

والعلماء هم الذين يتدبرون هذا الكتاب ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقية ، يعرفونه بآثار صنعته ويدركونه بآثار قدرته ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه ثم يخشونه حقا ويتقونه حقا ويعبدونه حقا .

والخشية في قلوب العباد متفاوته ، فخشية العلماء المتبصرين علماء الحق علماء الشريعة ليست خشيتهم مثل خشية عامة المسلمين بل هي أكمل وأعظم .

ولهذا يراقبون الله ويعلمون عباد الله ويقفون عند حدود الله ، وينفذون أوامر الله ،فأعمالهم تطابق أقوالهم وتطابق علمهم ، فهم أكمل الناس خشية ، وكلما تعلم وتقدم في العلم النافع كلما ازدادت خشيته من الله ..

اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية ..

فوائد وأسئلة تدبرية:

- (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) .

- س – بماذا وصف الله الكتاب ؟

يذكر تعالى أن الكتاب الذي أوحاه إلى رسوله (هُوَ الْحَقُّ) من كثرة ما اشتمل عليه من الحق، كأن الحق منحصر فيه، فلا يكن في قلوبكم حرج منه، ولا تتبرموا منه، ولا تستهينوا به، فإذا كان هو الحق، لزم أن كل ما دل عليه من المسائل الإلهية والغيبية وغيرها، مطابق لما في الواقع، فلا يجوز أن يراد به ما يخالف ظاهره وما دل عليه.

(مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) من الكتب والرسل، لأنها أخبرت به، فلما وجد وظهر، ظهر به صدقها. فهي بشرت به وأخبرت، وهو صدقها،

- س – ما الذي يجب على المؤمن تجاه الكتب جميعها ؟

ولهذا لا يمكن أحدا أن يؤمن بالكتب السابقة، وهو كافر بالقرآن أبدا، لأن كفره به، ينقض إيمانه بها، لأن من جملة أخبارها الخبر عن القرآن، ولأن أخبارها مطابقة لأخبار القرآن.

(إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) فيعطي كل أمة وكل شخص، ما هو اللائق بحاله. ومن ذلك، أن الشرائع السابقة لا تليق إلا بوقتها وزمانها، ولهذا، ما زال اللّه يرسل الرسل رسولا بعد رسول، حتى ختمهم بمحمد صلى اللّه عليه وسلم، فجاء بهذا الشرع، الذي يصلح لمصالح الخلق إلى يوم القيامة، ويتكفل بما هو الخير في كل وقت.

- س – ما سبب اصطفاء الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

ولهذا، لما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولا وأحسنهم أفكارا، وأرقهم قلوبا، وأزكاهم أنفسا، اصطفاهم الله تعالى، واصطفى لهم دين الإسلام، وأورثهم الكتاب المهيمن على سائر الكتب، ولهذا قال: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) وهم هذه الأمة. (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بالمعاصي، [التي] هي دون الكفر. (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم. (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) أي: سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه.

- س – هل هم في مرتبة واحدة ؟

فكلهم اصطفاه اللّه تعالى، لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما معه من أصل الإيمان، وعلوم الإيمان، وأعمال الإيمان، من وراثة الكتاب، لأن المراد بوراثة

- ما المقصود من وراثة الكتاب ؟

الكتاب، وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه.

وقوله (بِإِذْنِ اللَّهِ) راجع إلى السابق إلى الخيرات، لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق اللّه تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر اللّه تعالى على ما أنعم به عليه.

- س – ما هو الفضل الكبير ؟

(ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) أي: وراثة الكتاب الجليل، لمن اصطفى تعالى من عباده، هو الفضل الكبير، الذي جميع النعم بالنسبة إليه، كالعدم، فأجل النعم على الإطلاق، وأكبر الفضل، وراثة هذا الكتاب.

- س – ما جزاؤهم ؟

ثم ذكر جزاء الذين أورثهم كتابه فقال: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) أي: جنات مشتملات على الأشجار، والظل، والظليل، والحدائق الحسنة، والأنهار المتدفقة، والقصور العالية، والمنازل المزخرفة، في أبد لا يزول، وعيش لا ينفد.

- س – ماذا تعنى عدن ؟

والعدن « الإقامة » فجنات عدن أي: جنات إقامة، أضافها للإقامة، لأن الإقامة والخلود وصفها ووصف أهلها.

- س – بماذا وصف الله حالهم ؟

(يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ) وهو الحلي الذي يجعل في اليدين، على ما يحبون، ويرون أنه أحسن من غيره، الرجال والنساء في الحلية في الجنة سواء.

(و) يحلون فيها (لُؤْلُؤًا) ينظم في ثيابهم وأجسادهم. (وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) من سندس، ومن إستبرق أخضر.

(و) لما تم نعيمهم، وكملت لذتهم (قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ) وهذا يشمل كل حزن، فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم، ولا في طعامهم وشرابهم، ولا في لذاتهم ولا في أجسادهم، ولا في دوام لبثهم، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيدا، وهو في تزايد أبد الآباد.

- س – مادلالة غفور شكور ؟

(إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ) حيث غفر لنا الزلات (شَكُورٌ) حيث قبل منا الحسنات وضاعفها، وأعطانا من فضله ما لم تبلغه أعمالنا ولا أمانينا، فبمغفرته نجوا من كل مكروه ومرهوب، وبشكره وفضله حصل لهم كل مرغوب محبوب.

- س – ما دلالة أحلنا ؟

(الَّذِي أَحَلَّنَا) أي: أنزلنا نزول حلول واستقرار، لا نزول معبر واعتبار. (دَارَ الْمُقَامَةِ) أي: الدار التي تدوم فيها الإقامة، والدار التي يرغب في المقام فيها، لكثرة خيراتها، وتوالي مسراتها، وزوال كدوراتها، وذلك الإحلال (مِنْ فَضْلِهِ) علينا وكرمه، لا بأعمالنا، فلولا فضله، لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه.

(لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) أي: لا تعب في الأبدان ولا في القلب والقوى، ولا في كثرة التمتع، وهذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة، ويهيئ لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة، بحيث لا يمسهم نصب ولا لغوب، ولا هم ولا حزن.

ويدل على أنهم لا ينامون في الجنة، لأن النوم فائدته زوال التعب، وحصول الراحة به، وأهل الجنة بخلاف ذلك، ولأنه موت أصغر، وأهل الجنة لا يموتون، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه.

- (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) .

- – القران مثانى لما ذكر حال أهل الجنه ذكر حال أهل النار .

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة ونعيمهم، ذكر حال أهل النار وعذابهم فقال: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) أي: جحدوا ما جاءتهم به رسلهم من الآيات، وأنكروا لقاء ربهم.

- س – بما ذا وصف حالهم ؟

(لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ) يعذبون فيها أشد العذاب، وأبلغ العقاب. (لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ) بالموت (فَيَمُوتُوا) فيستريحوا، (وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) فشدة العذاب وعظمه، مستمر عليهم في جميع الآنات واللحظات.

(كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا) أي: يصرخون ويتصايحون ويستغيثون

- س – هل قامت عليهم الحجه ؟

ويقولون: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) فاعترفوا بذنبهم، وعرفوا أن الله عدل فيهم، ولكن سألوا الرجعة في غير وقتها، فيقال لهم: (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا) أي: دهرا وعمرا (يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) أي: يتمكن فيه من أراد التذكر من العمل، متعناكم في الدنيا، وأدررنا عليكم الأرزاق، وقيضنا لكم أسباب الراحة، ومددنا لكم في العمر، وتابعنا عليكم الآيات، وأوصلنا إليكم النذر، وابتليناكم بالسراء والضراء، لتنيبوا إلينا وترجعوا إلينا، فلم ينجع فيكم إنذار، ولم تفد فيكم موعظة، وأخرنا عنكم العقوبة، حتى إذا انقضت آجالكم، وتمت أعماركم، ورحلتم عن دار الإمكان، بأشر الحالات، ووصلتم إلى هذه الدار دار الجزاء على الأعمال، سألتم الرجعة؟ هيهات هيهات، فات وقت الإمكان، وغضب عليكم الرحيم الرحمن، واشتد عليكم عذاب النار، ونسيكم أهل الجنة، فامكثوا فيها خالدين مخلدين، وفي العذاب مهانين، ولهذا قال: (فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) ينصرهم فيخرجهم منها، أو يخفف عنهم من عذابها.

- (إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨) .
- س – ما دلالة عالم الغيب؟

لما ذكر تعالى جزاء أهل الدارين، وذكر أعمال الفريقين، أخبر تعالى عن سعة علمه تعالى، واطلاعه على غيب السماوات والأرض، التي غابت عن أبصار الخلق وعن علمهم، وأنه عالم بالسرائر، وما تنطوي عليه الصدور منبعد ذكر أهل الدارين ؟

الخير والشر والزكاء وغيره، فيعطي كلا ما يستحقه، وينزل كل أحد منزلته.

- (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا (٣٩) .
- س – كيف قضى الله في الأرض ؟

يخبر تعالى عن كمال حكمته ورحمته بعباده، أنه قدر بقضائه السابق، أن يجعل بعضهم يخلف بعضا في الأرض، ويرسل لكل أمة من الأمم النذر، فينظر كيف يعملون، فمن كفر بالله وبما جاءت به رسله، فإن كفره عليه، وعليه إثمه وعقوبته، ولا يحمل عنه أحد، ولا يزداد الكافر بكفره إلا مقت ربه له وبغضه إياه، وأي: عقوبة أعظم من مقت الرب الكريم؟!

- س – ما هي خسارتهم ؟

(وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا) أي: يخسرون أنفسهم وأهليهم وأعمالهم ومنازلهم في الجنة، فالكافر لا يزال في زيادة من الشقاء والخسران، والخزي عند الله وعند خلقه والحرمان.

- (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلا غُرُورًا (٤٠) .

- س – كيف نفى الله عنهم الدليل العقلي والسمعي ؟

يقول تعالى مُعجِّزًا لآلهة المشركين، ومبينا نقصها، وبطلان شركهم من جميع الوجوه.

(قُلْ) يا أيها الرسول لهم: (أَرَأَيْتُمْ) أي: أخبروني عن شركائكم (الذين تدعون من دون الله) هل هم مستحقون للدعاء والعبادة، فـ (أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا [مِنَ الأَرْضِ) هل خلقوا بحرا أم خلقوا جبالا أو خلقوا] حيوانا، أو خلقوا جمادا؟ سيقرون أن الخالق لجميع الأشياء، هو الله تعالى، أَمْ لشركائكم شِرْكٌة (فِي السَّمَاوَاتِ) في خلقها وتدبيرها؟ سيقولون: ليس لهم شركة.

فإذا لم يخلقوا شيئا، ولم يشاركوا الخالق في خلقه، فلم عبدتموهم ودعوتموهم مع إقراركم بعجزهم؟ فانتفى الدليل العقلي على صحة عبادتهم، ودل على بطلانها.

ثم ذكر الدليل السمعي، وأنه أيضا منتف، فلهذا قال: (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا) يتكلم بما كانوا به يشركون، يأمرهم بالشرك وعبادة الأوثان. (فَهُمْ) في شركهم (عَلَى بَيِّنَةٍ) من ذلك الكتاب الذي نزل عليهم في صحة الشرك؟

ليس الأمر كذلك؟ فإنهم ما نزل عليهم كتاب قبل القرآن، ولا جاءهم نذير قبل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ولو قدر نزول كتاب إليهم، وإرسال رسول إليهم، وزعموا أنه أمرهم بشركهم، فإنا نجزم بكذبهم، لأن الله قال: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ

- س – ما هي دعوى الرسل جميعا ؟

فالرسل والكتب، كلها متفقة على الأمر بإخلاص الدين لله تعالى، وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

- س – ما الذي حملهم على الشرك ؟

فإن قيل: إذا كان الدليل العقلي، والنقلي قد دلا على بطلان الشرك، فما الذي حمل المشركين على الشرك، وفيهم ذوو العقول والذكاء والفطنة؟

أجاب تعالى بقوله: (بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلا غُرُورًا) أي: ذلك الذي مشوا عليه، ليس لهم فيه حجة، فإنما ذلك توصية بعضهم لبعض به، وتزيين بعضهم لبعض، واقتداء المتأخر بالمتقدم الضال، وأمانيّ مَنَّاها الشيطان، وزين لهم [سوء] أعمالهم، فنشأت في قلوبهم، وصارت صفة من صفاتها، فعسر زوالها، وتعسر انفصالها، فحصل ما حصل من الإقامة على الكفر والشرك الباطل المضمحل.

- س – ما الدليل على كمال قدرة الله ورحمته ومغفرته ؟

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) .

يخبر تعالى عن كمال قدرته، وتمام رحمته، وسعة حلمه ومغفرته، وأنه تعالى يمسك السماوات والأرض عن الزوال، فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق، ولعجزت قدرهم وقواهم عنهما.

- س – ما الحكمة من عدم زوال السموات والأرض ؟

وليعلموا من عظيم سلطانه وقوة قدرته، ما به تمتلئ قلوبهم له إجلالا وتعظيما، ومحبة وتكريما، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته، بإمهال المذنبين، وعدم معالجته للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم، ولو أذن للأرض لابتلعتهم، ولكن وسعتهم مغفرته، وحلمه، وكرمه (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)

- (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلا (٤٣) .
- س – كيف كان قسمهم ؟ وبماذا أقسموا ؟

أي وأقسم هؤلاء، الذين كذبوك يا رسول الله، قسما اجتهدوا فيه بالأيمان الغليظة. (لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأمَمِ) أي: أهدى من اليهود والنصارى [أهل الكتب] ،

- س – هل وفوا بتلك الأقسام ؟

فلم يفوا بتلك الإقسامات والعهود. (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) لم يهتدوا، ولم يصيروا أهدى من إحدى الأمم، بل لم يدوموا على ضلالهم الذي كان، بل (مَا زَادَهُمْ) ذلك (إِلا نُفُورًا) وزيادة ضلال وبغي وعناد.

- س – ما مقصدهم من القسم ؟

وليس إقسامهم المذكور، لقصد حسن، وطلب للحق، وإلا لوفقوا له، ولكنه صادر عن استكبار في الأرض على الخلق، وعلى الحق، وبهرجة في كلامهم هذا، يريدون به المكر والخداع، وأنهم أهل الحق، الحريصون على طلبه، فيغتر به المغترون، ويمشي خلفهم المقتدون.

(وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ) الذي مقصوده مقصود سيئ، ومآله وما يرمي إليه سيئ باطل (إِلا بِأَهْلِهِ) فمكرهم إنما يعود عليهم، وقد أبان الله لعباده في هذه المقالات وتلك الإقسامات، أنهم كذبة في ذلك مزورون، فاستبان خزيهم، وظهرت فضيحتهم، وتبين قصدهم السيئ، فعاد مكرهم في نحورهم، ورد الله كيدهم في صدورهم.

- س – ما هي السنة التي لا تبدل ؟

فلم يبق لهم إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب، الذي هو سنة الله في الأولين، التي لا تبدل ولا تغير، أن كل من سار في الظلم والعناد والاستكبار على العباد، أن يحل به نقمته، وتسلب عنه نعمته، فَلْيَتَرَّقب هؤلاء، ما فعل بأولئك.

- (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) .

- س – ما هو السير الذي أمرهم الله به ؟

يحض تعالى على السير في الأرض، في القلوب والأبدان، للاعتبار، لا لمجرد النظر والغفلة، وأن ينظروا إلى عاقبة الذين من قبلهم ممن كذبوا الرسل، وكانوا أكثر منهم أموالا وأولادا وأشد قوة، وعمروا الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء، فلما جاءهم العذاب، لم تنفعهم قوتهم، ولم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا، ونفذت فيهم قدرة الله ومشيئته.

- (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأرْضِ) لكمال علمه وقدرته (إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا) .
- (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥) .

ثم ذكر تعالى كمال حلمه، وشدة إمهاله وإنظاره أرباب الجرائم والذنوب، فقال: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا) من الذنوب (مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) أي: لاستوعبت العقوبة، حتى الحيوانات غير المكلفة.

(وَلَكِنْ) يمهلهم تعالى ولا يهملهم و (يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا) فيجازيهم بحسب ما علمه منهم، من خير وشر.

لمسات بيانية:

آية (٣٢):

***ما دلالة إسناد الفعل للمجهول أو للمعلوم فى قوله تعالى (أورثوا الكتاب)و(أورثنا الكتاب)؟(د.فاضل السامرائى)**

عموماً رب العالمين يسند التفضل والخير لنفسه وما فيه ذم فنسبه للمجهول (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) الشورى)، أما قوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٣٢) فاطر) هذا مدح.

آية (٣٣):

***فلماذا جاءت ذكر اساور من فضة في سورة الإنسان بينما جاءت من ذهب ولؤلؤا في سورة فاطر؟(د.فاضل السامرائى)**

- ففي سورة فاطر قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩)) وفي سورة الإنسان قال (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {٧} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {٨}) والأكيد أن الإنفاق سراً وعلانية هو أعم وأشمل من إطعام الطعام على حبه المسكين واليتيم والأسير.

- ثم إن الذين يتلون الكتاب ويقيمون الصلاة هي أرفع وأعلى من الوفاء بالنذر لأن النذر أصلاً مكروه شرعاً وفي الحديث: "النذر صدقة البخيل" فالأمو التي ورد ذكرها في فاطر هي أعم وأرفع وأعلى مما ورد في سورة الإنسان فتلاوة القرآن أوسع من إقامة الصلاة ولهذا قدّم التلاوة على الصلاة والإنفاق لأن الصلاة لا تصح إلا بتلاوة القرآن والتلاوة تكون في الصلاة وفي غير الصلاة.

- ثم إن التلاوة والصلاة جاءت بصيغة المضارع بينما جاء الإنفاق بصيغة الماضي لتكرر التلاوة والصلاة أكثر من الإنفاق. فالوصف في سورة فاطر أعلى مما جاء في سورة الإنسان هذا أمر

- والأمر الآخر أنه تعالى في سورة فاطر ذكر (يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) بينما قال في سورة الإنسان (إن هذا كان لكم جزاء) ففي سورة فاطر توفية وزيادة وهما أعلى من الجزاء لذا ذكر الؤلؤ وهو الزيادة ، وكذلك في فاطر قال تعالى (إنه غفور شكور) وفي الإنسان (وكان سعيكم مشكورا) فزاد المفغرة على الشكر في سورة فاطر.

- ثم ذكر في سورة فاطر (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) بإسناد الفعلين إلى نفسه تعالى وهذا في مقام التكريم ثم ذكر الإصطفاء بالذات وهو من باب التكريم أيضاً. اصطفاهم هذا تكريم والتكريم الآخر هو الإسناد في قوله (أورثنا).

- قسّم تعالى المصطفين إلى قسمين (مقتصد) و(سابق بالخيرات) ذكر السابقين وهم أعلى المكلفين فلا يناسب معهم أن يذكر الأساور من فضة لأنها قد تدل على أن الفضة للسابقين مه أنه يجب أن يتميزوا لأنهم أعلة المكلّفين ولهذا جاء بأساور من ذهب لؤلؤا ليتناسب مع المذكورين.

- قوله تعالى في فاطر (ويزيدهم من فضله) (وذلك هو الفضل الكبير) يناسب الزيادة أيضاً لأن هذا الفضل يقتضي الزيادة.

- ذكر المغفرة والشكر مرتين (إنه غفور شكور) و(إن ربنا لغفور شكور). من الناحية البلاغية، لمّا ذكر تعالى (يتلون كتاب الله) قال (إنه غفور شكور) بدون اللام ولمّا ذكر الظالم لنفسه والمقتصد ذكر أنهم يدخلون الجنّات ذكر اللام في قوله (إن ربنا لغفور شكور) لأنه هؤلاء محتاجون للمغفرة أكثر ولولا المغفرة لما دخلوا الجنة وهؤلاء أحوج إلى المغفرة من الأولين لذا أكد باللام (إن ربنا لغفور شكور) فالتأكيد جاء بحسب الحاجة إلى المغفرة.

- قال تعالى في سورة الإنسان (حُلّوا أساور من فضة) وفي فاطر (يحلون فيها من أساور من ذهب) فيها تكريم لأن (من) تفترض الكثرة لأنهم أعلى من المذكورين في سورة الإنسان لأنه عندما نقول لأحد مثلاً إلبس هذه الثياب أو البس من هذه الثياب بالتأكيد الثانية أوسع لأن له أن يختار من بين الثياب ما يشاء.

- ثم قال تعالى (حُلوا) بصيغة الماضي وفي سورة فاطر (يحلّون) بصيغة المضارع وفي الآيتين الفعل مبني للمجهول لكن في سورة الإنسان الإخبار بما هو حاصل أما في سورة فاطر فالإخبار بشيء لم يحدث بعد وفيه إخبارهم أنهم سيدخلون الجنة (يدخلون الجنة) لذا جاءت يُحلّون.

آية (٣٥):

*** ما الفرق بين النصب واللغوب؟(د.فاضل السامرائى)**

النصب هو التعب والإعياء واللغوب هو الفتور وهو نتيجة النصب، نيجة النصب يفتر الإنسان. النصب أولاً ثم اللغوب. النصب تعب ثم نتيجة الإعياء يحصل فتور.

آية (٣٩):

***ما اللمسة البيانية في ذكر وحذف (في) في الآيتين (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ (١٦٥) الأنعام) و (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ (٣٩) فاطر)؟ (د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة الأنعام (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٦٥}) بدون ذكر (في) وقال تعالى في سورة فاطر (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً {٣٩}) وفي سورة يونس (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ {١٤}) وذكر فيهما (في). خلائف الأرض مع حذف (في) هي أوسع وأشمل من حيث اللغة أما خلائف في الأرض فهي ظرفية ومحددة. ونستعرض سياق الآيات في السور فنلاحظ أن سياق سورة فاطر هو في الكافرين ابتداءً وانتهاءً وكذلك في سورة يونس السياق فيمن أهلكهم الله تعالى من الكافرين. أما في سورة الأنعام فالسياق في مخاطبة المؤمنين إلى النهاية فكانوا أعمّ وأشمل وفيها ورد قوله تعالى (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٦٥}) ، فالمؤمنون خلائفهم أطول وأكثر من الكافرين فجاء بالمعنى الأعمّ والأشمل في سورة الأنعام بحذف (في).

الوصايا العملية:

- اجتهدي في العلم والعمل لأن الله اصطفاك فأحسني الظن بالله .
- استشعري أن الله لا يعطي القرآن إلا لمن فيه خير فلا يضع كتابه إلا في وعاء خير .
- احذري من سن سنن سيئة (الشهرة ، إسراف) .
- من كمال قدرة الله ورحمته أن الأرض ثابتة والسماء فوق لا تسقط .
- سنة الله في الكون أن كل من سار في ظلم وعناد وتكذيب الرسل يصيبهم العذاب .
- التزامك بطاعة الله وأمره ينفعك يوم القيامة .
- مالك ما قدمت ومال وارثك ما أخرت .

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

تبدأ (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣)) وفي آخرها (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)) إذن هو يرحمهم ولو يؤاخذهم بما كسبوا فيها رحمة، إذن ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها. (لو) حرف امتناع لوجود امتناع نزول العذاب لوجود رحمة الله، ما ترك على ظهرها من دابة وهو الآن تارك فإذن الرحمة موجودة. هو منع الأخذ لوجود الرحمة، لو آخذهم بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة، إذن هو لم يؤاخذهم لوجود الرحمة (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا). قال في أولها (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤)) وقال في أواخرها (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤))، وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك أفلم ينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم كأنما يوضح لهم كيف فعل الله بالأقوام الماضية، إن يكذبوك فلينظروا كيف فعل الله بالأقوام الماضية.

| ● | نهاية سورة فاطر | ● |

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة يــس ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

سـورة يـس

بين يدي السورة:

- سميت سورة يس بهذا الاسم لأن الله تعالى افتتح السورة الكريمة بها، وفي الافتتاح بها إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم.
- من فضائل السورة:
  - هذه السورة من المثاني.
  - عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غُفر له).
- سورة يس سورة مكية.
- محور السورة: إثبات البعث والجزاء وإقامة الأدلة على ذلك.

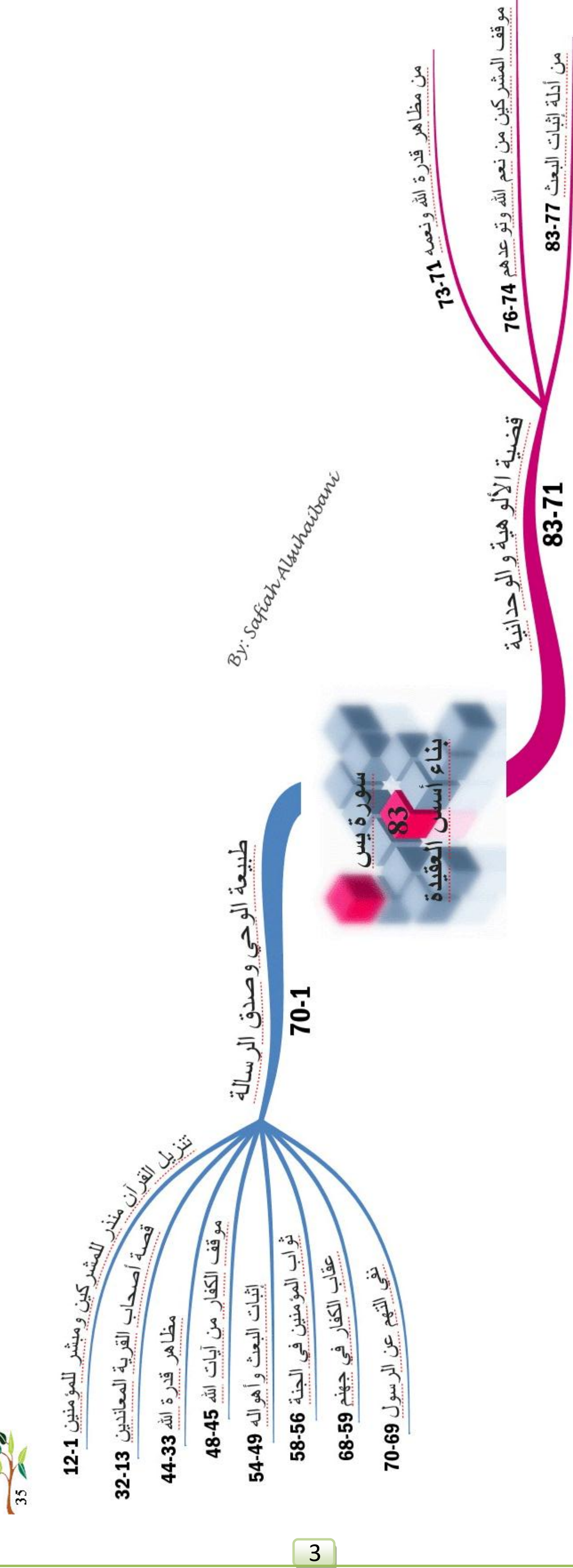
المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

الصلة قوية وواضحة بين مطلع سورة يس وخاتمة السورة التي قبلها (فاطر) ففي نهاية سورة فاطر جاء الحديث عن قدرة الله تعالى المطلقة "وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديرا" وجاء في أول سورة يس إشارة إلى بعض مظاهر هذه القدرة المطلقة، مثل قدرته تعالى على إحياء الموتى، وإحصاء الأعمال وتدوينها على العباد بكل دقة "إنا نحن نحي الموتى ونكت ما قدموا وءاثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين".

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

- في السورتين حديث عن عداوة الشيطان للإنسان. في سورة فاطر الآيات (٥ – ٦) وفي سورة يس الآيات (٦٠ – ٦٢) .
- في السورتين حديث عن آيات الله تعالى في الكون والآفاق. في سورة فاطر الآيات (٩، ١٢، ١٣، ٢٧، ٢٨) وفي سورة يس الآيات (٣٣ – ٤٤).
- في السورتين مقارنة بين حال المؤمنين وحال الكافرين. في سورة فاطر الآيات (٣٢ – ٣٧) وفي سورة يس الآيات (٥٥ – ٥٩) .
- في السورتين حديث عن قدرة الله تعالى، ففي سورة فاطر الآية (٤٤) وفي سورة يس الآيات (٧٨ – ٨٣)

محاور السورة:



المقطع الأول من الآية (١) إلى الآية (٤٠) :

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (١ – ١٢) القَسَم بالقرآن الكريم، وحال النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه.
- الآيات (١٣ – ١٩) قصة أصحاب القرية. بعد عرض قضية الوحي والرسالة، وقضية البعث والحساب، في هذه الصورة التقريرية يعود السياق ليعرضهما في صورة قصصية تلمس القلب بما كان من مواقف التكذيب والإيمان وعواقبهما معروضة كالعيان.
- الآيات (٢٠ – ٣٢) الرجل المؤمن يدعو قومه لاتباع المرسلين.
- الآيات (٣٣ – ٤٤) بعض آيات من قدرة الله عز وجل. لما تقدم في الآيات قبل هذه تقرير عقيدة البعث والجزاء في قوله "وإن كل لما جميع لدينا محضرون" ذكر هنا الدليل العقلي على صحة إمكان البعث فقال "وءايةٌ لهم" أي على صحة البعث.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح :" من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ"

الناس بعد الممات ينقسمون إلى قسمين ، قسم يموت وتنقطع حسناته وسيئاته على السواء ، فليس له إلا من قدم في حياته ، وقسم يموت وتنقطع سيئاته وتبقى حسناته فيجري عليه وهو في قبره منها بقدر إخلاصه لله تعالى واجتهاده في الأعمال الصالحة في حياته الدنيا ، فيا طيب عيشه ويا سعادته ، وقسم يموت وتنقطع حسناته وتبقى سيئاته تجري عليه دهرا من الزمان فهو في قبره ورصيده من السيئات يزداد حتى يأتي يوم القيامة بجبال من السيئات فيا ندامته وياخسارته.

كثير من الناس يغفلون عن السيئات الجارية وخطورة شأنها لأن من السيئات ما إن يموت صاحبها تنتمي بموته ، يقول أبو حامد الغزالي :" طوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويسئل عنها إلى آخر انقراضها "

ضعي لك بصمة في حياتك تستمر لك بعد الممات ، لأن من أعظم الأعمال الصالحة نفعا تلك التي تأتيك أجورها وأنت في قبرك وحيدا فريدا ، وأفضل العبادات التي نفعها متعدي مثل قضاء حوائج الناس والسعي الحثيث لنفعهم ، فصاحب العبادة القاصرة على نفسه إذا مات انقطع عمله بموته .

أما صاحب النفع المتعدي فلا ينقطع عمله بموته ، ولا يعني ذلك أن كل عمل متعدي النفع أفضل من كل عمل قاصر ، بل الصلاة والصيام والحج عبادات قاصرة في الأصل ومع ذلك فهي أركان الإسلام ، قال الفضيل بن عياض :" نعم السائلون يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة حتى يضعوها في الميزان "

نماذج من الأعمال المتعدية النفع :

الدعوة إلى الله ـ تعليم الناس العلم النافع ـ نرى أناس ماتوا وبقي أثرهم مثل العلماء والمشائخ مثل بن باز وابن عثيمين والسميط رحمهم الله جميعا .

قال تعالى :" إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه في إمام مبين " أي آثار الخير والشر التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد مماتهم .فكل خير عمل به أحد الناس بسبب علم العبد أو تعليمه ونصحه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر أو كتب ينفع بها في حياته وبعد موته ، أو عمل خير من صلاة وزكاة وصوم وصدقة فاقتدى به غيره وما أشبه ذلك فهي من آثاره التي تكتب له، و كذلك عمل الشر ..

اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية ..

فوائد وأسئلة تدبرية:

- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) .
- س – بماذا أقسم الله تعالى ؟

هذا قسم من الله تعالى بالقرآن الحكيم، الذي وصفه الحكمة، وهي وضع كل شيء موضعه، وضع الأمر والنهي في الموضع اللائق بهما، ووضع الجزاء بالخير والشر في محلهما اللائق بهما، فأحكامه الشرعية والجزائية كلها مشتملة على غاية الحكمة.

- س – ما هو أعظم جوهر للقرآن ؟

ومن حكمة هذا القرآن، أنه يجمع بين ذكر الحكم وحكمته، فينبه العقول على المناسبات والأوصاف المقتضية لترتيب الحكم عليها.

- س – ما المقسم عليه ؟

(إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) هذا المقسم عليه، وهو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنك من جملة المرسلين، فلست ببدع من الرسل، وأيضا فجئت بما جاء به الرسل من الأصول الدينية، وأيضا فمن

تأمل أحوال المرسلين وأوصافهم، وعرف الفرق بينهم وبين غيرهم، عرف أنك من خيار المرسلين، بما فيك من الصفات الكاملة، والأخلاق الفاضلة.

ولا يخفى ما بين المقسم به، وهو القرآن الحكيم، وبين المقسم عليه، [وهو] رسالة الرسول محمد صلى اللّه عليه وسلم، من الاتصال، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم، لكفى به دليلا وشاهدا على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، بل القرآن العظيم أقوى الأدلة المتصلة المستمرة على رسالة الرسول، فأدلة القرآن كلها أدلة لرسالة محمد صلى اللّه عليه وسلم.

- س – بماذا وصف الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

ثم أخبر بأعظم أوصاف الرسول صلى اللّه عليه وسلم، الدالة على رسالته، وهو أنه (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) معتدل، موصل إلى اللّه وإلى دار كرامته، وذلك الصراط المستقيم، مشتمل على أعمال، وهي الأعمال الصالحة، المصلحة للقلب والبدن، والدنيا والآخرة، والأخلاق الفاضلة، المزكية للنفس، المطهرة للقلب، المنمية للأجر،

- س – ما هو الصراط المستقيم ؟

فهذا الصراط المستقيم، الذي هو وصف الرسول صلى اللّه عليه وسلم، ووصف دينه الذي جاء به، فتأمل جلالة هذا القرآن الكريم، كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، على أجل مقسم عليه، وخبر اللّه وحده كاف، ولكنه تعالى أقام من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضع على صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه، وأشرنا إشارة لطيفة لسلوك طريقه، وهذا الصراط المستقيم

- س – لماذا ختمت الآيه بالعزيز الرحيم ؟

(تَنزيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) فهو الذي أنزل به كتابه، وأنزله طريقا لعباده، موصلا لهم إليه، فحماه بعزته عن التغيير والتبديل، ورحم به عباده رحمة اتصلت بهم، حتى أوصلتهم إلى دار رحمته، ولهذا ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين: العزيز. الرحيم.

فلما أقسم تعالى على رسالته وأقام الأدلة عليها، ذكر شدة الحاجة إليها واقتضاء الضرورة لها فقال: (لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ) وهم العرب الأميون، الذين لم يزالوا خالين من الكتب، عادمين الرسل، قد عمتهم الجهالة، وغمرتهم الضلالة، وأضحكوا عليهم وعلى سفههم عقول العالمين، فأرسل اللّه إليهم رسولا من أنفسهم، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فينذر العرب الأميين، ومن لحق بهم من كل أمي، ويذكر أهل الكتب بما عندهم من الكتب، فنعمة اللّه به على العرب خصوصا، وعلى غيرهم عموما. ولكن هؤلاء الذين بعثت فيهم لإنذارهم بعدما أنذرتهم،

- س – ما حال الناس مع الصراط المستقيم ؟

انقسموا قسمين: **قسم رد لما جئت به،** ولم يقبل النذارة، وهم الذين قال اللّه فيهم (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) أي: نفذ فيهم القضاء والمشيئة، أنهم لا يزالون في كفرهم وشركهم، وإنما حق عليهم القول بعد أن عرض عليهم الحق فرفضوه، فحينئذ عوقبوا بالطبع على قلوبهم.

ما هو الموانع من وصول الإيمان لقلوبهم ؟ - وذكر الموانع من وصول الإيمان لقلوبهم، فقال: (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالا) وهي جمع « غل » و « الغل » ما يغل به العنق، فهو للعنق بمنزلة القيد

للرجل، وهذه الأغلال التي في الأعناق عظيمة قد وصلت إلى أذقانهم ورفعت رءوسهم إلى فوق، (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) أي: رافعو رءوسهم من شدة الغل الذي في أعناقهم، فلا يستطيعون أن يخفضوها.

(وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أي: حاجزا يحجزهم عن الإيمان، (فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ) قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم، فلم تفد فيهم النذارة. (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) وكيف يؤمن من طبع على قلبه، ورأى الحق باطلا والباطل حقا؟!

والقسم الثاني: الذين قبلوا النذارة، وقد ذكرهم بقوله: (إِنَّمَا تُنْذِرُ) أي: إنما تنفع نذارتك، ويتعظ بنصحك (مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) [أي:] من قصده اتباع الحق وما ذكر به، (وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ) أي: من اتصف بهذين الأمرين، القصد الحسن في طلب الحق، وخشية الله تعالى، فهم الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك، وهذا الذي وفق لهذين الأمرين (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) لذنوبه، (وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) لأعماله الصالحة، ونيته الحسنة.

- س – ما دلالة كلمة " ءاثارهم" ؟

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) أي: نبعثهم بعد موتهم لنجازيهم على الأعمال، (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) من الخير والشر، وهو أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياتهم، (وَآثَارَهُمْ) وهي آثار الخير وآثار الشر، التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم، وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل به أحد من الناس، بسبب علم العبد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهيه عن المنكر، أو علم أودعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيرا، من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمل مسجدا، أو محلا من المحال التي يرتفق بها الناس، وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تكتب له، وكذلك عمل الشر.

ولهذا: (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) وهذا الموضع، يبين لك علو مرتبة الدعوة إلى الله والهداية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك، ونزول درجة الداعي إلى الشر الإمام فيه، وأنه أسفل الخليقة، وأشدهم جرما، وأعظمهم إثما.

(وَكُلَّ شَيْءٍ) من الأعمال والنيات وغيرها (أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) أي: كتاب هو أم الكتب وإليه مرجع الكتب، التي تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ.

- س – ما فائدة ضرب الأمثال ؟

(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣ - ٣٠)) إلى آخر القصة.

أي: واضرب لهؤلاء المكذبين برسالتك، الرادين لدعوتك، مثلا يعتبرون به، ويكون لهم موعظة إن وفقوا للخير، وذلك المثل: أصحاب القرية، وما جرى منهم من التكذيب لرسل الله، وما جرى عليهم من عقوبته ونكاله.

وتعيين تلك القرية، لو كان فيه فائدة، لعينها الله، فالتعرض لذلك وما أشبهه من باب التكلف والتكلم بلا علم، ولهذا إذا تكلم أحد في مثل هذا تجد عنده من الخبط والخلط والاختلاف الذي لا يستقر له قرار.

- س – ماهو طريق العلم الصحيح ؟

ما تعرف به أن طريق العلم الصحيح، الوقوف مع الحقائق، وترك التعرض لما لا فائدة فيه، وبذلك تزكو النفس، ويزيد العلم، من حيث يظن الجاهل أن زيادته بذكر الأقوال التي لا دليل عليها، ولا حجة عليها ولا يحصل منها من الفائدة إلا تشويش الذهن واعتياد الأمور المشكوك فيها.

- س – ما قصة هذه القرية؟

والشاهد أن هذه القرية جعلها الله مثلا للمخاطبين. (إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) من الله تعالى يأمرونهم بعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، وينهونهم عن الشرك والمعاصي.

(إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) أي: قويناهما بثالث، فصاروا ثلاثة رسل، اعتناء من الله بهم، وإقامة للحجة بتوالي الرسل إليهم، فَقَالُوا لهم: إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ فأجابوهم بالجواب الذي ما زال مشهورا عند من رد دعوة الرسل: فـ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا أي: فما الذي فضلكم علينا وخصكم من دوننا؟ قالت الرسل لأممهم: إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

(وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ) أي: أنكروا عموم الرسالة، ثم أنكروا أيضا المخاطبين لهم، فقالوا: (إِنْ أَنْتُمْ إِلا تَكْذِبُونَ)

فقالت هؤلاء الرسل الثلاثة: (رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) فلو كنا كاذبين، لأظهر الله خزينا، ولبادرنا بالعقوبة. (وَمَا عَلَيْنَا إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) أي: البلاغ المبين الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها، وما عدا هذا من آيات الاقتراح، ومن سرعة العذاب، فليس إلينا، ماهي الوظيفة التى اتفق عليها الرسل ؟ وإنما وظيفتنا - التي هي البلاغ المبين- قمنا بها، وبيناها لكم، فإن اهتديتم، فهو حظكم وتوفيقكم، وإن ضللتم، فليس لنا من الأمر شيء.

- س – ما هو رد أصحاب القريه ؟

فقال أصحاب القرية لرسلهم: (إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) أي: لم نر على قدومكم علينا واتصالكم بنا إلا الشر، وهذا من أعجب العجائب، أن يجعل من قدم عليهم بأجل نعمة ينعم الله بها على العباد، وأجل كرامة يكرمهم بها، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة، قد قدم بحالة شر، زادت على الشر الذي هم عليه، واستشأموا بها، ولكن الخذلان وعدم التوفيق، يصنع بصاحبه أعظم مما يصنع به عدوه.

ثم توعدوهم فقالوا: (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) أي: نقتلنكم رجما بالحجارة أشنع القتلات (وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ). فقالت لهم رسلهم: (طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ) وهو ما معهم من الشرك والشر، المقتضي لوقوع المكروه والنقمة، وارتفاع المحبوب والنعمة. (أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ) أي: بسبب أنا ذكرناكم ما فيه صلاحكم وحظكم، قلتم لنا ما قلتم. (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) متجاوزون للحد، متجرهمون في قولكم، فلم يزدهم [دعاؤهم] إلا نفورا واستكبارا.

- س – لماذا جاء الرجل من أقصى المدينة مسرعا؟

(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) حرصا على نصح قومه حين سمع ما دعت إليه الرسل وآمن به، وعلم ما رد به قومه عليهم فقال [لهم] : (يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) فأمرهم باتباعهم ونصحهم على ذلك، وشهد لهم بالرسالة، ثم ذكر تأييدا لما شهد به ودعا إليه، فقال: (اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا) أي: اتبعوا من نصحكم نصحا يعود إليكم بالخير، وليس [يريد منكم أموالكم ولا أجرا على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه.

بقي أن يقال: فلعله يدعو ولا يأخذ أجرة، ولكنه ليس على الحق، فدفع هذا الاحتراز بقوله: (وَهُمْ مُهْتَدُونَ) لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه.

- س – على ماذا يدل رد الرجل ؟

فكأن قومه لم يقبلوا نصحه، بل عادوا لائمين له على اتباع الرسل، وإخلاص الدين لله وحده، فقال: (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) أي: وما المانع لي من عبادة من هو المستحق للعبادة، لأنه الذي فطرني، وخلقني، ورزقني، وإليه مآل جميع الخلق، فيجازيهم بأعمالهم، فالذي بيده الخلق والرزق، والحكم بين العباد، في الدنيا والآخرة، هو الذي يستحق أن يعبد، ويثنى عليه ويمجد، دون من لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا عطاء ولا منعا، ولا حياة ولا موتا ولا نشورا، ولهذا قال: (أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ) لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، فلا تغني شفاعتهم عني شيئا، (وَلا هُمْ يُنْقِذون) من الضر الذي أراده الله بي.

(إِنِّي إِذًا) أي: إن عبدت آلهة هذا وصفها (لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) فجمع في هذا الكلام، بين نصحهم، والشهادة للرسل بالرسالة، والاهتداء والإخبار بِتعيُّن عبادة الله وحده، وذكر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة، وذكر البراهين عليها، والإخبار بضلال من عبدها، والإعلان بإيمانه جهرا، مع خوفه الشديد من قتلهم، فقال: (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) فقتله قومه، لما سمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به.

فـ قِيلَ له في الحال: (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) فقال مخبرا بما وصل إليه من الكرامة على توحيده وإخلاصه، وناصحا لقومه بعد وفاته، كما نصح لهم في حياته: (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي) أي: بأي: شيء غفر لي، فأزال عني أنواع العقوبات، (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) بأنواع المثوبات والمسرات، أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم، لم يقيموا على شركهم.

قال الله في عقوبة قومه: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ) أي: ما احتجنا أن نتكلف في عقوبتهم، فننزل جندا من السماء لإتلافهم، وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ لعدم الحاجة إلى ذلك، وعظمة اقتدار الله تعالى، وشدة ضعف بني آدم، وأنهم أدنى شيء يصيبهم من عذاب الله يكفيهم (إِنْ كَانَتْ) أي: كانت عقوبتهم (إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً) أي: صوتا واحدا، تكلم به بعض ملائكة الله، (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) قد تقطعت قلوبهم في أجوافهم، وانزعجوا لتلك الصيحة، فأصبحوا خامدين، لا صوت ولا حركة، ولا حياة بعد ذلك العتو والاستكبار، ومقابلة أشرف الخلق بذلك الكلام القبيح، وتجبرهم عليهم.

قال الله متوجعا للعباد: (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي: ما أعظم شقاءهم، وأطول عناءهم، وأشد جهلهم، حيث كانوا بهذه الصفة القبيحة، التي هي سبب لكل شقاء وعذاب ونكال.

(أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)) .

يقول تعالى: ألم ير هؤلاء ويعتبروا بمن قبلهم من القرون المكذبة، التي أهلكها الله تعالى وأوقع بها عقابها، وأن جميعهم قد باد وهلك، فلم يرجع إلى الدنيا، ولن يرجع إليها، وسيعيد الله الجميع خلقا جديدا، ويبعثهم بعد موتهم، ويحضرون بين يديه تعالى، ليحكم بينهم بحكمه العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة (وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا).

- (وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ (٣٦)) .
- س – ما هي الآيات الدالة على البعث في هذا المقام؟

أي: (وَآيَةٌ لَهُمُ) على البعث والنشور، والقيام بين يدي الله تعالى للجزاء على الأعمال، هذه (الأرْضُ الْمَيْتَةُ) أنزل الله عليها المطر، فأحياها بعد موتها، (وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ) من جميع أصناف الزروع، ومن جميع أصناف النبات، التي تأكله أنعامهم، (وَجَعَلْنَا فِيهَا) أي: في تلك الأرض الميتة (جَنَّاتٍ) أي: بساتين، فيها أشجار كثيرة، وخصوصا النخيل والأعناب، اللذان هما أشرف الأشجار، (وَفَجَّرْنَا فِيهَا) أي: في الأرض (مِنَ الْعُيُونِ)

- جعلنا في الأرض تلك الأشجار، والنخيل والأعناب، (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ) قوتا وفاكهة، وأدمًا ولذة، (و) الحال أن تلك الثمار (مَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) [وليس لهم فيه صنع، ولا عمل، إن هو إلا صنعة أحكم الحاكمين، وخير الرازقين، وأيضا فلم تعمله أيديهم] بطبخ ولا غيره، بل أوجد الله هذه الثمار، غير محتاجة لطبخ ولا شيّ، تؤخذ من أشجارها، فتؤكل في الحال.
- س – ما واجبنا تجاه النعم ؟

(أَفَلا يَشْكُرُونَ) من ساق لهم هذه النعم، وأسبغ عليهم من جوده وإحسانه، ما به تصلح أمور دينهم ودنياهم، أليس الذي أحيا الأرض بعد موتها، فأنبت فيها الزروع والأشجار، وأودع فيها لذيذ الثمار، وأظهر ذلك الجنى من تلك الغصون، وفجر الأرض اليابسة الميتة بالعيون، بقادر على أن يحيي الموتى؟ بلى، إنه على كل شيء قدير.

(سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا) أي: الأصناف كلها، (مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ) فنوع فيها من الأصناف ما يعسر تعداده. (وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ) فنوعهم إلى ذكر وأنثى، وفاوت بين خلقهم وخُلُقِهِمْ، وأوصافهم الظاهرة والباطنة.

- س - ماهي الآيات على نفوذ مشيئته ؟

من المخلوقات التي قد خلقت وغابت عن علمنا، والتي لم تخلق بعد، فسبحانه وتعالى أن يكون له شريك، أو ظهير، أو عوين، أو وزير، أو صاحبة، أو ولد، أو سَمِيٌّ، أو شبيه، أو مثيل في صفات كماله ونعوت جلاله، أو يعجزه شيء يريده.

- وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) .

أي: (وَآيَةٌ لَهُمُ) على نفوذ مشيئة الله، وكمال قدرته، وإحيائه الموتى بعد موتهم. (اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) أي: نزيل الضياء العظيم الذي طبق الأرض، فنبدله بالظلمة، ونحلها محله (فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) وكذلك نزيل هذه الظلمة، التي عمتهم وشملتهم، فتطلع الشمس، فتضيء الأقطار، وينتشر الخلق لمعاشهم ومصالحهم، ولهذا قال: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) [أي: دائما تجري لمستقر لها] قدره الله لها، لا تتعداه، ولا تقصر عنه، وليس لها تصرف في نفسها، ولا استعصاء على قدرة الله تعالى.

(ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) الذي بعزته دبر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، وأحسن نظام. (الْعَلِيم) الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده، ومنافع في دينهم ودنياهم.

(وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ) ينزل بها، كل ليلة ينزل منها واحدة، (حَتَّى) يصغر جدا، فيعود (كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه نش وصغر حجمه وانحنى، ثم بعد ذلك، ما زال يزيد شيئا فشيئا، حتى يتم [نوره] ويتسق ضياؤه.

وَكُلٌّ من الشمس والقمر، والليل والنهار، قدره [اللَّه] تقديرا لا يتعداه، وكل له سلطان ووقت، إذا وجد عدم الآخر، ولهذا قال: (لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) أي: في سلطانه الذي هو الليل، فلا يمكن أن توجد الشمس في الليل، (وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) فيدخل عليه قبل انقضاء سلطانه، (وَكُلٌّ) من الشمس والقمر والنجوم (فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) أي: يترددون على الدوام، فكل هذا دليل ظاهر، وبرهان باهر، على عظمة الخالق، وعظمة أوصافه، خصوصا وصف القدرة والحكمة والعلم في هذا الموضع.

لمسات بيانية:

***هل (يس) اسم للنبي صلى الله عليه وسلم؟**

هذا الكلام أثير قديماً أيضاً وليس كلاماً جديداً. هم ذهبوا في (يس) وفي (طه) باعتبار أنهم يرجحون أنها من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار قال (يس (١) وَالْقُرْآَنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣)) (طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ لِتَشْقَى (٢)) هذا الاستدلال غير سديد لأنه لو أخذنا بهذا لكانت (حم (١) عسق (٢)) من أسماء الرسول أيضاً لأنه قال بعدها (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)) وتكون (كهيعص) من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه قال بعدها (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢)) (ربك) وتكون (ن) من أسماء الرسول لأنه قال بعدها (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)).

<u>آية (٣):</u>

***ما دلالة كل التأكيدات في الآية (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) يس)؟**

ذكرنا في الحلقة الماضية قوله تعالى (يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) يس) ذكرنا القَسَم بالقرآن وأجاب القَسَم بقوله (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)، والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين. وذكرنا أن القرآن هو البرهان وهو موضوع الرسالة في آن واحد وليس كبقية الأنبياء تكون المعجزة هي دليل على صحة الرسالة إلقاء العصى حية ليست موضوع الرسالة وإنما موضوع الرسالة التوحيد والتعليمات التي أنزلت إليهم أما القرآن فهو البرهان وهو موضوع الرسالة في آن واحد. يبقى السؤال لماذا أكد (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)؟ أكّد بـ (إنّ) وباللام (إنك لمن) وأجاب القسم (والقرآن الحكيم إنك) وذلك لشدة إنكار القوم والتوكيد يكون على ما يحتاج إليه المخاطَب هل هو منكر أو غير منكر فقوة هذا الإنكار يؤكد فإن كان لا يحتاج إلى توكيد لا نؤكد

وقد نحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر، ربنا تعالى قال (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) يس) هذا أمر ثم قال (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧)) هذا أمر، و(وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ (٩)) ذكر أن الإنذار وعدمه سواء عليهم (وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٠)) إذن الغفلة مستحكمة فاستدعى هذا الزيادة في التوكيد، هذه الأمور كلها تستدعي زيادة في التوكيد فناسب أن يقول (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) وأجاب القسم إذن هو مناسب.

***ما دلالة تقديم (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) على (عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)؟**

التقديم له عدة أمور أولاً كونه من المرسلين هو أفضل من كونه على صراط مستقيم لأن كونه نبي يتضمن أنه على صراط مستقيم، هو مرسل ونبي وهو أيضاً متضمن تضمناً أنه على صراط مستقيم لكن لو قال على صراط مستقيم أولاً لا يدل على أنه نبي، إذن هذا يتضمن. ثم هذا من تقديم السبب على المسبَب هو كان على صراط مستقيم بسبب أنه نبي فالرسالة سبب في كونه على صراط مستقيم، إذن هذا بتقديم السبب. ثم ذكرنا أنه أمر آخر لما قدّم (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) يمكن أن نعلق به (عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) لو أخرناه لا نستطيع أن نعلّق فتعطي توسعاً في المعنى أكثر.

<u>آية (٧):</u>

(لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧))

*** ما معنى حق القول؟**

حق القول في القرآن معناه ثبت لهم العذاب. القول هو قوله تعالى (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) السجدة). كلمة حق القول إشارة إلى حق القول مني.

<u>آية (٨):</u>

(إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨))

*** ما معنى الأغلال وما معنى مقمحون؟**

الأغلال جمع غُل وهو حلقة من حديد تحيط بالعنق أو باليد، قَيْد، أو تجمع بينهما (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ (٢٩) الإسراء). المُقمَح الذي يرفع رأسه ويغضّ بصره. وقال المعنى أنه جعل في الأعناق أغلالاً يعني أطواق من حديد غلاظ ليست واسعة الفتحة ضيّقة أخذ العنق إلى الذقن فلا يستطيع أن يتحرك ولا يستطيع أن يمد رأسه فلا بد أن يرفع رأسه إلى أعلى ويغض بصره، لا يستطيع أن يلتفت لأن الأغلال تقيّد حركته. هؤلاء إذن لا يتمكنون من الرؤية ولا البصر ولا يهتدون لأنه هذه حالهم فكيف يهتدون؟ فإذن هم بهذه الصورة العنق كله في طوق ثقيل غليظ ليس واسع المساحة إلى العنق بحيث لا يتمكن أن يلتفت ويطأطئ رأسه إذن هو رافعاً

رأسه (فهم مقمحون) بيان لحالتهم أن هؤلاء لا يهتدون لأنهم لا يبصرون، لا يبصر فكيف يهتدي؟! هذه حالتهم ولا يمكن حتى أن يلتفتوا لا إلى اليمين ولا إلى اليسار، يتخبط، هذه حالهم.

آية (٩):

(وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩))

*** لماذا بدأ تعالى بقوله (من)؟**

الآن في ذهني أنك سألت عن التقديم والتأخير قبل قليل في الآية التي سبقت (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) قدّم الأعناق على الأغلال لأن الكلام عليهم وليس عن الأغلال، لم يتكلم عن الأغلال شيئاً بينما الكلام عليهم هم. في هذه الآية تكلم تعالى عن الذين لا يؤمنون أنهم مقمحون وصف حالتهم فقدّمهم ولم يتكلم عن الأغلال.

نأتي للآية الكريمة (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)) أيضاً بالمناسبة لم يقل سداً من بين أيديهم لأن الكلام عليهم وليس عن السد، لم يتكلم عن السد وإنما الكلام عنهم مثل الآية السابقة (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا). يبقى السؤال لماذا ذكر (من)؟ لماذا لم يقل جعلنا بين أيديهم سداً؟ (من) تفيد ابتداء الغاية يعني جعل السد ليس بينهم وبين السد أي فاصل، (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) يعني ليس هناك فاصل بين السد وبين أيديهم لو قال بين أيديهم تحتمل المسافة القريبة أو البعيدة

*** ما دلالة (ومن خلفهم سداً) مع أنه ذكر أنه جعل من بين أيديهم سداً وهذا يمنعهم من الحركة؟**

لم يقل هذا فقط وإنما قال (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)، يعني هو ليس فقط جعل السد وإنما أغشاهم فكيف يبصرون؟! زيادة في عدم الإهتداء. منع طريقة أن يجوزوا على الصراط بالأغلال في الأعناق وبالسد من بين أيديهم ومن خلفهم وأغشاهم فهم لا يبصرون.

لماذا ذكر السد من خلفهم؟ الآن سائر في طريق فانقطع عليه الطريق ماذا يفعل؟ يرجع إلى مكانه، لكن إذا جعل من خلفه سداً لا يستطيع العودة إذن هو في مقام الهلكة، لا يستطيع أن يذهب إلى الأمام ولا أن يرجع إلى مكانه إذن جعل السد من خلفهم حتى يمنعه من العودة إلى مكانه فهو قطع الطريق عليه من الأمام فأراد أن يرجع إلى مكانه لم يستطع لأن هناك سد من خلفه إذن هو بقي في مكانه حتى يهلك لأن هذا المكان هو مهلكة يبقى في مكانه إلى أن يهلك لم يرجع إلى مكانه ولم يتقدم.

*** ما الفرق بين دلالة كلمة (خلفهم) و(بعدهم) ؟**

بعد نقيضة قبل وأظهر استعمال لها في الزمان. أما خلف فهي نقيضة قُدّام (وهي في الغالب للمكان) هذا من حيث اللغة. والخلف في اللغة هوالظهر أيضاً.

أحياناً لا يصح وضع إحداهما مكان الأخرى فلا يمكننا أن نضع خلف مكان بعد ففي هذه الآيات لا يمكن أن تحلّ خلف محل بعد (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) البقرة) (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي

جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) البقرة) (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ (٢٣٠) البقرة) (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) آل عمران) لأن كلها متعلقة بالزمان.

أما خلف فهي في الأصل للمكان، (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) الأعراف)

*** هذا السياق بهذا التركيب (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)) ألا يجعلنا نفهم أن الأمر للرسول من قبل الله عز وجل طالما أنه ختم عليهم هكذا فلا يبلغهم والدليل (إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)) هذا قصر لمن يبلغ ولمن ينذر (صلى الله عليه وسلم)؟**

ذاك تنذر إنذاراً نافعاً ولا تعني لا تبلِّغ إلا أولئك لأن هؤلاء لا يسقط عنهم الإنذار وإنما ينفع الإنذار من اتبع الذكر وخشي الرحمن إن كان هؤلاء لا ينتفعون. هذه قصر الفائدة وليس قصر الإنذار والتبليغ (إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)) هؤلاء يستفيدون من الإنذار وليس قصر الإنذار على هاتين الطائفتين. الإنذار ينفع صنفين صنف الذين اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب والصنف الآخر الذي ليس مقمحاً وإنما من يسمع ويقبل من كان حياً يسمع النصيحة ويقبل ولذلك هم قالوا من اتبع أكثر المفسرين قالوا معناها من اتبع ومن يتّبع لأن الفعل الماضي قد يأتي للمستقبل (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (١٤٩) البقرة) خرجت فعل ماضي ولكنها تفيد المستقبل. (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) البقرة) هذه أفعال ماضية، التوبة قبل الكتمان أو بعد الكتمان؟ بعد الكتمان، وقال (يكتمون) ما قال كتموا. هذا موجود في اللغة قد يأتي الماضي للدلالة على المضارع.

<u>آية (١٢):</u>

***لماذا جاءت (<u>وَكُلَّ</u> شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) يس) بالنصب (<u>وَكُلُّ</u> شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) القمر)مرفوعة؟(د.فاضل السامرائى)**

كل له دلالة (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) يس) بالنصب (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) القمر) لم يقل وكلَ شيء فعلوه، لا يمكن أن تقول وكلّ شيء فعلوه في الزبر المعنى خطأ لأنها تعني أنهم فعلوا كل شيء في الزبر وهم لم يفعلوا شيئاً في الزبر، أصلاً لا يصح. (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) القمر) لا يمكن أن تقول كلُّ شيء تصير غير معنى وتعني المخلوقات على قسمين قسم خلقه ربنا وقسم خلقه واحد آخر. لا يمكن.

آية (١٣):

(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣))

(واضرب لهم مثلاً): يحتمل هذا التعبير معنيين: المعنى الأول أن المقصود اضرب لأجلهم مثلاً أي بيّنه لهم واذكره لهم وقصّ عليهم قصة أصحاب القرية ليتعظوا وليعلموا أنك لست بدعاً من الرسل وإنما أرسل قبلك رسل وأنذروا قومهم وأن موقفهم من رسلهم كان التكذيب وإنكار الرسالات وأنهم آذوا رسلهم وعذبوهم فأهلكهم الله لعل قومك يتعظون. والمعنى الآخر أن المقصود مثِّل لنفسك حال قومك بأصحاب القرية واجعلهم مثلاً لهم أي شبِّه حالهم بحال أصحاب القرية فإن حال قومك شبيه بحال أصحاب القرية وأن مَثَلهم كمثلهم كما تقول مخاطباً شخصاً: أنا أشبّه حالك بفلان إذ فعل كذا وكذا. وتقول لشخص: أنا أضرب لزيد مثلاً خالداً فإن كليهما قد خسر في تجارته أي اجعله شبيهاً به. وعلى كلا هذين المعنيين يرتبط المثل بما قبله أحسن ارتباط. فإنه على المعنى الأول أي أن تضرب لهم المثل وتبيّنه لهم فإنه يقول له: بيّن لهم شأن أصحاب القرية وموقفهم من رسلهم فإنهم مثلهم في الاعتقاد والتكذيب وستكون عاقبتهم مثلهم إن أصروا على كفرهم وعنادهم لعلهم يتعظون ويرعوون. وعلى المعنى الثاني يكون المقصود أن قومك ليسوا بدعاً من الأقوام فهناك أقوام مثلهم في التعنت والكفر وأنه سواء عليهم الإنذار وعدمه وأنه حق القول على أكثرهم فهو لا يؤمنون وأنت لست وحدك تلاقي من العنت والإيذاء والتكذيب ما تلاقي فهؤلاء أصحاب القرية مثل قومك في موقفهم وعنادهم وإيذائهم رسلهم فقد أرسل إليهم ثلاثة رسل فكذبوهم وآذوهم فتصبّر وتأسّ بهم. وفي ذلك تصبير له وتأسية فيكون ضرب المثل له صلى الله عليه وسلم.

آية (١٤):

(إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ {١٤})

قال (أرسلنا إليهم) ولم يقل (أرسلنا إليها) كما قال (جاءها) لأن الإرسال في الحقيقة إلى أهل القرية لا إلى القرية أما المجيء فكان إلى القرية فإن القرية تطلق على المساكن والأبنية والضِياع وإن كانت خالية، قال تعالى (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها (٢٥٩) البقرة) ولذلك قال بعدها (فكذبوهما) فنسب التكذيب إلى أهلها ولم ينسبه إلى القرية لأنهم هم المرسَل إليهم وهم المكذبون.

***ما سبب التقديم والتأخير في آية سورة يس (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)) وسورة القصص (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20))؟ (د.حسام النعيمى)**

(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك) هذا الرجل مقصود من الآية أن إنساناً حذّر موسى وكان لإهتمامه أنه جاء يسعى من أقصى المدينة فللإهتمام بالرجل الذي عرّض نفسه

للمخاطرة لما يأتي ويحذّر موسى أن هناك من يأتمر بك ويُعرّض نفسه للخطورة ولذلك كان الإهتمام به فقدّم (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى)

هذه واحدة ولما ننتقل إلى الآية الأخرى نجد أنه (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) يس) هذا ما جاء ليحذّر وإنما جاء ليدعم المرسلين. جاء ليقويّ التبليغ في الدعوة. لما يأتي ليقويّ التبليغ في الدعوة يعني هو كان مؤمناً إذن هذه شهادة للمرسلين بأن دعوتهم بلغت أقصى المدينة. فإذن المكان هنا أهمّ من الرجل حتى يفهم القارئ أن هؤلاء المرسلين بلّغوا الدعوة ونشروها بحيث وصلت إلى أقصى المدينة فقال (وجاء من أقصى المدينة) ثم بعد ذلك قال (رجل) هو غير معتني بالرجل وإنما معتني بالمكان أنه من هذا المكان البعيد جاء مؤمناً فإذن هم اشتغلوا في نشر الدعوة بحيث بلغوا في دعوتهم إلى أقصى المدينة. وهذا هو الفارق لذلك هنا المكان أهم حتى يُظهر جهدهم وما بذلوه من نشر للدعوة.

آية (٢٩):

(إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩))

وجاء في البحر المحيط في قوله (فإذا هم خامدون): "أي فاجأهم الخمود إثر الصيحة لم يتأخر". وجاء في روح المعاني: "،إن نافية وكان ناقصة واسمها مضمر وصيحة خبرها أي ما كانت هي أي الأخذة أو العقوبة إلا صيحة واحدة. و (إذا) فجائية وفيها إشارة إلى سرعة هلاكهم بحيث كان مع الصيحة وقد شبهوا بالنار على سبيل الاستعارة المكنية".

وقال (خامدون) إشارة إلى سرعة هلاكهم وإنطفاء حياتهم كانطفاء السراج. واختيار هذا الوصف أحسن اختيار فإنه مأخوذ من خمود النار وهو سكون لهبها وذهاب حسيسها يقال "خمدت النار تخمد خموداً سكن لهبها ولم يطفأ جمرها. وهمدت هموداً إذا أطفئ جمرها البتة وأخمد فلان ناره وقوم خامدون لا تسمع لهم حسّاً. جاء في التنزيل العزيز (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون). قال الزجاج: "فإذا هم ساكتون قد ماتوا وصاروا بمنزلة الرماد الخامد الهامد". وفي القاموس المحيط: "خمدت النار طنصر وسمع خمداً وخموداً سكن لهبها ولم يطفأ جمرها" وفي المصباح المنير: "خمدت النار خموداً من باب قعد ماتت فلم يبق منها شيء قيل سكن لهبها وبقي جمرها". وفي أساس البلاغة: "نار خامدة وقد خمدت خموداً سكن لهبها وذهب حسيسها".

واختيار الخمود على الهمود أنسب من عدة نواح منها:

١. أن في ذلك إشارة إلى سرعة سكونهم وانقطاع حركتهم فإن الخمود أسرع من الهمود ذلك أن إطفاء السراج والشعلة إنما يكون في أسرع وقت. جاء في التفسير الكبير: "والخمود في أسرع زمان فقال (خامدين) بسببها فخمود النار في السرعة كإطفاء سراج أو شعلة".
٢. وبيان أن حركتهم وأصواتهم قد خمدت فلا تسمع لهم حساً وذلك بعد التوعد والتهديد والضجيج والصخب الذي ملأ القرية وبعد البطش والتنكيل بالرجل الناصح بعد كل ذلك إذا هم ساكتون خامدون لا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا.

٣. ثم إن اختيار الخمود مناسب لقوله (إن كانت إلا صيحة واحدة) وذلك أنه إذا كان في موضع ما ضجيج وصياح وصخب فإنه لا يسكته إلا صوت أو صيحة أعلى منه فصاح بهم صيحة أسكتتهم وأخمدتهم.
٤. إن في اختيار الخمود على الهمود إشارة إلى البعث بعد الموت فإن الخمود لا يعني الفناء وإنما يعني ذهاب اللهب والحرارة وبقاء الجمر فكأن ذلك إشارة إلى مفارقة الأرواح للأبدان وليس فناءها. جاء في روح المعاني: "ولعل في العدول عن هامدون إلى خامدون رمزاً خفياً إلى البعث بعد الموت".
٥. اختيار الخمود على الهمود فيه صورة فنية أخرى وهي صورة الجمر الذي يغطيه الرماد وهي شبيهة بحالة الجثة التي يعلوها تراب القبر وفيها إشارة إلى أنهم يخترقون بالنار في داخلها وإن كان لا يظهر ذلك للناظرين.
٦. ومن معاني الخمود الموت أيضاً كالهمود فأعطى الخمود معنى الهمود مع معان أخرى لا يؤديها الهمود كسرعة الهلاك والسكوت بعد الصيحة والرمز الخفي إلى البعث بعد الموت وأن ظاهرهم ساكن بارد وحقيقتهم نار تحرق.

فكان اختيار الخمود أولى والله أعلم.

***ما الفرق بين الحسرة (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ (٣٩) مريم) والندامة (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ (٣٣) سبأ)؟**

الحسرة هي أشد الندم حتى ينقطع الإنسان من أن يفعل شيئاً. والحسير هو المنقطع في القرآن الكريم لما يقول (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) الملك) حسير أي منقطع،

آية (٤٠):

***(كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) لماذا لم يقل يسبح مع أنها لغير العاقل؟(د.فاضل السامرائى)**

(الإخبار بالجمع يعني عندما يقول قانتون حاضرون يسبحون يعني كلهم مجتمعون في هذا الحدث ولما يفرد يكون كل واحد على حدة ليسوا مجتمعين. لما يقال كلٌ حضروا يعني مجتمعون ولما يقال كلٌ حضر يعني كل واحد على حدة. قال تعالى (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) كلهم يسبحون في آن واحد، (كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ) يوم القيامة كلهم مع بعضهم، (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) كلٌ على حدة، (كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ) كلٌ على حدة كل واحد في أزمان مختلفة.

الوصايا العملية:

- ادعي الناس لعبادة الله حتى لو كان لديهم ناصح .
- لا تقولي دعوتهم ولم يستجيبوا ما زال لهم قلوب حية فادعيهم لعل الله يهديهم فلا تيأسي .
- لو لم يكن إلا هذا القرآن لكفى دليلا وشاهد على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

- كل خير انتفع به من اقتداء أو أمر معروف ونهي عن المنكر أو تعليم ، تربية أولاد ، صدقة جارية فهذا من آثار الخير .
- المشي إلى الصلاة من آثار الخير ويشهد لك يوم القيامة.
- المعاصي من آثار الشر .
- لا تثبطي الناس عن الخير ولا تدليهم على الشر حتى نغمة الجوال .
- علو مرتبة الدعوة إلى الله .
- لا تهدمي فطرة الصغير على الخير والاستقامة بقولك أنت صغير على هذا استمتع بالحياة .
- تفكري بقلبك و اعتبري بمن كذب بالرسل .
- كلما ازداد تفكرك في مخلوقاته يزداد إيمانك ويمتلئ قلبك بعظمته فيأتيك الذل والخشوع وتسلمين من العجب والرياء .
- التعرف على أسماء الله تزيد الإيمان وتبعد عنك الرياء .

المقطع الثاني من الآية (٤١) إلى الآية (٨٣):

التفسير الموضوعي للمقطع:

- الآيات (٤٥ – ٤٧) إعراض الكفار عن الحق وتعاميهم عن الهدى. لما ذكَّرهم الله تعالى بدلائل قدرته وآثار رحمته، أخبر هنا عن تعاميهم عن الحق وإعراضهم عن الهدى والإيمان، مع كثرة الآيات الواضحات والشواهد الباهرات.
- الآيات (٤٨ – ٥٤) إنكار المشركين البعث واستبعادهم قيام الساعة. هذا المقطع من الآيات مناسب لما قبله إذ هو بيان لاستمرار حال الكافرين المتقدم من الإعراض والجحود والعناد.
- الآيات (٥٥ – ٥٨) جزاء الأبرار المتقين. لما أخبر سبحانه عن مآل المجرمين، أخبر عن حال الأبرار المتقين، فقال "إنّ أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون".
- الآيات (٥٩ – ٦٨) جزاء المجرمين الأشقياء. بعد أن بين سبحانه حال السعداء في الآيات السابقة ذكر هنا حال الأشقياء، للمقابلة بين الصورتين والمفارقة بين الحالين.
- الآيات (٦٩ – ٧٦) إثبات وجود الله ووحدانيته.
- الآيات (٧٧ – ٨٣) إقامة الدليل القاطع على عقيدة البعث والنشور. ارتباط هذه الآيات بما قبلها واضح، ففي الآيات السابقة يسلي الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ونهاه عن الحزن بسبب قول الجاحدين الكذب على الله ونبيه وكتابه. وهنا يسوق له نموذجاً من هؤلاء المنكرين للبعث، القائلين على الله بغير حق؛ وكأن الله تعالى يسليه ويصبره، ويقوي قلبه ويثبته سابقاً ولاحقاً.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

الحياة الدنيا دار عمل وابتلاء ، ومزرعة للآخرة فعلى الإنسان أن يتفطن ويعمل ويستعد ليوم القيامة ، يوم تنقطع الأسباب وتنقطع جميع الأمور التي كانت مع العبد في الدنيا سواء العمل الصالح والعمل والسئ ، الذي هو مادة الدار الآخرة الذي تنشأ عنه ويكون حسنها وقبيحها وسرورها وغمومها وعذابها ونعيمها بحسب الأعمال ، فالمقام مقام حساب فلا جدوى من الاستغفار ولا فائدة من الاعتذار بل انتهى أوان الكلام والمنطق ولم يعد للسان دور ، اليوم تغلق الأفواه وتقيد الألسنة وتنطق الجوارح ، قال تعالى :" اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم .." هذه الجوارح مثل الكتيبة من الجيش يرسلها القائد الأعلى ، وعلى الكتيبة أن تطيع الأوامر قائدها المباشر ، لو كانت الأوامر خاطئة إلى أن تعود إلى الأعلى فتشكو له ما كان من القائد المباشر ، هذه الجوارح في الآخرة تمردت من تبعيتها للنفس وأصبح الملك كله والتفويض كله لله تعالى ، فالآن تتكلم الجوارح بما تريد وتشهد بما كان ، فجعل الله اليد تتكلم والرجل تشهد ، قيل أن اليد مباشرة لعمله والرجل حاضرة ، وقول الحاضر على غيره شهادة ، وقول المباشر إقرار ، روى عن عطية بن عامر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل

اليسرى " في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال :" كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال " هل تدرون مما أضحك؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال :من مخاطبة العبد ربه يقول :ياربِ ألم تجرني من الظلم ؟ قال : يقول : بلى ، فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني ، قال : فيقول : فكفى بنفسك عليك شهيدا ، وبالكرام الكاتبين شهودا ، قال : فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي ، قال : تنطق بأعماله ثم قال : يخلى بينه وبين الكلام ، قال : فيقول : بعدا وسحقا فعنكن كنت أناضل "

اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية ..

فوائد وأسئلة تدبرية:

- س – ما المقصود بالذرية ؟

وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٤٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٤٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) .

أي: ودليل لهم وبرهان، على أن الله وحده المعبود، لأنه المنعم بالنعم، الصارف للنقم، الذي من جملة نعمه (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) قال كثير من المفسرين: المراد بذلك: آباؤهم.

(وَخَلَقْنَا لَهُمْ) أي: للموجودين من بعدهم (مِنْ مِثْلِهِ) أي: من مثل ذلك الفلك، أي: جنسه (مَا يَرْكَبُونَ) به، فذكر نعمته على الآباء بحملهم في السفن، لأن النعمة عليهم، نعمة على الذرية. وهذا الموضع من أشكل المواضع عليَّ في التفسير، فإن ما ذكره كثير من المفسرين، من أن المراد بالذرية الآباء، مما لا يعهد في القرآن إطلاق الذرية على الآباء، بل فيها من الإيهام، وإخراج الكلام عن موضوعه، ما يأباه كلام رب العالمين، وإرادته البيان والتوضيح لعباده.

وثَمَّ احتمال أحسن من هذا، وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم بأنفسهم، لأنهم هم من ذرية [بني] آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله: (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) إن أريد: وخلقنا من مثل ذلك الفلك، أي: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريرا للمعنى، تأباه فصاحة القرآن. فإن أريد بقوله: (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) الإبل، التي هي سفن البر، استقام المعنى واتضح، إلا أنه يبقى أيضا، أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَاهم فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ، فأما أن يقول في الأول: وحملنا ذريتهم، وفي الثاني: حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى، إلا أن يقال: الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال.

فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد الله تعالى، وذلك أن من عرف جلالة كتاب الله وبيانه التام من كل وجه، للأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تزل موجودة في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن.

فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم [صنعة] الفلك [البحرية] الشراعية منها والنارية، والجوية السابحة في الجو، كالطيور ونحوها، [والمراكب البرية] مما كانت الآية العظمى فيه لم توجد إلا في الذرية، نبَّه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقال:

(وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) أي: المملوء ركبانا وأمتعة. فحملهم الله تعالى، ونجاهم بالأسباب التي علمهم الله بها، من الغرق، و [لهذا] نبههم على نعمته عليهم حيث أنجاهم مع قدرته على ذلك، فقال: (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ) أي: لا أحد يصرخ لهم فيعاونهم على الشدة، ولا يزيل عنهم المشقة، (وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ) مما هم فيه (إِلا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) حيث لم نغرقهم، لطفا بهم، وتمتيعا لهم إلى حين، لعلهم يرجعون، أو يستدركون ما فرط منهم.

- س – ما المقصود بقوله تعالى " اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم" ؟

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ) أي: من أحوال البرزخ والقيامة، وما في الدنيا من العقوبات (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أعرضوا عن ذلك، فلم يرفعوا به رأسا، ولو جاءتهم كل آية، ولهذا قال: (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ)

س – ما دلالة إضافة الآيات للرب ؟

وفي إضافة الآيات إلى ربهم، دليل على كمالها ووضوحها، لأنه ما أبين من آية من آيات الله، ولا أعظم بيانا.

س ـ كيف يربي الله عباده؟

وإن من جملة تربية الله لعباده، أن أوصل إليهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم، في دينهم ودنياهم.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) أي: من الرزق الذي منَّ به الله عليكم، ولو شاء لسلبكم إياه، (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا) معارضين للحق، محتجين بالمشيئة: (أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ) أيها المؤمنون (إِلا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) حيث تأمروننا بذلك.

س ـ هل المشيئة حجة للعاصي؟

وهذا مما يدل على جهلهم العظيم، أو تجاهلهم الوخيم، فإن المشيئة، ليست حجة لعاص أبدا، فإنه وإن كان ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فإنه تعالى مكَّن العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدرون على فعل الأمر واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختيارا منهم، لا جبرا لهم ولا قهرا.

(وَيَقُولُونَ) على وجه التكذيب والاستعجال: (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قال الله تعالى: لا يستبعدوا ذلك، فإنه [عن] قريب (مَا يَنْظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً) وهي نفخة الصور (تَأْخُذُهُمْ) أي: تصيبهم (وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) أي: وهم لاهون عنها، لم تخطر على قلوبهم في حال خصومتهم، وتشاجرهم بينهم، الذي لا يوجد في الغالب إلا وقت الغفلة.

وإذا أخذتهم وقت غفلتهم، فإنهم لا ينظرون ولا يمهلون (فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) أي: لا قليلة ولا كثيرة (وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ)

- وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) .
- س – ما هي النفخة الأولى ؟ وما النفخة الثانية ؟

والنفخة الأولى، هي نفخة الفزع والموت، وهذه نفخة البعث والنشور، فإذا نفخ في الصور، خرجوا من الأجداث والقبور، ينسلون إلى ربهم، أي: يسرعون للحضور بين يديه، لا يتمكنون من التأنِّي والتأخر، وفي تلك الحال، يحزن المكذبون، ويظهرون الحسرة والندم، ويقولون: (يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) أي: من رقدتنا في القبور، لأنه ورد في بعض الأحاديث، أن لأهل القبور رقدة قبيل النفخ في الصور، فيجابون، فيقال [لهم:] (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) أي: هذا الذي وعدكم الله به، ووعدتكم به الرسل، فظهر صدقهم رَأْيَ عين.

- س – ما دلالة اسم الرحمن ؟

ولا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر على الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله: الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن، في هذا.
(إِنْ كَانَتْ) البعثة من القبور (إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً) ينفخ فيها إسرافيل في الصور، فتحيا الأجساد، (فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) الأولون والآخرون، والإنس والجن، ليحاسبوا على أعمالهم.
(فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) لا ينقص من حسناتها، ولا يزاد في سيئاتها، (وَلا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من خير أو شر، فمن وجد خيرا فليحمد الله على ذلك، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

- إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلامٌ قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٨) .
- س – ما هو جزاء أهل الجنة ؟

[لما ذكر تعالى] أن كل أحد لا يجازى إلا ما عمله، ذكر جزاء الفريقين، فبدأ بجزاء أهل الجنة، وأخبر أنهم في ذلك اليوم (فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ) أي: في شغل مفكه للنفس، مُلِذٍّ لها، من كل ما تهواه النفوس، وتلذه العيون، ويتمناه المتمنون.
ومن ذلك افتضاض العذارى الجميلات، كما قال: (هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ) من الحور العين، اللاتي قد جمعن حسن الوجوه والأبدان وحسن الأخلاق. (فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ) أي: على السرر المزينة باللباس المزخرف الحسن.

- س – كيف يكون الاتكاء ؟

(مُتَّكِئُونَ) عليها، اتكاء على كمال الراحة والطمأنينة واللذة.
(لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ) كثيرة، من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان، وغيرها، (وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ) أي: يطلبون، فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه.

- س – ما دلالة سلام بالنكرة ؟

ولهم أيضا (سَلامٌ) حاصل لهم (مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله: (قَوْلا) وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرءوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدا، فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك.

فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم.

- وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ (٦٧) .

لما ذكر تعالى جزاء المتقين، ذكر جزاء المجرمين (و) أنهم يقال لهم يوم القيامة (امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) أي: تميزوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة، ليوبخهم ويقرعهم على رءوس الأشهاد قبل أن يدخلهم النار، فيقول لهم: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ) أي: آمركم وأوصيكم، على ألسنة رسلي، [وأقول لكم:] (يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) أي: لا تطيعوه؟ وهذا التوبيخ، يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر والمعاصي، لأنها كلها طاعة للشيطان وعبادة له، (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) فحذرتكم منه غاية التحذير، وأنذرتكم عن طاعته، وأخبرتكم بما يدعوكم إليه، (و) أمرتكم (أَنِ اعْبُدُونِي) بامتثال أوامري وترك زواجري، (هَذَا) أي: عبادتي وطاعتي، ومعصية الشيطان

- س – ما هي الأمرين التي ترجع لها علوم الصراط وأعماله ؟

(صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) فعلوم الصراط المستقيم وأعماله ترجع إلى هذين الأمرين، أي: فلم تحفظوا عهدي، ولم تعملوا بوصيتي، فواليتم عدوكم، فـ (أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلا كَثِيرًا) أي: خلقا كثيرا.

(أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) أي: فلا كان لكم عقل يأمركم بموالاة ربكم ووليكم الحق، ويزجركم عن اتخاذ أعدى الأعداء لكم وليا، فلو كان لكم عقل صحيح لما فعلتم ذلك، فإذا أطعتم الشيطان، وعاديتم الرحمن، وكذبتم بلقائه، ووردتم القيامة دار الجزاء، وحق عليكم القول بالعذاب فـ (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) وتكذبون بها، فانظروا إليها عيانا، فهناك تنزعج منهم القلوب، وتزوغ الأبصار، ويحصل الفزع الأكبر.

- س – ما دلالة إصلوها ؟

ثم يكمل ذلك، بأن يؤمر بهم إلى النار، ويقال لهم: (اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) أي: ادخلوها على وجه تصلاكم، ويحيط بكم حرها، ويبلغ منكم كل مبلغ، بسبب كفركم بآيات الله، وتكذيبكم لرسل الله.

- س – كيف حالهم يوم القيامة ؟

قال الله تعالى في بيان وصفهم الفظيع في دار الشقاء: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ) بأن نجعلهم خرسا فلا يتكلمون، فلا يقدرون على إنكار ما عملوه من الكفر والتكذيب. (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أي: تشهد عليهم أعضاؤهم بما عملوه، وينطقها الذي أنطق كل شيء.
(وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) بأن نُذْهِبَ أبصارهم، كما طمسنا على نطقهم. (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) أي: فبادروا إليه، لأنه الطريق إلى الوصول إلى الجنة، (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) وقد طمست أبصارهم.
(وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ) أي: لأذهبنا حركتهم (فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا) إلى الأمام (وَلا يَرْجِعُونَ) إلى ورائهم ليبعدوا عن النار. والمعنى: أن هؤلاء الكفار، حقت عليهم كلمة العذاب، ولم يكن بُدٌّ من عقابهم.

- س – من الذي يعبر الصراط ؟

وفي ذلك الموطن، ما ثَمَّ إلا النار قد برزت، وليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط، وهذا لا يستطيعه إلا أهل الإيمان، الذين يمشون في نورهم، وأما هؤلاء، فليس لهم عند اللّه عهد في النجاة من النار؛ فإن شاء طمس أعينهم وأبقى حركتهم، فلم يهتدوا إلى الصراط لو استبقوا إليه وبادروه، وإن شاء أذهب حراكهم فلم يستطيعوا التقدم ولا التأخر. المقصود: أنهم لا يعبرونه، فلا تحصل لهم النجاة.

- وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ (٦٨) .

يقول تعالى: (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ) من بني آدم (نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) أي: يعود إلى الحالة التي ابتدأ حالة الضعف، ضعف العقل، وضعف القوة. (أَفَلا يَعْقِلُونَ) أن الآدمي ناقص من كل وجه، فيتداركوا قوتهم وعقولهم، فيستعملونها في طاعة ربهم.

- وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠) .
- س – بماذا نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم ؟

ينزه تعالى نبيه محمدا صلى اللّه عليه وسلم، عما رماه به المشركون، من أنه شاعر، وأن الذي جاء به شعر فقال: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) أن يكون شاعرا، أي: هذا من جنس المحال أن يكون شاعرا، لأنه رشيد مهتد، والشعراء غاوون، يتبعهم الغاوون، ولأن اللّه تعالى حسم جميع الشبه التي يتعلق بها الضالون على رسوله، فحسم أن يكون يكتب أو يقرأ، وأخبر أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له، (إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) أي: ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، جميع المطالب الدينية، فهو مشتمل عليها أتم اشتمال، وهو يذكر العقول، ما ركز اللّه في فطرها من الأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح.
(وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) أي: مبين لما يطلب بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدل على أنه مبين لجميع الحق، بأدلته التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، أنزله اللّه كذلك على رسوله.

- س – من الذي يتعظ بالقرءان ؟

(لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) أي: حي القلب واعيه، فهو الذي يزكو على هذا القرآن، وهو الذي يزداد من العلم منه والعمل، ويكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر للأرض الطيبة الزاكية. (وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى

الْكَافِرِينَ) لأنهم قامت عليهم به حجة الله، وانقطع احتجاجهم، فلم يبق لهم أدنى عذر وشبهة يُدْلُونَ بها.

- أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٧٣) .
- س – ما هي النعم التي أنعم الله بها على العباد ؟

يأمر تعالى العباد بالنظر إلى ما سخر لهم من الأنعام وذللها، وجعلهم مالكين لها، مطاوعة لهم في كل أمر يريدونه منها، وأنه جعل لهم فيها منافع كثيرة من حملهم وحمل أثقالهم ومحاملهم وأمتعتهم من محل إلى محل، ومن أكلهم منها، وفيها دفء، ومن أوبارها وأشعارها وأصوافها أثاثا ومتاعا إلى حين، وفيها زينة وجمال، وغير ذلك من المنافع المشاهدة منها،

- س – ما الواجب تجاه النعم ؟

(أَفَلا يَشْكُرُونَ) الله تعالى الذي أنعم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة ولا يتمتعون بها تمتعا خاليا من العبرة والفكرة.

- وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٤) لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٥) .
- س – ما حقيقة آلهة المشركين ؟

بطلان آلهة المشركين، التي اتخذوها مع الله تعالى، ورجوا نصرها وشفعها، فإنها في غاية العجز (لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) ولا أنفسهم ينصرون، فإذا كانوا لا يستطيعون نصرهم، فكيف ينصرونهم؟

- س – ما هي شروط النصر ؟

والنصر له شرطان: الاستطاعة [والقدرة] فإذا استطاع، يبقى: هل يريد نصرة من عبده أم لا؟ فَنَفْيُ الاستطاعة، ينفي الأمرين كليهما.

(وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ) أي: محضرون هم وهم في العذاب، ومتبرئ بعضهم من بعض، أفلا تبرءوا في الدنيا من عبادة هؤلاء، وأخلصوا العبادة للذي بيده الملك والنفع والضر، والعطاء والمنع، وهو الولي النصير؟

- فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦) .

أي: فلا يحزنك يا أيها الرسول، قول المكذبين، والمراد بالقول: ما دل عليه السياق، كل قول يقدحون فيه في الرسول، أو فيما جاء به. أي: فلا تشغل قلبك بالحزن عليهم (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) فنجازيهم على حسب علمنا بهم، وإلا فقولهم لا يضرك شيئا.

- أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) .

- س – ما الأدلة على إحياء الموتى والرد على شبهة منكري البعث ؟

هذه الآيات الكريمات، فيها [ذكر] شبهة منكري البعث، والجواب عنها بأتم جواب وأحسنه وأوضحه، فقال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الإنْسَانُ) المنكر للبعث و الشاك فيه، أمرا يفيده اليقين التام بوقوعه، وهو ابتداء خلقه (مِنْ نُطْفَةٍ) ثم تنقله في الأطوار شيئا فشيئا، حتى كبر وشب، وتم عقله واستتب، (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة، فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعد ما تفرق وتمزق، من باب أولى.

- س – ما الحكمة من صيغة الخبر في قوله " وضرب لنا مثلا" ؟

(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا) لا ينبغي لأحد أن يضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق.

- س – ما هو المثل ؟

فسر هذا المثل [بقوله] : (قَالَ) ذلك الإنسان (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) أي: هل أحد يحييها؟

- س – ما نوع الاستفهام ؟

استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعد ما بليت وتلاشت. هذا وجه الشبهة والمثل، وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر،

- س- ما الدافع له على هذا القول ؟

وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه، فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئا مذكورا فوجد عيانا، لم يضرب هذا المثل.

- س – بماذا أجاب الله عن هذا ؟

فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف:

  - فقال: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علما يقينا لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور، (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)
  - هذا أيضا دليل ثان من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم.
  - ثم ذكر دليلا ثالثا (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) فإذا أخرج [النار] اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.
  - ثم ذكر دليلا رابعا فقال: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ) على سعتهما وعظمهما (بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) أي: [أن] يعيدهم [بأعيانهم] . (بَلَى) قادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

- (وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ) وهذا دليل خامس، فإنه تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه.

- س – ما دلالة شيئا بالنكرة ؟

فإعادته للأموات، فرد من أفراد [آثار] خلقه، ولهذا قال: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا) نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء. (أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أي: في الحال من غير تمانع.
(فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) وهذا دليل سادس، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية،

- س – ما هي أنواع أحكام الله ؟

وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية. فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه، ولهذا قال: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) من غير امتراء ولا شك، لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور.

لمسات بيانية:

آية (٤٤):

***ما الفرق بين آتاني منه رحمة وأتاني رحمة من عنده ؟**

في القرآن يستعمل رحمة من عندنا أخص من رحمة منا، لا يستعمل رحمة من عندنا إلا مع المؤمنين فقط أما رحمة منا فعامة يستعملها مع المؤمن والكافر.

آية (٥١):

***(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) يس) ما معنى الأجداث؟ وما دلالة استخدام الأجداث بدل القبور؟**

الأجداث هي القبور. لكن السؤال لماذا يقول الأجداث أحياناً ولا يقول القبور؟ الأجداث جمع جَدَث نلاحظ لفظ الجدث قريب في اللفظ والاشتقاق من لفظ جَدَثة، الفرق فقط في التاء المربوطة. الجدثة في اللغة هي صوت الحافِر والخُفّ وتأتي بمعنى صوت مضغ اللحم، هذا الجدثة في اللغة وليس الجدث، الجدث هو القبر والجدثة هو صوت الحافر والخُفّ ومضغ اللحم. صوت خروج الموتى من القبر مسرعين (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) يس) (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) القمر) (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) المعارج) الموتى خرجوا مسرعين، هذا عندما يخرجون مسرعين يذهبون إلى مكان الحشر وصوتهم يشبه تماماً صوت الحافر أو الخف عند السير والعدو لذلك هو لا يستعمل أجداث إلا في هذه الحالة في حالة الخروج والركض وكأنه يسمع

لمشيهم صوت. القبر لا يستعمله بهذا الشكل وإنما يستعمل جدث فقط في هذه الحالة. نلاحظ عندما يقول (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) يس) (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) القمر) (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) المعارج) لم يستعملها في حالة السكون والهمود مطلقاً. بينما يستعمل القبور (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣) الممتحنة) (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) فاطر) ليس فيها حركة، (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) الإنفطار) القبور وليس الناس بعثرت ولم يذكر أن من فيها يخرج، (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) العاديات) كما تبعثر ما في صندوق بعثرته لكن ليس فيه حركة وعدو. الأجداث خصّها بهذا الاستعمال يعني مناسبة الصوت لمعنى الجَدَثة ومعنى مضغ اللحم يعني خرجوا مسرعين بعد أن مضغتهم الأرض وأكلتهم. إذن هنالك ارتباط دلالي بين الكلمة وما تدل عليه من معنى وهناك اختيار دقيق جداً للكلمة. هناك قبر ولحد وجدث والاختلاف بينها يتعلق بالحركة.

آية (٥٦):

*** ما دلالة استعمال الوصف (متكئين) لأهل الجنة خاصة؟**

الاتّكاء غاية الراحة كأن الانسان ليس وراءه شيء لأن الانسان لو وراءه شيء لتهيّأ له ولم يتكيء. والاتّكاء في القرآن ورد مع الطعام والشراب ومع الجلسات العائلية هذا أكثر ما ورد إلا في موطن واحد.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى (هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَا يَدَّعُونَ (٥٧) يس) والاتكاء يحسُن في هذا الموضع. وقال تعالى (مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) ص) يرتبط الاتكاء مع الطعام والشراب وكذلك في سورة الرحمن (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤)) و (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)) وقوله تعالى (مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) الواقعة) و (مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) الطور) جاء في السياق مع هذه الآيات ذكر الطعام والشراب.

آية (٥٨):

*** ما الفرق بين سلام والسلام ؟**

السلام معرفة والمعرفة هو ما دلّ على أمر معين، وسلام لك والأصل في النكرة العموم إذن كلمة سلام عامة وكلمة السلام أمر معين. لما نقول رجل يعني أيّ رجل ولما نقول الرجل أقصد رجلاً معيناً أو تعريف الجنس. الأصل في النكرة العموم والشمول. إذن (سلام) أعم لأنها نكرة وربنا سبحانه وتعالى لم يحييّ إلا بالتنكير في القرآن كله مثل (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى (٥٩) النمل) (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) الصافات) (سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) الصافات) (سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠) الصافات) حتى في الجنة (سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨) يس) حتى الملائكة (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) الزمر) ربنا تعالى لم يحييّ هو إلا بالتنكير لأنه أعم وأشمل كل السلام لا يترك منه شيئاً. (سلام عليه) هذه تحية ربنا على يحيى والآية الأخرى عيسى عليه السلام سلم على نفسه وليس من عند الله سبحانه وتعالى،

سلام نكرة من قبل الله تعالى والسلام من عيسى عليه السلام وليس من الله تعالى والتعريف هنا (السلام) أفاد التخصيص. ويقوون تعريض بالذين يدعون أن مريم كذا وكذا فقال (والسلام علي) رد على متهمي مريم عليها السلام.

آية (٦٥):

***(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) يس) (حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) فصلت) ما اللمسة البيانية في اختلاف ختام الآيتين؟ ولماذا قالوا لجلودهم وليس للسانهم مثلاً؟ ولماذا تشهد الجلود دون باقي الأعضاء؟**

نقرأ الآيات (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) يس) وفي فصلت (حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) فصلت)، ذكر في آي يس (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) لأنه ذكر الأيدي والأرجل وهما آيتي الكسب ربنا يقول (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ (٣٠) الشورى) (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا (٣٨) المائدة) (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) المسد) اليد والأرجل آية الكسب فناسب هنا الكسب بينما في سورة فصلت لم يذكر آية الكسب وإنما قال (سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) في يس ذكر آية الكسب الأيدي والأرجل (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ (٤١) الروم) بينما في آية فصلت لم يذكر آلة الكسب. إذن (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ملائمة للأيدي والأرجل وهي أدوات الكسب ولما قال (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ذكر قبلها أدوات العلم (سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ).

(وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا) لأن الجلود هي التي تُعذّب (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا (٥٦) النساء) كأنما يقولون فهمنا السمع والبصر لكن أنت يا جلود لِمَ شهدت علينا؟! هي التي ستُعذَّب (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ (٥٦) النساء) المفروض في نظرهم ألا تشهد ولذلك السؤال موجّه للجلود فقالت (قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) ليس بأمرنا ولكن الله تعالى أنطقنا. يومئذ كل شيء يتكلم ولا نتكلم بالأفواه ولكن تشهد الأيدي والأرجل (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) يس).

آية (٨١):

***ما الفرق بين قادر وقدير؟**

إذا عمّم أو أطلق يستعمل المبالغة، إذا عممها أي إذا قال (على كل شيء) يستخدم (قدير) وإذا قيّدها بشيء يقول (قادر) (وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٣٧) الأنعام) قُيِّدت بإنزال آية، (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) الأنعام) قيدت بالعذاب، إذا قيّدها يقول قادر لأن قادر اسم فاعل وليس مبالغة.

الوصايا العملية:

- الله الذي يرزقك العلم ويسخر لك حفظه وهو الذي يجري الحكمة على لسانك وكل شيء منة من الله وفضل .
- الخضوع والذل باب قليل من يسلكه .
- إذا دخل العجب والرياء للعمل أحبطه .
- عليك بعبادة الخفاء فأكثري منها تبعد عنك العجب والرياء (صلاة الليل ، كثرة النوافل ،.....) .
- جددي نيتك وصححيها وجاهدي نفسك حتى لا يحبط عملك بالرياء .
- انتبهي لا يدخل عليك وسواس من باب الرياء فتتركين العمل (السنن الدعوة إلى الله ،.......) .
- عند فعل عمل خيري ملفت ويراه الناس(مساعدة كبير ، ...) فاربطي نفسك بالله وتذكر عظمته وافتقارك له سبحانه فمثلا عند مساعدتك للكبير ادعي بقولك(يا رب نجني من عرصات يوم القيامة).
- أكثري من هذا الدعاء (اللهم اجعل عملي صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا) .
- ابذلي السبب واجتهدي في الدعاء بأن يعينك على الخير .
- الله يبتليك ويقدر لك ما يصلح حالك إن كان الغنى يصلح حالك أعطالك الغنى وإن كان الفقر أصلح لك أعطاك الفقر .
- المؤمن يتمنى يوم القيامة لأن أصعب شيء عليه سكرات الموت وما بعده أيسر منها .
- الكافر الموت أهون عليه وما بعده أصعب عليه .
- أحسن الظن بالله عند الخوف غلبي جانب الرجاء فرحمته واسعة .
- اسألي الله أن يدخلك في رحمته .
- اجتهدي في الأعمال التي نفعها متعدي فهي أكثر أجر (الدعوة إلى الله ، التعليم ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .
- يقول العلماء أن التربع عند الأكل يوسع المعدة .
- كل المعاصي طاعة للشيطان فاحذري ذلك .

- احذري فأعضائك تشهد عليك يوم القيامة فألزميها بطاعة الله .
- النور الذي في قلبك هو الذي ينجيك ويعبر بك على الصراط .
- المنجي على الصراط صلة الرحم والأمانة فاسألي الله تأديتها على أكمل وجه .
- استغلي وقت قوتك ونضج عقلك في الطاعة والعمل .
- استغلي وقت فراغك قبل الحمل (طفل صغير، المرض .....) حتى تعوضي الأوقات التي ضيعتيها .
- بالقرآن تحيا القلوب وفيه كل مصالحك فخذيه بقوة .
- تفكري تفكر عظة وعبرة في هذه الأنعام وتسخيرها لنا واشكريه عليها .
- احذري الغفلة والنسيان .
- تذكري أن الله على كل شيء قدير إذا قال له كن فيكون .

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

تبدأ (يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥)) وفي الآخر (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)) أليس هو العزيز؟ الذي يملك كل شيء لا أعز منه إذن هو العزيز، الذي بيده ملكوت كل شيء يملك كل شيء لا أعز منه إذن هو العزيز، العزيز هو الحق الذي يملك كل شيء وهذه من دلائل العزيز (وإليه ترجعون) له صفات العزة كلها. لما قال (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)) يعني عزته منزّهة عن كل نقص. (سبحان) اسم مصدر بمعنى تنزيهاً، سبحان الله يعني تنزيهاً لله. فإذن هو نزّه عزّته معناه أنه رحيم. في أولها قال (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧)) وقال في آخرها (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٤)) تفصيل عدم الإيمان بأنهم اتخذوا من دون الله آلهة. في أولها قال (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)) وفي آخرها قال (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨)) في بداية السورة جاء بالجواب (إنا نحن نحيي الموتى) وهم قالوا (من يحيي العظام وهي رميم).

سؤال: من الذي ضرب لنا المثل في الآية (وضرب لنا مثلاً) هل هو العبد الآبق من رحمة الله؟ الذي ضرب لنا المثل الذي أمسك بعظام بالية وفتتها وقال للرسول صلى الله عليه وسلم أتزعم أن ربك سيحيي هذه بعد موتها؟ فقال ربنا تعالى (وضرب لنا مثلاً) كأن هذا الشخص غير مصدق أن الله تعالى سيحيي هذه العظام بعد أن تتفتت. (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨))، نسي خلقه أي كيفية خُلِق هذا الإنسان الذي يضرب المثل. الذي يحيي العظام وهي رميم هو الذي يحيي الموتى هو الله سبحانه وتعالى، من يحيي العظام؟ إنا نحن نحيي الموتى. قررت في بداية السورة وفي ختام السورة كانت مجرد سؤال ثم أجاب (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)).

| • | نهاية سورة يـــس | • |

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة الصافات ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســـــورة الصافات

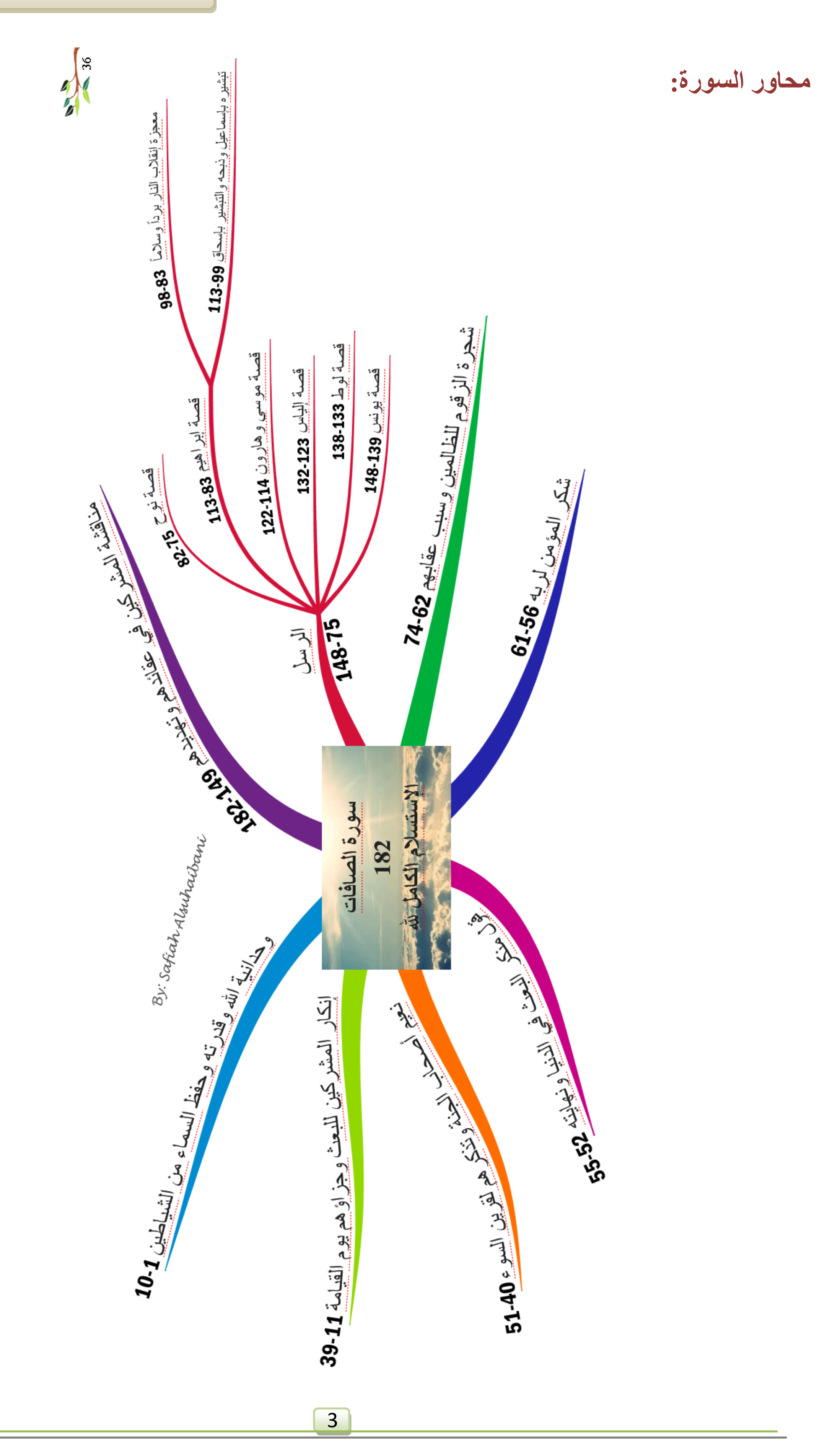
بين يدي السورة:

- سميت سورة الصافات من باب تسمية الشيء باسم بعضه.
- من فضائلها: عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمرنا بالتخفيف، وإن كان ليؤمُّنَا بالصافات. قال يزيد: في الصبح.
- سورة مكية.
- محور السورة: بيان أصول العقيدة والتوحيد والرسالة والوحي والبعث والجزاء.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

- وجود الشبه بين أول هذه السورة وآخر سابقتها سورة (يس) في بيان قدرة الله الشاملة لكل شيء في السماوات والأرض، ومنه المعاد، وإحياء الموتى، فلما ذكر سبحانه في سورة (يس) قدرته على المعاد، وإحياء الموتى، علل ذلك بأنه هو منشئهم، وأنه إذا تعلقت إرادته بشيء كان ذكر عز وجل هنا ما هو كالدليل على ذلك، وهو القَسَم على وحدانيته سبحانه إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة إيجاداً وإعداماً إلا إذا كان المريد واحداً.
- هذه السورة بعد (يس) كالأعراف بعد الأنعام، وكالشعراء بعد الفرقان في تفصيل أحوال القرون الماضية، المشار إليهم وإلى إهلاكهم إجمالاً في سورة (يس).
- تفصيل هذه السورة ما أُجمِل في السورة السابقة (يس) من أحوال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة.

محاور السورة:



المقطع الأول من الآية (١) إلى الآية (٧٦):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (١ – ١٠) إعلان وحدانية الله تعالى. أقسم الله تعالى بطوائف من مخلوقاته، وجواب القسم أن الله تعالى واحد لا شريك له، وهو المعبود بحق، ثم بيّن سبحانه بعضاً من مظاهر خلقه تأكيداً لوحدانيته، وإثباتاً لقدرته.

الآيات (١١ – ٢١) إثبات المعاد؛ الحشر والنشر والقيامة. جاءت افتتاحية السورة في المقطع الأول تتناول الحديث عن إثبات ما يدل على وجود الخالق وقدرته وحكمته في خلق طوائف من مخلوقاته، وما يدل على وحدانيته، مما يدعو إلى التطرُّق لقضية إنكار البعث التي يثيرها المشركون، وقد جاء الرد هنا على منكري البعث بالدليل العقلي والنقلي.

الآيات (٢٢ – ٣٧) مسؤولية المشركين في الآخرة وأسبابها. بعد أن أثبتت الآيات السابقة الدلالة على وجود الله وعلمه وقدرته، وذكّرت بمشاهد ليوم القيامة، تُتابع في سياقها الحديث عن أحوال المشركين، وكيف يساقون إلى النار، ثم تصور مشاهد من تخاصمهم فيها.

الآيات (٣٨ – ٦١) جزاء الكافرين، وجزاء المؤمنين. يتتابع الحديث هنا في نُقلة بالغية من الغيبة إلى الحضور، موضحاً عدم الفائدة من حوار دعاة الضلال وأتباعهم، فقد شملهم العذاب جميعاً بمقتضى قانون العدل الإلهي المطلق.

الآيات (٦٢ – ٧٤) جزاء الظالمين، وألوان عذاب جهنم. بعد هذا العرض لقصة المؤمن مع قرينه، وما آل إليه حاله من استحقاقٍ جزاءَ إنكاره وجحوده، يجري التعقيب القرآن على هذا الحدث بالإشارة إلى مغزاه عظة واعتباراً، ليظهر التمييز بين نعيم المؤمن وجزاء الكافر، ليقيم الله تعالى الحجة على خلقه حين أهملوا عقولهم، وجحدوا بربهم، وأنكروا الحساب.

ذكر في هذه السورة ست قصص من قصص الرسل مع أقوامهم، لأن في كل قصة منها خاصية لها شبَهٌ بحال الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومه، ففي القصص كلها عبر بالغة، وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم. وقد اختير هؤلاء الرسل الستة لأن نوحاً القدوة الأولى، وإبراهيم هو رسول الملة الحنيفية التي هي نواة الشجرة الطيبة –شجرة الإسلام-، وموسى لشَبَهِ شريعته بالشريعة الإسلامية في التفصيل وجمع بين الدين والسلطان. فهؤلاء الرسل الثلاثة أصول، ثم ذكر ثلاثة رسل تفرَّعوا عنهم، وثلاثتهم على ملّة رسل مِن قَبلهم؛ فأما لوط فهو على ملّة إبراهيم، وأما إلياس ويونس فعلى ملّة موسى عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

في قصص الأنبياء عبرا ودلالة وما أحوج الأمة إلى النظر في تلك القصص ، وقصة أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام أشرف أولي العزم بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
رأى إبراهيم في منامه رؤيا ،ورؤيا الأنبياء حق ،محنة تدك الجبال وتثقل الرجال، شيخ كبير جالد الأيام ،يؤمر بذبح ولده وانهار دمه بيده ،أي نفس تطيق هذا البلاء ،وأي قلب يقوى هذا العناء؟!
ودخل إسماعيل ليقص عليه أبوه رؤياه ويخبره بمحنته وبلواه (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) فيقول إسماعيل طائعا لربه وملبيا صابرا ومؤديا منقادا وراضيا (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني......)
(فلما أسلما وتله للجبين)طاوعه الابن الصالح بالتمكين وكان لأبيه خير معين (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)
فلما أمر حلقه بالسكين ناداه أرحم الراحمين (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين* إن هذا لهو البلاء المبين) وفداه ربه بذبح عظيم وخلصه بكبش لحيم ليعلم أن البلاء ليس للتعذيب ولكنه للتمحيص والتهذيب.
فحين تعلقت شعبة من قلب إبراهيم بمحبة إسماعيل وقد اتخذ الله إبراهيم خليلا أمر بذبح المحبوب ،فلما شرع في ذبحه دل على أن محبة الله أعظم عنده من محبة ولده نفسه فخلصت الخلة من شوائب المشاركة ولم يبق في الذبح مصلحة فأين من هام قلبه وتشتت نفسه في العشق والوله والعلق والسفه والهوى والعلة.
حب لغير الله وخلة لم تؤسس على تقواه مسلك خطير ،ولا يجتمع حب الرب الأعلى بحب المعشوق أبدا ومن يتعلق قلبه بغير الله يعذب به نسأل الله العافية والسلامة.
مضت سنة الأضاحي علما للملة الإبراهيمية،وسنة في الشريعة المحمدية تذكر بالتضحية والفداء والصدق والوفاء والصبر والثبات عند المحنة والابتلاء وحسن الاستجابة لله في السراء والضراء.
فقصت إبراهيم عليه السلام تبين أن الإسلام ليس بمحض التسمي والانتماء ولكن بالإيمان الكامل والاستسلام لله.
في آياتنا اليوم سنتدارس قصة إبراهيم عليه السلام مع إسماعيل عليه السلام.

فوائد وأسئلة تدبرية:

بماذا اقسم الله تعالى في بداية السورة ؟
(وَالصَّافَّاتِ صَفًّا () فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا () فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا () إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ...) .
هذا قسم منه تعالى بالملائكة الكرام، في حال عبادتها وتدبيرها ما تدبره بإذن ربها، على ألوهيته تعالى وربوبيته،
(وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) أي: صفوفا في خدمة ربهم، وهم الملائكة.
(فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) وهم الملائكة، يزجرون السحاب وغيره بأمر الله.

(فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) وهم الملائكة الذين يتلون كلام اللہ تعالى.
*لماذا اقسم الله بالملائكة على ألوهيته؟
فلما كانوا متألهين لربهم، ومتعبدين في خدمته، ولا يعصونه طرفة عين، أقسم بهم على ألوهيته فقال: (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ) ليس له شريك في الإلهية، فأخلصوا له الحب والخوف والرجاء، وسائر أنواع العبادة.
*(رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ)
أي: هو الخالق لهذه المخلوقات، والرازق لها، المدبر لها،فكما أنه لا شريك له في ربوبيته إياها، فكذلك لا شريك له في ألوهيته.
* كثيرا ما يقرر تعالى توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية،لماذا؟
لأنه دال عليه. وقد أقر به أيضا المشركون في العبادة، فيلزمهم بما أقروا به على ما أنكروه.
*لماذا خص الله المشارق بالذكر؟
وخص اللہ المشارق بالذكر، لدلالتها على المغارب، أو لأنها مشارق النجوم التي سيذكرها، فلهذا قال: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى)
*ما فائدة الكواكب؟
ذكر اللہ في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين:
إحداهما: كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرما مظلما لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستنير أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل.
والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده إلى استماع الملأ الأعلى، وهم الملائكة، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب (مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) طردا لهم، وإبعادا عن استماع ما يقول الملأ الأعلى.
(وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) أي: دائم، معد لهم، لتمردهم عن طاعة ربهم.
*هل الشياطين لا يستمعون شيئا من السماء؟
ولولا أنه تعالى استثنى، لكان ذلك دليلا على أنهم لا يستمعون شيئا أصلا ولكن قال: (إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) أي: إلا من تلقف من الشياطين المردة، الكلمة الواحدة على وجه الخفية والسرقة (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) تارة يدركه قبل أن يوصلها إلى أوليائه، فينقطع خبر السماء، وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب، فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء.
*بماذا أمر الله رسوله أن يسال منكري البعث ؟وماذا يلزم من جوابهم؟
ولما بين هذه المخلوقات العظيمة قال: (فَاسْتَفْتِهِمْ) أي: اسأل منكري خلقهم بعد موتهم. (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا) أي: إيجادهم بعد موتهم، أشد خلقا وأشق؟. (أَمْ مَنْ خَلَقْنَا) من هذه المخلوقات؟ فلا بد أن يقروا أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.
فيلزمهم إذا الإقرار بالبعث، بل لو رجعوا إلى أنفسهم وفكروا فيها، لعلموا أن ابتداء خلقهم من طين لازب، أصعب عند الفكر من إنشائهم بعد موتهم، ولهذا قال: (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ) أي: قوي شديد كقوله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ
*بين الله تعالى في هذه الآيات عدة أمور تدعوا للعجب من حالهم.فما هي؟
(بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ () وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ () وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ () وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ) .

١/(بَلْ عَجِبْتَ) يا أيها الرسول وأيها الإنسان، من تكذيب من كذب بالبعث، بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة، وهو حقيقة محل عجب واستغراب، لأنه مما لا يقبل الإنكار.
٢/ (و) أعجب من إنكارهم وأبلغ منه، أنهم (يَسْخَرُونَ) ممن جاء بالخبر عن البعث، فلم يكفهم مجرد الإنكار، حتى زادوا السخرية بالقول الحق.
٣/(و) من العجب أيضا أنهم (إِذَا ذُكِّرُوا) ما يعرفون في فطرهم وعقولهم، وفطنوا له، وألفت نظرهم إليه (لا يَذْكُرُونَ) ذلك، فإن كان جهلا فهو من أدل الدلائل على شدة بلادتهم العظيمة، حيث ذكروا ما هو مستقر في الفطر، معلوم بالعقل، لا يقبل الإشكال، وإن كان تجاهلا وعنادا، فهو أعجب وأغرب.
٤/ومن العجب أيضا أنهم إذا أقيمت عليهم الأدلة، وذكروا الآيات التي يخضع لها فحول الرجال وألباب الألباء، يسخرون منها ويعجبون.
٥/ومن العجب أيضا، قولهم للحق لما جاءهم: (إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ) فجعلوا أعلى الأشياء وأجلها، وهو الحق، في رتبة أخس الأشياء وأحقرها.
٦/ومن العجب أيضا، قياسهم قدرة رب الأرض والسماوات، على قدرة الآدمي الناقص من جميع الوجوه، فقالوا استبعادا وإنكارا: (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ)
*لما كان هذا منتهى ما عندهم، وغاية ما لديهم، أمر الله رسوله أن يجيبهم بجواب مشتمل على ترهيبهم.فما هو؟
فقال: (قُلْ نَعَمْ) ستبعثون، أنتم وآباؤكم الأولون (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ) ذليلون صاغرون، لا تمتنعون، ولا تستعصون على قدرة الله.
(فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) ينفخ إسرافيل فيها في الصور (فَإِذَا هُمْ) مبعوثون من قبورهم (يَنْظُرُونَ) كما ابتدئ خلقهم، بعثوا بجميع أجزائهم، حفاة عراة غرلا وفي تلك الحال، يظهرون الندم والخزي والخسار، ويدعون بالويل والثبور.
(وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) فقد أقروا بما كانوا في الدنيا به يستهزءون.
فيقال لهم: (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) بين العباد فيما بينهم وبين ربهم من الحقوق، وفيما بينهم وبين غيرهم من الخلق.
*(احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ () مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ () وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) .
أي إذا أحضروا يوم القيامة، وعاينوا ما به يكذبون، ورأوا ما به يستسخرون، يؤمر بهم إلى النار، التي بها كانوا يكذبون، فيقال: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي (وَأَزْوَاجَهُمْ) الذين من جنس عملهم، كل يضم إلى من يجانسه في العمل.
(وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الأصنام والأنداد التي زعموها، فاجمعوهم جميعا (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) أي: سوقوهم سوقا عنيفا إلى جهنم.
وبعد ما يتعين أمرهم إلى النار، ويعرفون أنهم من أهل دار البوار، يقال: (وَقِفُوهُمْ) قبل أن توصلوهم إلى جهنم (إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) عما كانوا يفترونه في الدنيا، ليظهر على رءوس الأشهاد كذبهم وفضيحتهم.
*ماذا يقال لهم؟(مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ () بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) .
فيقال لهم: (مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ) أي: ما الذي جرى عليكم اليوم؟ وما الذي طرقكم لا ينصر بعضكم بعضا، ولا يغيث بعضكم بعضا، بعدما كنتم تزعمون في الدنيا، أن آلهتكم ستدفع عنكم العذاب، وتغيثكم وتشفع لكم

عند الله، فكأنهم لا يجيبون هذا السؤال، لأنهم قد علاهم الذل والصغار، واستسلموا لعذاب النار، وخشعوا وخضعوا وأبلسوا، فلم ينطقوا.
ولهذا قال: (بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ)
*ما اللوم والعتاب الذي يكون بين الأتباع والمتبوعين بعد أن يهدوا إلى صراط الجحيم؟
(وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ () قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ .....) .
لما جمعوا هم وأزواجهم وآلهتهم، وهدوا إلى صراط الجحيم، ووقفوا، فسئلوا، فلم يجيبوا، وأقبلوا فيما بينهم، يلوم بعضهم بعضا على إضلالهم وضلالهم.
فقال الأتباع للمتبوعين الرؤساء: (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) أي: بالقوة والغلبة، فتضلونا، ولولا أنتم لكنا مؤمنين.
(قَالُوا) لهم (بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) أي: ما زلتم مشركين، كما نحن مشركون، فأي شيء فضلكم علينا؟ وأي شيء يوجب لومنا؟
(و) الحال أنه (مَا كَانَ لنا عليكم مِنْ سُلْطَانٍ) أي: قهر لكم على اختيار الكفر (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ) متجاوزين للحد .
(فَحَقَّ عَلَيْنَا) نحن وإياكم (إِنَّا لَذَائِقُونَ) العذاب،أي: حق علينا قدر ربنا وقضاؤه، أنا وإياكم سنذوق العذاب، ونشترك في العقاب.
(فـ) لذلك (أَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) أي: دعوناكم إلى طريقتنا التي نحن عليها، وهي الغواية، فاستجبتم لنا، فلا تلومونا ولوموا أنفسكم.
قال تعالى: (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ) أي: يوم القيامة (فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) وإن تفاوتت مقادير عذابهم بحسب جرمهم.
كما اشتركوا في الدنيا على الكفر، اشتركوا في الآخرة بجزائه، ولهذا قال: (إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ)
*كيف كان إجرامهم في الدنيا؟
ثم ذكر أن إجرامهم، قد بلغ الغاية وجاوز النهاية فقال: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ) فدعوا إليها، وأمروا بترك إلهية ما سواه (يَسْتَكْبِرُونَ) عنها وعلى من جاء بها.
(وَيَقُولُونَ) معارضة لها (أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا) التي لم نزل نعبدها نحن وآباؤنا (لـ) قول (شَاعِرٍ مَجْنُونٍ) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم. فلم يكفهم - قبحهم الله - الإعراض عنه، ولا مجرد تكذيبه، حتى حكموا عليه بأظلم الأحكام، وجعلوه شاعرا مجنونا، وهم يعلمون أنه لا يعرف الشعر والشعراء، ولا وصفه وصفهم، وأنه أعقل خلق الله، وأعظمهم رأيا.
*كيف رد الله عليهم وبماذا نقض قولهم؟
ولهذا قال تعالى، ناقضا لقولهم: (بَلْ جَاءَ) محمد (بِالْحَقِّ) أي: مجيئه حق، وما جاء به من الشرع والكتاب حق(وصدق المرسلين)
*كيف كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تصديق للمرسلين قبله؟
(وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ) أي: ومجيئه صدق المرسلين فلولا مجيئه وإرساله لم يكن الرسل صادقين، فهو آية ومعجزة لكل رسول قبله، لأنهم أخبروا به وبشروا، وأخذ الله عليهم العهد والميثاق، لئن جاءهم، ليؤمنن به ولينصرنه، وأخذوا ذلك على أممهم، فلما جاء ظهر صدق الرسل الذين قبله، وتبين كذب من خالفهم. .فلو قدر عدم مجيئه، وهم قد أخبروا به، لكان ذلك قادحا في صدقهم.

وصدق أيضا المرسلين، بأن جاء بما جاءوا به، ودعا إلى ما دعوا إليه، وآمن بهم، وأخبر بصحة رسالتهم ونبوتهم وشرعهم.

*ما الخبر والقول الفصل الذي أخبر به تعالى عن مصيرهم؟

ولما كان قولهم السابق: (إِنَّا لَذَائِقُونَ) قولا صادرا منهم، يحتمل أن يكون صدقا أو غيره، أخبر تعالى بالقول الفصل الذي لا يحتمل غير الصدق واليقين، وهو الخبر الصادر منه تعالى، فقال: (إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الأَلِيمِ) أي: المؤلم الموجع.

(وَمَا تُجْزَوْنَ) في إذاقة العذاب الأليم (إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فلم نظلمكم، وإنما عدلنا فيكم؟

*لماذا ورد لفظ الاستثناء لعباد الله المخلصين؟أو من استثنى الله من العذاب؟

لما كان هذا الخطاب لفظه عاما، والمراد به المشركون، استثنى تعالى المؤمنين فقال: (إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ)

فإنهم غير ذائقي العذاب الأليم، لأنهم أخلصوا لله الأعمال، فأخلصهم، واختصهم برحمته، وجاد عليهم بلطفه.

*ما النعيم الذي أعده الله لعباده المخلصين؟

(أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ) أي: غير مجهول، وإنما هو رزق عظيم جليل، لا يجهل أمره، ولا يبلغ كنهه.

فسره بقوله: (فَوَاكِهُ) من جميع أنواع الفواكه التي تتفكه بها النفس، للذتها في لونها وطعمها. (وَهُمْ مُكْرَمُونَ) لا مهانون محتقرون، بل معظمون مجلون موقرون. قد أكرم بعضهم بعضا، وأكرمتهم الملائكة الكرام، وصاروا يدخلون عليهم من كل باب، ويهنئونهم ببلوغ أهنأ الثواب، وأكرمهم أكرم الأكرمين، وجاد عليهم بأنواع الكرامات، من نعيم القلوب والأرواح والأبدان.

(فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) أي: الجنات التي النعيم وصفها، والسرور نعتها، وذلك لما جمعته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وسلمت من كل مخل بنعيمها، من جميع المكدرات والمنغصات.

ومن كرامتهم عند ربهم، وإكرام بعضهم بعضا، أنهم (على سُرُرٍ) وهي المجالس المرتفعة، المزينة بأنواع الأكسية الفاخرة، المزخرفة المجملة، فهم متكئون عليها، على وجه الراحة والطمأنينة، والفرح.

*على ماذا يدل تقابلهم في الجنة؟

(مُتَقَابِلِينَ) فيما بينهم قد صفت قلوبهم، ومحبتهم فيما بينهم، ونعموا باجتماع بعضهم مع بعض، فإن مقابلة وجوههم، تدل على تقابل قلوبهم، وتأدب بعضهم مع بعض فلم يستدبره، أو يجعله إلى جانبه، بل من كمال السرور والأدب، ما دل عليه ذلك التقابل.

(يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) أي: يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة، بالكاسات الجميلة المنظر، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك، وهي كاسات الخمر.

*بماذا وصف الله تعالى خمر الجنة؟

وتلك الخمر، تخالف خمر الدنيا من كل وجه، فإنها في لونها (بَيْضَاءَ) من أحسن الألوان، وفي طعمها (لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) يتلذذ شاربها بها وقت شربها وبعده، وأنها سالمة من غول العقل وذهابه، ونزفه، ونزف مال صاحبها، وليس فيها صداع ولا كدر.

*لماذا يفصل الله نعيم أهل الجنة؟

لما ذكر طعامهم وشرابهم ومجالسهم، وعموم النعيم وتفاصيله داخلة في قوله: (جَنَّاتِ النَّعِيمِ)
لكن فصل هذه الأشياء لتعلم فتشتاق النفوس إليها.

*بماذا وصف الله أزواج أهل الجنة؟
ذكر أزواجهم فقال: (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ) أي: وعند أهل دار النعيم، في محلاتهم القريبة، حور حسان، كاملات الأوصاف، قاصرات الطرف.
(عِينٌ) أي: حسان الأعين جميلاتها، ملاح الحدق.
(كَأَنَّهُنَّ) أي: الحور (بَيْضٌ مَكْنُونٌ) أي: مستور، وذلك من حسنهن وصفائهن وكون ألوانهن أحسن الألوان وأبهاها، ليس فيه كدر ولا شين.
*ما المراد بقوله (قاصرات الطرف)؟
١/ إما أنها قصرت طرفها على زوجها، لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه، ولا ترغب إلا به.
٢/ وإما لأنها قصرت طرف زوجها عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها، أن يقصر طرفه عليها، وقصر الطرف أيضا، يدل على قصر النفس والمحبة عليها، وكلا المعنيين محتمل، وكلاهما صحيح.
*على ماذا يدل قصر الطرف؟
كل هذا يدل على جمال الرجال والنساء في الجنة، ومحبة بعضهم بعضا، محبة لا يطمح إلى غيره، وشدة عفتهم كلهم، وأنه لا حسد فيها ولا تباغض، ولا تشاحن، وذلك لانتفاء أسبابه.
*ماذا يتذاكر أهل الجنة فيما بينهم؟
(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ () قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) .
لما ذكر تعالى نعيمهم، وتمام سرورهم، بالمآكل والمشارب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، ذكر تذاكرهم فيما بينهم، ومطارحتهم للأحاديث، عن الأمور الماضية، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل، حتى أفضى ذلك بهم، إلى أن قال قائل منهم: (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) في الدنيا، ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به.
و (يَقُولُ) لي (أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ) أي: مجازون بأعمالنا؟ أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا، فصرنا ترابا وعظاما، أننا نبعث ونعاد، ثم نحاسب ونجازى بأعمالنا؟.
أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه: هذه قصتي، وهذا خبري، أنا وقريني، ما زلت أنا مؤمنا مصدقا، وهو ما زال مكذبا منكرا للبعث، حتى متنا، ثم بعثنا، فوصلت أنا إلى ما ترون، من النعيم، الذي أخبرتنا به الرسل، وهو لا شك، أنه قد وصل إلى العذاب.
فـ (هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ) لننظر إليه، فنزداد غبطة وسرورا بما نحن فيه، ويكون ذلك رَأْيَ عين؟ والظاهر من حال أهل الجنة، وسرور بعضهم ببعض، وموافقة بعضهم بعضا، أنهم أجابوه لما قال، وذهبوا تبعا له، للاطلاع على قرينه.
(فَاطَّلَعَ) فرأى قرينه (فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) أي: في وسط العذاب وغمراته، والعذاب قد أحاط به.
فـ (قَالَ) له لائما على حاله، وشاكرا لله على نعمته أن نجاه من كيده: (تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ) أي: تهلكني بسبب ما أدخلت عليَّ من الشُّبَه بزعمك.
(وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي) على أن ثبتني على الإسلام (لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) في العذاب معك.

*ما نوع الاستفهام؟(أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلا مَوْتَتَنَا الأولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)
أي: يقوله المؤمن، مبتهجا بنعمة الله على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها والسلامة من العذاب؛ استفهام بمعنى الإثبات والتقرير أي: يقول لقرينه المعذب: أفتزعم أننا لسنا نموت سوى الموتة الأولى، ولا بعث بعدها ولا عذاب .
*لماذا حذف المعمول في قوله تعالى: (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)؟
وقوله: فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ وحذف المعمول، والمقام مقام لذة وسرور، فدل ذلك على أنهم يتساءلون بكل ما يلتذون بالتحدث به، والمسائل التي وقع فيها النزاع والإشكال.
ومن المعلوم أن لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم، والبحث عنه، فوق اللذات الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم من انكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه.
*(إن هذا لهو الفوز العظيم)
فلما ذكر تعالى نعيم الجنة، ووصفه بهذه الأوصاف الجميلة، مدحه، وشوَّق العاملين، وحثَّهم على العمل فقال: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) الذي حصل لهم به كل خير، وكل ما تهوى النفوس وتشتهي، واندفع عنهم به كل محذور ومكروه، فهل فوز يطلب فوقه؟ أم هو غاية الغايات، ونهاية النهايات، حيث حل عليهم رضا رب الأرض والسماوات، وفرحوا بقربه، وتنعموا بمعرفته واستروا برؤيته، وطربوا لكلامه؟
*(لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ)
فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس وأولى ما شمر إليه العارفون الأكياس، والحسرة كل الحسرة، أن يمضي على الحازم، وقت من أوقاته، وهو غير مشتغل بالعمل، الذي يقرب لهذه الدار، فكيف إذا كان يسير بخطاياه إلى دار البوار؟
*ماذا أعد الله نزلا لأهل النار؟
أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ....) .
(أَذَلِكَ خَيْرٌ نزلا) أي: ذلك النعيم الذي وصفناه لأهل الجنة خير، أم العذاب الذي يكون في الجحيم من جميع أصناف العذاب؟ فأي الطعامين أولى؟ الذي وصف في الجنة (أَمْ) طعام أهل النار؟ وهو (شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً) أي عذابا ونكالا (لِلظَّالِمِينَ) أنفسهم بالكفر والمعاصي.
*ما هي شجرة الزقوم؟
(إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) أي: وسطه فهذا مخرجها، ومعدنها أشر المعادن وأسوؤها، وشر المغرس، يدل على شر الغراس وخسته، ولهذا نبهنا الله على شرها بما ذكر أين تنبت به، وبما ذكر من صفة ثمرتها.
وأنها كـ (رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، وما تفعل في أجوافهم وبطونهم، وليس لهم عنها مندوحة ولا معدل .
ولهذا قال: (فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ) فهذا طعام أهل النار، فبئس الطعام طعامهم.
*ما شراب أهل النار فيها؟
ثم ذكر شرابهم فقال: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا) أي: على أثر هذا الطعام (لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ) أي: ماء حارا، قد انتهى، كما قال تعالى: وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا وكما قال تعالى: وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ .

*ما مقر ومأوى أهل النار؟
(ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ) أي: مآلهم ومقرهم ومأواهم (لإِلَى الْجَحِيمِ) ليذوقوا من عذابه الشديد، وحره العظيم، ما ليس عليه مزيد من الشقاء.
*ما الذي أوصلهم إلى هذه الدار؟
وكأنه قيل: ما الذي أوصلهم إلى هذه الدار؟ فقال: (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا) أي: وجدوا (آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) أي: يسرعون في الضلال، فلم يلتفتوا إلى ما دعتهم إليه الرسل، ولا إلى ما حذرتهم عنه الكتب، ولا إلى أقوال الناصحين، بل عارضوهم بأن قالوا: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ
(وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ) أي: قبل هؤلاء المخاطبين (أَكْثَرُ الأوَّلِينَ) وقليل منهم آمن واهتدى.
(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ) ينذرونهم عن غيهم وضلالهم.
*(فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ)
كانت عاقبتهم الهلاك، والخزي، والفضيحة، فليحذر هؤلاء أن يستمروا على ضلالهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم.
*هل جميع المنذرون ضالون؟
ولما كان المنذرون ليسوا كلهم ضالين، بل منهم من آمن وأخلص الدين لله، استثناه الله من الهلاك فقال: (إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أي: الذين أخلصهم الله، وخصهم برحمته لإخلاصهم، فإن عواقبهم صارت حميدة.
* ذكر الله تعالى أنموذجا من عواقب الأمم المكذبين فبدأ بأمة نوح عليه السلام.
(وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ () وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) . يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام، أول الرسل، أنه لما دعا قومه إلى الله، تلك المدة الطويلة فلم يزدهم دعاؤه، إلا فرارا، أنه نادى ربه فقال: (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) الآية.
وقال: (رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجاه وأهله من الكرب العظيم.

لمسات بيانية:

في سورة الصافات مع كل الأنبياء يقول (سلام على) ولم يقل ذلك في لوط ويونس فما دلالة هذا؟

د.فاضل السامرائى :

لما ننظر في قصة يونس الواردة في الصافات، هو ذكر عنه عدم الأَوْلى من فعله قال (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠)) أبق أي فر هارباً، (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢)) مليم يعني أتى فعلاً يستحق اللوم أما مُلام يعني أنت تلومه، هذا إسم مفعول، مليم إسم فاعل من ألام إذا فعل فعلاً يُلام عليه، يستحق اللوم. لما ذكر عدم الأولى والمؤاخذات عليه هل يقول (سلام على يونس)؟! يعني لا يناسب بعد ذكر هذه المؤاخذات أن يقال له (سلام على يونس). وهو أدخلهم فيما بعد حينما فقال (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١)) فدخل فيه يونس ولوط، هذا بالنسبة ليونس. أما بالنسبة لوط فإن قومه فعلوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين وهي حساسة يستحى من ذكرها ولا تكاد تذكر، لوط لم يؤمن به أحد من قومه إلا امرأته فلم ينجو من قومه أحد

يذكره بالخير فيما بعد، كلهم أهلكوا وما نجا إلا هو وابنتاه فقط فلا يستقيم أن يقال (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) من الذي سيذكره؟ لا أحد فقال تعالى (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ). هذه مسألة والمسألة الأخرى نرى ماذا ذكر تعالى في لوط في الصافات نفسها لم يذكر أنه دعا قومه إلى شيء ولا حمل رسالة إليهم بخلاف الذين ذكر فيهم ذلك، كل ما قال في لوط (وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٣٦) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧)) لم يذكر أنه دعا قومه إلى شيء بينما الآخرين ذكر دعوتهم، إبراهيم دعا قومه وحاولوا حرقه لكن ما ذكر هذا مع لوط (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ)، ما ذكره في لوط ليس مثل الأنبياء الآخرين.

<u>آية (٨):</u>

***(مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ <u>يَخِصِّمُونَ</u> (٤٩) يس) (لَا <u>يَسَّمَّعُونَ</u> إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى (٨) الصافات) ما اللمسة البيانية في كلمتي يخصّمون ويسّمعون؟(د.فاضل السامرائى)**

لماذا قال (وهم يخصّمون)؟ الكلام عن الساعة (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ <u>يَخِصِّمُونَ</u> (٤٩) يس) الكلام عن الساعة تأخذهم وهم يخصمون اي وهم منهمكون في أمور الدنيا في الخصومة في الدنيا لكنها لا تنقضي الخصومات تأخذهم رأساً قبل أن تنتهي الخصومات بينهم لأنه في الحديث الساعة تأخذهم فلا يرفع من يأكل اللقمة إلى فيه، قبل أن تصل اللقمة إلى فيه والمتبايعان تأخذه الساعة قبل إنهاء البيع. إذن مبالغة في الاختصام في الدنيا على أقصى حال لكنها تذهب رأساً قبل أن يتموا ذلك. بينما قال في مكان آخر (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١) الزمر) لم يقل تخصمون لأن تلك فيها إقامة حجة وقضاء وسماع كلام القاضي والشاهد مسألة طويلة ثم يخصّمون في الدنيا ليس كلها فيها فصل وقضاء فإذن فيها مبالغة ولكن فيها سرعة قبل أن تنتهي الخصومة تقوم الساعة عليهم الآكِل لا يستطيع أن يوصل اللقمة إلى فمه والمتبايعان قبل أن تنتهي البيعة تأخذهم وهم يخصمون. وكذلك (يسّمعون) فيها مبالغة (لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) الصافات) يعني يريدون أقصى التسمع في أقصر وقت فقال يسّمعون لأن تسّمع يحتاج وقت طويل وهم يريدون الوقت القصير.

<u>آية (١٠):</u>

***ما هي اللمسات البيانية في الآية (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) الصافات)؟(د.فاضل السامرائى)**

في الحجر شهاب مبين وفي الصافات شهاب ثاقب. <u>المبين</u> هو الظاهر للمبصرين، ظاهر واضح. <u>الثاقب</u> هو النافذ بضوئه وشعاعه المنير، نيّر متّقد والثقب هو الخَرْق النافذ يثقب الشيء، إذن الثاقب هو مبين مع زيادة إذا كان في النور فهو متّقد لأن مبين أي شيء ظاهر حتى لو كان قليلاً يكون مبيناً لكن الثاقب من شدة النور نافذ بالضوء وثاقب الثقب من الخرق النافذ، أيُّ الأقوى في اللغة ثاقب أو مبين؟ الثاقب أقوى في اللغة. ننظر الآن كيف وضعها؟ <u>الثاقب أقوى في اللغة</u>. عندنا (إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) <u>الاستراق</u> هو أخذ الشيء بخفية وفي الآية الأخرى عندنا الخطف فقال (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) <u>الخطف</u> هو الإستلاب والأخذ بسرعة، يستلب الشيء يأخذه، يختلسه، يأخذ الشيء بسرعة كما في قوله تعالى (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء

فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ (٣١) الحج) فيها سرعة. إستراق السمع قد يكون بالتنصت وليس بالضرورة أن يكون هناك حركة، استرق السمع قد يكون بالتنصت يأتي من مكان خفي فيسترق. يسترق السمع يعني يقف ويُنصت أما الخطف ففيها حركة، إذن صار هناك فرق، واحدة يسترق السمع ليس بالضرورة فيها حركة وإنما يتنصت والخطف فيها سرعة يختلس يخطف بسرعة، أيها الأشد والأسرع؟ الخطف أو الاستراق؟ الخطف أسرع، أي الذي يحتاج إلى حفظ أكثر وأشد، الخطف أو الاستراق؟ الخطف. فالآية كلها تغيّرت بموجب هذا. أي الذي يحتاج شهاب ثاقب؟ الخطف. قال تعالى في الصافات (وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨)) ولم يقلها في سورة الحجر، ووصف الشيطان بأنه مارد والمارد هو العاتي ومردة الشياطين من العتاة وهذا يحتاج إلى ما هو أقوى، ثم قال (دحوراً) دحوراً هو مصدر بمعنى مطرودين، دحر يعني طرد، دحوراً مصدر في المبالغة، عذاب واصب يعني دائم، هذه كلها لم يقلها في سورة الحجر. في الحجر قال (وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧)) وفي الصافات (وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧)) حفظاً مصدر والمصدر فيه تحقيق وثبوت وأقوى في الدلالة من الفعل، وقال (شهاب ثاقب)،

آية (٢٢):

***ما الفرق بين الزوج والبعل ؟(د.فاضل السامرائى)**

البعل هو الذكر من الزوجين ويقال زوج للأنثى والذكر. في الأصل في اللغة البعل من الإستعلاء في اللغة يعني السيد القائم المالك الرئيس هو البعل وهي عامة. بعلُ المرأة سيّدها وسُميّ كل مستعل على غيره بعلاً (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) الصافات) لأنهم يعتبرونه سيدهم المستعلي عليهم. الأرض المستعلية التي هي أعلى من غيرها تسمى بعلاً والبعولة هو العلو والاستعلاء ومنها أُخِذ البعل زوج المرأة لأنه سيدها ويصرف عليها والقائم عليها.

الزوج هو للمواكبة ولذلك تطلق على الرجل والمرأة هي زوجه وهو زوجها (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ (٣٥) البقرة) الزوج يأتي من المماثلة سواء كانت النساء وغير النساء (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) الصافات) أي أمثالهم نظراءهم،

آية (٢٣):

***ما الفرق بين السبيل والصراط؟(د.فاضل السامرائى)**

السبيل هو الطريق السهل الذي فيه سهولة والصراط هو أوسع الطرق الطريق المستقيم وهو أوسع الطرق ولذلك لا يُجمع في القرآن (في اللغة يمكن أن يجمع مثل كتاب كتب). إذن الصراط هو الطريق المستقيم وهو أوسع الطرق ولم يرد في القرآن إلا مفرداً لأنه يُراد به الإسلام (وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ (١٥٣) الأنعام) السبيل يجمع على سبل، يأتي مفرداً ويأتي جمعاً لأنها سهلة ميسرة للسير فيها. طرق الخير تجمع وطرق الشر تجمع (يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ (١٦) المائدة) طرق الخير، (وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) هذه طرق الشر وتستخدم سبل للخير والشر أما الصراط هو أوسع الطرق أياً كان (مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) الصافات) هو أوسع الطرق.

آية (٤٧):

***ما الفرق بين قوله تعالى (ولا يُنزفون) في سورة الواقعة وقوله (ولا هم عنها ينزفون) في سورة الصافات؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة الواقعة (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ {١٩}) وفي سورة الصافات (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ {٤٧}). وكلمة يُنزفون من أنزف لها معنيين: أنزف يُنزف بمعنى سكِر وبمعنى نفذ شرابه وانقطع، ويقال أنزف القوم إذا نفذ شرابهم وهو فعل لازم غير متعدي. ويُنزف فعل متعدي معناه سكِر وذهب عقله من السكر.

إذا استعرضنا الآيات في السورتين لوجدنا ما يلي:

سورة الواقعة	سورة الصافات
وردت يُنزفون في السابقين وشرح أحوال السابقين وجزاؤهم ونعيمهم في الجنّة. وفي الجنة صنفين من أصناف المؤمنين السبقون وهم قِلّة وفي درجات عليا	وردت في عباد الله الآخِرين وهم أقلّ درجة من السابقين.
ذكر (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون) في الآية تخيير وزيادة لحم طير	(أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون) لا يوجد تخيير هنا
(أولئك المقربون في جنات النعيم) التقريب هو الإكرام وزيادة	(وهم مكرمون في جنات النعيم)
(على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين) التنعّم هنا أكثر : موضونة، إتّكاء، تقابل	(على سرر متقابلين) لم يذكر إلا التقابل فقط
(يطوف عليهم ولدان مخلدون) تحديد الولدان المخلدون	(يُطاف عليهم) الفاعل مبني للمجهول ولم يُحدد
(بأكواب وأباريق وكأس من معين) زيادة وتنويع في الأواني لتنوع الأشربة	(كأس من معين) كأس واحد فقط
(لا يصدّعون عنها ولا يُنزفون) لا يصيبهم صداع ونفي الصداع نفي لما هو أكبر وهو الغول. والآية تدل على أن خمر الجنة لا تُسكر ولا ينقطع الشراب فالتكريم هنا أعلى من سورة الصافات.	(لا فيها غول ولا هم يُنزفون) الغول إما للإفساد والإهلاك وإما اغتيال العقول، لا تهلك الجسم ولا تفسده ولا تسكره. ونفي الغول لا ينفي الصداع. وإذا كان المقصود بالغول إفساد العقول فالغول وينزفون بمعنى واحد لكن الأول يكون صفة المشروب والثانية صفة الشارب
(حور عين كأنهم لؤلؤ مكنون) ذكر صنفين والوصف هنا جاء أعلى	(وعندهم قاصرات الطرف عين) صفة واحدة من صفات حور الجنة (بيض مكنون).
(لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما إلا قيلاً سلاماً سلاما) نفي لسماع أي لغو ولم ترد في الصافات	لم يرد شيء عن نفي سماع اللغو
(يطوف عليهم) بما أن يُنزفون مبنية للمعلوم ناسب أن يقال (يطوف عليهم) مبنية للمعلوم أيضاً	(ينزفون) مبنية للمجهول فناسب أن يقال (يُطاف عليهم) مبنية للمجهول.

ففي سورة الواقعة إذن دلّ السياق على الإكرام وزيادة والسُرر وزيادة والكأس وزيادة والعين وزيادة ونفى السُكر وزيادة ونفى اللغو وزيادة.

آية (٦٩):

***ما الفرق بين وجدنا وألفينا في القرآن الكريم؟ (د.فاضل السامرائى)**

وجد هي أشمل وتستعمل للأمور القلبية وألفينا للأمور المحسوسة هذا في القرآن أما في غير القرآن ففيها كلام. من حيث اللغة قسم من النحاة يقول هي ليست من أفعال القلوب أصلاً، هذا حكم عند قسم من النحاة. والنحاة في (وجد) هذه لا يختلفون فيها ويقولون هي من أفعال القلوب الأفعال المحسوسة أما (ألفى) فهم مختلفون فيها قسم يقول هي قد تأتي من أفعال القلوب وقسم يقول هي ليست من أفعال القلوب. في القرآن لم ترد في أفعال القلوب وإنما هي محسوسة. ماذا ينبني على هذا؟ التعبير كيف اختلف بالنسبة لهذا الأمر؟ الذي لا يؤمن إلا بما هو مشاهد وحسوس معناه هو أقل علماً ومعرفة وإطلاعاً بمن هو أوسع إدراكاً، أقل، ولذلك عندما يستعمل (ما ألفينا عليها آباءنا) يستعملها في الذم أكثر من (وجدنا)، يعني يستعمل (ألفى) إذا أراد أن يذم آباءهم أشد من الحالة، الذم محتلف وقد تكون حالة أشد من حالة في الحالة الشديدة يستعمل ألفينا، يستعملها أشد في الذم.

آية (٧٣):

*** ما دلالة ظاهرة تذكير وتأنيث كلمة العاقبة فى القرآن الكريم؟ (د.فاضل السامرائى)**

وعندما تأتي بالتذكير تكون بمعنى العذاب وقد وردت في القرآن الكريم ١٢ مرة بمعنى العذاب أي بالتذكير كما في قوله تعالى (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١) الأنعام) و(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) الأعراف) و(فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) الصافّات). وعندما تأتي بالتأنيث لا تكون إلا بمعنى الجنّة كما في قوله تعالى (وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) القصص).

الوصايا العملية:

- كفر السحرة فهم يتعاونون مع الشياطين وكفر من صدقهم .
- كذبهم وعدم تصديقهم فهم يأخذون كلمة واحده ويكذبون عليها مائة كذبه .
- فضيحة الكفار وأهل الشرك يوم القيامة على رؤوس الأشهاد .
- المسارعة بالتوبة والإقلاع عن المعاصي قبل الموت .
- من أراد الخلاص يوم القيامة فعليه بإخلاص العمل لله .
- سلامة الصدر وغض البصر عما حرم الله من أسباب دخول الجنة .
- اختيار الرفيق الصالح فهو ينفع في الدنيا والآخرة .

- الحذر من رفيق السوء فهو يؤثر في صاحبه فالصاحب ساحب .
- اقتدي بالرسل فهم يدعون ربهم و لا يطلبون النصر من غيره .
- توكلي على الله وفوضي أمرك إليه يكفيك ما أهمك من أمر في الدنيا والآخرة .
- أحسني العبادة لله وأحسني للخلق فسنة الله تعالى في المحسنين أن ينشر لهم الثناء على حسب إحسانهم أتركي لك بصمة في الدنيا تذكرين بها فالذكر للإنسان عمر ثان .
- الشرك والشبه والشهوات تمنع من تصور الحق والعمل به .

المقطع الثاني من الآية (٧٧) إلى الآية (١٨٢):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (٧٥ – ٨٢) قصة نوح عليه السلام ودعاؤه. لما ذكر الله تعالى المنذرين في الأمم الخالية، وسوء عاقبة المنذَرين على سبيل الإجمال، أتبع التذكير من جانب النظر في آثار ما حلّ بالأمم المرسَل إليهم، وما أخبر عنه من عاقبتهم في الآخرة. وفي تقديم قصة نوح عليه السالم على غيره من الرسل إشارة إلى أنه أول رسول بعثه الله تعالى إلى الناس. ثم يعقب ذلك الوجه الآخر في الاستجابة للمرسلين، كما في بيان حسن عاقبة بعضهم، الذين أخلصوا لله تعالى كقوم يونس.

الآيات (٨٣ – ١٠١) قصة إبراهيم عليه السلام. تأتي قصة إبراهيم هذه عقب قصة نوح عليهما السلام، يربط بينهما الحديث عن وحدة الهدف والرسالة؛ وفي ذلك بيان للصلة الوثيقة بين الأنبياء في رسالاتهم، كما تجمع بينهم وحدة المآل الواحد، وهو الحماية والإنجاء.

الآيات (١٠٢ – ١١٣) قصة إبراهيم – قصة الذبيح. تأتي هذه الآيات تقصُّ محنة الذبح والفداء، امتداداً لنظيراتها في المقطع السابق، والتي تناولت محنة الإلقاء في النار، وكلتاهما غاية في الشدة والابتلاء.

الآيات (١١٤ – ١٢٢) قصة موسى هارون عليهما السلام. لما ذكر الله تعالى ما منّ به على إبراهيم من فداء ولده، وما منّ به على إسماعيل من نجاته من الذبح، وما منّ به على إسحاق من بشارته بالنبوّة، أبته هنا بذكر ما منّ به أيضاً على موسى وهارون بنجاتهما وقومهما من الكرب العظيم. وفي ذلك إشارة إلى أن الله تعالى ينصر سله ويغضب لهم.

الآيات (١٢٣ – ١٣٢) قصة إلياس عليه السلام. قدّم الحق سبحانه وتعالى الكلام عن ثلاثة رسل هم في الأصل أصحاب شرائع؛ وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، ثم أبتهم الخبر عن ثلاثة أنبياء، وما لقوه من قومهم، وذلك كله شواهد لتسلية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وزواجرُ من الموعظة لكفار قريش. وابتدأ ذِكر هؤلاء الثلاثة بإلياس عليه السلام في بيان جهده في الدعوة إلى توحيد الله تعالى، ومقاومة الشرك وعبادة الأصنام ثم أتبعه بلوط ويونس عليهما السالم، وهم سواء في مرتبة الدعوة إلى دين الله تعالى، وفي أنهم لا شرائع مستقلة لهم.

الآيات (١٣٣ – ١٣٨) قصة لوط عليه السلام. لا يزال السياق العام للقصص القرآن في هذه السورة يتتالى، فهذه قصة لوط هي الخامسة تلي قصة إلياس عليهما السلام في ذكر إنعام الله تعالى على مَن اصطفى من عباده، وكيف أن دعوات الأنبياء جميعاً تلتقي في وحدة الهدف والمنهج، فكلهم دعَوا إلى توحيد الله تعالى ونبذ الشرك.

الآيات (١٣٩ – ١٤٨) قصة يونس عليه السلام. تأتي قصة يونس عليه السلام بسياقها تبين لنا عاقة الذين آمنوا بربهم وصدّقوا نبيّهم، وذلك خاتمة مطاف قصص خلَت، جمعتها وحدة المآل في الحديث عن عاقبة الذين كفروا بربهم وكذبوا رسلهم، ليكون أمام المسلمين مثالَين حيَّين لعاقبتين متباينتين.

الآيات (١٤٩ – ١٧٠) مناقشة عقائد المشركين. تعتبر قصة لوط عليه السلام خاتمة قصص الأنبياء عليهم السلام في السورة، والتي كانت في مجمله توطئة لمناقشة المشركين في افتراءاتهم الباطلة. فلما انتهى من الحديث عن الرسل الكرام رجع إلى الحديث عن المكذبين من كفار مكة، فكان في استفتاح الخطاب لهم خير مثال لقريش أنهم إن آمنوا كما آمن قومُ يونس أَمِنوا من عذاب الله تعالى كما جرى لهؤلاء. ومن هنا حسُن انتقال القوم والمحاورة إليهم بقوله تعالى "فاستفتهم".

الآيات (١٧١ – ١٨٢) نصر جند الله تعالى. التهديد الخفيّ في نهاية المقطع السابق عند قوله تعالى "فسوف يعلمون" هو اللائق بالكفر بعد التمني والوعود، وبمناسبة هذا التهديد يقرر الله تعالى وعده لرسله بالنصر والغلبة. ويختم المقطع هذه السورة بتسجيل وعد الله سبحانه لرسله أنهم هم الغالبون، وبتنزيهه تعالى عما يصفون، والتوجّه بالحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

الدعاء نعمة كبرى ،ومنحة جلية، جاد بها ربنا علينا حيث أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة والإثابة فشأن الدعاء عظيم ،فما استجلبت النعم بمثله ولا استدفعت النقم بمثله.
والدعاء سبب عظيم لانشراح الصدر وتفريج الهم ودفع غضب الله سبحانه وهو مفزع المظلومين وملجأ المستضعفين
وثمرة الدعاء مضمونة إذا أتى الداعي بشرائط الدعاء وآدابه فإما أن تعجل له الدعوة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها وإما أن تدخر له في الآخرة.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فيكثر من الدعاء في الرخاء)
والمقصود بالرخاء حالة الصحة والفراغ ،قال في تحفة الأحوذي :فليكثر الدعاء في الرخاء أي في حالة الصحة والفراغ والعافية لأن من شيمة المؤمن أن يريش السهم قبل أن يرمي ويلتجئ إلى الله قبل الاضطرار .
وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه :(تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة)
وقد كان يقال في الحكمة:إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عثر فإذا صرع وجد متكأ.
كما أخبر تعالى عن يونس عليه السلام بقوله: (فلولا أنه كان من المسبحين)يعني قبل البلاء ،بخلاف فرعون لما تنكر إلى ربه في حال رخائه لم ينجه اللجأ عند بلائه .
قال تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين*إذ أبق إلى الفلك المشحون)قال ابن عباس: هو الموقر أي المملوء بالأمتعة (فساهم)أي قارع (فكان من المدحضين)أي المغلوبين وذلك أن السفينة تلعبت بها الأمواج من كل جانب ،وأشرفوا على الغرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى في البحر لتخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبي الله يونس ثلاث مرات ،وهم يضنون به أن يلقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك ،وأمر الله تعالى حوتا أن يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحما ولا يكسر له عظما ،فألقى

يونس عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت وذهب به ،ولما استقر يونس في بطن الحوت حسب أنه قد مات ،ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي فقام يصلي في بطن الحوت وكان من جملة دعائه :يارب :اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه أحد من الناس

وقد اختلف في مقدار لبثه على عدة أقوال والله أعلم بمقدار ذلك كله.

قوله: (فنبذناه بالعراء وهو سقيم)قال ابن عباس وغيره :وهي الأرض التي ليس بها نبات ولا بناء.

قال ابن مسعود:كهيئة الفرخ ليس عليه ريش(وهو سقيم)

لقد بين الله لنا السر في نجاة يونس عليه السلام وكشف غمته قال تعالى(:فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)والتسبيح هذا ليس حال كونه في بطن الحوت فقط وإنما هو حكاية عن حال يونس الدائمة ،فالأعمال الصالحة في أيام الرخاء ترافق العبد في شدته وتكون سببا بعون الله في إزالة كربته ،وعبادة التسبيح سبب لدفع الهم والغم قال تعالى: (ولقد نعلم أنه يضيق صدرك بما يقولون*فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين)

وفي قصة يونس رسالة إلى كل داعية ومرب ومصلح وأب ألا ييئس ولا يضيق من دعوته وتوجيهاته فهذا يونس عليه السلام غاضب قومه حين جفوا دعوته ثم عاد إليهم مرة ثانية وواصل مشروعه الأول فكان نتيجته أن آمن قومه أجمعون وفي هذا دلالة وإثارة أن الدعوة والنصيحة والتوجيه ليست جولة واحدة بل هي جولات فقد لا يكون للكلمة الشفقة أثر في مهدها ولكن مع الصدق والصبر يفتح الله للكلمات الناصحة مغاليق القلوب .

أيضا أن الصبر على البلاء مما يزيد العبد رفعة عند ربه فهذا يونس رفع الله ذكره بعد أن ابتلاه فالتفت عليه قومه وآمنوا به.

فوائد وأسئلة تدبرية:

*(وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ () وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ () سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ () إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ () إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ () ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ)

وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسنا مستمرا إلى وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم.

*على ماذا دل قوله تعالى: (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)؟

أن الإيمان أرفع منازل العباد وأنه مشتمل على جميع شرائع الدين وأصوله وفروعه، لأن الله مدح به خواص خلقه.

*ما المراد بقوله تعالى:(وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ)وما معنى شيعته؟

أي: وإن من شيعة نوح عليه السلام، ومن هو على طريقته في النبوة والرسالة، ودعوة الخلق إلى الله، وإجابة الدعاء، إبراهيم الخليل عليه السلام.

*(إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)ماهي ثمرات سلامة القلب؟
سليم من الشرك والشبه، والشهوات المانعة من تصور الحق، والعمل به، وإذا كان قلب العبد سليما، سلم من كل شر، وحصل له كل خير، ومن سلامته أنه سليم من غش الخلق وحسدهم، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق،لهذا نصح الخلق في الله، وبدأ بأبيه وقومه .
* ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ)
هذا استفهام بمعنى الإنكار، وإلزام لهم بالحجة.
*(أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ)
أي: أتعبدون من دونه آلهة كذبا، ليست بآلهة، ولا تصلح للعبادة، فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، أن يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟ وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم.
وما الذي ظننتم برب العالمين، من النقص حتى جعلتم له أندادا وشركاء.
*كيف تمكن إبراهيم عليه السلام من كسر أصنامهم؟
فأراد عليه السلام، أن يكسر أصنامهم، ويتمكن من ذلك، فانتهز الفرصة في حين غفلة منهم، لما ذهبوا إلى عيد من أعيادهم، فخرج معهم.
فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ في الحديث الصحيح: « لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات: قوله إِنِّي سَقِيمٌ وقوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا وقوله عن زوجته :إنها أختي » والقصد أنه تخلف عنهم، ليتم له الكيد بآلهتهم.
(فَـ) لهذا (تَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) فلما وجد الفرصة.
(فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ) أي: أسرع إليها على وجه الخفية والمراوغة، (فَقَالَ) متهكما بها (أَلا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ) أي: فكيف يليق أن تعبد، وهي أنقص من الحيوانات، التي تأكل أو تكلم؟ فهذه جماد لا تأكل ولا تكلم.
(فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) أي: جعل يضربها بقوته ونشاطه، حتى جعلها جذاذا، إلا كبيرا لهم، لعلهم إليه يرجعون.
*كيف كان موقف قومه بعدما كسر آلهتهم وكيف كان جوابه عليهم؟
(فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ) أي: يسرعون ويهرعون، أي: يريدون أن يوقعوا به، بعدما بحثوا وقالوا: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ
وقيل لهم سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ يقول: (تَاللَّهِ لأكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) فوبخوه ولاموه، فقال: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ الآية.
و قَالَ هنا: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) أي: تنحتونه بأيديكم وتصنعونه؟ فكيف تعبدونهم، وأنتم الذين صنعتموهم، وتتركون الإخلاص لله؟ الذي خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا أي: عاليا مرتفعا، وأوقدوا فيها النار فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ جزاء على ما فعل، من تكسير آلهتهم.
فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ليقتلوه أشنع قتلة فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ رد الله كيدهم في نحورهم، وجعل النار على إبراهيم بردا وسلاما.

*ماذا فعل إبراهيم بعدما أقام عليهم الحجة ؟
(وَ) لما فعلوا فيه هذا الفعل، وأقام عليهم الحجة، وأعذر منهم، (قال إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) أي: مهاجر إليه، قاصد إلى الأرض المباركة أرض الشام. سَيَهْدِينِ يدلني إلى ما فيه الخير لي، من أمر ديني ودنياي، وقال في الآية الأخرى: وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا
رَبِّ هَبْ لِي ولدا يكون مِنَ الصَّالِحِينَ وذلك عند ما أيس من قومه، ولم ير فيهم خيرا، دعا الله أن يهب له غلاما صالحا، ينفع الله به في حياته، وبعد مماته، فاستجاب الله له.
* قال تعالى: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ)من الغلام المقصود هنا؟
وهذا إسماعيل عليه السلام بلا شك، فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق، ولأن الله تعالى قال في بشراه بإسحاق فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ فدل على أن إسحاق غير الذبيح، ووصف الله إسماعيل، عليه السلام بالحلم ، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عمن جنى.
*ما قصة الذبيح -إسماعيل عليه السلام-وكيف كان استسلام الولد وأبيه لأمر الله؟
(فَلَمَّا بَلَغَ الغلام مَعَهُ السَّعْيَ) أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنا يكون في الغالب، أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته، فقال له إبراهيم عليه السلام: (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) أي: قد رأيت في النوم والرؤيا، أن الله يأمرني بذبحك، ورؤيا الأنبياء وحي(فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) فإن أمر الله تعالى، لا بد من تنفيذه، قَالَ إسماعيل صابرا محتسبا، مرضيا لربه، وبارا بوالده: (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) أي: امض لما أمرك الله سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى.
(فَلَمَّا أَسْلَمَا) أي: إبراهيم وابنه إسماعيل، جازما بقتل ابنه وثمرة فؤاده، امتثالا لأمر ربه، وخوفا من عقابه، والابن قد وطَّن نفسه على الصبر، وهانت عليه في طاعة ربه، ورضا والده،(وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) أي: تل إبراهيم إسماعيل على جبينه، ليضجعه فيذبحه، وقد انكب لوجهه، لئلا ينظر وقت الذبح إلى وجهه.
(وَنَادَيْنَاهُ) في تلك الحال المزعجة، والأمر المدهش: (أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ) أي: قد فعلت ما أمرت به، فإنك وطَّنت نفسك على ذلك، وفعلت كل سبب، ولم يبق إلا إمرار السكين على حلقه(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)في عبادتنا، المقدمين رضانا على شهوات أنفسهم.
*(إن هذا لهو البلاء المبين *وفديناه بذبح عظيم)لماذا امتحن إبراهيم بهذا الإمتحان؟
إِنَّ هَذَا الذي امتحنا به إبراهيم عليه السلام لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ أي: الواضح، الذي تبين به صفاء إبراهيم، وكمال محبته لربه وخلته، فإن إسماعيل عليه السلام لما وهبه الله لإبراهيم، أحبه حبا شديدا، وهو خليل الرحمن، والخلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة ويقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالى أن يصفي وُدَّه ويختبر خلته، فأمره أن يذبح من زاحم حبه حب ربه، فلما قدّم حب الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه، فلهذا قال: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ أي: صار بدله ذبح من الغنم عظيم، ذبحه إبراهيم.
*لماذا قال عن الذِبح أنه عظيما(وفديناه بذبح عظيم)؟
فكان عظيما من جهة ١/أنه كان فداء لإسماعيل، ٢/ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة، ٣/ومن جهة أنه كان قربانا وسنة إلى يوم القيامة.
*(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ)

أي: وأبقينا عليه ثناء صادقا في الآخرين، كما كان في الأولين، فكل وقت بعد إبراهيم عليه السلام، فإنه فيه محبوب معظم مثني عليه.
(سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) أي: تحيته عليه كقوله: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى
(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) في عبادة الله، ومعاملة خلقه، أن نفرج عنهم الشدائد، ونجعل لهم العاقبة، والثناء الحسن.
(إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) بما أمر الله بالإيمان به، الذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين، كما قال تعالى: وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ
*(وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)ما البشارات لإبراهيم عليه السلام؟
هذه البشارة الثانية بإسحاق، الذي من ورائه يعقوب، فبشر بوجوده وبقائه، ووجود ذريته، وكونه نبيا من الصالحين، فهي بشارات متعددة.
(وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ) أي: أنزلنا عليهما البركة، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما، فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني إسرائيل، وأمة الروم من ذرية إسحاق. (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ) أي: منهم الصالح والطالح، والعادل والظالم الذي تبين ظلمه، بكفره وشركه، ولعل هذا من باب دفع الإيهام، فإنه لما قال: وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ اقتضى ذلك البركة في ذريتهما، وأن من تمام البركة، أن تكون الذرية كلهم محسنين، فأخبر الله تعالى أن منهم محسنا وظالما، والله أعلم.
*(وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ)بماذا امتن الله على موسى وهارون؟
يذكر تعالى مِنَّتَهُ على عبديه ورسوليه، موسى، وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى، ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما دينا ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومَنَّ عليهما بسلوكه.
(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) أي: أبقى عليهما ثناء حسنا، وتحية في الآخرين، ومن باب أولى وأحرى في الأولين (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)
*بماذا امتدح الله رسوله وعبده (إلياس)؟
(وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ () إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ () أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ () اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) .
يمدح تعالى عبده ورسوله، إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى، وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم، صنما لهم يقال له « بعل » وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدرَّ عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضر، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ « وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغي؟ »
*ما موقف قومه من دعوته؟
(فَكَذَّبُوهُ) فيما دعاهم إليه، فلم ينقادوا له، قال الله متوعدا لهم: (فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) أي يوم القيامة في العذاب، ولم يذكر لهم عقوبة دنيوية.

(إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أي: الذين أخلصهم الله، ومنَّ عليهم باتباع نبيهم، فإنهم غير محضرين في العذاب، وإنما لهم من الله جزيل الثواب.

*(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ في الآخرين)

أي: على إلياس (فِي الآخِرِينَ) ثناء حسنا.

(سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ) أي: تحية من الله، ومن عباده عليه.

(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) فأثنى الله عليه كما أثنى على إخوانه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

*بماذا أثنى الله على لوط؟وكيف أهلك الله قومه؟

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ () إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ)

وهذا ثناء منه تعالى على عبده ورسوله لوط بالنبوة والرسالة، ودعوته إلى الله قومه، ونهيهم عن الشرك وفعل الفاحشة.

فلما لم ينتهوا، نجاه الله وأهله أجمعين، فسروا ليلا فنجوا.

(إِلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ) أي: الباقين المعذبين، وهي زوجة لوط لم تكن على دينه.

(ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ) بأن قلبنا عليهم ديارهم فـ جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ حتى همدوا وخمدوا.

(وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ) أي: على ديار قوم لوط (مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ) أي: في هذه الأوقات، يكثر ترددكم إليها ومروركم بها، فلم تقبل الشك والمرية (أَفَلا تَعْقِلُونَ) الآيات والعبر، وتنزجرون عما يوجب الهلاك؟

*(وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)بماذا أثنى الله على يونس عليه السلام؟

وهذا ثناء منه تعالى، على عبده ورسوله، يونس بن متى، كما أثنى على إخوانه المرسلين، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وذكر تعالى عنه.

*ما العقوبة الدنيوية التي عاقب الله بها يونس وكيف أنجاه منها؟وما سبب نجاته؟

أنه عاقبه عقوبة دنيوية، أنجاه منها بسبب إيمانه وأعماله الصالحة، فقال: (إِذْ أَبَقَ)

أي: من ربه مغاضبا له، ظانا أنه لا يقدر عليه، ويحبسه في بطن الحوت، ولم يذكر الله ما غاضب عليه، ولا ذنبه الذي ارتكبه، لعدم فائدتنا بذكره، وإنما فائدتنا بما ذُكِّرنا عنه أنه أذنب، وعاقبه الله مع كونه من الرسل الكرام، وأنه نجاه بعد ذلك، وأزال عنه الملام، وقيض له ما هو سبب صلاحه.

فلما أبق لجأ (إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) بالركاب والأمتعة، فلما ركب مع غيره، والفلك شاحن، ثقلت السفينة، فاحتاجوا إلى إلقاء بعض الركبان، وكأنهم لم يجدوا لأحد مزية في ذلك، فاقترعوا على أن من قرع وغلب، ألقي في البحر عدلا من أهل السفينة، وإذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه.

فلما اقترعوا أصابت القرعة يونس (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) أي: المغلوبين.

فألقي في البحر(فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) وَهُوَ وقت التقامه (مُلِيمٌ) أي: فاعل ما يلام عليه، وهو مغاضبته لربه.

(فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) أي: في وقته السابق بكثرة عبادته لربه، وتسبيحه، وتحميده، وفي بطن الحوت حيث قال: لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

(لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أي: لكانت مقبرته، ولكن بسبب تسبيحه وعبادته لله، نجاه الله تعالى، وكذلك ينجي الله المؤمنين، عند وقوعهم في الشدائد.

(فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) بأن قذفه الحوت من بطنه بالعراء، وهي الأرض الخالية العارية من كل أحد، بل ربما كانت عارية من الأشجار والظلال. (وَهُوَ سَقِيمٌ)أي: قد سقم ومرض، بسبب حبسه في بطن الحوت، حتى صار مثل الفرخ الممعوط من البيضة.

(وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) تظله بظلها الظليل، لأنها بادرة باردة الظلال، ولا يسقط عليها ذباب، وهذا من لطفه به، وبره.

*بماذا امتن الله على يونس بعد أن أنجاه من بطن الحوت؟

ثم لطف به لطفا آخر، وامْتَنَّ عليه مِنّة عظمى، وهو أنه أرسله إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ من الناس أَوْ يَزِيدُونَ عنها، والمعنى أنهم إن ما زادوا لم ينقصوا، فدعاهم إلى الله تعالى.

فَآمَنُوا فصاروا في موازينه، لأنه الداعي لهم.

فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ بأن صرف الله عنهم العذاب بعدما انعقدت أسبابه، قال تعالى: (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)

*بماذا أمر الله رسوله أن يسأل المشركين عنه؟

(فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ () أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ () أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ () وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ () أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) .

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (فَاسْتَفْتِهِمْ) أي: اسأل المشركين بالله غيره، الذين عبدوا الملائكة، وزعموا أنها بنات الله، فجمعوا بين الشرك بالله، ووصفه بما لا يليق بجلاله، (أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) أي: هذه قسمة ضيزى، وقول جائر، من جهة جعلهم الولد لله تعالى، ومن جهة جعلهم أردأ القسمين وأخسهما له وهو البنات التي لا يرضونهن لأنفسهم، كما قال في الآية الأخرى وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ومن جهة جعلهم الملائكة بنات الله، وحكمهم بذلك.

قال تعالى في بيان كذبهم: (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) خلقهم؟ أي: ليس الأمر كذلك، فإنهم ما شهدوا خلقهم، فدل على أنهم قالوا هذا القول، بلا علم، بل افتراء على الله، ولهذا قال: (أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ) أي: كذبهم الواضح (لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)

(أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) أي: اختار .

*كيف رد الله على قولهم الباطل؟

(مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ () أَفَلا تَذَكَّرُونَ () أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ () فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ هذا الحكم الجائر.

(أَفَلا تَذَكَّرُونَ) وتميزون هذا القول الباطل الجائر فإنكم لو تذكرتم لم تقولوا هذا القول

(أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ) أي حجة ظاهرة على قولكم من كتاب أو رسول.

وكل هذا غير واقع ولهذا قال (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فإن من يقول قولا لا يقيم عليه حجة شرعية فإنه كاذب متعمد أو قائل على الله بلا علم.

*ما الأقوال الباطلة التي قالوها أيضا؟

(وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ () سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) .

أي: جعل هؤلاء المشركون بالله بين الله وبين الجنة نسبا، حيث زعموا أن الملائكة بنات الله، وأن أمهاتهم سروات الجن، والحال أن الجنة قد علمت أنهم محضرون بين يدي الله، ليجازيهم عبادا أذلاء، فلو كان بينهم وبينه نسب، لم يكونوا كذلك.

(سُبْحَانَ اللَّهِ) الملك العظيم، الكامل الحليم، عما يصفه به المشركون من كل وصف أوجبه كفرهم وشركهم.
(إلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) فإنه لم ينزه نفسه عما وصفوه به، لأنهم لم يصفوه إلا بما يليق بجلاله، وبذلك كانوا مخلصين.
*كيف بين الله عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال عباده؟
فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ () مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ () إلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) .
أي: إنكم أيها المشركون ومن عبدتموه مع الله، لا تقدرون أن تفتنوا وتضلوا أحدا إلا من قضى الله أنه من أهل الجحيم، فينفذ فيه القضاء الإلهي، والمقصود من هذا، بيان عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال أحد، وبيان كمال قدرة الله تعالى، أي: فلا تطمعوا بإضلال عباد الله المخلصين وحزبه المفلحين.
*كيف برأ الله تعالى ملائكته عما وصفهم به المشركون؟
وَمَا مِنَّا إلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ () وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ () وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .
هذا فيه بيان براءة الملائكة عليهم السلام، عما قاله فيهم المشركون، وأنهم عباد الله، لا يعصونه طرفة عين، فما منهم من أحد إلا له مقام وتدبير قد أمره الله به لا يتعداه ولا يتجاوزه، وليس لهم من الأمر شيء.
(وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) في طاعة الله وخدمته.
(وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) لله عما لا يليق به. فكيف - مع هذا - يصلحون أن يكونوا شركاء لله؟! تعالى الله.
*ما الأمور التي أخبر الله عنها وأمر بها في نهاية هذه السورة؟
وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ () لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الأَوَّلِينَ () لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ () فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ () وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ () إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ () وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ () فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ.....) إلى آخر السورة.
-يخبر تعالى أن هؤلاء المشركين، يظهرون التمني، ويقولون: لو جاءنا من الذكر والكتب، ما جاء الأولين، لأخلصنا لله العبادة، بل لكنا المخلصين على الحقيقة.
وهم كَذَبَة في ذلك، فقد جاءهم أفضل الكتب فكفروا به، فعلم أنهم متمردون على الحق (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) العذاب حين يقع بهم، ولا يحسبوا أيضا أنهم في الدنيا غالبون، بل قد سبقت كلمة الله التي لا مرد لها ولا مخالف لها لعباده المرسلين وجنده المفلحين، أنهم الغالبون لغيرهم، المنصورون من ربهم، نصرا عزيزا، يتمكنون فيه من إقامة دينهم، وهذه بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند الله، بأن كانت أحواله مستقيمة، وقاتل من أمر بقتالهم، أنه غالب منصور.
-ثم أمر رسوله بالإعراض عمن عاندوا، ولم يقبلوا الحق، وأنه ما بقي إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب، ولهذا قال: وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ من يحل به النكال، فإنه سيحل بهم.
فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ أي: نزل عليهم، وقريبا منهم فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ لأنه صباح الشر والعقوبة، والاستئصال.
ثم كرر الأمر بالتَّولي عنهم، وتهديدهم بوقوع العذاب.
-ولما ذكر في هذه السورة، كثيرا من أقوالهم الشنيعة، التي وصفوه بها، نزه نفسه عنها فقال: سُبْحَانَ رَبِّكَ أي: تنزه وتعالى رَبِّ الْعِزَّةِ أي: الذي عز فقهر كل شيء، واعتز عن كل سوء يصفونه به.
وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ لسلامتهم من الذنوب والآفات، وسلامة ما وصفوا به فاطر الأرض والسماوات.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الألف واللام، للاستغراق، فجميع أنواع الحمد، من الصفات الكاملة العظيمة، والأفعال التي ربى بها العالمين، وأدرَّ عليهم فيها النعم، وصرف عنهم بها النقم، ودبرهم تعالى في حركاتهم

وسكونهم، وفي جميع أحوالهم، كلها لله تعالى، فهو المقدس عن النقص، المحمود بكل كمال، المحبوب المعظم، ورسله سالمون مسلم عليهم، ومن اتبعهم في ذلك له السلامة في الدنيا والآخرة. وأعداؤه لهم الهلاك والعطب في الدنيا والآخرة .

لمسات بيانية:

آية (٧٩):

***ما الفرق بين سلام والسلام ؟(د.فاضل السامرائى)**

السلام معرفة والمعرفة هو ما دلّ على أمر معين، وسلام لك والأصل في النكرة العموم إذن كلمة سلام عامة وكلمة السلام أمر معين. لما نقول رجل يعني أيّ رجل ولما نقول الرجل أقصد رجلاً معيناً أو تعريف الجنس. الأصل في النكرة العموم والشمول. إذن (سلام) أعم لأنها نكرة وربنا سبحانه وتعالى لم يحييّ إلا بالتنكير في القرآن كله مثل (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى (٥٩) النمل) (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) الصافات) (سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) الصافات) (سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠) الصافات) حتى في الجنة (سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨) يس) حتى الملائكة (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) الزمر) ربنا تعالى لم يحييّ هو إلا بالتنكير لأنه أعم وأشمل كل السلام لا يترك منه شيئاً. (سلام عليه) هذه تحية ربنا على يحيى والآية الأخرى عيسى عليه السلام سلم على نفسه وليس من عند الله سبحانه وتعالى، سلام نكرة من قبل الله تعالى والسلام من عيسى عليه السلام وليس من الله تعالى والتعريف هنا (السلام) أفاد التخصيص. ويقوون تعريض بالذين يدعون أن مريم كذا وكذا فقال (والسلام علي) رد على متهمي مريم عليها السلام.

آية (٨٣):

***ما الفرق بين أتباع وأشياع؟(د.فاضل السامرائى)**

الأشياع هم أتباع الرجل على جماعة واحدة والأتباع هم أنصار الرجل لكن ما الفرق؟ الأشياع أنصار أيضاً لكن الأشياع أعمّ قال تعالى (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٥١) القمر) المخاطَب زمن الرسول ﷺ أشياعهم الأمم السابقة، نحن أشياع سيدنا محمد ﷺ وأتباعه الذين معه وقتها. القرآن الكريم لم يستعمل التبع إلا من كان مع الرسول ﷺ وقتها، كل أتباع الرجل من كان معه (فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا (٢١) إبراهيم). الأشياع ليس بالضرورة واستعملها الله تعالى للمتقدم والمتأخر، تكلم عن سيدنا نوح ﷺ (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥)) ثم قال (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) الصافات) أين إبراهيم ﷺ من نوح ﷺ؟ من شيعته أي من شيعة نوح، صحيح الفروع مختلفة لكن أصل الرسالة واحدة. سيدنا نوح ﷺ كان أسبق بكثير من إبراهيم. فالأشياع أعمّ من الأتباع، الأتباع من كانوا معه فقط ولا يستعمل للمتأخر. التبع يكون معه والأشياع عامة وفي القرآن يستعمل الأشياع أعمّ من التبع.

آية (٨٥):

*** لماذا الإختلاف في التعبير في قصة ابراهيم في سورة الصافات (ماذا تعبدون) وفي سورة الشعراء (ما تعبدون)؟ (د.فاضل السامرائى)**

في الأولى استعمال (ماذا) أقوى لأن ابراهيم لم يكن ينتظر جواباً من قومه فجاءت الآية بعدها (فما ظنكم برب العالمين)، أما في الشعراء فالسياق سياق حوار فجاء الرد (قالوا نعبد أصناماً). إذن (من ذا) و(ماذا) أقوى من (من) و(ما).

آية (١٠٢):

*** ما دلالة استخدام صيغة الفعل المضارع في قوله تعالى (يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ)؟**

د.فاضل السامرائى :

قال تعالى (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) الصافات) أولاً رؤية ابراهيم كما يُنقل لم يرها مرة واحدة وإنما تكررت ثلاث ليال هذا أمر والأمر الآخر هو أن الفعل المضارع قد يستخدم ليعبّر به عن الماضي في ما نسميه حكاية الحال كما يُعبّر عن الماضي للمستقبل كما في قوله تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)) تقتلون وقال معها من قبل. وحكاية الحال هو أن يُعبّر عن الحال الماضية بالفعل المضارع للشيء المهم كأن يجعله حاضراً أمام السامع واستحضار الصورة في القرآن كثير وفي غير القرآن فكأن الرؤية التي رآها إبراهيم عليه السلام لأهميتها استحضرها .

آية (١١٢):

***ما دلالة الفعل الماضى فى قوله تعالى (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) الصافات) ؟ (د.فاضل السامرائى)**

(وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) الصافات) هو لم يأت بعد ولكن باعتبار ما سيكون، (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ (٢٧) الفتح) التحليق والتقصير يكون بعد أن يتموا العمرة وليس عند الدخول. حال محكية يتكلم عن أمر قد مضى. حال مقدرة يسموها مستقبلة لأن الحال أكثر ما تكون مقارِنة قد تكون مقدرة وقد تكون محكية بحسب الزمن، الحال المحكية تكون للماضي والمقدرة للمستقبل نضرب مثالاً لو رأيت عقرب كبيرة تقول هذه العقرب تلسع صغيرة وكبيرة، صغيرة حال وهي ماضية يعني حالة كونها صغيرة.

*ما المراد بصيغة الجمع فى قوله تعالى(أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) الصافات)؟ (د.فاضل السامرائى)

الخلق له معنيين إما الخلق ابتداءً وهذا خاص بالله سبحانه وتعالى والخلق بمعنى التقدير هذا ليس خاصاً بالله ويقال للبشر كما قال على لسان عيسى (أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ (٤٩) آل عمران) فإذن الخلق ليس مختصاً بالله في قوله (أحسن الخالقين)، الخلق ابتداء خاص بالله تعالى والخلق بمعنى التقدير تقال للبشر.

آية (١٣٧):

***(وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨) الصافات) من المعني بهذه الآية؟ (د.فاضل السامرائى)**

قوم لوط كانوا يمرون عليهم في سفرهم للشام ويرجعون، كانوا يمرون على آثارهم في سدوم. الخطاب لأهل مكة كانوا يمرون عليهم في تجارتهم.

الوصايا العملية:

- اسألي الله أن يرزقك قلبا سليما .
- من يغش الخلق ويحسدهم ويؤذيهم قولا وفعلا دليلا على عدم طهارة قلبه .
- اجتهدي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر استطاعتك .
- للصبر أنواع الصبر على طاعة الله ثم الصبر على ما حرم الله .
- لا تقصي الرؤيا الصالحة إلا على من عنده علم ولا تخبري بها إلا من تعلمين أنه يحبك .
- لا تقصي الرؤيا المحزنة على أحد وابصقي على يسارك ثلاث مرات وتعوذي بالله من شرها وشر الشيطان وتحولي على جنبك الآخر وصلي ركعتين فهي لا تضرك بأذن الله .
- يبتلي الله العبد في أحب شيء له فعليه بالصبر والرضا بما قدر له .
- الولد أغلى ما عند الإنسان فليحسن تربيته وليتق الله فيه .
- اختبر الله خليله بذبح ابنه إسماعيل لأن حبه زاحم قلبه فأراد الله أن يصفي وده .
- ضرب إبراهيم أروع المثل في تقديم حب الله وأثره على هواه فزال ما في قلبه من حب غير الله .
- فرغي قلبك من محبة غير الله من ولد وزوج وصديق ومال وغير ذلك .
- اسألي الله أن لا يجعل في قلبك أحد إلا الله .
- قدم حب الله على حب نفسك تسعدي في حب الدارين .
- من علق قلبه بمحبة غير الله من ولد أو مال أو زوج أو صديق يعذب به لأنه يصبح شغله الشاغل فيعذب بهذا الحب الذي قدمه على حب الله .
- فعليك ألا تعلق قلبك إلا بالله فاملئي قلبك بالله وتعظيمه تفوزي بخيري الدنيا والآخرة .

- أفضل ما يتعبد به في يوم النحر وأيام التشريق ذبح الأضاحي فعلى المقتدر أن يذبحها عن نفسه وأهل بيته ولا يحرم نفسه عن الأجر الكبير .
- إذا تمسكت بكتاب ربك وسنة نبيك نلت الثناء الحسن في الدنيا والآخرة .
- إن المنجي من الكرب التسبيح وكثرة ذكر الله .
- ما دعا مسلم مكروب بالدعوة ذا النون إلا استجيب له (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

تناسب فواتح سورة الصافات مع خواتيمها:

قال تعالى في البداية (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥)) وقال في الآخر (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)). رب العالمين أليس هو رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق؟ بلى. (العالمين أي المكلّفين). في الأولى ذكر المسكن وفي الآخر ذكر الساكن فهو رب المسكن ورب الساكن. في أولها قال (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آَيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨)) وفي الآخر قال (فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦)).

| ● | نهاية سورة الصافات | ● |